جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM
AND AGRICULTURAL INNOVATION

عام زايد
YEAR OF ZAYED

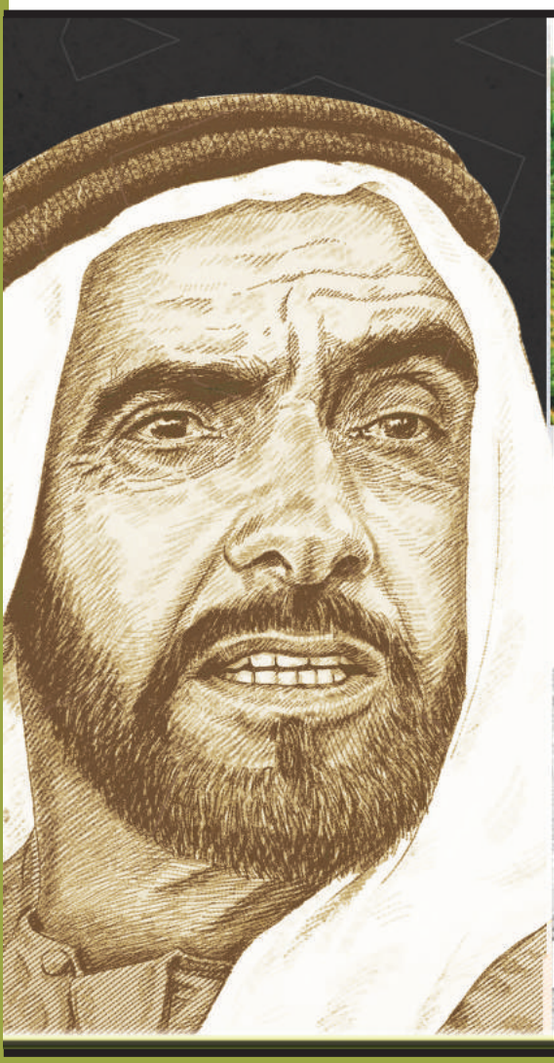

عبقرية زايد في الزراعة والبيئة

دراسة علمية تاريخية لعبقريّة زايد في الزراعة والبيئة

د. هلال حميد بن سعد الكعبي

الطبعة الثانية

1439هـ - 2018م

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM AND AGRICULTURAL INNOVATION

عام زايد
YEAR OF ZAYED

عبقرية زايد في الزراعة والبيئة

دراسة علمية تاريخية لعبقريّة زايد في الزراعة والبيئة

د. هلال حميد بن سعد الكعبي

أمين عام مجلس أبوظبي للجودة والمطابقة

الطبعة الثانية

1439هـ - 2018م

عنوان الكتاب: عبقريّة زايد في الزراعة والبيئة.

المؤلف: د.هلال حميد بن ساعد الكعبي.

الموضوع الرئيسي: دراسة علمية تاريخية متسلسلة حول اهتمام المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بالزراعة والبيئة، والإنجازات التي حققتها دولة الإمارات العربية المتحدة في هذا المجال.

توصيف الكتاب: قياس الكتاب ٢٤X٢٩ سم، عدد الصفحات ٣٩٢ صفحة.

إيداع رقم: (٤٢٠ - ٢٠٠٧ م)، لدى مكتب المصنّفات الفكرية، وزارة الاقتصاد، دولة الإمارات العربية المتحدة.

التصميم والإخراج: الطبعة الأولى: فن الخيال للخدمات الإعلامية، أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة. imaginationartest@yahoo.com
الطبعة الثانية: أبوظبي للطباعة والنشر (بن دسمال)، دولة الإمارات العربية المتحدة.

الطباعة والتغليف: أبوظبي للطباعة والنشر، (بن دسمال)، دولة الإمارات العربية المتحدة.

الرقم الدولي: ISBN978-9948-39-452-5

الطبعة الأولى

1429هـ - 2008م

برعاية ديوان صاحب السمو ولي عهد أبوظبي

الطبعة الثانية

1439هـ - 2018م

برعاية جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر و الابتكار الزراعي

© حقوق الطبع محفوظة

لا يجوز إعادة إنتاج أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل كان (بما في ذلك النسخ المصورة أو استخدام الوسائل الإلكترونية) من دون الموافقة المكتوبة لأصحاب حقوق النشر. وينبغي توجيه الطلبات الخاصة بالحصول على الموافقة المكتوبة لأصحاب حقوق النشر بهدف إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب طبقاً لقانون حقوق النشر الدولي لعام ١٩٥٦، والقانون الاتحادي رقم ٤٠ لعام ١٩٩٢ الخاص بحقوق النشر في الإمارات العربية المتحدة

الإهداء بمناسبة عام زايد

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM AND AGRICULTURAL INNOVATION

عام زايد
YEAR OF ZAYED

إلى

صاحب السمو الشيخ

خليفة بن زايد آل نهيان

رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة – حفظهُ الله

وصاحب السمو الشيخ

محمد بن زايد آل نهيان

ولي عهد أبوظبي ـ نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة

وشعب الإمارات

أهدي لكُم هذا الجهد المتواضع الذي يُناقش عبقرية المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيَّب الله ثراه)، في الزراعة والبيئة، ويستعرض إنجازاته وجهوده البنّاءة في النهضة التي شهدتها دولة الإمارات العربية المتحدة في هذا المجال، آملاً بأن أكون قد أبرزت جانباً من جوانب عبقريات ذلك القائد الفَذّ.

كلمة شكر

عام زايد
YEAR OF ZAYED

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM AND AGRICULTURAL INNOVATION

يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان، وعظيم العرفان إلى صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة على رعايته ودعمه لهذا الكتاب.

د. هلال حميد بن سعد الكعبي

كما أتقدّم بخالص الشكر والعرفان إلى معالي الشيخ نهيان مبارك آل نهيان، وزير التسامح، على تشجيعه ودعمه لهذا العمل.

والشكر موصول الى جائزة خليفة الدولية لنخيل للتمر والابتكار الزراعي، وأمينها العام الأستاذ الدكتور عبدالوهاب زايد، المستشار الزراعي بوزارة شؤون الرئاسة، سفير النوايا الحسنة لمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة.

كما أتقدّم بالشكر والتقدير إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة وإدارتها الموقّرة ممثلةً في مديرها السابق سعادة الدكتور هادف بن جوعان الظاهري على تشجيعه ودعمه لهذا الكتاب.

كما يطيب لي أن أتقدّم بخالص الشكر والتقدير لكل فرد أو مختص أو مسؤول أسهم بمعلومة أو بمرجع في هذا الكتاب، وأخص بالذكر أولئك الرجال الذين عملوا بالقرب من المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد (طيَّب الله ثراه)، أو صاحبوه في حياته وأمَدّوني بشهاداتهم والتي كانت بحق مرجعاً مهماً لإبراز كثير من صُوَر العبقرية والتميّز لهذا القائد الفذّ.

كما أشكر كل المؤسسات والدوائر التي أمَدّتني بالمراجع والمعلومات ذات الصلة بالموضوع، وأخص بالذكر:

- وزارة شؤون الرئاسة.
- جائزة خليفة الدولية لنخيل للتمر والابتكار الزراعي
- مركز الوثائق والبحوث، وزارة شؤون الرئاسة.
- وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع.
- الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة.
- دائرة البلديات والزراعة.
- هيئة البيئة - أبوظبي.
- نادي تراث الإمارات.
- هيئة أبوظبي للثقافة والتراث.
- مؤسسة الإمارات للإعلام - صحيفة الاتحاد.
- وكالة أنباء الإمارات.
- مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- شركة الفوعة لتطوير وتنمية قطاع النخيل.

ختاماً، شكري وتقديري لكل من دعم هذا الكتاب وأسهم في إخراجه إلى حيّز الوجود.

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي
KHALIFA INTERNATIONAL AWARD FOR DATE PALM AND AGRICULTURAL INNOVATION

عام زايد
YEAR OF ZAYED

صاحب السمو الشيخ

خليفة بن زايد آل نهيان

رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة - حفظه الله

صاحب السمو الشيخ

محمد بن زايد آل نهيان

ولي عهد أبوظبي - نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة

تقديم

كتاب عبقرية زايد في الزراعة والبيئة

«دراسة علمية تاريخية لعبقريّة زايد في الزراعة والبيئة»

كلمة صاحب السمو

الشيخ محمد بن زايدآل نهيان

ولي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة

إنّ كل من عرف المغفور له بإذن الله، الوالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيَّب الله ثراه)، عن قُرب يُدرك أن اهتمام سموه بالزراعة والبيئة لم يكن أمراً عادياً، بل كان اهتماماً أثيراً لديه، لا يتقدمه إلا إيمانه بالله تعالى، ثم بالاتحاد وقوّته وازدهار الدولة وتطورها وتقدم المواطن ورفاهيته. وقد كان هذا الاهتمام جزءاً من نظرته إلى البيئة بصورة عامة، فقد آمَن بأن رعاية البيئة والاهتمام بكل مكوناتها يجب أن يكون إحدى الأولويات في سياسة أي دولة. ولم يترك هذا الأمر للآخرين وحدهم يقومون بإنجاز ما تم التخطيط له، بل كان يتابع الموضوع بصورة شخصية وبدأب لا كلل فيه، ومُتابعة لا تفتر، يُريد أن يرى الصحراء وقد اكتست باللون الأخضر، وكان في ذلك يرى صورة في خياله تتحقق، وتحدّياً يتم التغلب عليه وإنجازه فعلاً على أرض الواقع، بعد أن رأى الخبراء أنه من الصعب أن تنجح الزراعة في صحراء دولة الإمارات العربية المتحدة، ولكنه صّمم، وأراد أن تكون التجربة هي الفيصل بين تصميمه المدعوم برؤيته للمستقبل وبين استحالة الزراعة كما يراها الخبراء، ولذا قدّم لهذه التجربة كل اهتمامه ودعمه المتواصل، فنجحت الرؤية وتحقق التصميم، وأصبحنا نرى المساحات الهائلة من الصحراء المجدبة وقد تحولت إلى بساتين رائعة وجنان وارفة تنتشر في كل مكان من أرض دولة الإمارات العربية المتحدة. لقد كان حلمه وهدفه أن تتحول كل أرض الدولة إلى رقعة خضراء مليئة بالمزارع والأشجار والنباتات والبساتين من كل الأنواع والأصناف، ولله الحمد تحوّل هذا الحلم إلى حقيقة واقعة يلمسها ويستمتع بها القاصي والداني.

إن عبقرية المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد (طيَّب الله ثراه)، في مجال الزراعة تكمن في تحدي المستحيل، وهذا يدفعنا إلى التمثل بخطاه، وألا نرى مانعاً يمنعنا من السعي إلى تحقيق كل أحلامنا من أجل مستقبل أفضل، وأن نرى المستقبل بعقولنا وبصيرتنا ونتخيله بأحلامنا على الصورة التي نريد، فالواقع الذي نعيشه الآن كان في مرحلة سابقة صورة في خيال المغفور له الوالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيَّب الله ثراه) وأجْزَل له المثوبة.

إنّ هذا الكتاب يُقدّم صورة من صور اهتمام المغفور له الوالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بهذه الدولة، ورصد جزء من مسيرته الحافلة التي امتدت طوال عمره، وهو جُهد طيّب، بذل فيه الباحث عنايته في متابعة هذه المسيرة الخضراء، وألقى الضوء على أحد الجوانب المهمة من شخصية الشيخ زايد، قام به باحث شاب تفاعل مع نتائج هذه المسيرة وإنجازاتها التي نفتخر بها جميعاً، لأنه قريب من هذا الفعل الكبير والمهم الذي أصبح إحدى أبرز سمات دولة الإمارات العربية المتحدة في العالم المتمثل في الحفاظ على البيئة وحماية أنواع وأجناس مُعرّضة للانقراض من الحيوانات البرية والبحرية والطيور. ونتمنّى لهذا الباحث التوفيق والسداد في عمله.

الفهرس

الإهداء	٤
كلمة شكر	٦
تقديم صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان	١٠
مقدمة	١٦
الفصل الأول: حياة قائد وإشراقات عبقرية	٢٠
١ـ١ ولادة قائد وبطل من أبطال الأرض	٢٢
١ـ٢ الميلاد والنَّسَب	٢٣
١ـ٣ أبوظبي في تاريخ ميلاد القائد	٢٦
١ـ٤ الطفولة والنشأة	٢٧
١ـ٥ أول المناصب القيادية	٢٩
١ـ٦ العين في منتصف الأربعينات	٣٠
١ـ٧ زايد شخصية قيادية فَذّة في العين	٣٢
١ـ٨ من إشراقات العبقرية	٣٦
١ـ٩ زايد يقود الإمارة	٣٧
١ـ١٠ تأييد مُطلَق	٣٨
١ـ١١ ظروف إمارة أبوظبي في ذلك التاريخ	٤٠
١ـ١٢ وانطلقت مسيرة القائد	٤٤
١ـ١٣ زايد يقود الإمارات	٤٨
١ـ١٤ لم يطلب الإمارة ولكن كُلّف بها	٥١
١ـ١٥ الاتحاد في فكر زايد	٥١
١ـ١٦ للاتحاد مكاسب	٥٣
١ـ١٧ من إشراقات العبقرية	٥٤
الفصل الثاني: عبقرية زايد الزراعية في العين (١٩٤٦ـ١٩٦٦)	٥٦
٢ـ١ العين.. التحدي الأول والمهمة الصعبة	٥٨
٢ـ٢ إدراك مبكر لأهمية الزراعة في حياة الشعوب	٥٨
٢ـ٣ زايد يطور أفلاج العين	٥٩
٢ـ٤ زايد يمنع الاتجار بالماء ويُصلح نظام الرّي	٦٥
٢ـ٥ زايد يتوسع في استصلاح الأراضي ويشجع الشعب على الزراعة	٦٦

الفصل الثالث: كيف بدأ زايد المسيرة الخضراء؟	**٦٨**
٣ـ١ البداية أعمال خضراء وأحلام كثيرة	٧٠
٣ـ٢ انطلاقة القائد الفعلية	٧٢
٣ـ٣ زايد يُنشىء المؤسسات الزراعية المختصة	٧٢
٣ـ٤ زايد يستعين بالخبرات الأجنبية	٧٤
٣ـ٥ زايد يُنشىء المحطات التجريبية والبحثية	٧٧
٣ـ٦ زايد يُنشىء المزارع النموذجية	٧٩
٣ـ٧ زايد يُقيم المعارض ويشجع المواطنين على المشاركة فيها	٨٢
٣ـ٨ زايد يخطط المشاريع الزراعية ويُشرف عليها بنفسه	٨٦
٣ـ٩ زايد يصدر القوانين والتشريعات الداعمة للزراعة والبيئة	٩٢
الفصل الرابع: رؤية زايد	**٩٦**
٤ـ١ رؤية واضحة	٩٨
٤ـ٢ أهمية الزراعة في حياة الشعوب	١٠٢
٤ـ٣ تطوير ثروة النخيل	١٠٣
٤ـ٤ الاستقرار	١٠٥
٤ـ٥ تحسين دخل المواطن	١٠٦
٤ـ٦ سياسة الدولة	١٠٦
الفصل الخامس: مظاهر التنمية الزراعية	**١٠٨**
٥ـ١ أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة	١١٠
٥ـ٢ تطور عدد المزارع والمساحة الزراعية	١١١
٥ـ٣ تطور حجم الإنتاج الزراعي	١١٦
٥ـ٤ تطور عدد النخيل وإنتاج التمور	١٢٢
٥ـ٥ تطور الصناعات الزراعية	١٣٣
٥ـ٦ تطور الثروة الحيوانية	١٣٦
٥ـ٧ تطور الثروة السمكية	١٣٨
٥ـ٨ مؤشرات الاكتفاء الذاتي	١٤١
الفصل السادس: مظاهر التنمية البيئية	**١٤٢**
٦ـ١ زايد رجل البيئة الأول	١٤٤
٦ـ٢ تطور مشاريع الحدائق والمتنزهات	١٥٤
٦ـ٣ تطور مشاريع الغابات والتشجير	١٦٢

الفهرس

٦ـ٤ أهمية التشجير في دولة الإمارات ١٧١

٦ـ٥ تطور مشاريع المحميّات الطبيعية ١٧٢

الفصل السابع: عبقرية زايد في جزيرة صير بني ياس ١٧٦

٧ـ١ ليس الرائي كالسامع ١٧٨

٧ـ٢ خدمات لا نظير لها ١٨٢

٧ـ٣ للجزيرة تاريخ قديم ١٨٧

٧ـ٤ التنوع النباتي في الجزيرة ١٩١

٧ـ٥ التنوع الحيواني في الجزيرة ٢٠٢

٧ـ٦ تنوع الطيور ٢٠٨

٧ـ٧ صور أخرى من عبقرية زايد في الجزيرة ٢٠٩

الفصل الثامن: المحافظة على الموروث الزراعي ٢١٤

٨ـ١ حُبّ زايد واهتمامه بواحات العين بقي في قلبه حتى النهاية ٢١٦

٨ـ٢ أبناؤه يحافظون عليها ٢٢٠

٨ـ٣ واحات العين ودورها الاجتماعي ٢٢٦

الفصل التاسع: المبزَّرة الخضراء ٢٢٨

٩ـ١ في وسط الجبال ٢٣٠

٩ـ٢ فرحة لا توصف ٢٣٠

٩ـ٣ حملة خضراء يقودها زايد ٢٣٢

٩ـ٤ أجمل الأسماء ٢٣٨

الفصل العاشر: عبقرية زايد في مأرب ٢٤٤

١٠ـ١ زايد يعمر الأرض ٢٤٦

١٠ـ٢ اليمن حضارة وتاريخ بعيد ٢٥١

١٠ـ٣ مملكة سبأ ٢٥٢

١٠ـ٤ سد مأرب ٢٥٣

١٠ـ٥ انهيار سد مأرب كان سبباً في انهيار حضارة ٢٥٤

١٠ـ٦ سبق الملوك والسلاطين ٢٥٦

١٠ـ٧ كيف بدأت مبادرة زايد التاريخية ٢٥٧

١٠ـ٨ السد الجديد ٢٦٣

١٠ـ٩ أهمية السد للحفاظ على سد مأرب ٢٦٣

١٠ـ١٠ ما الذي دفع زايد ليفكر في هذه المبادرة؟ ٢٦٣

الفصل الحادي عشر: صور أخرى من العبقرية	**٢٦٦**
١١ـ١ العبقري زايد	٢٦٨
١١ـ٢ قصص ومواقف مختلفة يرويها رجال عملوا بالقرب من الشيخ زايد	٢٧١
الفصل الثاني عشر: تحديات واجهها زايد	**٢٩٨**
١٢ـ١ رَجُل التحدّيات	٣٠٠
١٢ـ٢ أنواع التحديات التي واجهها الشيخ زايد	٣٠٠
١٢ـ٢ـ١ تحديات متعلقة بضعف الإمكانات	٣٠٠
١٢ـ٢ـ٢ تحديات إدارية وسياسية	٣٠١
١٢ـ٢ـ٣ تحديات فنية وتقنيّة	٣٠٢
١٢ـ٢ـ٤ تدهور البيئة والحياة البرية	٣٠٣
١٢ـ٢ـ٥ تحديات متعلقة بالعوامل الطبيعية	٣٠٣
١٢ـ٢ـ٦ مشاكل الماء على أرض الإمارات	٣٠٩
١٢ـ٣ كيف واجه الشيخ زايد ذلك التحدي؟	٣١٠
الفصل الثالث عشر: تقدير عالمي	**٣٢٨**
١٣ـ١ صدَى عالمي واسع	٣٣٠
١٣ـ٢ جوائز وأوسمة عالمية نالها الشيخ زايد في الزراعة والبيئة	٣٣٣
الفصل الرابع عشر: زايد يتحدث عن تجربة دولة الإمارات	**٣٤٠**
١٤ـ١ زايد يتذكر الطريق الطويل ويَفْخَر بالإنجازات	٣٤٢
١٤ـ٢ كلمات تاريخية قالها الشيخ زايد في الزراعة والبيئة	٣٤٧
الملاحق	٣٥٤
ملحق ١ الترتيب الزمني لحكام آل نهيان لإمارة أبوظبي	٣٥٦
ملحق ٢ الأفلاج	٣٥٧
ملحق ٣ القوانين والتشريعات الداعمة للتنمية الزراعية في دولة الإمارات العربية المتحدة	٣٥٩
ملحق ٤ أسماء المواقع وحجم المساحة وعدد الأشجار في مشاريع الغابات في المنطقة الشرقية	٣٦٠
ملحق ٥ مشاريع التشجير المختلفة التي تُشرف عليها الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة	٣٦٣
ملحق ٦ كلمات تاريخية قالها الشيخ زايد في الزراعة والبيئة	٣٦٤
المصادر والمراجع	**٣٧١**
نصوص الجداول	**٣٨٢**
نصوص الصور	**٣٨٣**

كلمة شكر

بسم الله الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبد الله، رسول البشرية الأعظم.

وبعد، مع إيماننا أن الخالد هو الله الواحد الأحد، وأن الإنسان وإن طال عمره لابد له من الرحيل إلى الدار الآخرة، مع هذا كان رحيل المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، عن الدنيا فاجعة كبرى على شعب الإمارات، وكان ألم فراقه عظيماً. لقد هز نبأ وفاته الشعب كله وتفطرت قلوبهم حزناً وأسى على فراقه، وبكاه الكبير والصغير، لأنه -رحمه الله- كان صاحب المشروع الوحدوي، ومؤسس الدولة، وباني نهضتها، وهو من الزعماء القلائل الذين تفانوا وكرّسوا حياتهم وضحوا وأعطوا بكل سخاء من أجل أوطانهم وإسعاد شعوبهم، لذا فهو أيضاً من الزعماء القلائل الذين حَظوا بإجماع محبة الشعب وولائه وثقته.

استطاع المغفور له بإذن الله الشيخ زايد أن يصنع أعظم اتحاد معاصر، وأن يقود سفينته بحكمة واقتدار، وأن يرتقي بدولته الفتية إلى تلك المكانة المرموقة عالمياً، بفضل ما حققه على أرضها من إنجازات حضارية في مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والزراعية والبيئية.

وإذا كان الشيخ زايد قد رحل فإن أعماله وإنجازاته باقية، وهي راسخة على أرض الإمارات يشهد بها الجميع وتحفظها كتب التاريخ. كان -رحمه الله- أكثر الناس إيماناً بمبدأ العمل وأنه هو الباقي للإنسان وما سواه زائل فكان يقول: «لا شيء مخلد أبداً، لا مُخلد الإنسان.. ولا مُخلد المال، ولا مُخلد شيء.. مُخلد والذي هو خالد الوطن والعمل للإنسان، وكل فرد منا سوف يذكر بعمله». وكان يؤمن أيضاً أن خير ما يذهب به القائد للقاء ربه هو خدمته لوطنه فكان يقول: «إن العمل الذي نؤديه لوطننا في هذه الدنيا هو خير ما نذهب به إلى الدار الآخرة».

لقد أعطى الشيخ زايد المثل والقدوة الحسنة في كل شيء. في الإيمان بربه والتوكل عليه، في الإخلاص لوطنه، في حبه لشعبه، في التسامح والتكافل والتعاون مع شعوب العالم. كان نِعْمَ القائد الحكيم، ونِعْمَ الوالد الكريم، وكان حبه لشعبه ووطنه لا حدود له، لذا أحبه شعبه ونال احترامه، بل احترام شعوب العالم أجمع، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: «خير أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم».

والشيخ زايد -طيب الله ثراه- هو في مقدمة أولئك الرجال والقادة التاريخيين الذين صنعوا تاريخ شعوبهم وجاهدوا على العديد من الجبهات في آن واحد لكي يرفعوا إسم هذا البلد عالياً، وشعبه إلى المكانة المرموقة، فيستحق تراثه الكبير والمنتشر في مختلف تجلياته أن يُجمع في عدة مؤلفات لكي تستطيع الأجيال القادمة أن تعرف أبعاد المساهمة الكبرى لمؤسس دولتها وصانع نهضتها الحديثة، ولتكون وثيقة محفوظة في سجلات التاريخ تنهل من فوائدها وحكمها الأجيال الحاضرة والقادمة. لذا فقد رأيت أنه من أبَرِّ البِر، بل هو الواجب عَليَّ وعلى كل قادر من أبناء هذا الوطن، كُلٌّ في تخصصه، أن نسهم في كتابة تاريخ الشيخ زايد لكي نرد ولو جزءً بسيطاً ومتواضعاً من الجميل الكبير الذي قدمه لشعبه وأرضه. وإنه ليس من السّهل عَليَّ أن أخوض تجربة تأليف كتاب عن شخصية بحجم شخصية الشيخ زايد

لما يتميز به من مناقب كثيرة، وفِعال حميدة يعجز المُؤلِفُ عن إعطائها حقها في التوثيق والتحليل لعظمتها، كما يصعب عليه إحصاؤها أو حصرها في مؤلف أو مجلد واحد.

ولقد قررت القيام بهذه المحاولة في اليوم الثاني من رحيل الشيخ زايد -رحمه الله-، ورأيت أن أسلط الضوء على جانب براق وهام من سيرته وتاريخه الكبير، وهو جهوده البنّاءة في النهضة الزراعية والبيئية التي شهدتها دولة الإمارات. واختياري لهذا الموضوع كان لأمرين أولهما، أنه لا يوجد كتاب متخصص شامل متكامل يعرض ويناقش جهود الشيخ زايد وإنجازاته الكبيرة في هذا المجال، وثانيهما، أن هذا الموضوع هو من صميم تخصصي ودراساتي، وأجد نفسي جديراً بتغطية جوانبه ومناقشة مواضيعه.

إن ما حققه الشيخ زايد -رحمه الله- من إنجازات زراعية وبيئية على أرض الإمارات في فترة لا تتعدى ثلاثة وثلاثين عاماً لأشبه بالمعجزة، وعلى المرء أن يتخيل ملايين الأشجار التي غرست في صحراء الإمارات وبها تحولت مئات الآلاف من الهكتارات الجرداء إلى غابات ومزارع خضراء وارفة الظلال تنتج ثمراً طيباً في وقت أجمع فيه الخبراء الزراعيون على استحالة زراعة هذه الصحراء، وأن التجربة محكوم عليها بالفشل منذ البداية نظراً لطبيعة التربة وصعوبة المناخ بدولة الإمارات والتي تقع ضمن الأقاليم الأكثر جفافاً في العالم. لكنه -طيب الله -ثراه قد أثبت بالإرادة والتصميم عكس ذلك، وأصبحت إنجازاته محل أنظار العالم وتتردد على كل لسان. وأخذت الجامعات ومراكز البحوث والمنظمات الدولية بدراسة تجربته البيئية واستخلاص الدّروس والعِبر من نجاحات هذه التجربة الجريئة التي قلبت كثيراً من المفاهيم المتعلقة باستحالة تغيير الأوضاع البيئية في منطقة صحراوية. ولم يأتِ ذلك من فراغ، بل كان وراءه عبقرية واضحة وإرادة كبيرة تميز بها ذلك القائد الفذ.

ولعل أهم ما يُميّز كتابي هذا أنني اعتمدت فيه على التسلسل التاريخي للأحداث وتعاقبها على مر السنين، وبدأت فيه من العهد الأول للشيخ زايد. وقد رأيت أن أكتب بنوع من التجديد والتنويع، والتلوين والتحسين، وأن تسري هذه الروح في كافة فصول الكتاب ومحاور النقاش. كما يتميز كتابي هذا أيضاً بأنه مرجع متخصص يجمع مسيرة خضراء قادها الشيخ زايد بدءً من توليه مسؤولية ممثل الحاكم في مدينة العين والمنطقة الشرقية في العام ١٩٤٦ وحتى عام ٢٠٠٤ سنة وفاته رحمه الله. وفيها يستعرض الكتاب ويناقش الإنجازات الزراعية والبيئية الكبيرة التي حققها الشيخ زايد على أرض الإمارات. كما يناقش هذا الكتاب الرؤية والفكر الزراعي والبيئي عند الشيخ زايد، ومفهوم «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة» التي صدح بها مشجعاً شعبه في وقت مبكر من مسيرته. ولقد حرصت على أن يضم هذا الكتاب عدداً كبيراً من الروايات والمواقف الميدانية والصور التي تعكس جهود الشيخ زايد وعبقريته الفذة في مجال الزراعة والبيئة. كما يستعرض ويناقش أهم التحديات التي واجهها الشيخ زايد في مسيرته الخضراء وكيف تغلب عليها. كما يضم أيضاً أهم الأقوال والأشعار التي أنشدها الشيخ زايد في الزراعة والبيئة.

لقد استعنت في وضع هذا الكتاب بمراجع كثيرة ومتنوعة، وهي ما بين كتب التاريخ، وكتابات الصحافة المحلية والعالمية، وتقارير الوثائق البريطانية، ومذكرات الرحالة الأجانب الذين كتبوا عن الشيخ زايد. كما أنني قد حرصت على مقابلة ما استطعت من أولئك الرجال الذين عملوا بالقرب من الشيخ زايد أو صاحبوه في حياته لآخذ عنهم شهاداتهم لإثراء مادة الكتاب ببعض القصص والمواقف التي تعكس مدى عبقرية الشيخ زايد وفطنته في كثير من الأمور.

لقد استلزم مني هذا العمل جهد سنتين متواصلتين، وهو ليس جمعاً لميراث تاريخ قائد فحسب، فكثير من موضوعاته تعتبر بحثاً متقصياً، ومادة مستوفاة، ومع ذلك فإنني لا أدعي أن كتابي هذا كامل، أو أنني أتيت بما لم يستطع الأوائل، إلا أنه يكفيني أنني بذلت

وجمعت وحضّرت واجتهدت وقارنت وقابلت واخترت. وإنني مع كل ما بذلته من جهد وبحث أقر بتقصيري في إعطاء هذه الشخصية حقها، لأن ما حققه الشيخ زايد في مجال التنمية الزراعية والبيئية أكبر وأعمق من أن يوثق.

ولسوف يظل الشيخ زايد -طيب الله ثراه- أحد القادة الكبار وأهمهم في تاريخنا المعاصر، فقد ضرب أسمى معاني الاستخلاف في الأرض بإنجازاته العظيمة على أرضه، وإخلاصه لشعبه وأمته العربية والإسلامية، ولأنه صاحب اليد البيضاء التي امتدت طوال حياته بالخير والعطاء إلى كافة البشرية.

أسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن تتم به الفائدة المرجوة، والغاية التي من أجلها أخرجناه،

والله ولي التوفيق،

د. هلال حميد بن ساعد الكعبي

الفصل الأول

في بداية القرن العشرين أنجبت صحراء الإمارات شخصية عالمية.. تفردت في كثير من الأعمال.

حياة قائد وإشراقات عبقرية

١-١ ولادة قائد.. وبطل من أبطال الأرض

١-٢ الميلاد والنسب

١-٣ أبوظبي في تاريخ ميلاد القائد

١-٤ الطفولة والنشأة

١-٥ أول المناصب القيادية

١-٦ العين في منتصف الأربعينيات

١-٧ زايد شخصية قيادية فذة في العين

١-٨ من إشراقات العبقرية

١-٩ زايد يقود الإمارة

١-١٠ تأييد مطلق

١-١١ ظروف إمارة أبوظبي في ذلك التاريخ

١-١٢ وانطلقت مسيرة القائد

١-١٣ زايد يقود الإمارات

١-١٤ لم يطلب الإمارة ولكن كُلف بها

١-١٥ الاتحاد في فكر زايد

١-١٦ للاتحاد مكاسب

١-١٧ من إشراقات العبقرية

١-١ ولادة قائد..
وبطل من أبطال الأرض

في نهاية الحرب العالمية الأولى أنجبت كثير من مدن العالم رجالاً غيروا تاريخ أوطانهم وأثروا في حياة شعوبهم، وتركوا بصمات وآثاراً لاتنسى، سجلت في صفحات التاريخ. رجال وصفهم العالم بالقادة المبدعين. وأحياناً بالزعماء المتميزين، وفي مواقف أخرى كان يشار إليهم بالأبطال المنتصرين، فهم الذين انتصروا على الصِّعاب والتحديات التي واجهتها شعوبهم وكانت زمناً طويلاً جاثمة على أرضهم وصدورهم، تعوق تقدمهم ورقيهم، وأحلامهم وتطلعاتهم إلى حياة كريمة يسودها الخير والسلام. انتصر أولئك الرجال على تلك الصِّعاب فقادوا شعوبهم وأوطانهم نحو إنجازات عظيمة كانت في السابق مجرد أحلامٍ وآمالٍ لا تتعدى أذهانهم. وإن من أعظم أولئك الرجال ما أنجبته مدينة أبوظبي، وحقيقة الأمر لم تكن في ذلك التاريخ مدينة بل كانت صحراء قاحلة تفتقر لكل شيء، وشعبها محروم من كل شيء، وبالرغم من ذلك فإن ما قدمه رجل أبوظبي من مجد ورقي لشعبه ووطنه وأمته فاق كل ما قدمه أولئك الرجال، فقد كان الأكثر إبداعاً، والأكثر تميزاً، والأكثر بطولة في فعل الخير والسلام، والأكثر انتصاراً على الصِّعاب والتحديات، وهذا ما شهد به العالم أجمع ورصدته كتب التاريخ.

في تلك الحقبة من التاريخ شهدت أبوظبي، وهي إحدى الإمارات المتصالحة والخاضعة للهيمنة البريطانية، ولادة شخصية عظيمة من شخصيات العالم، دخل التاريخ من أوسع أبوابه، شهدت تلك الأرض الجرداء القاحلة محدودة الموارد، وغير المعروفة للعالم، ولادة قائد عربي فذ حقق إنجازات عظيمة لبلده ولشعبه ولأمته كلها وأسهم في العناية بالأرض وتحسين بيئتها حتى كرّمته شعوب العالم ومؤسساتها بأحسن ما تكرم به الأبطال. شهدت هذه البقعة قائداً أسَرَ قلوب شعبه، ونال إعجاب العالم شرقه وغربه، وحقق على أرضه إنجازات عدة في ظروف صعبة وبيئة قاسية فكانت تلك الإنجازات أشبه بالمعجزة. لقد شهدت هذه الأرض ولادة قائد فذ حكيم صنع أعظم اتحاد معاصر، سعى له بالجد والإخلاص حتى أتمه، فأصبح اتحاداً قوياً مُوَطَّد الأركان ويُضرب به المثل في كل محفل ومكان حتى يومنا هذا، قائد رفع اسم بلاده وجعلها في مصاف الدول المتقدمة.

لم يكن أحد في ذلك التاريخ يتصور أن هذا المولود الذي سمي (زايد) سيكون زائداً في حبه لشعبه ولوطنه ولأمته وللبشرية جمعاء، زائداً في حبه للزراعة والرقعة الخضراء فيصنع جناناً خضراء على أرض جرداء، وسيكون حبه زائداً للبيئة فيقيم واحدة من أعظم المحميات في العالم على أرضه، يحفظ فيها العديد من الحيوانات المهدَّدة بالانقراض كالمها العربي والغزال العربي، وسيكون حبه زائداً للماء إيماناً بأهميته لحياة الشعوب والأرض فيصلح أفلاج الواحات ويحافظ عليها، ويحفر الآبار في أعماق الصحراء لينشر زراعة الغابات فيها فيحولها إلى جنات تزخر بالطيور والحيوانات البرية، ويقيم السدود على مجاري الوديان وأهمها وأعظمها إعادة بناء سد مأرب العظيم، الذي قامت عليه حضارة عريقة انتهت بتدميره في منتصف القرن السادس الميلادي. لم يكن أحد يتصور أن هذا السد سوف يعاد بناؤه يوماً من الأيام وعلى يد هذا البطل، فيعيد لهذه الأرض حضارتها وجزءً من تاريخها الزاهي. لم يكن أحد يعلم أن هذا المولود سينال إعجاب شعبه وأمته، بل العالم أجمع لما قدمه من خير للأرض والبشرية، وأن هذا المولود في هذه الإمارة غير المعروفة سوف يبرز عالمياً ويكون أحد أبطالها يعجب به البسطاء والعلماء والزعماء في العالم، فينال احترامهم وتقديرهم ويتسارعون لمنحه الألقاب الشرفية والجوائز والميداليات العالمية لأعماله ومواقفه الخالدة في خدمة البشرية جمعاء. واستحق الألقاب التي أطلقت عليه، مثل «حكيم العرب» لحكمته المشهود بها في شتى المواقف والأزمات، و«باني الاتحاد» لدوره العظيم في بناء دولة الإمارات العربية المتحدة.

وينال في مجال الزراعة والبيئة العديد من الجوائز وأعظم الألقاب وذلك لدوره الكبير في قيام زراعات شاسعة ومتطورة على صحراء بلاده ذات البيئة القاسية، وكانت تلك أشبه بالمعجزة، تقديراً لجهوده وأعماله المتميزة في تطوير مشاريع التنمية الزراعية في دولة الإمارات ونقلها من الزراعة البدائية إلى الزراعة الحديثة المتطورة، ولدوره في نشر الخضرة في ربوع الإمارات، ومكافحة التصحر، والحفاظ على البيئة والاهتمام بها، وإقامة

المحميات الطبيعية، وكذلك دوره الكبير في المساهمة في تطوير المشاريع الزراعية والبيئية في كثير من الدول النامية، فينال في هذا المجال أعظم الجوائز والمسميات العالمية، كجائزة «الباندا الذهبية» في عام ١٩٩٧ وهي أرفع شهادة يمنحها الصندوق العالمي للحفاظ على الطبيعة، وقد منحها الصندوق لرئيس دولة لأول مرة في العالم، تقديراً للجهود الكبيرة التي بذلها الشيخ زايد في مجال الحفاظ على البيئة، وحماية الحياة البرية، وتنمية المناطق النائية والجزر البحرية، وحماية الطبيعة في دولة الإمارات وفي مناطق أخرى من العالم. ولم تكن تلك الجائزة العالمية الوحيدة، فقد نال الشيخ زايد -رحمه الله- العديد من الشهادات والجوائز وفي مختلف المجالات، ونشير هنا فقط لأهم تلك الجوائز في مجال الزراعة والبيئة دون الدخول في التفاصيل لأن ذكرها سوف يرد في فصل مستقل من هذا الكتاب توصف فيه تلك الجوائز بشكل مفصل، وهي: وشاح رجل الإنماء والتنمية (١٩٩٣)، رجل البيئة والإنماء (١٩٩٣)، جائزة منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) (١٩٩٥)، الدكتوراة الفخرية في مجال الزراعة (١٩٩٧)، وسام المحافظة على البيئة (١٩٩٧)، أبرز شخصية عالمية (١٩٩٨)، لقب وجائزة داعية البيئة (١٩٩٨)، ميدالية اليوم العالمي للبيئة (٢٠٠١). ويمكن للقارىء الكريم الرجوع إلى فصل (تكريم عالمي) في هذا الكتاب لمعرفة المزيد عن تلك الجوائز والمؤسسات العالمية المانحة.

ومن المدهش في سيرة هذا البطل أن الجوائز والتكريمات ظلت تلاحقه حتى بعد وفاته رحمه الله، فقد كَرَّم برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) في حفلٍ أقيم في مقر المنظمة الدولية للأمم المتحدة في نيويورك الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بوصفه «بطلاً للأرض». واختار برنامج الأمم المتحدة للبيئة الشيخ زايد واحداً ضمن سبع شخصيات عالمية في مجال البيئة بوصفهم أبطالاً للأرض اعترافاً بجهودهم التي ضربوا من خلالها أمثلة لغيرهم في العالم، وتقديراً لجهوده وأعماله طوال حياته في سبيل حماية البيئة في بلاده ومساهماته ذائعة الصيت في مجال الزراعة والتشجير، وحماية الأنواع المعرضة للانقراض، منوهاً إلى أن من بين أهم منجزات الشيخ زايد تشجير الصحارى في المنطقة وزراعة أكثر من ١٠٠ مليون شجرة، إضافة إلى حظر صيد الطيور والحيوانات البرية منذ أكثر من ربع قرن من الزمن، وإقامة محمية في جزيرة صير بني ياس من أجل حماية الأنواع المعرضة للانقراض مثل حيوان المها العربي وغزال الصحراء اللذين كانا في قائمة الحيوانات المهددة بالانقراض، مثلها مثل حيوان الباندا، والحوت الأزرق بحسب قوائم الحركات المهتمة بالمحافظة على الحيوانات، وكان هناك عدد قليل جداً من هذه الحيوانات على قيد الحياة، ويوجد الآلاف اليوم من تلك الحيوانات على أرض الجزيرة، وهي تسرح في هدوء وسلام في غاباتها الكثيفة.

والشيخ زايد من الزعماء القلائل الذين تفانوا وكرّسوا حياتهم وضحّوا وأعطوا بكل سخاء من أجل وطنهم وإسعاد شعوبهم، لذلك، فهو واحد من الزعماء القلائل الذين حظوا بإجماع محبة الشعب وولائه وثقته. ولم يأت ذلك من فراغ، فهو الذي نجح وبجدارة في تحقيق متميز ملفت للنظر في ثلاثة اختبارات قيادية كان أولها حكمه للعين وتميزه في تلك التجربة رغم نقص الموارد وقلة الإمكانيات، ثم تميزه في حكمه لإمارة أبوظبي، ثم للدولة، حيث كان له الفضل الأول بعد الله في قيام دولة الإمارات العربية المتحدة واستمراريتها.

والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان شخصية قيادية عظيمة كتبت بمداد من ذهب في صفحات التاريخ، نال إعجاب شعبه والعالم أجمع، عربه وعجمه، شرقه وغربه، لعطائه وتفانيه وإخلاصه اللامحدود للأرض والبشرية. وهنا أؤكد أن الشيخ زايد -رحمه الله- لم يكن إنساناً عادياً، بل كان إنساناً عظيماً.. وقائداً فذاً حكيماً.. وبطلاً من أبطال الأرض.. مُلِئَ عقله حكمة.. وملئت نفسه كرماً.. ففاضت يداه جوداً وعطاءً.

١-٢ الميلاد.. والنسب

ولد الشيخ زايد في أواخر شهر رمضان المبارك عام ١٣٣٥ هجرية الموافق للعام ١٩١٨ ميلادية (١/١). كان ميلاده خيراً وبركةً على الناس والأرض، فيُروى، أنه حدث في ذلك الوقت أن حُبس المطر عن المنطقة، وبولادته ومع دعاء الناس وتضرعهم في أواخر شهر رمضان المبارك شاء الله أن تهطل الأمطار بغزارة واستمرت أياماً عدة، وقد خَلَّد أحد الشعراء هذه الواقعة في قصيدة

نادرة وتاريخية هنأ فيها والده الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان بمناسبة حلول عيد الفطر وولادة زايد (١/١)، يقول في مطلعها:

هل علينا العيد بهلالين

هلال الفطر وهلال زايد

ولد الشيخ زايد في مدينة العين في قلعة الشيخ سلطان، وهذا ما تشير إليه غالبية المراجع التي تناولت تاريخ الشيخ زايد رحمه الله. أما القسم الآخر من المؤرخين فقد أشاروا في كتاباتهم إلى أنه ولد في مدينة أبوظبي، في قصر الحصن الذي بناه الشيخ شخبوط الأول في أواخر القرن الثامن عشر بعد انتقاله إلى جزيرة أبوظبي من منطقة ليوا. ولا يزال هذا القصر يقف شامخاً كرمز تاريخي في قلب مدينة أبوظبي إلى هذا اليوم. ويرجِّح أحد المراجع الحديثة ولادته في مدينة العين لعدة أسباب: أولاً، أن الشيخ سلطان والد الشيخ زايد -رحمهما الله- كان مقر إقامته في مدينة العين حيث كان نائباً لحاكم الإمارة في تلك المنطقة حتى عام ١٩٢٢، وأنه من المُرجَّح أن تأتي ولادة الشيخ زايد في هذه المدينة. ثانياً، من المعروف لأهالي مدينة العين أن الشيخ زايد وُلِد فيها، ثالثاً، أن بعض الكتاب قد أشاروا في كتبهم إلى ولادته في العين وهؤلاء كانوا على اتصال به ولو أخطأوا لكان رحمه الله قد صحح لهم هذه المعلومة بشكل مباشر (٢/١).

أما نسبه، فهو ينحدر من أسرة آل نهيان، أشهر وأقوى بيوت آل بوفلاح، حيث تولت ومنذ القرن الثامن عشر حكم إمارة أبوظبي (ملحق ١)، أكبر الإمارات السبع التي تشكل حالياً دولة الإمارات العربية المتحدة. وينتسب آل بوفلاح إلى قبيلة بني ياس التي تتشكل من العديد من القبائل ذات النسب الواحد، وكانت تسكن بشكل أساسي في منطقة ليوا والمناطق المجاورة لها قبل أن ينتقل أفراد القبيلة إلى جزيرة أبوظبي في عهد الشيخ شخبوط بن ذياب آل نهيان الممتد من (١٧٩٣-١٨١٦)، والذي أسس على الجزيرة عاصمة جديدة لبني ياس هي مدينة أبوظبي وجعل منها مقراً للحكم في الإمارة (٣/١).

وهو زايد بن سلطان بن زايد بن خليفة بن شخبوط بن ذياب بن عيسى بن نهيان بن فلاح بن ياس. وهو الإبن الرابع للشيخ سلطان بن زايد الذي حكم إمارة أبوظبي خلال الفترة (١٩٢٢-١٩٢٦)، وأطلق عليه والده اسم «زايد» تيمناً بجده الشيخ زايد بن خليفة الذي تولى حكم الإمارة شاباً وهو في سن العشرين، وتجاوز حكمه الخمسين عاماً (١٨٥٥-١٩٠٩) بعد أن اختارته أسرة آل نهيان لحكم الإمارة خلفاً لابن عمه الشيخ سعيد بن طحنون (٤/١)، إذ اجتمع فيه وهو في هذه السن المبكرة الذكاء والشجاعة وسداد الرأي وحسن التصرف في الأمور وحسن معاشرة شعبه، فاستطاع أن يوسع قوة إمارة أبوظبي ويعمل على توحيدها لما كان يتمتع به من خصال طيبة وصفات قيادية بارزة أكسبته شعبية كبيرة بين قبائل

صورة ٢/١. الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان -رحمه الله- حاكم أبوظبي (١٩٢٢-١٩٢٦).

العرب. وانتشرت سمعته الطيبة في معظم القبائل العربية المحيطة بإمارة أبوظبي فاستطاع بهذا أن يكسب الصداقة وحسن الجوار مع حكام الإمارات والدول المجاورة من خلال حنكته وعلاقاته الحسنة. وسوف أسهب في الحديث عن الشيخ زايد الأول لأنه كان أحد رجالات التاريخ البارزين في المنطقة، ولأنه أحد الشخصيات التي تأثر بها حفيده زايد الثاني، وكان أكثر الناس شبهاً به، ولسوف نرى لاحقاً أن ما تميز به زايد الأول من الحنكة والشجاعة والسمعة الحسنة بين القبائل هي نفسها التي شكلت جزءً من شخصية زايد الثاني الفذة، فتجسد زايد الكبير في شخصية زايد الحفيد.

كان لزايد الكبير إنجازات عظيمة في تاريخ المنطقة، أهمها دوره الهام في بسط الاستقرار والهدوء وإرساء دعائم الوحدة والتلاحم بين قبائل ساحل عُمان حتى لقبه الجميع بـ (زايد الكبير) إجلالاً وتقديراً بعد أن أصبح بلا منازع أقوى شيوخ الإمارات المتصالحة (٤/١). ومن أعظم إنجازاته أيضاً اهتمامه بشؤون الزراعة والري في منطقة العين، فأعاد حفر فلج الجاهلي المندثر، وقد استمر العمل في إصلاحه ستة عشر شهراً. كما بنى قلعة الجاهلي، أشهر معالم العين التاريخية (٤/١).

قال الباحث والمؤرخ البريطاني كلارنس مان في زايد الكبير (وهو من الذين عاصروه): «إن الشيخ الحالي لأبوظبي زايد بن خليفة يحكم إمارة مترامية الأطراف.. وهو أقوى شخصية في الإمارات المتصالحة، ويمتد سلطانه إلى البريمي. وقد شهدت إمارة أبوظبي في عهده نهضة كبيرة جداً من انتعاش للحياة الاقتصادية، وخاصة بالنسبة لتجارة اللؤلؤ. وقد أعاد الشيخ زايد بن خليفة حفر فلج الجاهلي المندثر، وفي عام ١٨٩٨ بنى قلعة الجاهلي المهيبة والضخمة» (٤/١). كما قال برسي كوكس، المقيم السياسي في مسقط، أيضاً في زايد الكبير: «لقد ظل زايد بن خليفة حتى اليوم الأخير من حياته يحتفظ بصلاحيات مطلقة لم تتعرض للتحدي في السنوات الثلاثين الأخيرة من حكمه، ولم يسبق لأي حاكم من آل بو فلاح أو غيرهم من شيوخ الساحل أن مارس السلطان ذاته الذي وصل إليه زايد في شرق الجزيرة العربية» (٤/١).

ولقد اعتبره الكاتب البريطاني كلود موريس في كتابه (صقر الصحراء) شخصية أسطورية، مارست نفوذاً عجيباً في إرساء دعائم السلام برغم كل الصِّعاب التي واجهته في تلك البيئة الصحراوية الحارقة (٥/١).

توفي زايد الكبير في عام ١٩٠٩، وترك شؤون إمارة أبوظبي، وهي مثال للأمن والنظام والتماسك، في أيدي أبنائه وأحفاده من بعده (٤/١). توفي زايد الكبير ولم يكن يعلم أنه سيخرج من صلبه من يحمل اسمه وصفاته، بل ويفوقه حكمةً وعدلاً وشهرةً بين العرب وشعوب العالم.

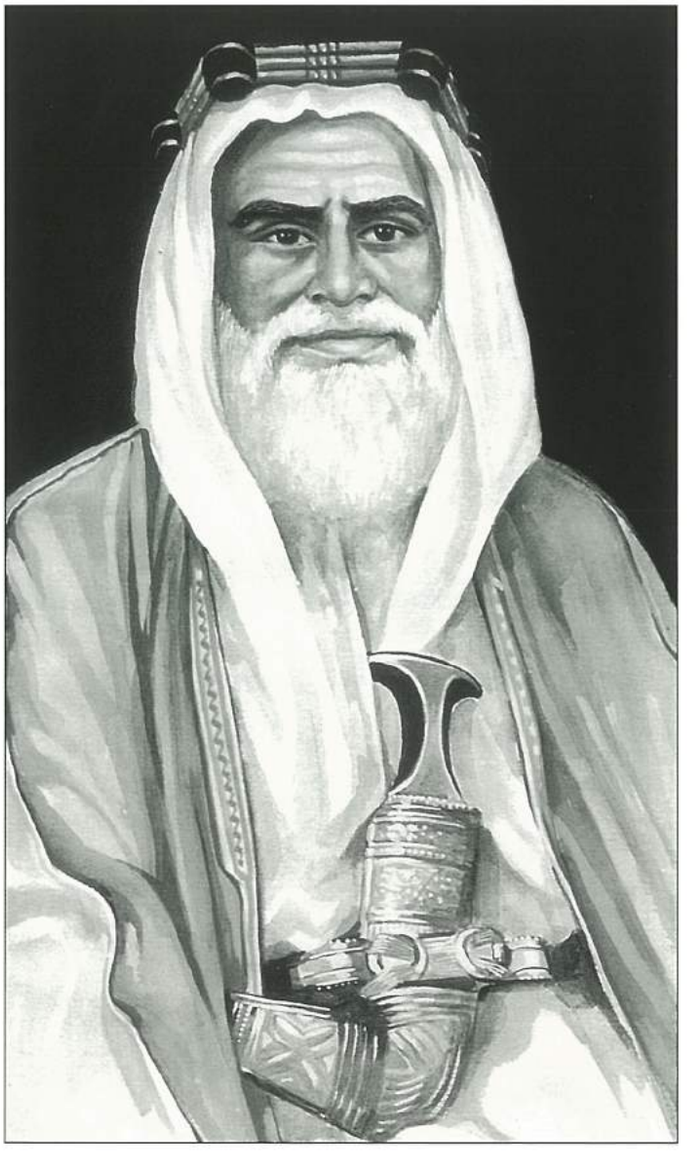

صورة ٣/١. الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان -رحمه الله- المعروف بـ (زايد الكبير) والذي حكم إمارة أبوظبي مدة أكثر من خمسين عاماً (١٨٥٥-١٩٠٩).

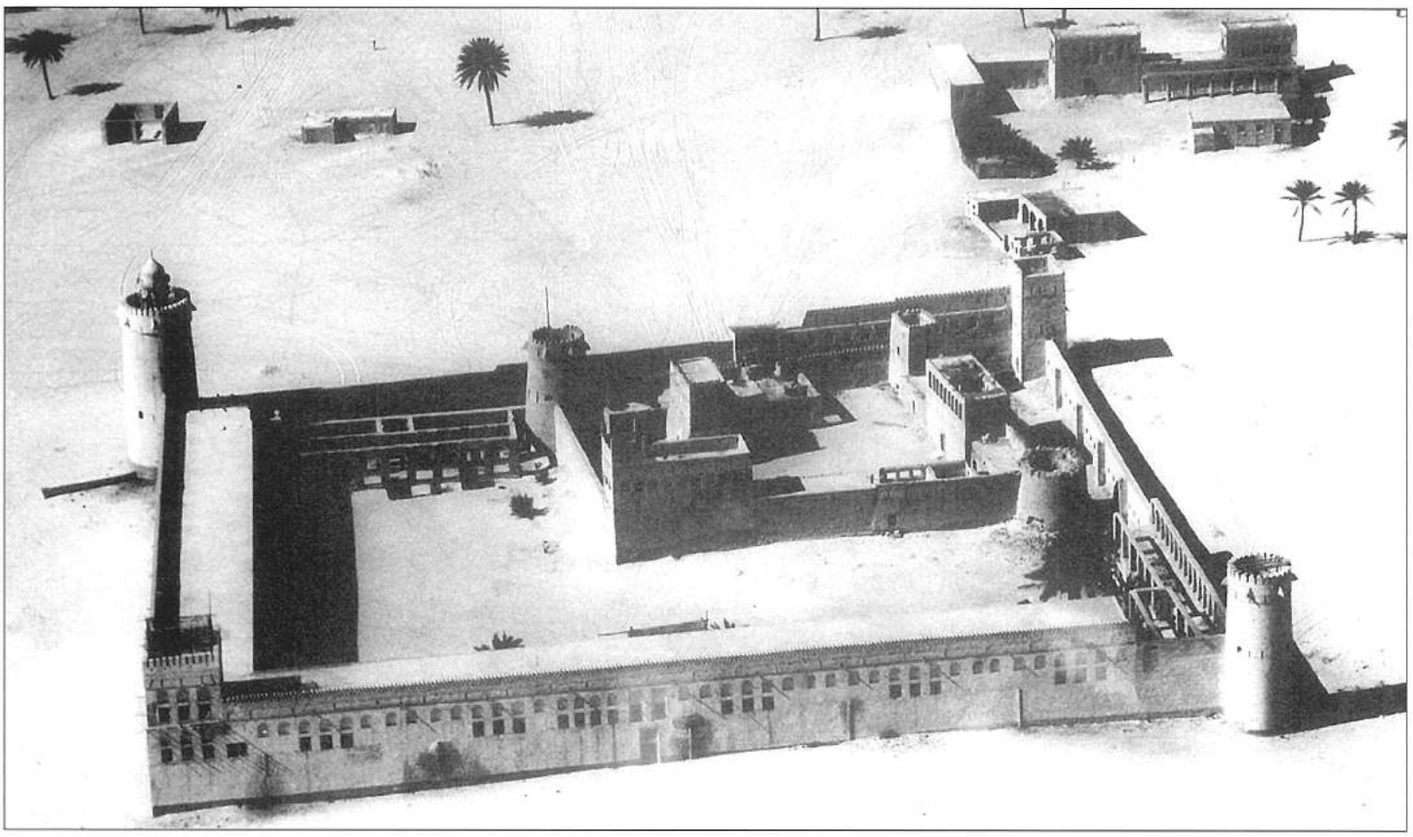

صورة ١/٤. صورة قديمة لقصر الحصن في جزيرة أبوظبي والذي كان يمثل مقر الحكم في الإمارة.

١-٣ أبوظبي في تاريخ ميلاد القائد

وُلِدَ زايد وتفتحت عيناه وسط حياة قاسية وبيئة فقيرة عاشها سكان إمارة أبوظبي في تلك المرحلة من تاريخها. فمن الناحية الاقتصادية، كانت أبوظبي محدودة الموارد ويقتصر نشاط سكانها على صيد الأسماك وتجارة اللؤلؤ والزراعة البسيطة والبدائية في واحات منطقة ليوا والعين. وكان معظم السكان يعيشون حياة البداوة والترحال من منطقة لأخرى، يرتحلون بمواشيهم هنا وهناك، حيثما يتوفر الماء والكلأ. أما من الناحية السياسية، فكانت الإمارة كغيرها من الإمارات المتصالحة الأخرى تقع تحت حسابات الدول العظمى ومصالحها السياسية، ومنها السيطرة على المنطقة. وفي ذلك التاريخ كانت أبوظبي خاضعة للهيمنة البريطانية وترتبط معها بمعاهدات.

أما من الناحية البيئية، فالجزيرة المطلة على الخليج العربي والتي أطلق عليها اسم أبوظبي (لوجود حيوان الظبي على أرض الجزيرة كما تقول أغلب الروايات ثم صار هذا الاسم علما للإمارة كلها) لم يكن لهذا الإسم دلالة على أرض الجزيرة وقت ميلاد زايد، فلم يكن على أرض الجزيرة ظباء أو أشجار أو حدائق أو بساتين بل كان واقع الجزيرة الزراعي والبيئي صعباً جداً، فهي منطقة صحراوية بلا غطاء نباتي، والمنظر اللافت للانتباه الرمال البيضاء والسبخات ورقع الملح التي تتوهج تحت ضوء الشمس. ويذكر أيضاً أن جزيرة أبوظبي كانت تعرف باسم «مليح» وكانت تربتها بيضاء، وفيها العديد من السباخ تتجمع فيها المياه ومن ثم تتبخر مخلفة الملح ومن هنا جاء تسميتها «مليح» (١/٦). كانت مدينة أبوظبي وقتها جزيرة رملية صحراوية قاحلة تحيط بها مياه الخليج من كافة الجوانب، لا يوجد فيها سوى مجموعة من البيوت المتناثرة معظمها من (العريش). وكانت تفتقر إلى أبسط الخدمات من طرق أو مياه أو كهرباء أو مدارس أو مستشفيات وغيرها من

الخدمات الأساسية الضرورية للسكان. وهذا الحال وتلك الصورة متكررة في مناطق الإمارة الأخرى. كان السكان يعيشون حياة قاسية وصعبة، يعانون من شظف العيش والحرمان من الخدمات الضرورية.

لم يكن أحد يعرف في ذلك الوقت أن هذا المولود والذي سمي «زايد» هو الذي سيكون على يديه عودة الظباء إلى أرض تلك الجزيرة، بل أراضي الإمارات كلها، وسوف يوفر لها بيئة أفضل مما كانت عليه بعشرات المرات. لم يكن أحد من المعاصرين يعرف في ذلك الوقت أن هذا المولود سيحول رمال الصحراء إلى جنات خضراء وإلى محميات طبيعية غناء تعيش في جنباتها مختلف أنواع الأشجار والطيور والحيوانات البرية. لم يكن أحد يتخيل أن العطش المذهل الذي تعاني منه تلك الجزيرة سوف يزول، وأن الأشجار سوف تكثر، وأن صحاريها سوف تزرع، وأن الحياة البرية سوف تزدهر وأن الغزال العربي والمها العربي سوف يعودان إلى بيئة الإمارات من جديد. لم يكن أحد يتخيل أن الجزر سوف تعمر وتزرع، وأن الحدائق الغناء والبساتين المنتجة سوف تزين أرض الإمارات قاطبة.

١-٤ الطفولة والنشأة

عندما كان زايد في الرابعة من عمره، تولى والده الشيخ سلطان بن زايد الحكم في إمارة أبوظبي (عام ١٩٢٢) خلفاً لأخيه الشيخ حمدان بن زايد الذي حكم الإمارة قرابة عشر سنوات. عاش زايد السنوات المبكرة من طفولته قريباً من والده في قصر الحصن، وهو مقر الحكم في إمارة أبوظبي، ومنه تُسَير أسرة آل نهيان شؤون الحكم في الإمارة.

قَرَّبه والده إليه، وأجلسه في مجالسه، فتعلم من ذلك القرب والمجالسة الشيء الكثير، ومنها العادات العربية الكريمة، والتقاليد الأصيلة، والشهامة والمروءة، والشرف. وأظهر زايد حبّاً وشغفاً كبيرين للمعرفة والتعلم الأمر الذي جعله يلازم والده في مجلسه، ويطرح الأسئلة والاستفسارات التي تدور في خاطره بثقة كبيرة ودون تردد. وعندما كان شيوخ القبائل ورجالاتها يحضرون إلى مجلس الشيخ سلطان كان يجلس وينصت لما يدور فيها من حديث ويراقب والده وهو يدير شؤون الحكم. وبتلك المجالسة تحسس زايد ومنذ صغره أمور السياسية والحوار.

كما تَعَلَّق زايد بالصحراء وسكانها، وكان كثيراً ما يخرج إليها ويقترب من بَدْوها يشاركهم حياتهم لمعرفة المزيد عن تراث الآباء والأجداد.

وبالرغم من قلة التعليم وندرته في تلك الفترة التي خلت من المدارس إلا من بضعة كتاتيب، تلقى زايد في سنوات عمره المبكرة تعليماً دينياً صحيحاً حيث دفع به والده إلى المعلم (المطوع) ليعلمه أصول الدين الإسلامي، فقرأ زايد القرآن الكريم وأجاد قراءته وتعلم أحكامه، وحفظ الكثير من سوره وآياته، كما تعلم علم الحديث فحفظ الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، وقرأ السيرة العطرة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو من الشخصيات التي تأثر بها ولعبت دوراً بارزاً في حياته، وتركت أثراً على طبيعة تفكيره وسلوكه. وفي هذا الموضوع يقول المؤرخ البريطاني كلود موريس: «تلقى الشيخ زايد علومه من القرآن الكريم، وكان المعلمون يستخدمون عظم كتف الجمل بدلاً من اللوح، هذا العظم الذي يمكن أن يكتب عليه بالحبر بعد صقله، ثم إزالة الكتابة، إلا أن الزمن تغير، وحصل زايد على قلم وورق أثناء دراسته واستخدم في المساء مصباح زيت الزيتون للإنارة. وبين سن السابعة والتاسعة تعلم لغة القرآن الكريم وأصول الدين» (١/٧).

في سن التاسعة من عمره (عام ١٩٢٧) فجع زايد بوفاة والده الشيخ سلطان بن زايد حاكم أبوظبي، فكانت مشيئة الله ألا يستمتع طويلاً بحنان أبيه وحسن معاشرته التي غمره بهما (١/٨). كان لذلك الحدث وقع كبير على نفسية زايد الذي أحب والده كثيراً فتعلق به وبمجالسته. وبعد وفاة أبيه تولى حكم الإمارة عمه الشيخ صقر بن زايد فانتقل زايد من أبوظبي إلى واحات العين وفيها قضى السنوات الأولى من شبابه، وبدأت بذلك مرحلة ثانية من حياته.

أحب زايد العين وفيها تعلم كل أنواع الرياضة والفروسية والتي أهلته أن يكون فارس العين الأول. تعلم زايد ركوب الهجن (الإبل) والخيل فصار ماهراً في ركوبها والسباق بها، وكان الحصان العربي أشدها حباً إلى قلبه. كما تعلم زايد الصيد بالصقور والرماية بالسلاح فأصبح من أمهر رماة شباب العين ورجالاتها. وأظهر شغفاً كبيراً برحلات الصيد في عمق الصحراء وعلى سفوح الجبال فكان

قناصاً ماهراً، شجاعاً لا يعرف التردد أو الجبن، شديد الميل إلى المغامرة وتحدي الصحراء المترامية الأطراف لكشف معالمها وأسرارها. وكل هذه الأمور جعلته يلم إلماماً تاماً بحياة البداوة وبيئة الصحراء. ويروي الذين عاشوا هذه الفترة من حياته: أنه كان وهو في صباه يصعد إلى جبل حفيت الواقع على مشارف مدينة العين فينجح في قنص الغزلان بفضل إجادته استخدام البنادق. ويقولون عنه إن قدميه كانتا تنطلقان في سرعة وراء صيده وبإصرار يثير الدهشة، ولم يكن هناك ما يمكن أن يعوقه عن الوصول إلى ذلك الهدف، دون أن يأبه بحرارة شمس أو برودة جو (١/٤). ويروي الشيخ سالم بن حم العامري في مذكراته (رحلتي مع زايد) فيقول: «كان زايد قناصاً بارعاً يهوى الصيد بالصقور ويحب ركوب الإبل والخيل، ويسافر مع رفاقه للصيد والقنص في رحلة تمتد بين عشرة وعشرين يوماً ثم يعودون إلى أبوظبي والعين. أما معظم فصل الشتاء فيمضيه زايد في القنص، وأحب الصقور إليه الحر والشاهين» (١/٩).

كان ولع الشيخ زايد بالقنص والفروسية قد بدأ في سن مبكرة من عمره، ففي مقابلة مع المؤرخ كلود موريس ذكر الشيخ زايد أن القنص والفروسية هما أولى هواياته، وروى له عن أول رحلة قنص قام بها بواسطة صقره وهو في الثامنة من عمره، وعن رحلات القنص التي كان يرافق فيها والده الشيخ سلطان حيث كانوا ينطلقون فجراً عند الساعة الرابعة ثم يعودون إلى مخيمهم في حوالي الثانية بعد الظهر. وفي تلك الرحلات كانوا يقطعون الأميال العديدة في الصحراء (١/١٠). ظل ولع الشيخ زايد برياضة الفروسية والقنص مستمراً معه في سنوات شبابه، وكان يمارسهما حتى في شهر رمضان المبارك حيث كان يركب الخيل ويذهب إلى القنص وهو صائم. ولقد تحدث الشيخ زايد عن هذه المرحلة فقال: «لقد أحببت ركوب الخيل والصيد. فقد كانتا هوايتي اللتين أولعت بهما» (١/١١).

وعن مهارته في القنص بالصقور، يروي السيد محمد بن ركاض العامري من سيرته مع زايد في ممارسة هذه الرياضة فيقول: «كان الشيخ زايد مولعاً بهذه الرياضة وكان أكثر الناس فينا مهارة ومنذ شبابه، وعندما تولى حكم الإمارة كنا نسافر معه إلى باكستان في رحلة تمتد أشهر لممارسة الصيد بالصقور، فكان زايد أكثر الممارسين صيداً للحبارى، فإذا كانت حصيلة الفرد منا في اليوم ٣٠ طيراً كان زايد يصيد ٣٥ أو ٤٠ وهكذا قد كان طوال الرحلة هو أكثر الناس صيداً» (١/١٢).

ويذكر الرحالة والمؤرخ البريطاني ويلفريد ثيسيجر، الذي أطلق عليه أبناء المنطقة (مبارك بن لندن) في مذكراته أن الشيخ زايد كان يتمتع بشهرة واسعة في أوساط البدو الذين أحبوه بسبب تصرفاته البسيطة غير الرسمية ومودته في التعامل معهم. كما أحبوا قوة شخصيته وفطنته وذكائه وقوته البدنية. ويذكر أيضاً أن البدو كانوا يقولون عن زايد: «زايد بدوي، له معرفة بالنياق يمتطيها كواحد منا، ويجيد إطلاق النار، ويعرف كيف يقاتل» (١/١٣).

ولقد عشق الشيخ زايد الصحراء، وظل ارتباطه بها ممتداً طوال حياته. وقد عبَّر عن تلك الأحاسيس في أكثر من مناسبة، منها في حديث لبعثة التلفزيون الأمريكي (٩ فبراير ١٩٧٦)، أثناء جولته التفقدية لعدد من القرى والمناطق الواقعة على طريق أبوظبي-العين، حيث عبَّر بوضوح عن ذلك العشق قائلاً: «إنني أعشق الصحراء، وكلما أحسست ببعض التعب ذهبت إليها لأسترد نشاطي وحيويتي.. حيث ألتقي بإخواني من البدو الذين أحبهم من كل قلبي» (١/١٤). ويقول أيضاً عن الصحراء: «أنا رجل من الصحراء، وأحب الصحراء، والذين صبروا أجيالاً على هذه الرمال حتى نبت فيها الخير، هؤلاء يعلموننا أن نصبر حتى تقوم عندنا الدولة التي نطمح إليها» (١/١٥).

وفي العين، وفي صباه أصبح زايد يجيد تلك الرياضات الصحراوية ببراعة عالية ويعرف أصولها وفنونها، وعندما أصبح شاباً أتقن زايد فنون القتال والصول والجول والإقدام، فكان فارساً متميزاً ذاعت شهرته فيما بعد كأحسن فوارس الصحراء. ثم بدأت ثقافته تكتسب بعداً جديداً، فالهوايات والرياضات التي كان يمارسها ويحبها لم تكن تمنعه من تحصيل العلم والمعرفة. فكان زايد مولعاً بالأدب والشعر منذ صغره، وقد أعطاه الله موهبة الشعر والحس الأدبي والبلاغة في الحديث والخطابة. واهتم زايد بمعرفة التاريخ، وخاصة تاريخ المنطقة والجزيرة العربية، وكان يحرص على مجالسة كبار السن للأخذ من علومهم في معرفة وقائع تاريخ العرب وسِيَر الأجداد وبطولاتهم في الدفاع عن أراضيهم حتى أصبح ملماً عارفاً بتاريخ المنطقة، وخبيراً بارعاً بتاريخ وأسماء وأنساب

قبائلها. هذا بالإضافة إلى ما تعلمه من الخصال الطيبة الكريمة من والدته الشيخة سلامة بنت بطي التي رعته كثيراً وحثته على تعلم كل شيء نافع.

وفي ضوء دراستي لسيرة الشيخ زايد في تلك المرحلة من حياته، يمكنني أن أقول إنه قد تأثر وأعجب بشخصيات كثيرة أهمها جده الشيخ زايد بن خليفة (زايد الكبير) الذي سمع عن بطولاته وحكمته الكثير، فكانت رصيداً قوياً وزاخراً يدفعه نحو التشبه به والاقتداء بمناقبه. كما تأثر زايد بأبيه الشيخ سلطان الذي احتضنه وجالسه في طفولته فتعلم من مجالسته ومرافقته الكثير، أجلّها العادات العربية الكريمة والتقاليد الأصيلة. أما الشخصية الثالثة التي أثرت في حياته فهي والدته الشيخة سلامة التي كانت له المرجع في التوجيه والتذكير بعد موت والده، والتي اكتسب منها الخصال الحميدة. كما كان لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أبلغ الأثر في حياته لما سمعه وقرأه عن سيرته العطرة فأثرت تلك الشخصية في سلوكه ونمط تفكيره. كما استوعب زايد ومنذ صغره أن كتاب الله ليس كتاب دين فحسب، بل كتاب هدي لجميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية الاقتصادية وهذا أيضاً ما سوف نراه واضحاً في سلوكه وتعاملاته وفي قراراته الإدارية إبَّان مزاولته لدوره السياسي والقيادي، بدءً من تجربة العين. ومن الشعراء تأثر زايد بالشاعر العربي الكبير أبي الطيب المتنبي، فكان شاعره المفضل ويحفظ من أشعاره الكثير.

ولتلخيص ما سبق يمكنني القول إن الشيخ زايد في هذه المرحلة من حياته أصبح شاباً ذاع صيته كأحسن فارس، واشتهر بشجاعته وإقدامه، وألم إلماماً تاماً بحياة البداوة وبيئة الصحراء، وأبدى اهتماماً كبيراً بطبيعتها ومواردها، عارفاً بسكانها وحياتهم وطباعهم مما أكسبه احترام الشعب وتقديرهم له، وشكلت مكونات تلك الفترة بكل تجربتها وأبعادها خصائص زعامته الفذة وفلسفته في الحياة.

١-٥ أول المناصب القيادية

في منتصف الأربعينيات من القرن العشرين برزت حاجة سياسية ماسة لوجود ممثل للحاكم في المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي، فكان زايد الشاب المرشح الأول لتولي ذلك المنصب الهام، فلم يكن على الساحة السياسية شخصية قيادية محبوبة مفعمة بالحيوية والنشاط، ومليئة بالصدق وحب العمل أكثر من زايد بن سلطان، الشاب الطموح، ذي الشخصية المتميزة في شباب آل نهيان، الذي أخذ اسمه يزداد تردداً بين الناس يوماً بعد يوم يتناقلونه بينهم في مجالسهم وأسفارهم لما رأوا فيه من حكمة مبكرة، وشخصية قيادية متزنة، وهمة عالية في العمل والعطاء. فحظي زايد بحب الشعب وبثقتهم فيه، وإعجاب حاكم الإمارة الشيخ شخبوط بن سلطان وجميع أفراد الأسرة الحاكمة للإمارة، وتنبأوا له أن يكون شبيها بجده زايد الأول المعروف بـ (زايد الكبير)، فرأوا في زايد بشارات مبكرة لتلك الصفات التي اشتهر بها جده. وكان زايد في كثير من سلوكه وأفعاله يوحي للمقربين له أنه على شبه كبير بجده زايد بن خليفة مما دفع أحد شعراء القبائل، وهو الشاعر محمد بن حم العامري، يقول في هذا المعنى شعراً في زايد وهو شاب لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره عندما وجده يمتطي صهوة فرسه وتبدو عليه ملامح النبل والفروسية وعلامات الزعامة المبكرة، إذ قال فيه (٩/١).

هزري على زايد يشابه جده ... رغيب لي سد العرب ما سده
يسلم زبينه والطليب يرده ... ولي معاصي يبشره بالشده
وزايد عليهم بالكرم والمده

وقد أثبت التاريخ صدق فراسة الشاعر، إذ أن زايد لم يكتف بمشابهة جده زايد الكبير فحسب، بل تجاوز ذلك إلى خصال وصفات قَلَّ أن توجد كلها في شخص رجل واحد.

وفي عام ١٩٤٦ عَيَّن الشيخ شخبوط بن سلطان، باعتباره حاكماً لأبوظبي، الشيخ زايد بن سلطان ممثلاً للحاكم في مدينة العين والمنطقة الشرقية بأكملها. وكان زايد في ذلك التاريخ ابن الثامنة والعشرين من عمره، وكان ذلك التعيين أول المناصب القيادية التي يدعى إليها زايد بطلب من الأسرة الحاكمة ورغبة كبيرة من الشعب. وعلى الرغم من أنه كان في ذلك الوقت صغير السن نسبياً، إلا أنه كان الخيار الأمثل أمام الشيخ شخبوط لشغل ذلك المكان، فهو يتمتع بحكمة واسعة تفوق سنوات عمره بكثير، كان خبيراً متمكناً في التعامل مع الصحراء وسكانها الذين أحبوه كثيراً، ويضاف إلى ذلك حدة ذكائه وتوقده.

كان هذا التاريخ منعطفاً في حياة زايد، ومرحلة جديدة من مراحل سيرته القيادية، وسوف أسهب في الحديث عن هذه الحقبة من حياة زايد لأنها كانت نقطة الانطلاقة لبطل الأرض والقائد العبقري، وكانت تجربة الحكم في العين التي امتدت عشرين عاماً من عمره السياسي هي أول شاهد على عبقريته، وهي التي فجرت مواهب البطل القيادية والسياسية والاجتماعية، وبها أيضاً تأهل إلى مناصب أعلى وإلى سمعة ومكانة دولية عالية لم يكن يضاهيه فيها زعيم معاصر. ويمكن التأكيد أن العين هي المدينة التي فجرت طاقات البطل ومواهبه العديدة، وهي أول من شهد أحلامه وعبقريته، ومن العين انطلق زايد نحو السياسة. ولقد ساعدته تجربة العين على التمرس بالحكم واعتماد فلسفة العمل والإصلاح التي طبقها لاحقاً على مستوى الإمارة والدولة.

١-٦ العين في منتصف الأربعينيات

في الأربعينيات من القرن العشرين، كانت الحالة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة في مدينة العين والمنطقة الشرقية بأكملها في أسوأ أحوالها. فالمدينة كانت محدودة الموارد، ويعتمد اقتصادها آنذاك على واحاتها السبع المزروعة بالنخيل، وعلى تربية المواشي. وكان سكان المدينة يعتمدون اعتماداً كلياً على الزراعة في تلك الواحات محدودة الإنتاجية، وعلى تربية الأغنام والإبل. كان الفقر والحاجة بين الناس أمراً سائداً، وكانت الفوضى والنزاعات وحوادث السلب والنهب أمراً متكرراً أيضاً، وهو نتيجة طبيعية للفقر الشديد وغياب القيادة الحكيمة. كما أن الحروب القبلية كانت سائدة إما بسبب الصراعات السياسية أو التنافسية لقلة الموارد في المنطقة.

وفي ذلك التاريخ أيضاً كانت الظروف الزراعية في مدينة العين في أسوأ أحوالها، فالرقعة الزراعية لواحات المدينة لا تتزايد بازدياد السكان، بل تتناقص لتناقص المياه المتدفقة من أفلاج المدينة، وما يصاحب ذلك من انخفاض في إنتاجية تلك الواحات من المحاصيل الزراعية وأهمها التمور التي كانت تعد غذاءً أساسياً وسلعة اقتصادية هامة لأهالي المنطقة في ذلك التاريخ. كما أن الأحوال المادية لسكان المدينة كانت ضعيفة جداً الأمر الذي لم يسهم في وضع حلول لتلك المشكلة. ومما زاد المشكلة سوءً تجارة الماء التي كان يمارسها أغنياء المدينة مما جعل فقراءها والذين لا يملكون حصص ماء كافية لا يستطيعون زراعة أراضيهم وتركها تموت.

يقول الشيخ سالم بن حم، وهو أحد المعاصرين لتلك الحقبة وكان أحد الرجال المقربين من الشيخ زايد، واصفاً تلك الظروف في مذكراته (رحلتي مع زايد)، يقول: «قبل أن يباشر زايد مهامه كممثل للحاكم بالمنطقة الشرقية (العين) كانت الحالة الاجتماعية والاقتصادية في العين ضعيفة جداً، فهي حالة عدم هناء، والهناء عرفناه فقط مع زايد»، ويصف المسكن والزاد في ذلك الوقت فيقول: «كان الناس يسكنون بيوتاً بسيطة مصنوعة من سعف النخيل أو (بيوت الشعر)، والميسورون منهم لهم بيوت مصنوعة من الطين» ويقول: «إن طعامهم كان بسيطاً، وأن حياتهم كانت تعتمد أساساً على أكل التمر وشرب حليب النوق، كما كان القوي يستغل الضعيف والناس يتناهبون بعضهم البعض» (٩/١).

ويصف السيد أحمد سلطان السلامي، وهو أحد المعاصرين لذلك الظرف وعمل بالقرب من الشيخ زايد في تلك الفترة، يصف الحالة الأمنية في العين في ذلك الوقت: «إن الأمن في العين قبل أن يأتي الشيخ زايد كان معدوماً، ولا يستطيع الواحد منا أن يتنقل من منطقة لأخرى دون سلاح، ويكثر في ذلك الوقت الغزو والسلب والنهب، والفقر كان سائداً بيننا». أما عن المسكن فيقول: «بيوتنا كانت بسيطة وتتكون إما من الطين أو العرشان» (١٦/١).

وفي الحقيقة أن العين في ذلك التاريخ، وكما يصفها الأجداد، كانت عبارة عن قرى منتشرة حول الواحات الرئيسية تتألف من منازل غالبيتها مبنية من سعف النخيل (العرشان) وأخرى من طين.

ووصف هندرسون، مبعوث شركة نفط العراق، مدينة العين في عام ١٩٤٨: «أن بيوتها كانت مبنية من الطين، ويبلغ ارتفاع جدرانها عشرة أمتار تقريباً، أما الأسقف فهي مسطحة وتقوم على دعائم سميكة من جذوع النخيل. وتتميز القرى بحصونها، ففي كل قرية يوجد عدة حصون يختلف أحدها عن الآخر. يتكون البعض منها من أبراج مراقبة منفردة يصل علوها إلى حوالي ثلاثين قدماً.. وتختلف هذه الحصون عن تلك التي كان يعيش فيها الشيوخ والتي هي عبارة

عن مبان ضخمة تضم عدداً من الغرف الفسيحة وجميع هذه الحصون مبنية من الطين» (١٧/١).

ويقول السيد أحمد بن محمود، وهو أحد الشخصيات التي عملت بالقرب من الشيخ زايد أثناء حكمه للعين: «كانت السرقات اسبوعياً تقريباً، وكانت مطاردة اللصوص عملية ليست سهلة وتتسم بالخطورة. لكن عندما جاء زايد وتولى حكم العين لم تقع إلا حادثتا سرقة فقط. الأولى كانت للص سرق واتجه ناحية بئر اسمها الموفيا جهة الجنوب، وأدركه زايد مع رجاله واستعادوا المسروقات. أما الثانية فقد استغل اللصوص مناسبة عرس في العين وسرقوا ما طالته أيديهم من الحلال (أي الإبل والأغنام). ولما علم الشيخ زايد بالأمر استنفر رجاله وسعى خلف اللصوص حتى أدركهم في منطقة تسمى سجية في منطقة الظاهرة حالياً، وتم أسرهم جميعاً واستعادة المسروقات. وقد استتابهم زايد فأعلنوا توبتهم وعاهدوه بعدم العودة إلى مثل ذلك أبداً، فعفا عنهم. ومن يومها لم تقع أي حادثة سرقة في العين، بل استتب الأمن والحمد لله، وأصبح الواحد يسير في العين وما حولها، والتجار يسيرون إلى دبي وأبوظبي وإلى الوقن في الجنوب دون أن يخافوا على أنفسهم وبضاعتهم بفضل الله أولاً ثم بفضل زايد» (١٨/١).

ويمكن تلخيص الظروف السائدة في مدينة العين، وما كانت تعاني منه المنطقة الشرقية بوجه عام في منتصف الأربعينيات من القرن الماضي، أنها ظروف معيشية قاسية شهدها سكان المنطقة وهي امتداد للحياة القاسية التي عاشها أبناء أبوظبي ومدن الإمارات المتصالحة الأخرى: نزاعات بين الناس وصراعات قبلية متكررة، القوي يستغل الضعيف والناس يتناهبون بعضهم البعض، واقتصاد المدينة ضعيف والفقر منتشر بين الناس، طعامهم كان بسيطاً، فلم يكن سكان المنطقة يشبعون من التمر ناهيك عن جودته وتنوع أصنافه. وعلى الجانب الزراعي تدهورت مساحات الواحات وانخفضت إنتاجياتها، والكثير من أشجارها مات لقلة المياه بسبب ضعف إنتاجية الأفلاج وجفاف بعضها (أي توقفها). لذلك برزت الحاجة الماسة لقائد يعالج تلك الظروف، ويساعد سكان تلك المدينة على تخطي مشاكلهم وأزماتهم.

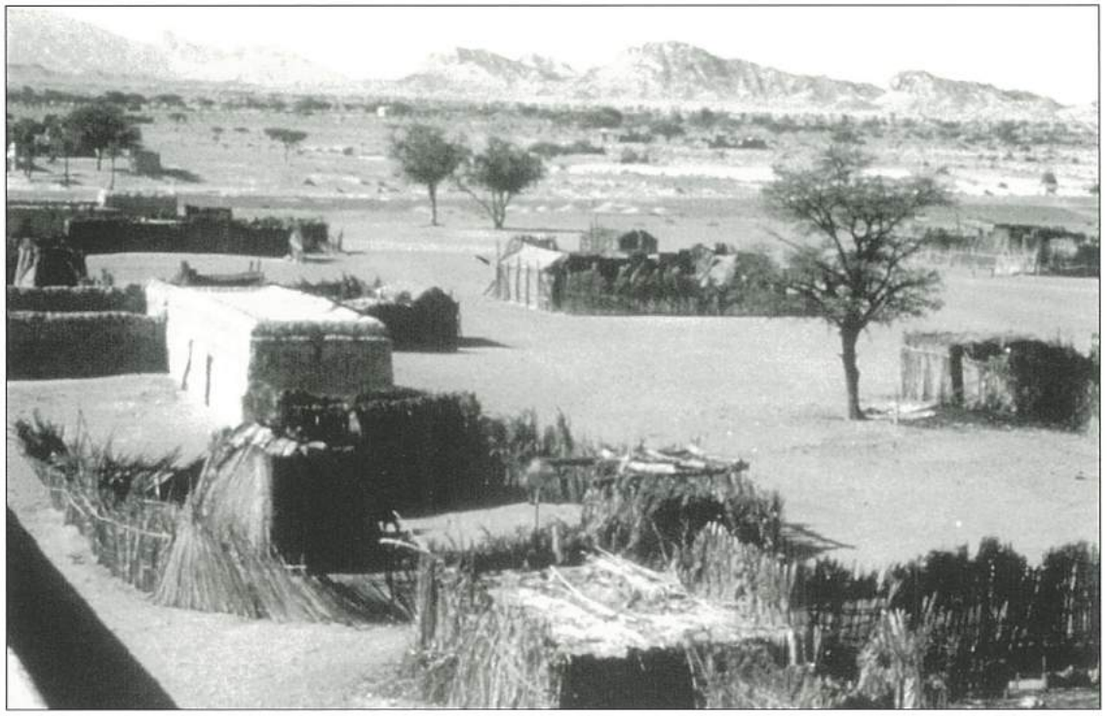

صورة ٥/١. مساكن مبنية من سعف النخيل (العرشان) وأخرى من الطين تمثل النمط السائد للبيوت التي كان يسكنها أهالي المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي قبل ظهور النفط. يظهر في الصورة جزء من جبل حفيت، عام ١٩٦٠.

١-٧ زايد.. شخصية قيادية فذة في العين

لأنه رجل التاريخ بلا منازع في دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد حظي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان باهتمام الكتاب والمؤرخين الذين أعجبوا وانبهروا بشخصيته القيادية الفذة وطموحه اللامحدود لتغيير واقع الحياة الصعب في الصحراء ولتطوير شعبه وانتشالهم من الفقر والعوز إلى حياة كريمة آمنة تسودها العزة والرخاء. وأرى من الأهمية بمكان أن نقف لنعرض ونناقش أهم سمات تلك الشخصية التي برزت في تجربة العين لنعرف -ومن العين- ماذا يتوقع من هذه الشخصية لو حظيت بإمكانيات أكبر وصلاحيات أوسع.

ظهرت سمات الشخصية القيادية والطموحة في الشيخ زايد مبكراً عندما كان شاباً وقبل أن يتولى مسؤولية ممثل الحاكم في العين والمنطقة الشرقية، وكان ذلك عاملاً مهماً أسهم في توليه لتلك المسؤولية. فبتولي الشيخ زايد مسؤولية العين، بدأت شخصيته القيادية تنضج وتظهر بجلاء للناس. وبالرغم من حداثة سنه خلال تلك الفترة إلا انه أظهر قدرات كبيرة في إدارة شؤون العين والمناطق التابعة لها، وكرس كل طاقاته وجهوده لخدمة المواطنين وتحسين أحوالهم المعيشية، وتقدم صفوفهم في العمل وأخذ ينفق من ماله الخاص رغم ضعف الإمكانيات. ولإثراء الموضوع وإعطائه حقه، فإنني أبدأ بوصف تلك الشخصية مقتبساً مما جاء في مذكرات الرحالة الأجانب الذين مروا بالمنطقة والتقوا بالشيخ زايد أثناء حكمه للعين، وكذلك التقارير السرية للحكومة البريطانية خلال تلك الفترة والتي كانت ترصد وتراقب تحركات وأعمال ممثل الحاكم في المنطقة.

لقد وصف العديد من الرحالة الذين زاروا المنطقة في السابق الشيخ زايد بأنهم أمام شخصية قيادية عظيمة تفرض وجودها في الساحة، ويصفه آخر بأنه شخصية تاريخية قادمة للمستقبل. ويقول عنه الباحث والمؤرخ كلارنس مان الذي زار المنطقة الشرقية في العام ١٩٤٦ وحضر مجالس الشيخ زايد في كتابه (ظهور إمارة أبوظبي) في العام ١٩٦٤: «إن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان هو الرجل القوي في منطقة العين وضواحيها، ومن هنا امتد نفوذه إلى أرض الظفرة، لذا البدو يحترمونه، وقد كرس الشيخ زايد المال القليل الذي توفر لديه للقيام بإصلاحات في منطقة العين، ويرجع إلى الشيخ زايد فضل بسط نفوذ أبوظبي على البادية، ويرشحه كل هذا إلى جانب عدالته وروحه الإصلاحية، وقدرته السياسية إلى أن يكون رجل البلاد المنتظر في إمارة أبوظبي» (١/١٩).

وأشار الباحث والمؤرخ المعاصر في تاريخ عُمان وشبه الجزيرة العربية جون بي كيلي في كتابه (الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، ١٩٦٤) إلى شخصية الشيخ زايد والدور الذي قام به في المنطقة الشرقية، بقوله: «كان الوضع قبل تولي زايد منصب ممثل الحاكم في العين ضعيفاً إذ لم يكن الولاة ذوي نفوذ وهيبة للسيطرة إلى أن حلَّ عام ١٩٤٦، حيث تولى الشيخ زايد الحكم في العين، ومنذ أن تولاها ظهر أمام القبائل نموذجاً لصنف الرجال العظام من أمثال جده زايد الكبير» (١/٢٠).

ووصف هندرسون الشيخ زايد عندما التقاه بعد عامين من توليه ممثل الحاكم في العين (عام ١٩٤٨) قائلاً: «كان الشيخ زايد وقتها حوالي الثلاثين من عمره، وكان وسيماً ونظراته تنم عن ذكاء حاد وروح مرحة، ويرتدي زياً بسيطاً. وكان عالي الهمة نشيطاً وذا عزم وتصميم. وعلى الرغم من أنه كان صغير السن وقتها إلا أنه كان ذا خبرة وإطلاع بسياسة المنطقة، فهو من أكثر الشخصيات شهرة فيها كما أن له أثراً واتصالاً فعالاً مع البدو في المنطقتين أبوظبي ومسقط» (١/٢١). ويورد النقيب البريطاني أنتوني شبرد المسؤول عن الكشافة في الإمارات المتصالحة في كتاب بعنوان (مغامرة في الجزيرة العربية): «زايد رجل يحظى بإعجاب وولاء البدو الذين يعيشون في الصحراء المحيطة بواحة البريمي، وهو بلا شك أقوى شخصية في الإمارات المتصالحة، وإذا دخلت عليه باحترام خرجت باحترام أكبر، لقد كان واحداً من العظماء القلة الذين التقيتهم، وإذا لم نكن نتفق دوماً فالسبب في جهلي» (١/٢٢).

وعن شخصية زايد أيضاً يقول العقيد بوستد، الممثل السياسي البريطاني الذي خدم في المنطقة، في كتاب (رياح الصباح): «لقد دهشت من الجموع التي تحتشد دوماً حوله في العين، وتحيطه باحترام واهتمام. كان لطيف الكلام دائماً مع الجميع، وكان سخياً جداً بماله، ودهشت على الفور من كل ما عمله في بلدته العين وفي المنطقة كلها لمنفعة الشعب، فقد شق الأفلاج لزيادة المياه لري البساتين، وحفر الآبار وعمر المباني الإسمنتية في الأفلاج، وإن كل

من يزور العين يلاحظ سعادة أهل المنطقة» (١/١٩).

ويصف الرحالة البريطاني الشهير ويلفريد ثيسيجر الذي أطلق عليه أبناء المنطقة اسم «مبارك بن لندن» في كتابه (الرمال العربية) أول لقاء له مع الشيخ زايد في مجلسه بقرية المويجعي في العين عام ١٩٤٨ فيقول: «إن زايد رجل قوي البنية في الثلاثين من عمره تقريباً، ولحيته بنية اللون، ووجهه ينم عن ذكاء حاد، وعيناه ثاقبتان وقويتا الملاحظة، ويتميز بسلوك هادىء، وشخصية قوية، وكان بسيطاً في لباسه، يرتدي ثوباً من النسيج العُماني رمادي اللون، وصديرية مفتوحة، ويتمنطق بخنجر، وبندقيته دوماً إلى جانبه على الرمال لا تفارقه». ويضيف ثيسيجر: «لقد كنت متشوقاً إلى رؤية ولقاء زايد إذ أن له شهرة واسعة في أوساط البدو، الذين أحبوه لأسلوبه السهل وغير الرسمي في معاملته لهم، ولعلاقاته الودودة بهم، واحترموا فيه قوة شخصيته وذكاءه وقوته البدنية، وكانوا يعبرون عن إعجابهم به بقولهم زايد رجل بدوي، فهو يعرف الكثير عن الإبل، ويركبها مثلنا، وهو ماهر في الرماية ويجيد القتال». ويستطرد الرحالة البريطاني قائلاً: «إن زايد رب أسرة كبيرة، يجلس دائماً للاستماع إلى مشاكل الناس، ويقوم بحلها، ويخرج من عنده المتخاصمون في هدوء وكلهم رضا بأحكامه التي تتميز بالذكاء والحكمة والعدل» (١/٢٣).

ويروي جوليان ووكر مساعد المعتمد البريطاني في كتابه (Tyro On The Trucial Coast) تفاصيل زيارته للعين مع العقيد بوستد عام ١٩٥٤، وما رآه من تعامل ودي بين زايد ورعيته من خلال حضور مجالس زايد فيقول: «من خلال زيارات متعددة قمنا بها إلى القرى، مضت عملية الإحصاء الرسمي للسكان حسب ما هو مخطط لها، وسارت الأمور على ما يرام، إلا أنها كانت تنقطع أحياناً لوصول رسل معهم طلبات من العديد من شيوخ المناطق النائية إلى زايد، وكان لا يتوانى عن إجابتهم إلى طلباتهم بمجرد أن تبلغه رسائلهم هذه، وكثيراً ما كان يلتقي بكبار السن من البدو عندما تتوقف سيارته اللاندروفر عند أحد منهم، أو خلال تجوله بين المنازل المبنية من سعف النخيل في أوقات ما بعد الظهيرة، وكانوا ينادونه باسمه دون تكلف أو ألقاب، وكانوا يحدثونه بما يواجهونه من مصاعب مع الإبل، أو بما ينشب من خلاف مع جيرانهم أو بما يستجد من مشكلات حول المياه، ويلتمسون منه العون، وكان يستمع إلى كل حالة، وكل حكاية بأناة وصبرٍ، وكان يناقش الأمر أحياناً مع الشيوخ الحاضرين في مجلسه، ثم يصدر قراراً بهذا الشأن أو ذاك، وكان مثل هذا القرار يسجل إذا دعت الضرورة على قصاصة من الورق ممهورة بخاتم الشيخ على ظهرها وتسلم إلى صاحبها الذي يمضي وهو يلهج بالشكر والثناء، ويعبر عن امتنانه للشيخ، وإذا استدعى الأمر كتابة رسائل، كان زايد يمليها على الفور إلى كاتب الرسائل حيث يحملها السعاة باليد إلى الجهة المقصودة» (١/٢٤).

ويصور جوليان ووكر في مذكراته البساطة في الشيخ زايد، والمحبة والألفة التي تجمع بينه وبين رعيته، فيقول من خلال مشاهداته لمجلس الشيخ زايد عام ١٩٥٤: «لم يكن هناك ثمة سحر شرقي أو أبهة وفخامة، كان مجلس الشيخ زايد غاية في البساطة، إلا أن ما يميزه هو اللطف والكياسة وحرارة الحفاوة، وحميمية العلاقات». ويقول: «أدركت سر امتلاك زايد لقلوب هؤلاء الناس، وسر احترام القوم له، ليس فقط في صفوف أتباعه، بل وفي أوساط القبائل في المنطقة الواسعة حول البريمي. كان حُسن معشره ولطفه وكياسته وبعده عن التكلف والرسميات، ونزوعه الشديد إلى العدل، كانت هذه الشمائل الحميدة كلها هي ما يحتاجه العرب في هذه المنطقة» (١/٢٤).

أما إدريك وورسنوب، والذي كان يعمل في وزارة الخارجية البريطانية سابقاً وعمل في الإمارات المتصالحة من يناير ١٩٥٨ حتى فبراير ١٩٦١ في الوكالة السياسية البريطانية في أبوظبي ودبي، فيروي في مذكراته جانباً من شخصية الشيخ زايد قائلاً: «في هذه الفترة قابلت الشيخ زايد مرات عدة في أبوظبي والعين. لقد أدركت منذ لقائي الأول معه الخصائص الفريدة الكثيرة التي كان يتمتع بها. كان فارع الطول، قوي البنية، لديه من الكياسة وروح الدعابة ما منحه الوقار والنفوذ والسلطان، وهبه الله الحكمة والذكاء والشخصية الكارزمية. وقد قاده قدره إلى تقلد أعلى المناصب لكنه لم ينس قط جذوره القبلية البدوية، فظل شديد الاعتزاز والحب لبلده ولأبناء وطنه» (١/٢٥).

ويذكر جوليان ووكر مساعد المعتمد البريطاني بالمنطقة خلال مراسلاته في ٩ أغسطس ١٩٥٩ إلى دار المقيم السياسي في البحرين التالي: «إن منزلة الشيخ زايد تتعاظم باطراد، وإنه يتمتع

بقدرة متزايدة على فهم التطورات في العالم الحديث واحتياجات أبوظبي، إذا ما توفر النفط» (٢٦/١).

ولقد اتصف الشيخ زايد بالذكاء الحاد، ولاحظ كل من قابله من الدبلوماسيين البريطانيين وغيرهم سرعة بديهته، وفهمه السريع لمحدثه وما يخلج في باله. وكان أهم ما لفت النظر إليه هو الإنصات الكامل لمحدثه وعدم مقاطعته حتى يستوعب كل ما يقال، وفي هذا يقول لامب المعتمد البريطاني في أبوظبي في تقريره السري واصفاً الشيخ زايد: «إن هناك صفات أخرى تميز زايد تتوارى خلف مظهره الخارجي البسيط، فهو ألمعي يتقد بالذكاء، صبور، حليم، يتسم نقاشه بالحكمة والموضوعية، وهو يعرف ما يريد فعله»، ويضيف: «وهو على العموم يتمتع بسجايا البدو وصفاتهم الفطرية التي جبلوا عليها بما فيها نزعته إلى ألا يكون مغبوناً أو مستغفلاً» (٢٧/١).

واستشهد هنا بفقرات من تقرير دي. ال. فينلاي، وهو أحد المسؤولين البريطانيين في مقر المقيم السياسي البريطاني بالبحرين (٢٩ أغسطس ١٩٦٦)، متحدثاً فيها عن شخصية الشيخ زايد وخلفية عنه فيقول في تقريره: «هو أصغر إخوة الشيخ شخبوط، ويتميز بأنه الأشد ذكاءً والأكثر جاذبية والأوسع شعبية من بين أفراد الأسرة الحاكمة في أبوظبي، سخاؤه أسطوري، وعلى امتداد ساحل عُمان المتصالح ليس هناك من شيخ يفوق زايد في دماثة خلقه ولطفه وانفتاحه وبذله العون لمحتاجه ومرونته وقدرته على التكيف لا سيما مع البريطانيين الذين لا يداني الشيخ أحد في إلمامه بأساليبهم وخبر المسالك في التعامل معهم. يتمتع بذاكرة مدهشة خصوصاً في ما يتعلق بأسماء الأشخاص والأماكن، ويتحلى بفراسة لا تخطئ فهو بارع جداً في سبر أغوار شخصيات من حوله والإنصاف في حكمه عليها. ومثله مثل معظم زعماء البدو، يتمتع الشيخ زايد بالحنكة فضلاً عما حباه الله به من فكر ثاقب وموهبة تنظيمية. لقد جمع المقومات والعناصر التي تصوغ شخصية القائد. وإلى أن آلت إليه مقاليد الحكم من الشيخ شخبوط وتولى زمام أمور البلاد، كان الحاكم الجديد يعيش في البريمي وتحت هيمنته القرى الست في قطاع أبوظبي من الواحة. وهناك في تلك الحقبة ظهرت عليه مخايل النجابة وبدا جلياً أنه يدرك بعمق ما هي الخطوات المرغوبة في أبوظبي في هذا الزمن وقد بدأت الثروة النفطية تتدفق على الإمارة. كما بذل زايد وسعه لتنمية وتطوير قرى أبوظبي في البريمي» (٢٨/١).

وأختتم شهادات أولئك المؤرخين والسياسيين بذكر مقتطفات من تقرير لامب، المعتمد البريطاني في أبوظبي، إلى السير ستيوارت كروفورد (البحرين) بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٦٦ أي بعد تولي الشيخ زايد حكم الإمارة بعدة أشهر واصفاً ومحللاً شخصيته، ومتنبئاً بما هو قادم من مستقبل للإمارة بعد التغيير السياسي فيقول في تقريره الذي يحمل عنوان (الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي): «يشرفني أن أحاول هنا في هذه البرقية تحليل وتقييم شخصية وسياسة ودور الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وهي الجوانب والملامح التي تجلت خلال الشهور الثلاثة منذ أن أصبح حاكم أبوظبي في السادس من أغسطس، من عام ١٩٦٦ ودعوني في هذا الموطن أن أتجاسر فأتنبأ بنتائج تولي الشيخ زايد لمقاليد السلطة في أبوظبي وعواقبها على الإمارات المتصالحة ومنطقة الخليج وأخيراً وليس آخراً على العلاقات بين حكومة جلالة الملكة وأبوظبي. لربما كان الشيخ زايد المثل الأوروبي الأعلى للشيخ العربي، فهو لا يزال فتياً يتمتع بروح الشباب، تزينه وسامة لا تخطئها العين على النمط البدوي، كما انه بشوش دمث يفيض بالمرح وسخي كريم شهم يتحلى بروح الفروسية، شجاع يتمتع بأريحية عالية، وهو إلى ذلك فارس لا يشق له غبار وبارع في الصيد والقنص (بالصقور بوجه خاص)، ويتحلى الشيخ بقدر كبير من الأنفة والاعتداد بالنفس وهي سمة تفتح له الأبواب جميعاً وتتيح له حسن الدخول في أي جماعة أو رفقة وطيب التعامل مع الجميع، ليس لديه تصلب أو تشنج بل ينطلق على سجيته ولا يأبه بالرسميات، ويستمتع زايد بلعب دور شيخ العرب بكل ما يضمه هذا الوصف من سامي الخصال فهو والد لجميع شعبه، كما أنه لا يستطيع مقاومة التباهي أمام زائريه الأوروبيين في مجلسه بما يتلقاه من ترحاب وتأهيل وتسهيل وتحيات وعرائض التماسات من رعاياه البدو. إلا أن هناك رجلاً آخر يتوارى خلف المظهر الخارجي: ألمعي يتقد بالذكاء، صبور حليم يتسم نقاشه بالحكمة والموضوعية، وهو يعرف ما يريد فعله، هذا إذا لم نقل إنه يعرف كيف يقوم بهذا الفعل بطريقة مثلى وحسب الأصول وبأسلوب فاعل مؤثر. وهو على العموم يتمتع بسجايا البدو وصفاتهم الفطرية التي جبلوا عليها، بما فيها

نزعته إلى ألا يكون مغبوناً في التعاملات المادية والمالية فهو حريص على نيل حقه وأن يخرج رابحاً في أي قضية. وتبدو راسخة في فكره وعقليته مفاهيم وأسس القيادة وسياسة الدولة بكفاءة واقتدار، وهو براجماتي في توجهاته في مضمار السياسة الخارجية الدولية. وهو قائد يقدر بصورة فطرية تلقائية الاحتياجات والمتطلبات السياسية لإمارات الخليج. ساس رعيته بعبقرية فذة صقلها طول تمرسه بإحسان التعامل مع شعبه، ولا غرور في ذلك فقد قضى أعواماً طويلة حاكماً للبريمي، إلا أنه في تصرفاته ومواقفه الخاصة بالعلاقات الداخلية ضمن الإمارة يميل الشيخ زايد إلى الإفراط في التفاؤل وذلك نابع من نبل غايته وكونها تصب في الصالح العام» (١/٢٧).

إن ما تقدم ذكره عن الشيخ زايد قد بشر بإطلال شخصية ثرية بالمباديء والمواقف، غنية بالصفات والسمات والشمائل والأفعال والمباديء، لم يعرف عن زايد أية نقيصة أو تقصير في أداء واجبه فبالجهد الكبير والمال القليل استطاع أن يحقق إنجازات كبيرة أثناء حكمه للعين، ولم يعرف عن زايد تخاذله عن نجدة المضطر إليه فآوى إليه الشريد والطريد والمعدم، وعرف عن زايد كرمه وسخاؤه فكان ينفق إنفاق من لا يخشى فقراً مع قلة إمكانياته في ذلك الوقت، فهو جواد لا يرد لإنسان حاجة.

لقد برزت في الشيخ زايد أربعة مباديء أو خصال لمسها فيه شعبه ومن قابله من مؤرخين وسياسيين، وهي: الحكمة، والصبر، والشجاعة، والكرم. فحكمته كانت واسعة، حتى لقب «بحكيم العرب» فيما بعد. وصبره كان بلا حدود، وبه استطاع أن يجتاز أحلك الظروف وأصعب التحديات. وشجاعته في الحق كانت بارزة في مواقف كثيرة، شهد بها العالم فيما بعد، وبها وصفوه «برجل المواقف الصعبة».

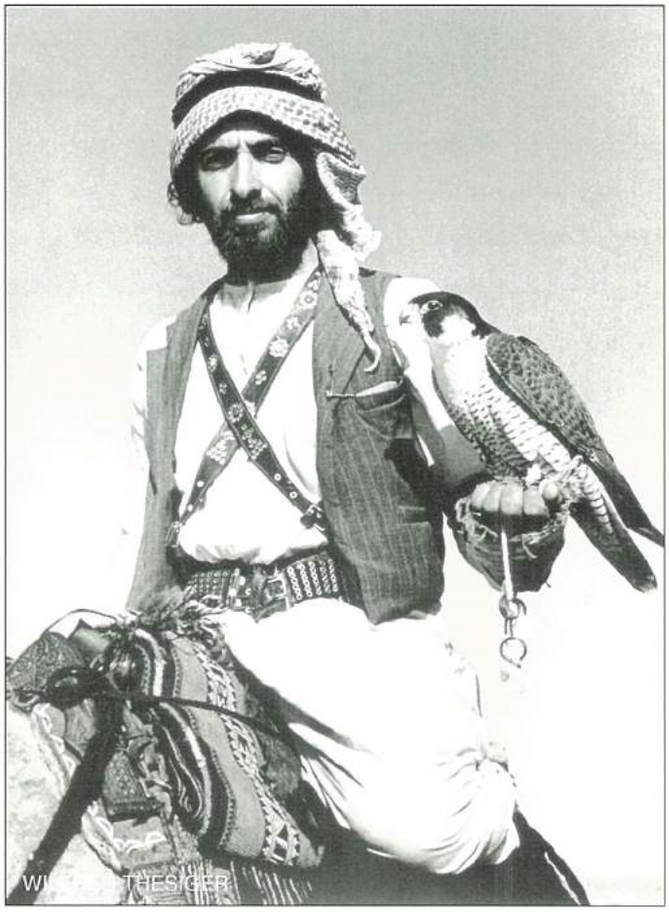

صورة ١/٦. الشيخ زايد متهيئاً لرحلة صيد، العين، عام ١٩٤٨.

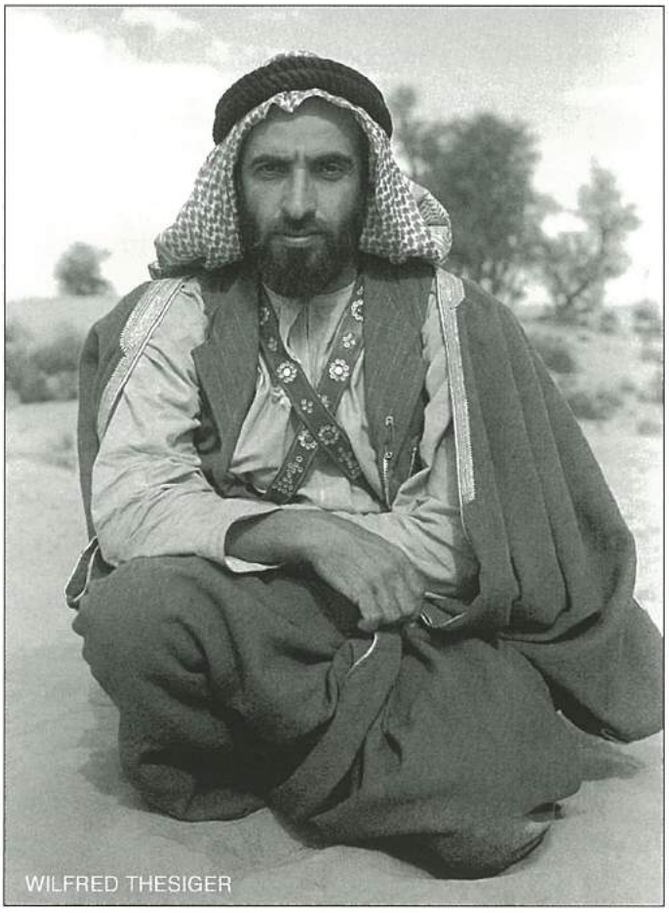

صورة ١/٧. الشيخ زايد في صحراء العين عام ١٩٤٩.

١-٨ من إشراقات العبقرية

في مدينة العين بدأت أحلامه وآماله تجاه أرضه وشعبه تكبر يوماً بعد يوم، يصحبها في نفس المستوى سمة الشخصية القيادية والتي كانت عاملاً من العوامل الأساسية ساهمت في تحقيق هذه الأحلام والآمال.

أول الأعمال العظيمة التي صنعها الشيخ زايد في العين وجاءت مباشرة بعد تعيينه ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية هو إقامة مركز للإصلاح بين الناس والفصل في منازعاتهم وشكاواهم بالعدل. كان لذلك المنهج الذي ابتدأ به الشيخ زايد أول أعماله بعد توليه المسؤولية غاية في الأهمية للشعب، وحدثت على إثره إيجابيات كبيرة للمنطقة وسكانها. فتوقفت النزاعات، وتوقف السلب والنهب، وتوقف ظلم القوي للضعيف، واستغلال الغني للفقير، وزالت الخلافات بين الجيران والمشاحنات بين القبائل، وتوجه الناس إلى التعاون بينهم بما ينفعهم، ولم تمض سوى سنتين حتى أصلح بين الجميع ولم يعد أحد يضر بأحد (١/٢٩). ويقول السيد أحمد السلامي: «أول ما حكم الشيخ زايد العين استتب الأمن بعد أن كنا لا نستطيع التحرك من منطقة لأخرى دون حمل السلاح ومرافقة الآخرين، وشجع الناس على العمل فعملوا واجتهدوا لأنهم رأوه خير قدوة لهذا المبدأ». ويضيف السلامي: «زايد شجعنا على الزراعة ثم بعد ذلك شجعنا على التجارة وكان يفرح أشد الفرح بأي نجاح نحققه» (١/٣٠).

ويذكر الشيخ سالم بن حم في مذكراته التغير الذي حدث لهم وللمنطقة بعد تولي الشيخ زايد الحكم فيقول: «عندما حكم الشيخ زايد العين كانت غشاوة على عيوننا فزالت وأصبح بابه بقلعة المويجعي مفتوحاً للجميع يفضون إليه بكل ما يختلج في صدورهم من معاناة وآمال، يعربون عن رأيهم دون خوف لأنهم أحسوا أن زايد منهم وحريص عليهم يتألم لألمهم ويفرح لأفراحهم ويتفانى في مد يد العون للجميع دون كلل أو إعياء» (١/٢٩). ويؤكد الرحالة البريطاني ويلفريد ثيسيجر (مبارك بن لندن) في كتابه الشهير (الرمال العربية) ما ذكره بن حم في مذكراته، فيقول: «زايد رب أسرة كبيرة يجلس دائماً للاستماع إلى مشاكل الناس ويقوم بحلها، ويخرج المتخاصمون من عنده وكلهم رضا بأحكامه التي تتميز بالذكاء والحكمة والعدل» (١/٣١).

بعد استتباب الأمن والأمان في المنطقة وتوحد قلوب القبائل على قلب رجل واحد، بدأ الشيخ زايد خطوات التنمية فبدأ التركيز على التنمية الزراعية ورأى أن هذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالبحث عن المياه وزيادة تدفقها للواحات فبدأ في إصلاح الأفلاج القائمة وحفر المزيد منها، وكان يشارك الرجال في ذلك العمل بل كان هو المخطط والمرشد والمراقب لذلك المشروع، وهذا ما سوف نناقشه بالتفصيل في الفصل الثاني من هذا الكتاب والذي يحمل عنوان (عبقرية زايد الزراعية في العين). وفيه أيضاً سوف نناقش كيف أصلح الشيخ زايد -رحمه الله- نظام السقاية الظالم القائم في الواحات وألغى تجارة الماء وأصلح ملكية الموارد المائية، وكان ذلك الحدث لأول مرة يحدث في تاريخ المنطقة. وفي ذلك الفصل أيضاً سوف نستعرض كيف شجع الشيخ زايد أهالي المنطقة على الزراعة فاتسعت الرقعة الزراعية في واحات العين وزاد بذلك إنتاج المحاصيل الزراعية، فتحسن اقتصاد المدينة، وتحقق ازدهار ملحوظ في المنطقة.

ومن السمات المبكرة التي برزت في شخصية الشيخ زايد وتعكس منقبة أخرى من مناقبه اهتمامه المبكر بالعلم وحرصه على أن يتسلح أبناء هذه المنطقة بالعلم والمعرفة بالرغم من قلة الإمكانيات المتاحة حوله. وبالرغم من أن هذا الموضوع كان في المقام الأخير من اهتمامات الناس في تلك الفترة نظراً لانشغالهم وراء البحث عن لقمة العيش. ففي عام ١٩٥٦ قام الشيخ زايد بتأسيس أول مدرسة في العين سميت (المدرسة الفلاحية الابتدائية) وكانت فرحته بها كبيرة، لدرجة أنه كان يتردد على زيارتها والسؤال عنها وعن أداء أبنائه فيها، وكان دائم التشجيع للآباء بأن يلحقوا أبناءهم فيها ولا يحرمونهم نور العلم والمعرفة.

وفي العين أيضاً أسس الشيخ زايد أول سوق تجاري كان القصد منه أولاً تحريك النشاط التجاري في المدينة ليساهم في تحسين اقتصادها، وثانياً لكي يوفر على الناس معاناة السفر مسافات طويلة للحصول على حاجياتهم من الأسواق الأخرى كأسواق عُمان، حيث لم يكن في المدينة سوق يمكن لأهالي العين التبضع منه، فكانت القرى التابعة لإمارة أبوظبي تعتمد في شراء حاجياتها بالدرجة

الأولى على سوق البريمي التابع لعُمان. فشرع الشيخ زايد في بناء السوق ومن ماله الخاص وأراده أن يكون أكبر من سوق البريمي، وبالفعل كان ما أراد فكان سوقاً أكبر جذب إليه كثير من التجار وسعد به أهالي العين كثيراً. وهنا يصف تقرير بكماستر أحد دبلوماسيي دار الاعتماد السياسي في أبوظبي والذي كتبه بتاريخ ٣ سبتمبر ١٩٥٨ ذلك السوق فيشير: «أن افتتاح السوق الجديدة في العين في صيف ١٩٥٨ كان الحدث الأكثر أهمية، وقد موّل الشيخ زايد المشروع بأكمله، ومع أنه كلف أكثر من ١٠٠ ألف روبية، ويضم السوق ٢٥ دكاناً وبني على شكل شارع مغطي». ويشيد بكماستر في تقريره بالفكر التنموي للشيخ زايد فيقول: «وكما كان متوقعاً، وهو على ما يبدو ما كان يقصده زايد من بناء السوق، فقد اجتذب افتتاح هذه السوق عدداً من التجار من خارج قطاع أبوظبي في البريمي، بما في ذلك بعض التجار من قرى مسقط، وتاجر أو تاجران من الشارقة ودبي أسسوا لأنفسهم إلى جانب تجار العين، واستطاع هذا السوق سحب الأعمال التجارية من سوقي البريمي وحماسة اللتين أصبحت دكاكينهما الآن رديئة ومتداعية وقليلة السلع الغذائية بالمقارنة مع السوق الجديدة المزدهرة في العين، حيث تعرض للبيع تشكيلة من السلع أوسع مما يتوافر في أبوظبي (١/٣٢). ولكي يوفر الشيخ زايد لأبناء قرى الجيمي والقطارة والهيلي وغيرها عناء السفر إلى سوق العين وهي مسافة ليست بالقريبة في ذلك الوقت لعدم وجود المركبات قام ببناء وتوسعة سوق قرية القطارة، ويقول بكماستر في تقريره السابق: «هناك سبب آخر لتراجع أهمية أسواق قطاع مسقط، وهو التوسعة الأخيرة لسوق القطارة بدعم من الشيخ زايد، ففي الماضي، كان القرويون من القطارة والجيمي والهيلي يعتمدون بشكل كبير على أسواق قطاع مسقط، أما الآن فيمكنهم شراء كل شيء يحتاجونه من القطارة» (١/٣٢).

وأكثر من تلك الأعمال كان الشيخ زايد في العين يعيش بين قومه، يقاسمهم طعامه، ولا يتردد أن يوزع عليهم المال الذي يصل إلى يده دون أن يمر بجيبه، ودون أن يبقى منه درهم لليوم التالي، بل كان ينفق المال إنفاق من لا يخشى فقراً، وكانت يده دائماً مفتوحة لأبناء شعبه، وأحياناً كثيرة كان يقترض المال لكي يسد حاجة قومه، وكان المال يومها قليلاً، والحاجة إليه شديدة. ونتيجة لذلك فقد حظي الشيخ زايد خلال فترة حكمه للمنطقة الشرقية بإجماع وولاء رعيته التي أحبته لخلقه ولشخصيته السهلة الواضحة ولمعاملته الحسنة لهم ولعلاقته الحميمة الودودة بهم ولحكمته وعدله، فقد كان بالنسبة لهم الأخ والقائد ورب الأسرة.

وقد أشار كيلي، المؤرخ البريطاني، إلى قوة شخصية الشيخ زايد والدور الكبير الذي يقوم به في مدينة العين فقال: «منذ أن تولى الشيخ زايد شؤون العين وضواحيها، أثبت أنه في نفس صلابة معدن جده زايد الكبير» (١/٣٣).

إن كل تلك الإنجازات والإصلاحات التي حققها الشيخ زايد في العين مع الصفات التي تحلى بها أهّلته بأن يكون الرجل الموعود لحكم إمارة أبوظبي وأنه الأمل القادم لأبناء هذه المنطقة. إن السنوات العشرين التي قضاها الشيخ زايد ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية كانت التجربة السياسية الناجحة التي أهّلته للانتقال لأبوظبي لتولي مسؤولية إدارة الإمارة كاملة.

١-٩ زايد يقود الإمارة

وكما ظهر في منتصف الأربعينات حاجة ماسة لتولي الشيخ زايد مسؤولية ممثل الحاكم في العين والمنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي بعد أن حظي بثقة الشعب وإعجاب الأسرة الحاكمة، ظهر أيضاً في منتصف الستينات حاجة ماسة وضرورة قصوى بأن يتولى الشيخ زايد زمام الحكم في الإمارة كلها. فبعد أن مّن الله على الإمارة بنعمة النفط، الذي اكتشف بكميات تجارية عام ١٩٥٨، وصُدِّرت أول شحنة منه في الثالث من يوليو ١٩٦٢، ثم بدأ إنتاجه في ازدياد، أصبح لا بد من إيجاد القائد الذي باستطاعته استغلال هذه الثروة في الطريق الصحيح، وليقوم بالدور المطلوب ويجسد القيادة التي تستطيع استغلال الثروة الوطنية التي أنعم الله بها على أبوظبي لصالح الشعب.

لم يكن هناك خلاف في الأسرة الحاكمة على أن الشخصية التي يمكن أن تتعامل مع الوضع الجديد بكفاءة واقتدار، وتحقق للإمارة والشعب إنجازات كبيرة هو الشيخ زايد بن سلطان شقيق الحاكم الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان الذي حكم الإمارة مدة ٣٨ عاماً (١٩٢٨-١٩٦٦)، وأخذ عليه مناهضته للتحديث وتبنيه رأياً مختلفاً عن أخيه الشيخ زايد ذي الفكر التنموي، إذ فضّل الشيخ شخبوط

عدم إنفاق الأموال على التطور العام مما أوجد شعوراً بالإحباط في أوساط الشعب والعائلة. اجتمعت أسرة آل نهيان ورأت بالإجماع ضرورة تولي الشيخ زايد السلطة في الإمارة وتنحي الشيخ شخبوط عنها لصالح أخيه. وهنا أيضاً مرة أخرى يُرَشَّح الشيخ زايد لتولي مسؤولية أكبر دون أن يسعى لها، كما كان الحال عندما اختير ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية.

وفي السادس من أغسطس من عام ١٩٦٦ شهدت أبوظبي إعلان القرار التاريخي بمبايعة أسرة آل نهيان الشيخ زايد حاكماً للإمارة، وأعلنت بالإجماع أن اختيارها هذا كان لمصلحة أبوظبي والشعب وتطور البلاد وتقدمها. وبهذا الإعلان تكون أبوظبي قد شهدت أعظم حدث في تاريخها السياسي، الحدث الذي غير مجرى حياة المنطقة كلها.

قَبِلَ الشيخ زايد هذا القرار تجاوباً مع إجماع أسرة آل نهيان ولمصلحة الوطن والمواطن علماً بأنه لم يكن يومها طامعاً في الحكم، بل إن ما حمله على قبول ذلك القرار هو محبته وإخلاصه لوطنه ولشعبه ومن أجل أن يراهم ينعمون بخيرات الأرض جميعاً، ويفتحون صفحات جديدة من التاريخ بعد أن ضاقوا ذرعاً من ضنك العيش وقلة ذات اليد. ويقول الشيخ زايد في ذلك: «إنني بصراحة لم أكن أرضى أو أتمنى تولي هذه المسؤولية الجسيمة، فما الذي جعلني أقبلها؟، لقد كان إدراكي لمدى الخسائر التي يعاني منها الشعب هو الأمر الذي دفعني إلى قبولها، ولكن ليس هناك أي سعادة تعادل سعادة الحاكم وهو يرى أبناء بلده ينتقلون في خطى آمنة نحو المستقبل المشرق ومن حالة العسر إلى حالة مليئة بالخير والتقدم».

١-١٠ تأييد مطلق

حظي قرار تنصيب الشيخ زايد حاكماً لأبوظبي بالتأييد المطلق من الشعب، وكان مبعث سرور وارتياح عام في البلاد كلها، وكانت ردود فعل الناس في مدينة أبوظبي والمناطق التابعة لها إيجابية، مليئة بالفرحة والابتهاج والرضا التام، ومن أطياف المجتمع كافة. وبدأت القبائل تتوافد على قصر الحصن لتؤكد مبايعتها له وتهنئته بتولي أمور البلاد، وكلها أمل في إصلاح الحال، وعبرت هذه القبائل عن أفراحها (بالرزيف) وإطلاق الأعيرة النارية (١/١٨). وهذا أيضاً ما وصفته المصادر البريطانية في تقاريرها في شأن هذا الموضوع. يقول فينلاي من مقر المقيم السياسي البريطاني في البحرين في تقريره بتاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٦٦ عن انطباعاته لهذا الحدث: «قوبل تولي الشيخ زايد الحكم بالارتياح والرضا في مدينة أبوظبي وبابتهاج عارم في البوادي ومناطق القبائل، ويمكن أن يتوقع المرء من الشيخ زايد أن يبث الثقة في القيادة، في أوساط المجتمع بجميع قطاعاته» (١/٣٤). ويقول لامب المعتمد البريطاني في أبوظبي في تقرير له بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٦٦ واصفاً مشاعر السكان: «هناك حالة من الذهول والدهشة وعدم التصديق اعترت القوم الذين عجزوا للوهلة الأولى عن تصور أن ٣٨ عاماً من الحكم السلبي قد انقضت بالفعل، إلا أن هؤلاء سرعان ما استفاقوا من حالة الصدمة التي استولت عليهم» (١/٢٧).

والحقيقة أن فرحة الشعب بتولي الشيخ زايد منصب الحاكم لإمارة أبوظبي لم تأت من فراغ وإنما بسبب معرفة الشعب بشخصية زايد حق المعرفة، ففترة العشرين عاماً التي قضاها الشيخ زايد ممثلاً للحاكم في العين والمنطقة الشرقية كانت أكثر من كافية لمعرفة خصاله وحميد فعاله. في تجربة العين أثبت الشيخ زايد للشعب أنه رجل الإصلاح والتطوير، بالرغم من ضعف الإمكانيات التي كانت في يده، وبالرغم من عدم توافر المال، استطاع أن يحقق لشعبه إنجازات كبيرة، كما أثبت أنه رجل الحكمة والبصيرة الثاقبة والشخصية القيادية التي يمكن أن توحد الشعب على قلب رجل واحد ومصير واحد، فتوحدت القبائل وأمن الناس. وأثبت أيضاً أنه رجل العدل والمساواة الذي ينصر المظلوم ويوقف الظالم عن ظلمه. كل تلك الإنجازات جعلت أبناء الشعب يلتفون حول الشيخ زايد الذي اتصف ببساطته، وسلوكه الهادىء المتزن، وتواضعه، وطيب معشره، فلم يكن بالرجل المتمايز عن شعبه أو الذي يترفع عليهم، بل كان يشاركهم أفراحهم وأتراحهم، ولم تمنعه منزلته ولا شهرته من فعل ذلك، بل زادته تمسكاً بتعاليم الإسلام الحميدة، وهذا ما زاده قوة وعزة، وهذا ما زاد ثقة الشعب به.

كما حظي قرار تعيين الشيخ زايد حاكماً لأبوظبي بارتياح البريطانيين الذين كانوا أنفسهم يرون فيه الشخصية القيادية الأكفأ لحكم الإمارة، وكان ذلك واضحاً في تقاريرهم السياسية منذ تجربة العين، ففي تقرير كتبه لامب المعتمد البريطاني في أبوظبي

بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٦٦ (بعد نحو ثلاثة أشهر من تولي الشيخ زايد حكم الإمارة) موجه للسير ستيوارت كراوفورد في البحرين بعنوان (الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي: تقييم) وهذا بدوره أرسله للسيد براون في وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٦٦، أهم ما جاء فيه: «إن زايد يملك مقومات القيادة، ويتميز بالكفاءة والقدرة على إدارة الإمارة التي تحتاج إلى شخص كفؤ لانتشالها من حياة البؤس والفقر المدقع، فقد اكتشف النفط في أبوظبي عام ١٩٥٨، وصدرت أول شحنة منه عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٦٦ لم تشهد الإمارة أي تغيير في نمط العيش فيها، فرغم العوائد الكبيرة التي بدأت تدخل ميزانيتها ويفترض إنها ستغير الحياة فيها إلى النقيض، لم تتغير وتيرة الحياة طوال أربع سنوات قضتها الإمارة على النمط القديم نفسه، فلا كهرباء ولا ماء ولا بنية تحتية. ولم يكن هناك سوى مدينة بدائية تتكون من مجموعة من البيوت البسيطة المبنية من سعف النخيل، ويبدو أن زايد حاز على إعجاب كل من عرفه وتعامل معه ورأوا كفاءته في إدارة شؤون المناطق التابعة لأبوظبي في البريمي، وإشاعته الأمن هناك، وقيامه بكثير من الإصلاحات في نظام الري وتصريف المياه وتشجير المنطقة، وإنشاء سوق في العين وفتح مدارس رغم إمكانياته البسيطة خلال فترة الخمسينيات. وكانت فترة العشرين عاماً التي قضاها زايد في العين، كافية لتقييم مستوى أدائه، ولا شك أن كفاءته في إدارة تلك المناطق التي كان يسودها العنف بين القبائل وحوّلها هو إلى واحة أمان وإنتاج، لفتت الأنظار إلى قدراته المتميزة» (٢٧/١). ويضيف لامب في تقريره: «تبدو راسخة في فكره وعقليته مفاهيم وأسس القيادة، وسياسة الدولة بكفاءة واقتدار، وهو براجماتي في توجهاته في مضمار السياسة الخارجية الدولية، وقائد يقدر بصورة فطرية تلقائية الاحتياجات والمتطلبات السياسية لإمارات الخليج، ساس رعيته بعبقرية فذة صقلها طول تمرسه بإحسان التعامل مع شعبه حيث قضى أعواماً طويلة حاكماً للبريمي» (٢٧/١). ويشير التقرير أيضاً إلى الخصال البارزة في شخصية الشيخ زايد: «لا يمكن لأي امريء يلتقي الشيخ زايد وقد تقلد الحكم إلا أن يدهش من الأعماق بالخصلتين البارزتين اللتين يتميز بهما بصورة مذهلة، فهو من جهة أنيس، ودود، بشوش، يشعر جليسه أو محدثه باستعداده التام للمساعدة، ومن الجهة الأخرى مفعم بتصميم لا تلين له قناة على أن يستفيد من ثروته الطائلة». وجاء أيضاً في التقرير عن شخصية الشيخ زايد: «إن مما لم يدركه من حوله تلك النزعة للتعامل بحصافة ومنطق سديد يحتكم إلى العقل ولا يأبه بالعواطف فيما يتعلق بمسائل العمل والمشاريع» (٣٥/١).

ولقد عبر القنصل الأمريكي في الظهران لي دينز مور في تقرير سري إلى واشنطن عن أول لقاء جمعه مع الحاكم الجديد لإمارة أبوظبي في عام ١٩٦٨ عن إعجابه الشديد بشخصية الشيخ زايد، وجاء في تقريره: «إن هذا الرجل يعيش الحياة البسيطة لشيخ من شيوخ الصحراء» وأضاف: «زايد بدوي عربي يتصف بالكفاءة والقوة والصراحة» (٣٦/١).

وهنا أذكر تنبؤات بعض المؤرخين الذين مروا بالمنطقة والتقوا بالشيخ زايد أثناء حكمه للعين، وشاهدوا كيف كان زايد يَسوس البلاد، فقالوا في مذكراتهم إن هذا الرجل هو الحاكم القادم للإمارة. ومن أمثال أولئك الباحث والمؤرخ كلارنس مان الذي زار المنطقة الشرقية في عام ١٩٤٦ ونشر مذكراته في كتابه «ظهور إمارة أبوظبي».

وحقيقة الأمر أن الشيخ زايد استطاع خلال ممارسته مهامه كممثل للحاكم في المنطقة الشرقية مدة عشرين عاماً أن يكسب محبة وولاء قبائل أبوظبي، كما عُرف بذكائه وحكمته كيف يتعامل مع السلطة البريطانية المسيطرة آنذاك على المنطقة فينال احترامها، وذلك كما جاء في تقرير المسؤول البريطاني فينلاي الذي يقول فيه: «كانت لديه القدرة على التكيف لا سيما مع البريطانيين الذين لا يداني الشيخ أحد في إلمامه بأساليبهم، وخبر المسالك في التعامل معهم» (٣٤/١).

ولقد غير تولي الشيخ زايد السلطة مجرى تاريخ المنطقة، إذ كان من أعظم تداعيات ذلك الحدث أنه ومنذ اللحظات الأولى بدأ يتجه إلى إخوانه حكام الإمارات الأخرى داعياً للوحدة، وسائلاً منهم العون على ذلك، وهذا أمر ليس بالغريب في شخصية الشيخ زايد، فهو رجل لديه نزعة وحدوية متأصلة فيه منذ صغره ونمت ونضجت في تجربة حكمه للعين، فاستطاع أن يوحد قبائل المنطقة ويصلح بينهم ويقيم السلم والسلام فرضوا به قائداً موحداً يعيشون بالقرب منه وتحت حكمه. وسوف نرى أن الشيخ زايد بعد توليه حكم الإمارة قد توجه بفكره الوحدوي إلى الإمارات المتصالحة الأخرى.

١-١١ ظروف إمارة أبوظبي في ذلك التاريخ

عندما تولى الشيخ زايد مقاليد حكم إمارة أبوظبي، كان أمامه طريق طويل وشاق من العمل والجهد، فالإمارة كانت تفتقد لكل شيء، ولم تكن مدينة أبوظبي -وهي عاصمة الإمارة ومقر الحكم- أحسن حالاً من مناطق أبوظبي الأخرى. فالجزيرة ذات التربة البيضاء كانت صحراء قاحلة تحيط بها مياه الخليج من كل الجوانب، ولا يوجد بها سوى مجموعة من البيوت المتناثرة معظمها من (العريش)، وكانت تفتقر إلى أبسط الخدمات. فلا توجد بها بنىً تحتية إطلاقاً. ونظراً لعدم وجود مطارات وموانيء كانت احتياجات الناس من السلع والبضائع تأتي إلى أبوظبي بواسطة (الصنادل) التي تقوم بنقل السلع من السفن الكبيرة التي كانت ترسو قبالة شاطيء أبوظبي الحالي نظراً لعدم وجود ميناء واحد ترسو فيه السفن. وكان المواطنون يعيشون حياة صعبة وقاسية يعانون فيها من شظف العيش، فليس لهم دخل ثابت، ويفتقرون للخدمات الضرورية كالماء النظيف والصحة والتعليم والمسكن الملائم، فغالبيتهم يسكنون في بيوت مصنوعة من سعف النخيل (العرشان) وآخرين في بيوت من طين، ونتيجة لتلك الظروف التي كان يعيشها سكان الإمارة هاجر كثير من الرجال والأسر بحثاً عن لقمة العيش، وكانت فترة الخمسينيات إلى النصف الأول من الستينيات هي فترة الهجرة الإماراتية للبحث عن لقمة الرزق، وهكذا أصبحت أرض الإمارة أرض طرد وهجرة.

أما عن وضع الزراعة والبيئة، وهو محور حديثنا في هذا الكتاب، فتستطيع أيها القاريء أن تتخيل أبوظبي في ذلك الوقت وهي جزيرة رملية بيضاء ينعدم فيها اللون الأخضر تماماً ولا توجد بها أي أشجار أو زراعة باستثناء عدد محدود من أشجار النخيل متناثرة على الجزيرة، وهي رديئة النوعية، ضعيفة الإنتاجية. كانت الجزيرة تفتقر للمياه العذبة، وما يتوفر منها يشوبه نسبة عالية من الملوحة ولا يكفي احتياجات السكان.

يصف الرحالة الإيراني أحمد فرامرزي الذي زار أبوظبي في أواخر العشرينيات من القرن العشرين ملاحظاته لواقع هذه المشكلة فيقول: «بالنسبة لمياه الشرب في أبوظبي، يتم الحصول عليها من آبار يتم حفرها يومياً لسرعة امتلائها بالرمل، وهي مالحة يمكن شربها في اليوم الأول بصعوبة، إلا أنها في اليوم التالي، لا يمكن شربها بتاتاً» (١/٢٤).

ويمكنني هنا أن أستشهد لوصف وضع البيئة على أرض الإمارة بقصة قرأتها في مذكرات إدريك وورسنوب والتي تعكس جزءً من واقع الحال والظروف الصعبة التي على أرض الإمارة في تلك الفترة. يقول إدريك الذي عمل في الإمارات المتصالحة خلال الفترة (١٩١٦-١٩٥٨): «لقد حظيت بإفادة شاملة حين قدومي إلى الإمارات عن طبيعة وظروف المعيشة فيها، وبعد بضعة أيام من قدومي قمت في الثلاثين من يوليو برحلة من دبي إلى أبوظبي بسيارة لاندروفر. وكانت تلك الرحلة مختلفة تماماً عن كل ما سمعته أو قرأته. صادف قيامي بهذه الرحلة موسم الصيف، والرطوبة الشديدة ودرجة الحرارة العالية، ولم يكن هناك طريق معبد بل طريق صحراوي ممهد في بعض أجزائه، وبعيد قليلاً عن الخط الساحلي. وكانت السيارة مجهزة بالدواليب المناسبة للسطح الصحراوي. وإذا حدث أن تعرض المرء للعواصف الرملية ضاعت معالم الطريق، فلم تكن هناك أية لافتات تعين المسافر على تحديد مساره في بيئة قاسية وقاحلة، وعديمة السمات. إن المنظر اللافت للانتباه هو امتداد السبخات ورقع الملح البيضاء التي تتوهج تحت ضوء الشمس. وعند مشارف أبوظبي أشار سائقي إلى برج المقطع، وهو مبنى مهيب شيد في القرن التاسع عشر فوق قاعدة من الرمال وسط ذلك الخور الضحل. يحرس هذا البرج نقطة الدخول الوحيدة من البر الرئيس إلى جزيرة أبوظبي التي تضم المدينة، وتشبه الجزيرة مثلثاً مشوهاً تمتد قمته في الشمال على الخليج حيث المدينة على بعد عشرة أميال من معبر قلعة المقطع» (١/٢٥).

ويورد دونالد هولي في كتابه (الإمارات المتصالحة) وصفاً حياً لمنظر برج المقطع وللظروف السائدة في مدينة أبوظبي في ذلك التاريخ فيقول: «قبل ظهور النفط كان العبور إلى مدينة أبوظبي الواقعة في جزيرة عملاً مهيباً، فقد كانت الرياح العالية ترمي مياه البحر على كتل الملح، ولم يكن هناك غير ممر واحد ضيق لامع تتخلله كتل الملح تلك للعبور إلى الجزيرة، وكانت هناك قلعة مربعة الشكل تشرف على حراسة الممر. وقد تم تشييد جسر عام ١٩٦٨ يوصل جزيرة أبوظبي بالبر الرئيس. وكان هذا الممر المرتفع قد شيد في الخمسينيات. كان يتعين على الوافدين إلى جزيرة أبوظبي

في الماضي قيادة سياراتهم عبر المياه الضحلة للوصول إلى المدينة التي كانت منازل وأكواخاً مبنية من جريد النخيل والقش، فوق رمال بيضاء اللون تتناثر فوقها أشجار النخيل. ما زلت أعتقد أن أبوظبي اسم جميل لما يحمله من معنى، وأن الظبي ذلك الحيوان الجميل كان يجوب هذه المنطقة قبل أن تتأسس مدينة أبوظبي قرابة عام ١٧٦١. وحدث أن عثرت قبيلة بني ياس على الماء فاستقرت في تلك المنطقة وعمرتها حتى وقتنا الراهن. اتسعت المدينة عام ١٩٥٨ نحو ميل أو ميلين على طول الساحل الرملي للجزيرة، وظهرت بعض المباني المشيدة بالطين وأحجار المرجان جوار أكواخ السعف. كان القصر القديم للحاكم يشكل معلماً مميزاً بجنوب المدينة، ويسبغ عليها منظراً رومانسياً عند الغروب. لم تكن هناك زراعة باستثناء نخيل البلح. وكان في المدينة أعداد لا بأس بها من الإبل والحمير والغنم وعدد قليل من الأبقار والخراف. كان الغوص لجمع اللؤلؤ الحرفة الرئيسية لعقود طويلة، ولكن هذه الحرفة تهاوت بعد اكتشاف مخزون النفط في البر والبحر. ولم يكن في المدينة مرافق بلدية مثل: الطرق، والهواتف، والكهرباء، ولا لأي تسهيلات أخرى مثل خدمات البريد والمصارف والخدمات الصحية. أما الماء المستخدم في الشرب والطبخ والتنظيف فيستخرج من الآبار ويوزع في أحياء المدينة بواسطة الحمير» (٥٢/١).

ونذكر هنا شهادة المهندس مجدي شعت، وهو أول مهندس زراعي استقدمه الشيخ زايد للعمل في الزراعة، يقول واصفاً الظروف السائدة في تلك المدينة: «عندما تولى الشيخ زايد حكم أبوظبي أمرني بالتوجه معه إلى أبوظبي فكانت المدينة معدومة من الأشجار، وكان سكانها معدودين على الأصابع، وبيوتها من سعف النخيل، وكانت المباني المشيدة في ذلك الوقت مبنى السفارة البريطانية ومنزل السيد عبدالله الهاشمي، مدير أعمال الشيخ زايد ومنزل العتيبة على البحر ومنزل للشيخ مبارك بن محمد آل نهيان» (٣٧/١).

لا شك أنه كان أمام الشيخ زايد مشوار طويل من العمل الدؤوب المتواصل لتغيير الأوضاع، وكان يشاهد تلك الظروف التي يعيشها أبناء شعبه وينتظر اليوم الذي يستطيع فيه مد يد العون لهؤلاء الناس الذين قاسوا من الفقر والحرمان دهوراً طويلة، وكان هذا الأمر يشغل بال الشيخ زايد ويؤرقه كثيراً مما جعله يقول، أثناء جولة تفقدية له لعدد من القرى والمناطق الواقعة على طريق أبوظبي-العين (فبراير ١٩٧٦): «كنت أفكر دائماً وقبل أن تتوفر لي الإمكانيات التي أنعم الله بها علينا مع ظهور البترول أن شعبنا حُرم كثيراً في الماضي من الخدمات والمرافق التي كان يتمتع بها غيره وآن الأوان لأن نعوض شعبنا عما فاته لينعم بما أعطاه الله من خير وفير» (٣٨/١).

صورة ٨/١ (أ، ب). أبوظبي في تاريخها القديم خالية تماماً من البنى التحتية، وتربتها بلا غطاء نباتي باستثناء بعض أشجار النخيل المتناثرة هنا وهناك. أ. صور جوية لجزيرة أبوظبي في الستينات من القرن الماضي. ب. قصر الحصن مقر الحكم في الإمارة، قبل التغيير السياسي بثلاث سنوات (١٩٦٣).

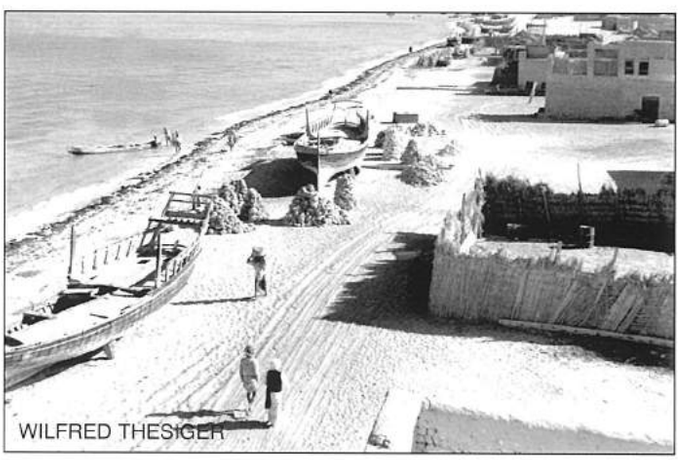

صورة ٩/١. ساحل جزيرة أبوظبي (الكورنيش حالياً) عام ١٩٥٤.

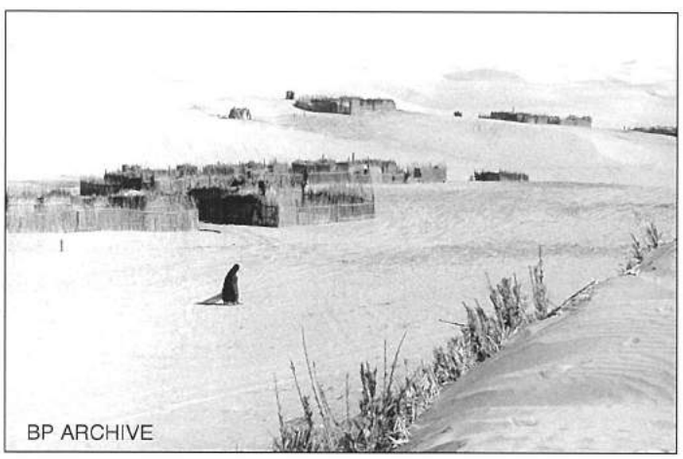

صورة ١٠/١. قرية شاه في ليوا، ١٩٦٢.

صورة ١١/١. مساكن مبنية من سعف النخيل (العرشان) تمثل النمط السائد للبيوت التي كان يسكنها أهالي أبوظبي في الماضي (١٩٦٣).

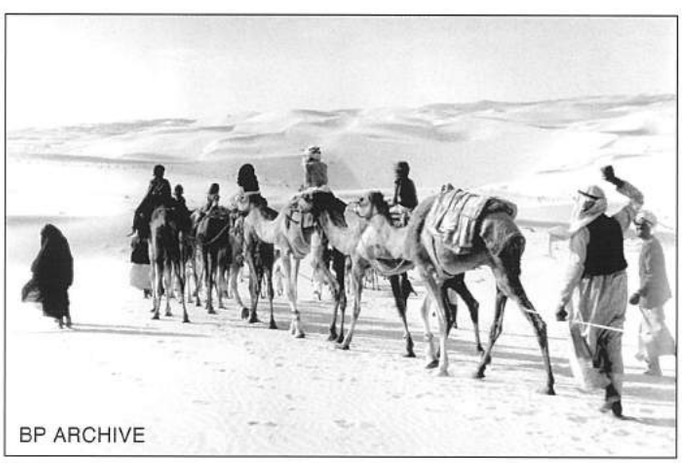

صورة ١٢/١. قافلة من البدو تقطع صحراء المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي (ليوا ١٩٦٢).

صورة ١٣/١ (أ، ب، ج). منطقة المقطع: منطقة ضحلة من البحر كان سكان الإمارة يقطعونها في وقت الجزر للوصول إلى جزيرة أبوظبي. وتعكس الصور كم كانت الإمارة تفتقد لكثير من البنى التحتية في السابق.

أ. حراس الحدود يراقبون مدخل جزيرة أبوظبي في سبتمبر ١٩٦١.

ب. مخاضة خور المقطع التي تفصل جزيرة أبوظبي عن البر الرئيسي.

ج. البدء في أعمال إنشاء جسر المقطع (١٩٦٦-١٩٦٨).

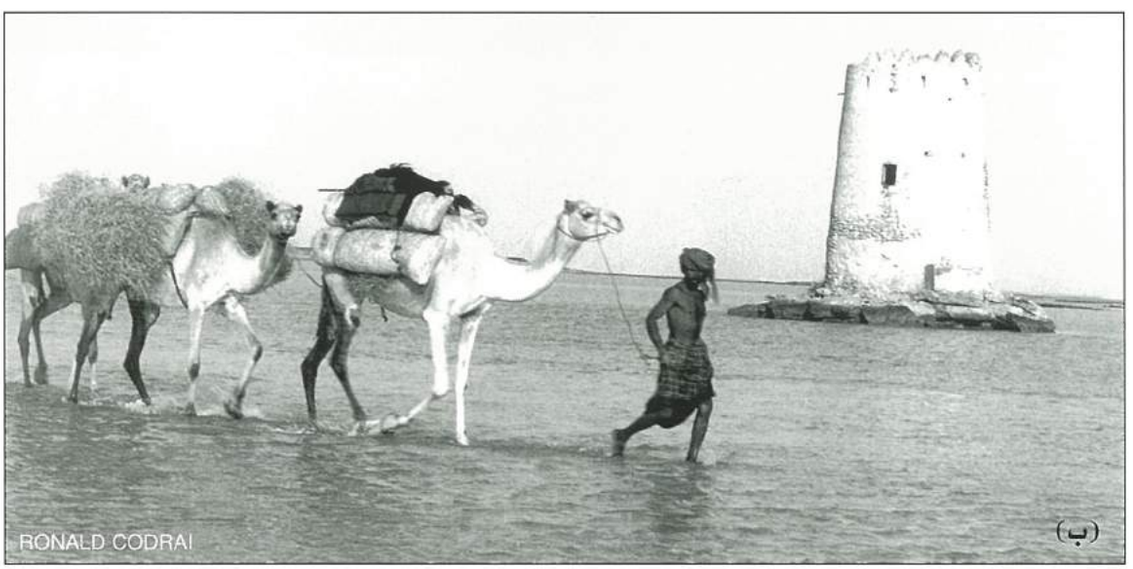

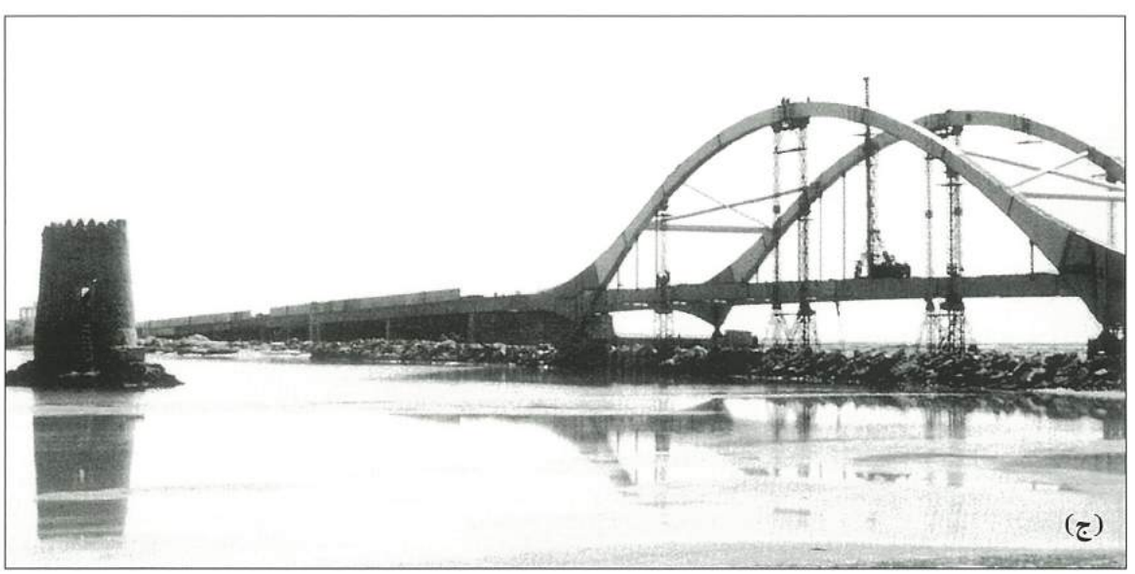

١-١٢ وانطلقت مسيرة القائد

بدأت عملية البناء والتعمير على أرض الإمارة فور تولي الشيخ زايد المسؤولية الكاملة بها، فبذلك المنصب أصبح في يديه سلطة السياسة وسلطة المال، وهما القوتان اللتان كان يفتقدهما قبل ذلك التاريخ، ولا يمكن لقائد يريد أن يحقق أحلامه وطموحاته الإصلاحية ويقيم حضارة على أرضه دون التمكن منهما، وهذا ما كان يردده الشيخ زايد بنفسه وهو يروي بعض ذكرياته في تلك الفترة من حياته: «كانت أحلامي كثيرة وكنت أحلم بأرضنا تواكب حضارة العالم الحديث ولكني لم أستطع أن أفعل شيئاً كبيراً، لم يكن في يدي ما يحقق الأحلام ولكنني كنت واثقاً من أن الأحلام سوف تتحقق في أحد الأيام» (١/٣٩).

ومنذ اللحظات الأولى لتوليه مقاليد حكم الإمارة، أعلن الشيخ زايد عن عزمه تسخير عائدات النفط لبناء الوطن وتقدمه وتحقيق سعادة المواطنين. فقد رأى -رحمه الله- أنه ينبغي ألا يقل ما يخصص لمشروعات التنمية في ميزانية كل عام عن ٨٠٪ من عائدات النفط (١/٤٠)، رافعاً شعار: «لا قيمة للمال إذا لم يسخر لصالح الشعب» (١/٤١). ويقول أيضاً في هذا المعنى كلمته الخالدة: «إذا كان الله عز وجل قد مَنَّ علينا بالثروة فإن أول ما نلتزم به لرضاء الله وشكره هو أن نوجه هذه الثروة لإصلاح البلاد ولسوق الخير إلى شعبها» (١/٤١).

يروي السيد محمد الفهيم، وهو أحد الرجال الذين عملوا بالقرب من الشيخ زايد، واصفاً تلك البداية: «بدأ الشيخ زايد عهده بحسن نية وكرم لم يسبقه إليهما أحد، فقد فتح الخزائن مانحاً الناس الأموال، ولم يتوقف كرم الشيخ زايد عند حدود الإمارة، فقد أعلن أنه بوسع أي شخص محتاج في أي مكان في الإمارات أن يحضر إلى أبوظبي للحصول على المال»، ويضيف: «ورغم أنني لم أكن في البلاد في ذلك الوقت، فقد سمعت قصصاً عن طوابير أمام القصر من الناس الذين ينتظرون نصيبهم من هذا الكرم الذي كانوا في أمس الحاجة إليه» (١/٤٢).

كان أول أهداف الشيخ زايد في تلك الفترة إنهاء مظاهر التخلف على أرض الإمارة، ورفع المعاناة عن الشعب المحروم من كل شيء: المسكن الحديث، والماء النظيف، والمدرسة، والمستشفى، والبيئة

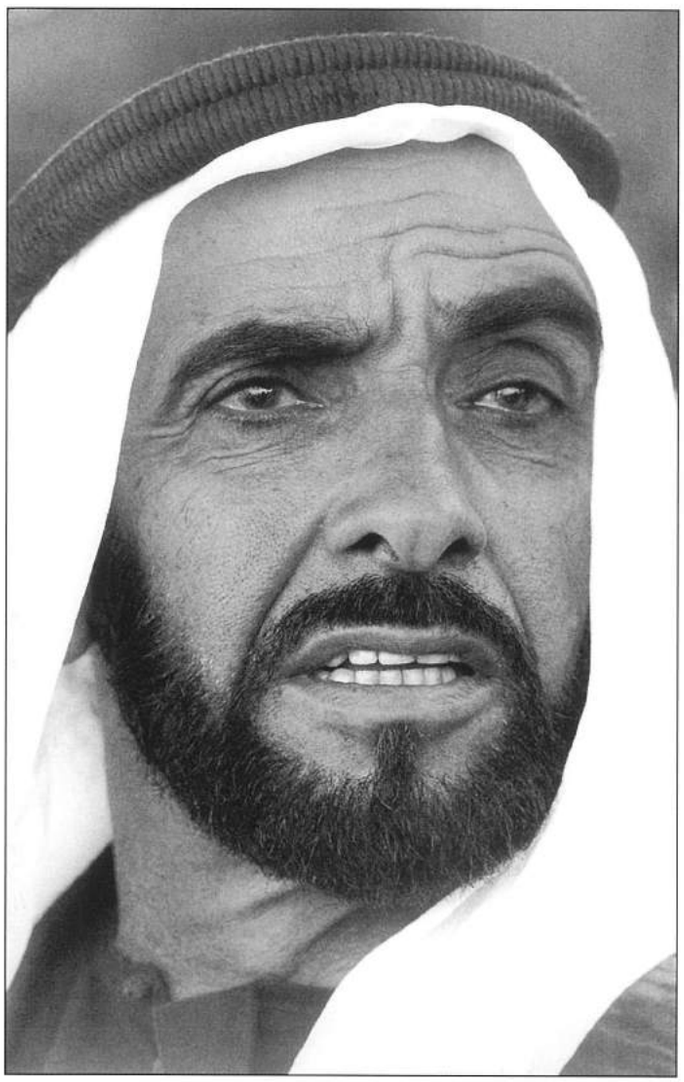

صورة ١/١٤. الشيخ زايد في منتصف السبعينيات.

السليمة، والخضرة والحدائق، والكثير الكثير. كما كان من أهدافه أيضاً أن يوطن الناس في أراضيهم ويوفر لهم ما يحتاجونه من خدمات، وأن تصبح بيئتهم منطقة جاذبة وليست أرضاً طاردة، فيعود أبناء الوطن إلى وطنهم بعد الاغتراب للبحث عن لقمة العيش.

لقد شاءت إرادة الله أن تعوض أهل أبوظبي عن الأيام العصيبة خيراً بأمرين: أولهما ظهور النفط، والثاني ظهور زايد في السلطة، فما كان زايد يحلم به في صباه أصبح الآن قابلاً للتحقيق بفضل القوة السياسية والمالية التي توفرت له. ومن هنا ابتدأت انطلاقة زايد الحقيقية والقوية في تعمير البلاد في شتى الاتجاهات، وبدأت

مرحلة سنوات خالدة حافلة بالعمل الدؤوب والإنجازات المتلاحقة حيث سخّر الشيخ زايد الثروة النفطية وجهده لانتشال إمارة أبوظبي من حالة التردي الاقتصادي والاجتماعي التي كانت عليها. وفي هذا الشأن كان يقول: «إن مصلحة الوطن العليا فوق كل اعتبار، ويتوجب أن تسبق بالأولوية والاهتمام والغاية أية مصلحة أخرى».

بدأ الشيخ زايد ينشر النهضة في كل مكان من الإمارة، في مدينة أبوظبي مقر الحكم، وفي مدينة العين والمناطق الشرقية التابعة لها، وفي المنطقة الغربية، فكل بقعة من الإمارة كان لها نصيب، بل تعدى فعله وجهده حدود الإمارة إلى إخوته في الإمارات المجاورة، وكان يقول: «لا بد من إسعاد هذا الشعب وإقامة نهضة شاملة في كافة المجالات». ولكي تقام هذه النهضة كان لا بد من التخطيط الجيد في كل اتجاه، فأشرف الشيخ زايد بنفسه على تخطيط أبوظبي والعين وكان يقول لرجاله: «لا بد من السخاء حتى نحصل على ما نريد بسرعة فائقة، نريد أيها الرجال أن نختصر الزمن، وأن نصل إلى أهدافنا بأحسن الطرق وأسرعها فلقد عانى الشعب الكثير». ويقول مؤكداً على العمل والجهد القادمين لتحقيق الآمال: «لا بد ألا نعرف النوم لكي نصل إلى كل آمالنا في خلال فترة قصيرة». ويقول أيضاً: «إن أمامي مشوار طويل كي أحقق الخير والرخاء لإنسان هذه الأرض، ومادامت العزيمة متحفزة فإن الطموحات لا تتوقف عند حدود».

كانت أولويات العمل عند الشيخ زايد بعد توليه السلطة إقامة العديد من المدن السكنية الحديثة والمدارس، وبناء المستشفيات والعيادات الصحية والهياكل الأساسية للبنية التحتية من طرق وجسور وأنفاق وكهرباء ومياه وخدمات المواصلات والاتصالات، وإنشاء مطار وميناء وغيرها من مرافق الخدمات الأساسية. وقرر الشيخ زايد أن يتم ذلك في أقرب وأسرع وقت ممكنين ومهما كلف من ثمن. وعندما طرح الشيخ زايد تلك الأفكار كلها وفي وقت واحد قالوا له متعجبين إن تحقيق هذه الأفكار يحتاج إلى عشرات السنين حتى يمكن عمل ذلك، فأجابهم بثقة المؤمن بالله وبمبدأ العمل قائلاً: «بالإيمان والعمل المتواصل علينا أن نختصر الزمن».

وانطلقت عمليات البناء والتطوير، فبدأ الخبراء والمختصون يتوافدون على أبوظبي من كل حدب وصوب، وبدأت الآلات والمعدات الضخمة تهوي إليها من كل فجٍّ عميق ومن شتى أنحاء المعمورة، تعمل بصوت عالٍ وبدون انقطاع في كل مكان، فأصبحت أبوظبي ورشة عمل ضخمة لا تهدأ، يقودها ويشرف عليها زايد القائد الذي كان يهتم بكل صغيرة وكبيرة، ويتخذ قرارات مباشرة دون اللجوء للمساعدين، إذ لم تقلل المسؤولية الجديدة من متابعته لتلك الأعمال، أو تعزله عن شعبه والسعي لتلبية احتياجاته، وأصبح القادم إليها يشاهد ذلك العمل ويلحظ تغييراً في كل اتجاه على أرض الإمارة (٤٣/١). وبعد فترة وجيزة، لا تتجاوز الخمس سنوات كما جاء في الخطة الخمسية التي وضعها لإعمار الإمارة، أصبحت أبوظبي الجزيرة البيضاء شكلاً مختلفاً تماماً عما كانت عليه حيث انتشرت المنازل العصرية فانتقل الآلاف من المواطنين من بيوت العرشان إلى بيوت صحية ونظيفة، ودخلت المياه العذبة والكهرباء إلى كل بيت، وبدأت العيادات في تقديم خدماتها الطبية للبدو في الصحراء بعد أن حرموا من الرعاية الصحية طويلاً، وانتشرت المدارس على اختلاف مراحلها في كل بقعة من البلاد، وفتحت عشرات الفصول الجديدة لمحو الأمية لتنوير من فاته التعليم، فانتقل التعليم من نظام الكتاتيب إلى المدارس العصرية، وامتدت الطرق الحديثة فوق رمال الصحراء، وأقيمت الجسور لأول مرة على أرض أبوظبي وأهمها جسر يربط بين أبوظبي واليابسة، وأصبح على أرض الإمارة مطار وميناء حديثان.

ولم تكن تلك الجهود الجبارة، وذلك العطاء الخير في ذلك الحين حصراً على إمارة أبوظبي وشعبها، بل شمل كل إمارات ساحل عُمان والتي تربطها بأبوظبي علاقات أخوية تاريخية. وما قام به الشيخ زايد -رحمه الله- في تلك السنوات الأولى من توليه حكم الإمارة لعظيم، وأهمها: مساهمته في بناء المدارس والمستشفيات والطرق ومشاريع الكهرباء، وفتح المجال لأبناء الإمارات للعمل في أبوظبي. وارتفعت مساهمة أبوظبي في ميزانية مجلس التطوير لإمارات ساحل عُمان ارتفاعاً ملحوظاً، ففي ميزانية عام ١٩٦٧، تحملت إمارة أبوظبي ٥٠٪ من ميزانية تطوير إمارات ساحل عُمان. وفي عام ١٩٦٨ تحملت ٩٠٪ من تلك الميزانية. أما في ميزانية عام ١٩٦٩ فقد تحملت أبوظبي ٩٥٪ منها، هذا عدا المساعدات التي قدمتها الإمارة مباشرة إلى جميع الإمارات (٤٠/١). وفي شهر يونيو ١٩٦٨، أُنشئ مكتب لإمارة أبوظبي في مدينة الشارقة يقوم بالدراسات والأبحاث اللازمة لتهيئة الفرصة لأهالي إمارات الساحل

للعمل في المشروعات التي تقوم إمارة أبوظبي بتنفيذها في أراضيهم. ويقول الشيخ زايد -رحمه الله- في هذا العمل والسخاء: «إننا نحرص على المودة والإخاء فيما بيننا، وإنك لو أخذت شيئاً من يدك اليمنى لتضعه في يدك اليسرى هل يمكن أن يقال إنك فقدت شيئاً؟ نحن جميعاً أخوة وجسد واحد». وهنا وقفة للتأمل للمنهج العظيم الذي اتبعه هذا القائد ومدى أثره في الشعوب.

يقول المؤرخ الدكتور محمد الفارس في كتاباته عن الشيخ زايد لتلك الفترة: «قام الشيخ زايد منذ اعتلائه سدة الحكم في أغسطس ١٩٦٦ بالسير في أربعة مسارات في وقت واحد وهي، البدء في مشاريع التنمية في أبوظبي وتغيير حياة سكانها إلى النقيض مما هم فيه، ودعم صندوق التطوير الذي أُنشأ من أجل تنمية الإمارات الفقيرة، ودعم حكومات الإمارات المحلية بشكل مباشر وليس من خلال الصندوق فقط، وأخيراً دعم كل أشكال التعاون مع الحكام من خلال الالتقاء عبر مجلس الإمارات المتصالحة» (١/٤٤).

أما جهود الشيخ زايد وأعماله وإنجازاته في الزراعة والبيئة في فترة انطلاقة القائد بعد توليه حكم الإمارة فهي قصة أخرى، سنناقش تفاصيلها بدءً من الفصل الثالث من هذا الكتاب لإظهار الأعمال والإنجازات العديدة التي صنعها الشيخ زايد في ذلك المجال حتى نال عليها أعظم الجوائز والتكريمات، فأصبح بلا منازع راعي النهضة الزراعية، ورجل البيئة الأول، وبطلاً من أبطال الأرض المكرمين.

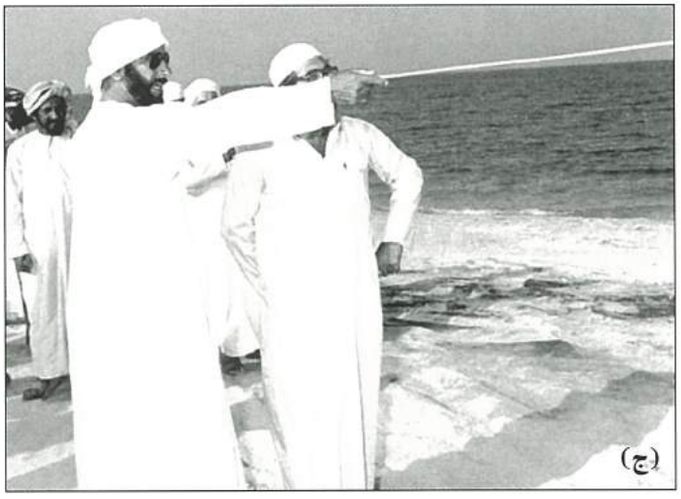

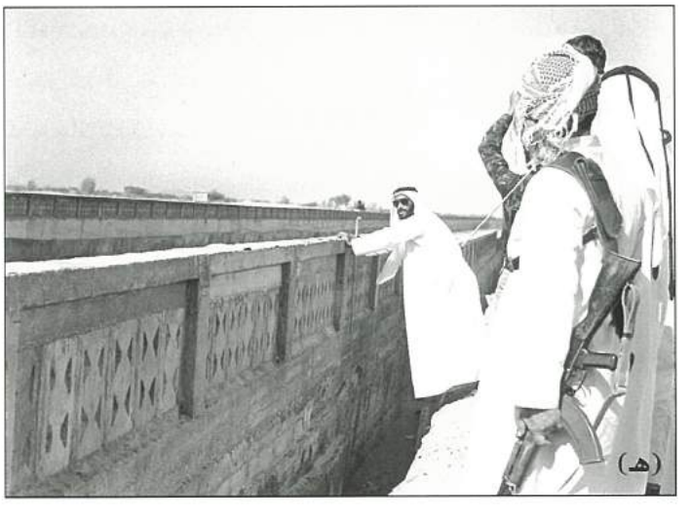

صورة ١٥/١ (أ، ب، ج، د، هـ، و). الشيخ زايد يشرف على مشاريع التنمية التي كان يأمر بها. ب. يطلع على مشروع مدينة زايد الرياضية (١٩٧٥)، ج. يتفقد عدد من المشروعات في جزيرة دلما (١٩٧٨)، هـ. يتفقد أحد مشاريع المنطقة الشرقية (منطقة عين الفايضة، أبريل ١٩٧٨)، و. يتفقد مشروع كورنيش أبوظبي القديم.

١-١٣ زايد يقود الإمارات

منذ أن تولى الشيخ زايد مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي وهو يتطلع ويأمل في أن تتوحد شعوب هذه المنطقة تحت راية واحدة، ذلك التطلع نابع من توجهه الوحدوي المتأصل في فكره وفلسفته، ومن إيمانه القوي بالتراث الإسلامي الداعي للتعاون والتعاضد والترابط وعدم الفرقة آخذاً بقوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» (١/٤٥).

بعد نحو عامين من توليه مقاليد حكم الإمارة سعى الشيخ زايد وبقوة لتحقيق ذلك الأمل، فبدأ يكثف اتصالاته بحكام الإمارات المتصالحة يعرض عليهم مشروع الوحدة. وفي ١٨ نوفمبر ١٩٦٨، أجرى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي، والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي -رحمهما الله- اجتماعاً تاريخياً في منطقة السمحة بين أبوظبي ودبي لبحث الخطوات العملية نحو إقامة صيغة اتحادية في المنطقة تجمع إمارات الخليج العربي، وكان ذلك التاريخ متزامناً مع إعلان حكومة بريطانيا نيتها في الانسحاب من المنطقة على أن يتم الانسحاب كلياً قبل نهاية عام ١٩٧١. ولقد أسفر هذا الاجتماع عن الإعلان عن قيام اتحاد يضم إمارتي أبوظبي ودبي كنواة وبداية لاتحاد أكبر وأشمل في المنطقة، كما شمل الاتفاق الموقع بينهما دعوة حكام الإمارات لإقامة اتحاد أوسع.

ولقد لاقت دعوة الشيخ زايد والشيخ راشد الصادقة أصداءً واسعة في المنطقة واستجابة وقبولاً من حكام الإمارات، فبدأ على إثرها الشيخ زايد اجتماعات متتالية للتأكيد على أهمية وضرورة الاتحاد بين الإمارات، ولإقامة دولة اتحادية قوية في مواجهة التحديات المقبلة على المنطقة قائلاً لهم في أحد الاجتماعات التي سبقت قيام الاتحاد: «هذه فرصة هيأها الله سبحانه وتعالى لنا، فرصة وجودنا اليوم في مكان واحد، إن قلوبنا جميعاً عامرة والحمد لله بالإيمان بمبدأ الوحدة، فلنجعل من اجتماعنا هذا فرصة تاريخية لتحقيق أملنا المنشود»، مؤكداً أن طريق الاتحاد هو طريق القوة والعزة والخير لشعوب هذه المنطقة، وأن الكيانات الصغيرة ليس لها وجود في عالم اليوم، وقد عبر عن مفهومه هذا قائلاً: «إن الاتحاد هو طريق القوة وطريق العزة والمنعة والخير المشترك، والفرقة لا ينتج عنها إلا الضعف، وإن الكيانات الهزيلة لا مكان لها في عالم اليوم، فتلك هي عبر التاريخ على امتداد عصوره» (١/٤٦).

واستمر الشيخ زايد -رحمه الله- طيلة ما يزيد عن الثلاث سنوات في العمل على تقريب وجهات النظر بين الإمارات حتى أثمرت تلك الجهود عن الإعلان رسمياً في الثاني من ديسمبر ١٩٧١ عن قيام دولة الإمارات العربية المتحدة بين إمارات أبوظبي، ودبي، والشارقة، وعجمان، وأم القيوين، والفجيرة. وفي العاشر من فبراير ١٩٧٢ أعلنت إمارة رأس الخيمة رغبتها في الانضمام إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، ووافق المجلس الأعلى للاتحاد بالإجماع في نفس التاريخ على رغبة الإمارة، وهكذا تكاملت دولة الإمارات العربية المتحدة في شكلها الحالي، وأصبح اتحادها يضم الإمارات السبع. وتقديراً للدور الكبير الذي لعبه الشيخ زايد -رحمه الله- في بناء اتحاد دولة الإمارات فقد تم اختياره وبالإجماع من حكام الإمارات السبع، أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد، أن يكون رئيساً للدولة الوليدة لمدة خمس سنوات.

صورة ١٦/١. الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي -رحمهم الله- في أحد الاجتماعات التشاورية من أجل دولة الاتحاد، عام ١٩٦٨.

صورة ١٧/١. زايد وراشد توافق في الفكر الوحدوي والرؤى المستقبلية لأبناء المنطقة (١٩٧٢).

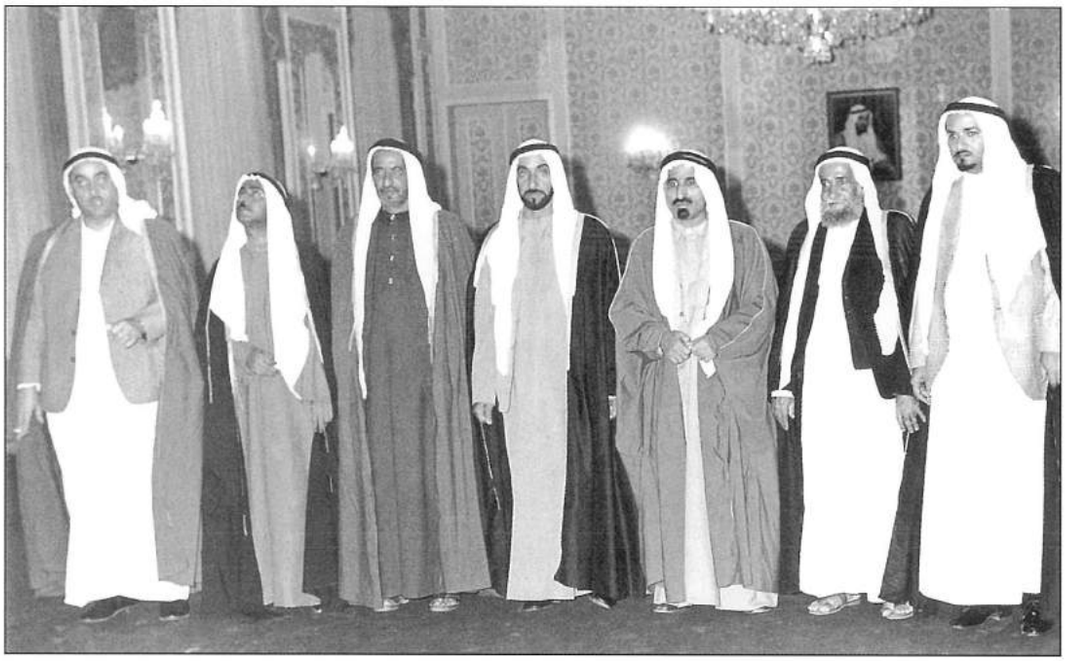

صورة ١٨/١. الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يتوسط أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى، حكام الإمارات، في لقطة تذكارية بمناسبة انضمام إمارة رأس الخيمة في عام ١٩٧٢ إلى دولة الاتحاد، ويبدو على يمينه الراحل الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، حاكم دبي، وصاحب السمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، حاكم الشارقة، وصاحب السمو الشيخ راشد بن أحمد المعلا، حاكم أم القيوين، وعن يساره صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي، حاكم رأس الخيمة، والراحل الشيخ محمد بن حمد الشرقي، حاكم الفجيرة، وصاحب السمو الشيخ حميد بن راشد النعيمي، حاكم عجمان.

صورة ١٩/١. الشيخ زايد يترأس اجتماع المجلس الأعلى للاتحاد، ١٠ فبراير ١٩٧٤.

١-١٤ لم يطلب الإمارة ولكن كُلف بها

طلب الإمارة أو الولاية أو الزعامة على الشعوب مسألة يصبو إليها كثير من أفراد شعوب العالم وباختلاف أجناسهم وأعراقهم وعلى مر العصور. فهي مقصد وغاية يحلم بها أولئك الأفراد لتحقيق مآربهم أياً كانت تلك المآرب. وتنشط وتزدهر تلك الغاية في الشعوب المريضة ثقافياً. وفي عالمنا العربي ينشط السعي للإمارة أو الزعامة على الشعوب ولو يكلف ذلك الكثير من البطش والقهر أو حتى إراقة الدماء.

هنا أقف لأسجل إعجابي بسمة من سمات شخصية زايد، ومَنقبةً من مناقبه العظيمة في هذه المسألة. تأمل معي أيها القارىء الكريم في سيرة هذا القائد، إنه لم يطلب الإمارة أو القيادة قط، ولم يرشح نفسه في يوم من الأيام لكي يكون زعيماً على أحد، بل كان هو الرجل الذي يُدعى لتولي القيادة وتحمل المسؤولية. فرأينا في سيرته في العين عندما كان ابن الثامنة والعشرين وهو يُكَلَّف بأن يكون ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية، وذكرنا الأسباب وراء اختياره لتحمل المسؤولية وفي ذلك الظرف الصعب. ومن ثم، وبعد تجربة عشرين عاماً من الحكم في العين أجمعت الأسرة الحاكمة والشعب قاطبة على أن الشخصية القيادية التي يمكن أن تحكم الإمارة باقتدار هو الشيخ زايد، وَطُلِب منه أن يقبل هذا القرار وهذه المسؤولية تجاوباً مع الشعب ولمصلحة الوطن. وعندما قامت دولة الإمارات العربية المتحدة أجمع حكام الإمارات على أن الشيخ زايد هو الرجل المناسب لرئاسة الدولة لما قام به من دور عظيم لبناء هذا الاتحاد حتى سمي (باني الاتحاد). ثم ما إن رأوا صدقه وإنجازاته العظيمة في مسيرة الاتحاد، حتى تم انتخابه مرة تلو الأخرى حتى توفي رحمه الله. وجاء الفعل من الشعب لتتويج الجهود المخلصة التي بذلها من أجل التوصل إلى ذلك الاتحاد الذي يعد تجربة رائدة في عالمنا العربي، فبدون أدنى شك يشهد الجميع بحقيقة تاريخية واضحة أنه لولا الله ثم جهود الشيخ زايد وحكمته لظل موضوع الاتحاد مجرد حلم في مخيلة أبناء الإمارات.

وأقول هنا إن الشيخ زايد -رحمه الله- تمثل فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: «يا عبد الرحمن! لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن مسألة أُكِلْتَ إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة، أُعِنْتَ عليها» (١/٤٧). تمثل هذا الحديث في زايد وبوضوح، فهو لم يطلب الإمارة وهو أحق الناس بها، فزايد أحب وطنه وشعبه حباً بلا حدود، ونذر نفسه لخدمتهما فأعانه الله على ذلك فكان مثال القائد العربي والإسلامي الأصيل.

١-١٥ الاتحاد في فكر زايد

كان للاتحاد أهمية كبرى عند الشيخ زايد، فهو يراه ضرورة حتمية لمواجهة التحديات التي كانت تواجه المنطقة، وهو أيضاً ترجمة عملية لتعزيز أواصر القربى وصلات الرحم بين أبناء الإمارات جميعاً كما قال وقتها: «إن تجربتنا الاتحادية كانت نابعة في المقام الأول من الرغبة في زيادة أواصر القربى ومن قناعة الجميع بأنهم أهل، ولابد أن يجتمعوا تحت قيادة واحدة، فنحن لم يسبق لنا

صورة ١/٢٠. الشيخ زايد ذو فكر وحدوي نابع من تراثه الإسلامي.

تجارب اتحادية، ولكن قربنا من بعضنا البعض وصلة الرحم بيننا هي التي جعلتنا نؤمن بضرورة قيام اتحاد بيننا، يكون عوضاً عن التفتت والتمزق اللّذين كانا سائدين بيننا». ويقول أيضاً حول الاتحاد في تصريح لدى زيارته إلى دولة قطر في أبريل ١٩٧٧: «الاتحاد أمنيتي وهدفي، فأبناء هذه المنطقة شعب واحد، وأن أبناء هذه المنطقة إخوة من أصل واحد، لغتهم واحدة ودينهم واحد، وحتى الأرض التي عاشوا عليها منذ آلاف السنين كانت دائماً وحدة واحدة» (٤٩/١). وأكد في حديث هام آخر: «إن الاتحاد قام لأنه كان ضرورة يتطلبها أكثر من ظرف وأكثر من سبب أهمها الرغبة الملحة في ربط الشمل وجمع الكلمة في المنطقة باعتبار أن التماسك وجمع الصف وتوحيد النوايا كان الطريق الوحيد للوصول إلى القوة التي كنا ولا زلنا في أمس الحاجة إليها لنؤدي الرسالة الملقاة على عاتقنا ولهذا كله كان الاتحاد مطلباً ضرورياً من كل الجوانب» (٥٠/١).

أيقن الشيخ زايد ومنذ البداية أن الشعوب لا يمكن أن تستمر قوية حرة دون أن تجمعها الوحدة ويؤلف بين قلوب أبنائها الحب والتآخي والفداء، وكانت تجربته الأولى عندما كان حاكماً في العين قد أثبتت له أن التآزر أهم عناصر نهضة الأوطان.

كان الثاني من ديسمبر ١٩٧١ فجر يوم عظيم، وتاريخ جعل الحلم حقيقة، وترجم الأماني التي كانت بعيدة المنال إلى واقع يعيش إنجازاته كافة أبناء الإمارات وينعمون بخيراته، ولم يكن ذلك ليحدث لو لم يكن هناك الصدق والإخلاص في أولئك الرجال. كما أكد الشيخ زايد على هذا المعنى في حديث آخر بقوله: «لقد أدركنا منذ البداية أن الاتحاد هو السبيل لقوتنا وتقدمنا، وهو الوسيلة لإسعاد المواطنين وتوفير الحياة الكريمة لهم وللأجيال القادمة بمشيئة الله، كما أدركنا أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا في ظل دولة اتحادية وطيدة الأركان ثابتة الدعائم تعي الماضي بكل عِبره، وتعيش الحاضر بكل مكتسباته وإشراقاته، وتنطلق نحو مستقبل يواكب ركب الحضارة الإنسانية، وتتخذ من الإسلام منهجاً لسياستها الداخلية والخارجية لبناء الدولة وترسيخ دعائمها والوصول إلى الحياة التي ننشدها ونتطلع إليها» (٥١/١). وقال أيضاً: «إن الاتحاد ما قام إلا تجسيداً لرغبات وأماني وتطلعات شعب الإمارات الواحد في بناء مجتمع حر كريم يتمتع بالمنعة والعزة، وبناء مستقبل مشرق وضاح ترفرف فوقه راية العدالة والحق» (٥٢/١).

لقد جاهد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لقيام دولة الاتحاد، وكافح وصبر من أجل الحفاظ عليها واستمرارها وتقوية قواعدها وأركانها مؤكداً أهميتها وموقعها في نفسه قائلاً: «إن الاتحاد يعيش في نفسي وفي قلبي وأعز ما في وجودي، ولا يمكن أن أتصور في يوم من الأيام أن أسمح بالتفريط فيه أو التهاون نحو مستقبله»، ويضيف إلى ذلك: «لو كان لدي بعض الشجرات مثلاً وزرعتها وسقيتها ثم أثمرت فهل يهون علي أن أفرط فيها أو أن أسمح لأحد بالعبث بها فكيف الحال إذا كان الأمر يتعلق بدولة ولدت ثم ترعرعت ثم ازدهرت ثم أخذت مكانها العظيم بين الدول، فهل يهون عَليَّ أو على أي ممن شهد بناء هذه الدولة وشارك فيها التفريط في أي شيء من مصالح وكيان هذه الدولة.. لا أعتقد» (٥٣/١).

ويعلن في مناسبات أخرى حرصه على الاتحاد وتعهده للمحافظة عليه وعلى مكاسبه قائلاً: «إنني على استعداد لأن أعطي أكثر مما أعطيت، أعطي لأحافظ على مكاسب المواطنين في الاتحاد، أعطي لأحافظ على الوطن الذي كبر ونما، أعطي لأحافظ على الكيان الاتحادي من أجل هذا الجيل والأجيال القادمة، وسأُعطي كل ما أملك وكل ما أقدر عليه من أجل هذه الأرض وهذا الشعب. لا شيء عندي غالٍ بالنسبة للوطن والمواطن وسأكافح من أجل هذا».

١-١٦ للاتحاد مكاسب

للاتحاد مكاسب عديدة يصعب حصرها، وإن كان أروعها قدوم زايد لقيادة دولة الإمارات العربية المتحدة. لقد تشكلت هذه المنطقة منذ أقدم العصور لكن مكانتها بين شعوب العالم لم تبرز إلا بعد تولي الشيخ زايد قيادتها. لقد جعل الشيخ زايد، الذي جمع الله على يديه هذه الأمة على كلمة واحدة وقيادة واحدة ومصير واحد، همه الأول ومنذ اللحظات الأولى لتوليه رئاسة الاتحاد سعادة الإنسان على هذه الأرض وتحقيق تطلعاته وطموحاته في العيش كريماً، مستقراً، آمناً، عزيزاً، مرفوع الرأس بين الأمم، نذر نفسه وكرّس كل جهده لخدمة المواطن وبناء دولة حديثة مستقرة يكون لها مكانة بين دول العالم المتقدم، وفي هذا كان يقول: «إن سعادة ورفاهية المواطنين أمانة في عنقي، وإنني وإخواني الحكام حريصون على السهر وبذل كل جهد من أجل خير المواطنين وتحقيق المزيد من التقدم والرقي للوطن»، ويقول أيضاً: «إن هدف إقامة اتحاد الإمارات العربية المتحدة هو توحيد الكلمة، وهدف الاتحاد الأول هو خدمة المواطنين ورفع مستواهم وتوفير سبل العيش الكريم لهم والإهتمام بثقافتهم وصحتهم وأمنهم».

ومنذ اللحظات الأولى أعلن الشيخ زايد مشاريعه الطموحة تحت مظلة الاتحاد، فصرح في حديث لصحيفة العمل التونسية بتاريخ ٦ يونيو ١٩٧٢: «إن أهم المشاريع التي نتطلع إلى إقامتها هي المشاريع الأساسية أولاً مثل الصحة والتعليم والإسكان والمواصلات ومرافق الحياة الضرورية، هذه مشاريع نهتم بها بشكل أساسي وكلما اكتشفنا أن هناك مشروعاً فيه مصلحة لمواطني دولة الإمارات، فإننا سنأمر فوراً بإقامته للاستفادة منه، أما المشاريع الاتحادية الكبرى فإننا نضعها في اعتبارنا وفي حسابنا لنقوم بتنفيذها في المستقبل» (١/٥٤). وبالفعل وفي فترة زمنية قصيرة من نشأتها، حققت دولة الإمارات العربية المتحدة إنجازات عظيمة وعلى جميع الأصعدة فاقت كل التوقعات، فشهدت البلاد في ظل الاتحاد تطوراً سريعاً في جميع ميادين الحياة، وتحولت الدولة عديمة البنى التحتية خلال سنوات قلائل إلى دولة عصرية مزدهرة ينعم مواطنوها بالرفاه والرخاء، فأدهشت بذلك كل المراقبين والزائرين لهذه الأرض. وبدأ ذلك الكيان الصغير المسمى قديماً

صورة ١/٢١. متابعة دؤوبة من الشيخ زايد لمشاريع التنمية.

بالإمارات المتصالحة يأخذ مكانه المناسب بين دول العالم حتى أصبح مدعاة فخر للجميع بالمنجزات التي تحققت على أرض هذا الوطن، وكان ثمرة واضحة للجهد الحثيث الذي بذله الشيخ زايد - رحمه الله- وإخوانه أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد حكام الإمارات، ويقول الشيخ زايد في هذا الشأن: «إننا سخرنا كل ما نملك من ثروة وبترول من أجل رفع مستوى كل فرد من أبناء شعب دولة الإمارات إيماناً منا بأن هذا الشعب صاحب الحق في ثروته وأنه يجب أن يعوض ما فاته ليلحق بركب الحضارة والتقدم».

وبعد مضي أقل من ثلاث سنوات (أكتوبر ١٩٧٤)، يؤكد الشيخ زايد لصحيفة الجزيرة السعودية نجاح تجربة الاتحاد قائلاً: «لقد تحققت الأماني بفضل قيام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة الذي أسهم كثيراً في تغيير صورة الحياة في هذه الأرض وإنجاز العشرات من المشروعات في شتى المجالات وتحقيق التقدم والازدهار في كل ناحية من النواحي». وأضاف: «إننا لم نكن ننعم بكل هذه الإنجازات التي تفوق كل تصور وبهذه السرعة التي تفوق كل

معدلات التنمية المعروفة». ويقول أيضاً: «لقد أثبتت تجربتنا أن الوحدة هي السبيل إلى تحقيق الإنجازات الضخمة والانتقال من التخلف والحرمان إلى التقدم والخير. إن المواطن يحصد الآن ثمرات هذا الاتحاد الذي انتقل بنا من التفكك إلى التلاحم، ومن التخلف إلى البناء والازدهار» (٥٥/١).

لقد تمكن الشيخ زايد من قيادة مسيرة الاتحاد بحكمة وصبر رغم العديد من العقبات والصعاب التي كانت تعترض طريقه، لكنه وكما عُرِف عنه طوال حياته كقائد لم يكن يعرف المستحيل، أو يقف أمام العثرات أو الأزمات، بل كان أكثر الناس حكمة وقوة وإصراراً في تخطي أي معضلة تعترض طريقه في تطوير مشروع الاتحاد وبنائه. وأصبحت تجربة الاتحاد وإنجازاته تجربة ناجحة بكل المقاييس، والأهم من ذلك كله أن هذه الإنجازات جاءت مُدَعَّمة باستقرار اجتماعي وسياسي. ويؤكد الشيخ زايد دور الاتحاد في تحقيق هذه الإنجازات قائلاً: «لقد أدركنا منذ البداية أن الاتحاد هو السبيل لقوتنا وتقدمنا، وهو الوسيلة لإسعاد المواطنين وتوفير الحياة الكريمة لهم وللأجيال القادمة بمشيئة الله. كما أدركنا أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا في ظل دولة اتحادية وطيدة الأركان ثابتة الدعائم تعي الماضي بكل عِبره، وتعيش الحاضر بكل مكتسباته وإشراقاته، وتنطلق نحو مستقبل يواكب ركب الحضارة الإنسانية، وتتخذ من الإسلام منهجاً لسياستها الداخلية والخارجية لبناء الدولة وترسيخ دعائمها والوصول إلى الحياة التي ننشدها ونتطلع إليها».

ويرسم لنا الشيخ زايد صورة حية لما كان عليه حال الوطن عند قيام الاتحاد وكيف أصبح فيقول: «إن بعض المدن في الإمارات لم يكن فيها قبل الاتحاد مدرسة واحدة وأصبح فيها الآن عشرات المدارس الحديثة، وبعض المدن لم يكن فيها قبل الاتحاد صيدلية وأصبح فيها الآن العديد من المستشفيات والعيادات، وبعض الإمارات لم يكن فيها طريق معبد والآن أصبحت الطرق الحديثة السهلة تربط بين المدن والقرى وتسهل انتقال المواطنين من الصحراء إلى المدن».

ويقول أيضاً: «إن ما تحقق يستحق الشكر والحمد لله على هذه النعمة.. وما زال أمامنا خطوات يجب أن نقطعها بجدية وإخلاص، والله يعلم أنني وإخواني الحكام مستمرون على هذا الطريق والنهج نفسه، لتحقيق المزيد من الإنجازات وتوطيد أركان الدولة، لأنها السبيل إلى الرقي وتعزيز مكانتنا بين دول العالم. نحن اليوم أكثر عزماً وتصميماً ونشعر بالفخر والاعتزاز لأن ما وضعناه من ركائز وبذور طيبة قد أنتج بناءً قوياً، وإن شعب الإمارات يستحق كل الخير. لقد صبرنا رغم العقبات ولكن اليوم أنجزنا للشعب كل ما تطلع إليه من آمال وطموحات».

وفي تصريح آخر يبدي الشيخ زايد أيضاً ارتياحه وغبطته لما تحقق للوطن من تقدم ونهضة ولشعب الإمارات من رخاء ورفاهية بفضل مشروع الاتحاد فيقول: «في الحقيقة إنني سعيد وأشعر بالسعادة الكبرى لأن الله سبحانه وتعالى أراني ورأيت هذا الوطن قبل سنوات في وضع ووجدته اليوم في وضع آخر، وضع مزدهر ومتقدم إن كان في الوطن أو في الشعب وفي كل مجال من المجالات وهذا ما هو إلا هبة من الله سبحانه وتعالى وتوفيق ودعم من الخالق لعباده ورضى الله على عباده في أرضه. إن كل ما سهرت عليه مع إخواني حكام الإمارات بحرص وصبر قد تحقق، ولقد وصلنا بعون الله وتوفيقه مرحلة رسخنا فيها أقدامنا على طريق بناء الوطن وحققنا أهدافاً كانت تبدو بعيدة المنال والتي لم تتحقق بسهولة بل تحدينا من أجلها الصعاب» (٥٦/١). وأضاف إلى ذلك: «إن ما أنجز يفوق كل تصور وذلك بعون من الله وتوفيقه أولاً، وبتوفير الإرادة المخلصة وإنه ليس هناك مستحيل أمام العزم الأكيد وإخلاص النوايا لخدمة الشعب». ويقول أيضاً في مناسبة أخرى: «لقد حصدنا الكثير وحصدنا ما لم يتصوّره المواطن أو الصديق أو الشقيق، وأن خير ما حصدناه في هذا الوطن هو بناء الإنسان الذي نعطي له الأولوية في الاهتمام والرعاية» (٥٧/١).

لقد أكرم الرازق سبحانه وتعالى شعب الإمارات أن وهبهم قائداً فذاً يرفق بهم ويرعاهم ويحمل أمانتهم ويحرص على مصالحهم.

١-١٧ من إشراقات العبقرية

- انطلقت مع توليه حكم الإمارة عجلة البناء والتعمير في كل اتجاه يصاحبها في المستوى نفسه عجلة التخضير والتشجير على أرض الإمارة.
- حقق الشيخ زايد خلال سنوات قلائل من توليه مسؤولية الحكم في الإمارة (وهي لم تتجاوز الخمس سنوات حسب

الخطة الخمسية التي وضعها) أعمال ومشاريع عملاقة تم إنجازها في زمن قياسي بكل المعايير والمعدلات الدولية للتنمية، وشهدت الإمارة تحولات جذرية على طريق التقدم والازدهار. كما وضع خططاً متلاحقة للتنمية الشاملة لتنفيذ المئات من مشاريع التطوير والتحديث والخدمات في آن واحد لتطوير الإمارة على أسس عصرية.

- بدأ سعي الشيخ زايد في مشروع الوحدة بين الإمارات فور توليه حكم إمارة أبوظبي، وبذل له كل جهد، واستمر ما يزيد عن الثلاث سنوات في العمل على تقريب وجهات النظر بين حكام الإمارات، حتى أثمرت جهوده عن قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في الثاني من ديسمبر ١٩٧١، فكان ذلك المشروع تجربة وحدوية فريدة في التاريخ الحديث.
- وحين تسلم الشيخ زايد مقاليد رئاسة الدولة لم تقلل المسؤولية الجديدة من المتابعة الميدانية لشؤون التنمية، بل كان يهتم بكل صغيرة وكبيرة.
- ولم يُسَخِّر الشيخ زايد المال فقط لإسعاد أمته بل نذر نفسه لخدمتها، وأخذ يجوب البلاد طولاً وعرضاً يتابع بنفسه عمليات التشييد والبناء، ويتنقل من منطقة إلى أخرى يتفقد مشاريع التنمية والإعمار، ويقود تحدياً غير مسبوق للحاق بركب الحضارة والتقدم.
- كان الشيخ زايد مثالاً للقائد الذي وجه ثروة وطنه للنماء والتطوير وتوفير الحياة الكريمة للشعب، وإن هذه الكلمات التي كان يؤمن بها لخير دليل على صدق القائد: «لقد عاش شعب هذه المنطقة على مدى مئات من السنين من التخلف، وقد منحنا الله الثروة مؤخراً وأصبحت بمثابة الوالد الذي يجب أن يرعى أطفاله حتى يشبوا في صحة وقوة، ومن واجب الأب أن يتعهد أولاده حتى يجتازوا مرحلة المراهقة ويصبح كل منهم قوي البنية وقادراً على العمل، ومن هنا فإن واجبي الأول هو أن أوفر للمواطنين كل مقومات الحياة الكريمة».
- كان للاتحاد مكاسب لا حصر لها، لم تكن لتتحقق لولا الصدق والنية الحسنة من قلب الشيخ زايد. وما زال الاتحاد باقياً في قلوب شعب الإمارات.. ينعم به الجميع.. وجذوره عميقة في أرضها إلى يومنا هذا.. وكل ذلك ببركة الصدق والإخلاص في العمل من قادة الاتحاد المؤسسين.

إن التحدي هو الذي يخلق رجل الأحداث، والقادة لا يزدهرون في أسهل الظروف، وإنما بالعكس يزدهرون في الظروف التي تتحداهم أشد التحدي، وكلما إزداد التحدي صاروا أكثر عظمة، والانتصار على الصعاب والعقبات يؤهل رجال الأحداث لتبوؤ الزعامة، وذلك أن الشعوب تعجب بالأعمال قبل الرجال، وإذا ما أعجبت بالأعمال فإنها سرعان ما تمنح الرجال الثقة وتعطيهم زمام القيادة.

أرنولد توينبي - مؤرخ بريطاني

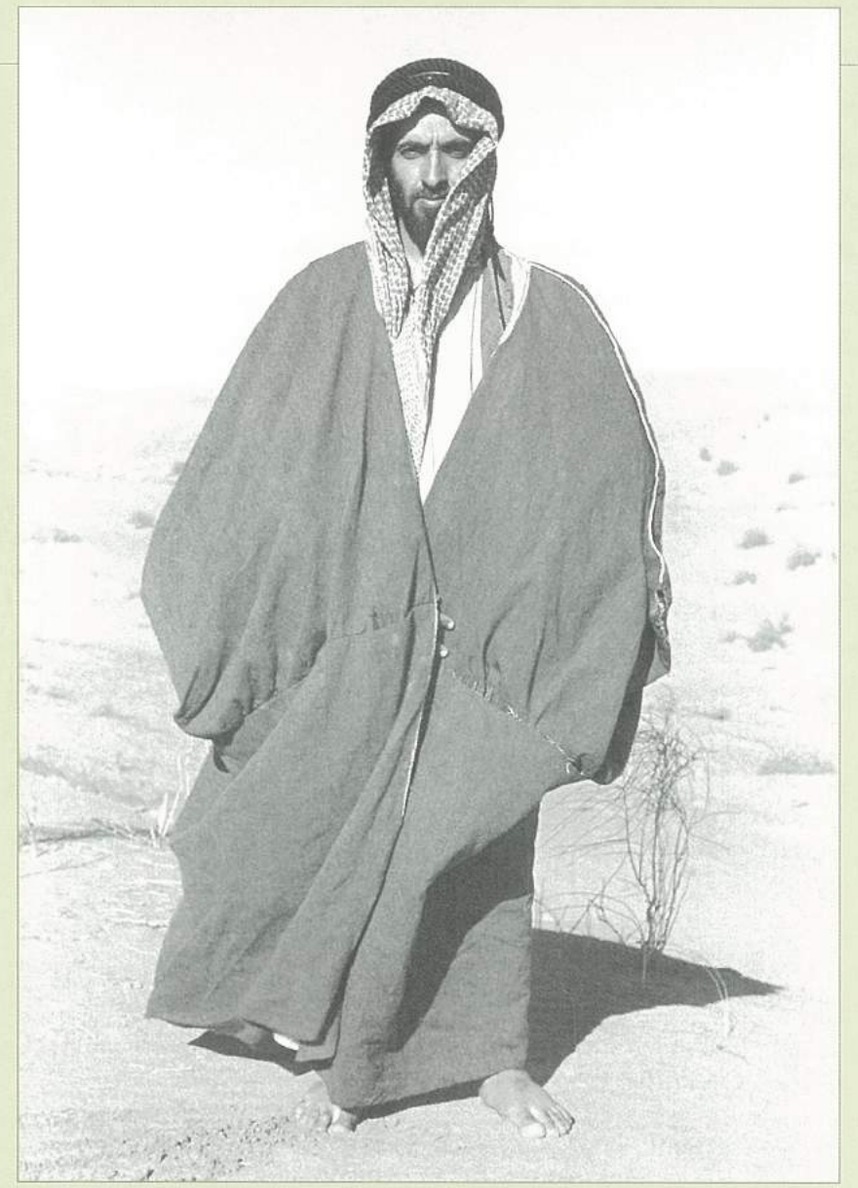

الشيخ زايد في صحراء العين في منتصف القرن العشرين (ويلفريد ثيسيجر، ١٩٤٩).

الفصل الثاني

عبقرية زايد في العين
(١٩٤٦_١٩٦٦)

٢-١ العين التحدي الأول والمهمة الصعبة

٢-٢ إدراك مبكر لأهمية الزراعة في حياة الشعوب

٢-٣ زايد يطور أفلاج العين

٢-٤ زايد يمنع الإتجار بالمياه ويصلح نظام الري

٢-٥ زايد يتوسع في استصلاح الأراضي ويشجع الشعب

٢-١ العين.. التحدي الأول والمهمة الصعبة

لم تكن المسؤولية التي ألقيت على عاتق الشيخ زايد بن سلطان كممثل للحاكم في مدينة العين والمنطقة الشرقية بالمهمة السهلة، بل كانت عبئاً أكثر منها ميزة. فلقد ذكرنا في الفصل السابق، إضافة إلى عدم الاستقرار في تلك المنطقة، فقد كان شح الموارد عقبة رئيسية في سبيل أي تنمية، ويمكننا أن نقول إن الشيخ زايد -رحمه الله- قد تسلم العين بدون موارد تذكر.

فعندما تولى زايد مسؤولية العين تأمل واقع الحال في تلك المنطقة والظروف الصعبة التي كانت تسود المدينة ويعاني منها الناس، فوجد أنه مسؤول عن مدينة محدودة الموارد، اقتصادها ضعيف، شعبها يعاني الفقر والعوز وقلة التعليم، القوي يظلم الضعيف، والغني يستغل الفقير، ويكثر السلب والنهب، وتتوالى الصراعات القبلية إما بسبب تدخل الدول المجاورة والتي كان لها أطماع سياسية في المنطقة، أو بسبب التنافس على الموارد. كان الماء في العين شحيحاً، ويباع بأغلى الأثمان، فكان على زايد أن يفكر في كل ذلك وأن يواجه تلك الظروف.

لقد أحس زايد بمعاناة الناس فقرر ومنذ البداية أن يعمل بكل ما أوتي من قوة وإمكانيات لتخفيف تلك المعاناة ومهما يكلف الأمر. لقد أحس وأدرك حاجة الشعب إلى إصلاحات كثيرة ورغبتهم في مثل الحياة الطيبة التي بدأت تظهر حولهم في بلدان الخليج الأخرى، وكان زايد يحلم في تعويضهم عن سنوات الفقر والحرمان.

ولقد واجهته مشكلة قلة الإمكانيات بكل معناها وتمثلت في قلة المال، وشح الموارد، وكان لا يملك إلا القليل القليل من كل شيء، حتى من الماء مصدر الحياة وعمادها. لكن النفوس الكبيرة لا تعرف اليأس مهما صادفت من صعاب وعقبات. وكيف السبيل إلى تحقيق العيش الكريم لأبناء بلده ومواطنيه الذين ينتظرون منه الغيث ويرون فيه الأمل؟ لم يكن الاستسلام أو انتظار العون هو السبيل، شعر بحجم المسؤولية ووعى مبكراً أنه يحمل أمانة عظيمة تجاه ربه وتجاه شعبه، فأخذ على عاتقه مسؤولية البدء في التغيير مهما يكلف ذلك من جهد ومال. بدأ زايد يفكر ويضع الخطط لإصلاح ما يمكن إصلاحه بالمال القليل والجهد الكبير، وضرورة توفير الممكن، فانطلق وبإصرار يدخل إصلاحات هامة ترضي آمال وطموحات المواطنين هناك، ولسوف نتتبع في هذا الفصل تلك الأعمال والإصلاحات التي بدأ بها زايد مشواره السياسي لتغيير واقع الحال الصعب.

٢-٢ إدراك مبكر لأهمية الزراعة في حياة الشعوب

كان أهالي مدينة العين ومنذ القدم يمتهنون الزراعة ويعتمدون عليها اعتماداً كبيراً كونها تشكل لهم مصدر الدخل الرئيس، ويكاد يكون المصدر الوحيد في تلك المدينة محدودة الموارد أصلاً، كما كانت التمور التي تنتجها واحات النخيل غذاءً رئيساً لأهالي المنطقة في تلك الفترة من التاريخ. ومنذ أن تولى زايد أمور العين أدرك بعبقريته الفذة وببصيرته الثاقبة أهمية الزراعة للمدينة، كما أدرك أن اقتصادها يمكن أن يتحسن بتحسن الزراعة، وهذا بدوره سوف يسهم في رفع جزء من معاناة الشعب وتخفيف وطأة الفقر عليهم. فوضع الشيخ زايد نصب عينيه ومنذ اللحظات الأولى لتوليه المسؤولية أهمية وضع خطة عمل لتطوير الزراعة في المدينة والتوسع فيها رغم معرفته المسبقة بالظروف القائمة على أرض هذه المنطقة، فالماء قليل لا يكفي لري الواحات القائمة، ناهيك عن التوسع بزراعة أراضٍ جديدة، والمال قليل لدى الحاكم والمحكوم، كما يضاف لتلك العقبات عقبة أخرى كانت قائمة وهي تجارة الماء التي كان يمارسها الأغنياء من سكان المدينة، فيتوجب التغلب عليها للحد من تحكمهم في مياه الأفلاج.

ولم تكن تلك المشكلات لتعيق طموح الشيخ زايد في تحقيق التنمية الزراعية للمدينة والتي يرى أنها سوف تسهم في رفع مستوى اقتصادها. فوضع زايد خطة واضحة لتحقيق ذلك الهدف تتكون من ثلاثة مهام رئيسة: الأولى، توفير الماء الذي يعد العصب الرئيسي للحياة في تلك المناطق، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بحفر أفلاج جديدة وإصلاح وترميم الأفلاج القديمة. والمهمة الثانية هو إصلاح نظام السقاية حتى يكون هناك نظام زراعي سليم قائم على مبدأ العدالة والمساواة. أما المهمة الثالثة، فهي التوسع في الرقعة

الزراعية، ويمكن ذلك عن طريق استصلاح أراض جديدة، وتشجيع الناس على الزراعة وحثهم على إحياء مزارعهم التي أهملوها بسبب ضعف تدفق الماء من الأفلاج وارتفاع سعره.

٢-٣ زايد.. يطور أفلاج العين

كان شُح المياه العذبة إحدى أهم المشكلات التي واجهت سكان أبوظبي قبل اكتشاف النفط، لذا نجد تركزاً للسكان في الواحات التي تتميز بوجود المياه الصالحة للشرب والزراعة مثل قرى العين ومحاضر ليوا. وتعتبر مدينة العين من المدن الخليجية كثيرة الأفلاج كما في سلطنة عُمان والمملكة العربية السعودية، وهي أكثر مدن الإمارات احتواءً لها، حتى إنها توصف بمدينة الأفلاج. وكما أشرنا سابقاً، كانت تلك الأفلاج بمثابة شرايين الحياة لدى أهل العين، فلولاها لما كان لواحات العين وقراها السبع أن تقوم في هذه المنطقة الصحراوية، وهذه كانت نعمة وهبها الله لأهالي المنطقة، وصدق الله العظيم الذي قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١/٢).

ومن أهم المسائل التي كان الشيخ زايد يوليها اهتمامه الأول في العين وتوابعها لدى توليه مسؤولية ممثل الحاكم مسألة توفير المياه لواحات العين، ولذا فقد حرص على تطوير أفلاج العين منذ اللحظة الأولى لتوليه المسؤولية، إدراكاً منه بأنه لا يمكن أن يتحسن اقتصاد المدينة المعتمد في الدرجة الأولى على واحاتها إلا بتطوير إنتاجيتها من التمور والزراعات الأخرى وزيادة رقعتها الزراعية. ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بتطوير أفلاجها وزيادة إنتاجيتها من المياه. الأمر الآخر الذي جعل الشيخ زايد يهتم بالأفلاج هو ندرة الماء في المدينة حيث كان يباع بأثمان غالية لا يطيقها الفقراء، وكان الأغنياء يستغلون ذلك الأمر. لذا اهتم الشيخ زايد بحفر آبار المياه العذبة وإصلاح وتشييد الأفلاج خلال فترة حكمه للعين (١٩٤٦-١٩٦٦) وكان هذا نابعاً من إدراكه لأهمية المياه بالنسبة للسكان ولتطوير الزراعة في المدينة.

لقد أُهملت أفلاج العين في فترة ماضية، ودُمر عدد منها وذلك نتيجة للحروب والنزاعات القبلية الكثيرة التي وقعت في المنطقة، فيقول السيد أحمد بن محمود في مذكراته: «دفنت معظم الأفلاج نتيجة للحروب الكثيرة بين القبائل، وبدأت أشجار النخيل تموت بسبب شح المياه». كان السكان المحليون يعتبرون الأفلاج أشياء حية فيشيرون إلى موتها عندما كانت تمتلىء بالطمي ويقف تدفق ماؤها (٢/٢). ومن أسباب إهمال تلك الأفلاج أيضاً، حسب ما قاله الشيخ زايد -رحمه الله- في ذلك الحين: «أن عزيمة الناس قد ثبطت»، وهذا بلا شك يرجع أيضاً إلى فاقة الناس وغياب القائد المحفز، فسرى في جنباتهم اليأس والإحباط من إصلاح الواقع.

وهنا أتوقف قليلاً للتعريف بهذه الأفلاج ومدى صعوبة إنشائها لنعطي للقارىء والأجيال القادمة فكرة عنها وحجم المعاناة في إنشائها. يمكن أن نُعرِّف الفلج بأنه نبع ماء يجري في قناة محفورة تحت سطح الأرض ثم يظهر ذلك النبع على سطح الأرض في نهاية تلك القناة لتروي الواحات. والأفلاج عبارة عن نظام معقد من القنوات المائية حفرها سكان مدينة العين منذ القدم، على أعماق تتراوح بين ٩٠ إلى ٩٥ قدماً من سطح الأرض من خلال آبار رأسية تسمى (ثقوب أو ثقاب) ثم تتصل في العمق عند النبع من خلال حفر قنوات أفقية تسمى (السل) فتتصل هذه الآبار بعضها ببعض تحت سطح الأرض فتبدو مياهها في العمق كنهر صغير يجري عدة كيلومترات. ولآبار الفلج فتحات تسمى (الثقاب) ومفردها (الثقبة) ويفصل كل اثنتين منها بضع مئات من الأمتار، و(الثقبة) هي فتحة البئر، وتحاط بالحصى والصاروج. ويتم إعداد الصاروج بإحضار جذوع النخيل وعمل طابوق من الطين ثم يوضع الحصى على جذوع النخيل ويرص فوقها الطابوق الطيني، بحيث يترك به أربع فتحات من كل جانب. ومن خلال هذه الأفلاج ابتكر أهالي المنطقة نظاماً فريداً في هندسة الري، وللمزيد من المعلومات عن الأفلاج انظر (ملحق ٢).

وعندما اتخذ الشيخ زايد قراره لتطوير الأفلاج وضع خطة لاستثمار المياه الجوفية في مدينة العين مبنية على أمرين، الأول إصلاح الأفلاج القديمة وصيانة الأخرى وتزويدها بآبار جديدة. والثاني حفر أفلاج جديدة. وبالفعل بدأ الشيخ زايد أولاً بصيانة الأفلاج القائمة وتنظيفها وإصلاح الأفلاج القديمة المهملة وتزويدها بالآبار الجديدة. وكان يقوم بنفسه بتحديد أماكن تلك الآبار (ثقاب) ويأمر بحفرها ثم توصيلها بالمجرى الرئيسي لتلك الأفلاج الميتة وذلك

من أجل زيادة كمية مياهها، فبدأ رحمه الله حملة عمل منظمة لجعل الماء ينساب بغزارة في تلك الأفلاج المهملة.

ومن أعظم أعمال الأفلاج التي قام بها الشيخ زايد حفر فلج الصاروج ويعرف كذلك (بفلج العين أو العيني)، ويعد أكبر وأغزر أفلاج العين، والذي بني في ظروف صعبة كفيلة بأن تثني ذوي الهمم العالية عن مواصلة العمل، إذ تطلب حفره مالاً وجهداً كبيرين وسنوات من العمل كثيرة. بدأ العمل بحفر هذا الفلج العظيم عام ١٩٤٨، أي بعد سنتين من تولي الشيخ زايد مسؤولية ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية، واستغرق حفره ثمانية عشر عاماً وبلغ طوله نحو ١٥٠٠ متر (٣/٢).

وبسبب اهتمامه الكبير بإعادة العمل بتلك الأفلاج، أحضر الشيخ زايد بعض البدو من قبيلة العوامر من سلطنة عُمان، وكانوا متخصصين في حفر الأفلاج، واتفق معهم على حفر فلج الصاروج، وكان يشرف عليهم بنفسه، كما يروي السيد أحمد بن محمود الذي رافقه في تلك الفترة وكان سكرتيره الخاص. ويتابع بن محمود قائلاً: «كان يأمرني أنا والمرحوم محمد بن شيبان المهيري أن نقيس طول الحفر، لأنه متفق مع العوامر أن يدفع لهم على الباع (الباع: متر ونصف تقريباً) وكان زايد ينزل بنفسه في البئر ليرى مدى صلاحيتها رغم خطورة النزول إليها» (٢/٢).

ولقد شارك الشيخ زايد -رحمه الله- أهالي العين في حفر الأفلاج، وخاصة فلج الصاروج، فلم يجلس زايد حينها في بيته أو في خيمة ظليلة يتابع منها أعمال الحفر من بعيد، بل كان يعمل مع الرجال يداً بيد، وكان يسدي بأفكاره وتعليماته ليرشد القوم إلى المسار الصحيح للفلج. ويقول السيد أحمد بن محمود في هذا الشأن: «كان الشيخ زايد يشارك الناس في تجديد وحفر الأفلاج في العين، كان ينزل معنا إلى الفلج إما للحفر وإما للمتابعة والمعاينة» (٢/٢).

ولقد تحدث الشيخ زايد عن تجربته تلك باعتزاز والتي شارك فيها المواطنون وعن مشروع فلج العين وحفر الآبار الأخرى لتطوير إنتاجه من المياه قائلاً: «كانت مجالاً أظهر قيم التعاون والشهامة والعمل الكريم الذي يتمتع به أبناء الإمارات من العين». ويقول السيد محمد بن هلال الكويتي أحد المشاركين في ذلك العمل التاريخي: «عندما قاد الشيخ زايد بنفسه عملية توسيع وحفر آبار الفلج العيني، كان لي شرف المشاركة مع غيري وراء الشيخ زايد -رحمه الله- بهذا العمل التاريخي لتوسيع هذا الفلج وزيادة كمية مياهه، لأن مياه هذا الفلج كانت في ذلك الوقت ضعيفة، ولم تكن تكفي لتحقيق طموحه الكبير في زيادة مساحات النخيل والرقعة الزراعية على حساب الصحراء الشاسعة. ولقد كانت مشاركة الناس في العين مع زايد في هذا العمل تجربة اجتماعية وتاريخية رائعة لا ينساها المواطنون أبدا، والحمد لله بعد كل ما أنجز من عمل أصبح الفلج يغطي حاجة النخيل ويفيض» (٤/٢).

وعن تجربة مشاركة الشيخ زايد قومه في أعمال حفر الأفلاج يروي السيد سلطان بن أحمد الكويتي، وهو أحد المسؤولين في لجنة الأفلاج في بلدية العين، فيقول: «وكان للشيخ زايد الفضل في إعادة تنظيف وصيانة أفلاج العين، وقد قام بنفسه في إحدى السنوات بالنزول إلى إحداها خلال عملية الصيانة، ليكون قدوة لأبناء المنطقة في الحفاظ على الإرث والموارد وفي التمسك بالعمل الجماعي» (٤/٢). وهذا ما أكده أيضاً السيد محمد هلال الكويتي الذي يصف كيف كان الشيخ زايد مهتماً وحريصاً على أن يشرف بنفسه على أعمال حفر الأفلاج فيقول ذاكراً قصة تجربة خاضها بنفسه: «كان المفروض أن نحفر الفلج من تربين أي ممرين، نبدأ بالأول وننتهي بالآخر، ولكن وسط المسافة تهدم الترب الأول وخرجنا من الثاني بعناية الله وحفظه، وأذكر في تلك الأيام حضور الشيخ زايد -رحمه الله- عمليات حفر الفلج، وكان يزورنا دائماً ويشرف على الأعمال بنفسه، ويقدم لنا أطيب المأكولات والمشروبات، ويشد على أيدينا بالتشجيع والمثابرة، وعندما ننتهي من فلج نتوجه إلى فلج آخر» (٤/٢).

ويروي أحد الذين عاصروا ذلك التاريخ وشارك في تلك التجربة قائلاً: «أن زايد هو الذي سهر وهو الذي تعب.. ومنذ زمن خليفة بن زايد الأول لم يطور الأفلاج سوى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان» (٥/٢). ويروي أيضاً من شهد تلك التجربة: «أن الشيخ زايد -رحمه الله- هو الذي كان بنفسه يحدد أماكن، وفي كل ما أشار وما وجه به صدقت رؤيته» (٥/٢).

ويصف السيد حامد النيادي، وهو أحد الذين شاركوا في فترة لاحقة في تقوية فلج العيني عندما خف ماؤه، كيف كان الشيخ زايد هو الموجه والمخطط والخبير لهذا العمل فيقول في روايته: «لقد تم توصيل الآبار الجديدة بالقديمة، واتجهنا إلى الجنوب لمواصلة

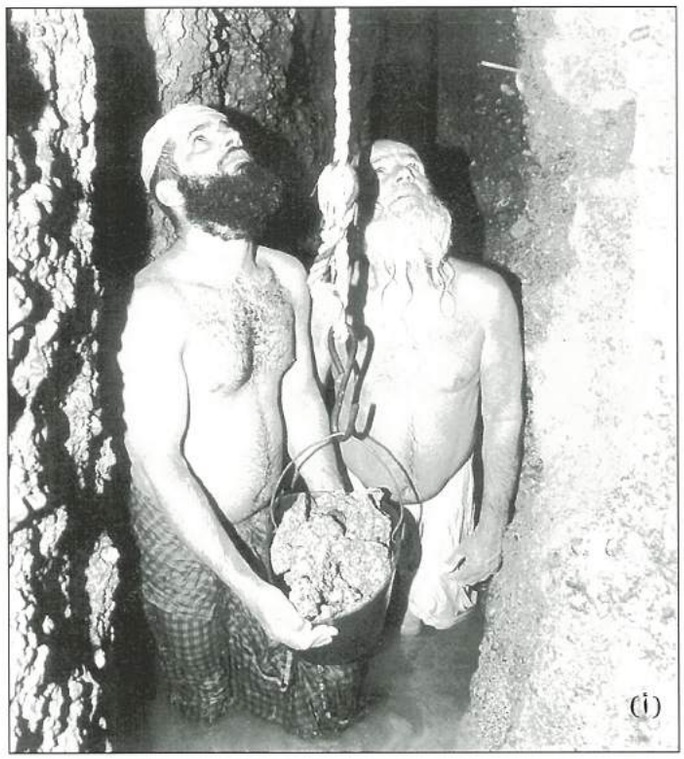

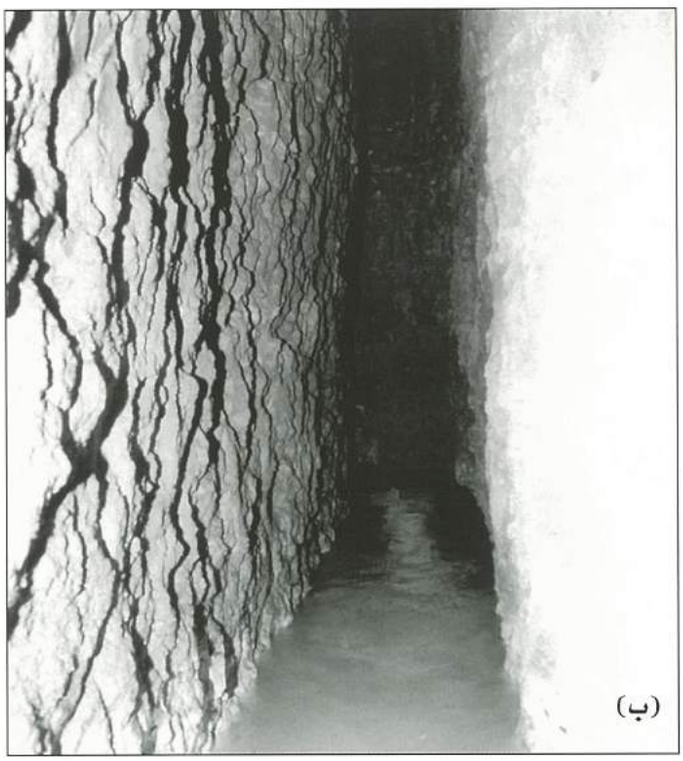

صورة ٢/٢ (أ، ب، ج، د). الأفلاج: نظام معقد من القنوات المائية تجري تحت سطح الأرض حفرها أهالي المنطقة منذ القدم لري واحاتهم. أ. عاملان يقومان بتنظيف الفلج تحت سطح الأرض، ب. صورة للفلج من الداخل، ج. عامل يقوم بسحب الحجارة من فتحة الثقبة، د. فلج العيني يسقي واحة نخيل العين.

توصيل الآبار الجديدة مع القديمة، وهذا كله حسب تخطيط وتوجيه الشيخ زايد عندما زار هذه المنطقة قبل ١٧ سنة وأشار بالحفر هنا قائلاً: إذا حفرتم هنا ستجدون ماء لأنها تحت الجبل» (٥/٢). وهكذا نستشف من شهادات أولئك الرجال أن الشيخ زايد كان خبيراً وضليعاً في معرفة أماكن المياه الجوفية، كما أنه كان مهتماً في خدمة هذه الواحات وتوفير كل ما تتطلبه من احتياجات.

وهنا أستشهد بتقارير وشهادات الطرف الآخر، وأقصد المسؤولين البريطانيين، حيث كانوا قريبين من الأحداث الجارية في المنطقة ويتابعونها بدقة ثم يكتبون تقاريرهم لحكومتهم التي كانت تسيطر على المنطقة وترصد الأعمال الجارية فيها. كما أن مذكرات الرحالة الأجانب الذين مروا بالمنطقة وكتبوا عنها تشكل مصدراً آخر هاماً يمكن الاستشهاد والاستدلال به لمعرفة أعمال الشيخ زايد وتاريخ المنطقة في ذلك العصر. ففي تقرير للمقيم البريطاني بتاريخ ٣١ مارس ١٩٥٧، أشار إلى أن أحد المسؤولين البريطانيين زار منطقة العين وتفقد جميع أفلاج الواحة وبساتينها، كما أشار التقرير إلى أن الشيخ زايد بدأ العمل في اثنين من هذه الأفلاج الثلاثة بهدف زيادة تدفق المياه عبر تنظيم الأقنية الموجودة تحت الأرض وتوسيعها (٦/٢).

ويورد جوليان ووكر مساعد المعتمد البريطاني في كتابه (Tyro On The Trucial Coast) تفاصيل زيارته للعين مع العقيد بوستد (Boustead) عام ١٩٥٤، ومدى اهتمام الشيخ زايد بالمياه والأفلاج، فيقول: «كانت واحة البريمي أحد المراكز الزراعية على الساحل، وبما أن الشيخ زايد كان مهتماً جداً وقلقاً فيما يتعلق بمواردها المائية، كان من الطبيعي جداً أن نأخذ العقيد ليزورها، وكان الشيخ زايد هو من سيستضيفنا خلال هذه الزيارة» (٧/٢). أما العقيد بوستد الذي كان يشغل منصب الوكيل السياسي البريطاني في أبوظبي فقد كتب مذكراته لاحقاً في كتابه الشهير (رياح الصباح) ووصف فيه الأعمال التي كان يقوم بها الشيخ زايد في هذا المجال والتي تدعو للفخر والدهشة قائلاً: «لقد شعرت بالدهشة عندما شاهدت أعمال زايد في العين والمناطق المجاورة لها والتي كانت كلها لمنفعة شعبه. لقد شق زايد الأفلاج لري البساتين وحفر الآبار، وأنشأ أحواضاً من الإسمنت في الأفلاج ليستحم فيها الرجال والنساء» (٣/٢).

ويقول رانوب أحد المسؤولين البريطانيين في دار الاعتماد السياسي بأبوظبي، الذي زار العين في شهر نوفمبر ١٩٥٨ مشيراً لجهود الشيخ زايد في إصلاح الأفلاج: «كان هناك الكثير من الكلام حول جهود الشيخ زايد المستمرة لتحسين أفلاج العين، وقد توجهنا بالسيارة إلى قرب المنبع الذي غَرَزَ فيه زايد في فترة سابقة من هذه السنة أربعة (ثقاب)، أي آبار لتحسين مجراه، وهنا التقيت بسلطان العامري ملاحظ عُمَّال الشيخ زايد، فأرانا ثقابين إضافيين يجري غرزهما في تلك اللحظة» (٨/٢). ويبدي رانوب إعجابه بسخاء وكرم الشيخ زايد الذي شاع في المنطقة فيقول: «كان الشيخ زايد يدفع سبعين روبية عن كل خمسة أقدام يجري حفرها سواء في الثقاب العمودي أو القناة الأفقية تحت سطح الأرض التي تصل بين الثقابات، تمشياً مع كرمه المعهود، ويقدم أيضاً الطعام ووسيلة النقل مجاناً، ويعطي إكراميات إضافية، وعلمت أن الثقابات الأربع التي تم غرزها هذا الصيف وصلت تكلفتها إلى ثلاثين ألف روبية، وكان هذا أحد أسباب زيارة الشيخ زايد إلى أبوظبي للتأكد من أن الحاكم سيدفع المبلغ» (٨/٢).

وتشير الوثائق البريطانية الصادرة بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٥٨ إلى أن الشيخ زايد أمر بحفر آبار جديدة في فلج الصاروج لتغذية الفلج الأم. وقد تم توصيل هذه الآبار عبر قنوات تحت الأرض بالمجرى الرئيس للفلج القديم، وكان من نتائج ذلك أن زاد تدفق الماء بمقدار الثلث عما كان عليه في السابق. وأدت هذه الزيادة في المياه إلى تقلص دورة الري لبساتين العين إلى النصف تقريباً، فبعد أن كانت أشجار النخيل تروى كل ستين يوماً أصبحت تروى كل ستة وثلاثين يوماً (٩/٢).

ومن أجل توفير المياه، قدم الشيخ زايد الكثير من الجهد والمال في سبيل تحقيق ذلك الهدف، فبالإضافة إلى أنه كان يخطط ويشرف ويشارك بنفسه في ذلك المشروع، كان أيضاً يدفع مصاريف وأجور تلك الأعمال من ماله الخاص، فقد جاء في التقارير البريطانية الصادرة بتاريخ ٢٧ مارس ١٩٦٠ أن الشيخ زايد ومنذ عام ١٩٥٥ كان يدفع ما يقارب ٥٠ ألف روبية سنوياً من ماله الخاص، من أجل حفر وصيانة الأفلاج، وتذكر التقارير نفسها أن عملية حفر أفلاج جديدة وصيانة الأفلاج القديمة أدت إلى نتائج سارة. فعلى سبيل المثال كانت بساتين المويجعي حتى عام ١٩٥٥

تروى مرة كل خمسة أسابيع، والثلث من هذه البساتين لم يكن بالإمكان سقايتها لضعف الفلج وقلة تدفق مياهه، الأمر الذي كان يؤدي إلى جفافها ثم موتها. ويضيف هذا التقرير قائلاً: «أما الآن فإن جميع البساتين أصبحت تتلقى من الماء مرتين أو ثلاث مرات أكثر من الكميات التي كانت تتلقاها في السابق، وبينما كان أصحاب المزارع في السابق يدفعون ضريبة (نوب) مقابل الساعات التي كانت تروى فيها مزارعهم، أصبح الماء مجاناً لجميع الناس وهذا السلوك الخير والكريم جزء من سياسة عامة انتهجها الشيخ زايد لتحسين الأوضاع المعيشية لشعبه بدون أي مقابل» (١٠/٢). ولم يكتف الشيخ زايد بذلك بل قام بحفر الآبار للبدو القاطنين في المناطق القريبة من مدينة العين» (١١/٢).

ولقد أشاد إدوارد هندرسون، مبعوث شركة نفط العراق الذي زار العين في ٢٧ مارس ١٩٦٠، بجهود الشيخ زايد في تطوير الزراعة في العين، وقال في التقرير الذي كتبه إلى المقيم السياسي البريطاني في أبوظبي السيد لامب: «لقد أنفقت الحكومة البريطانية قرابة ٥٠٠٠ جنيه على تنظيف الأفلاج، ولكن الشيخ زايد أخذ يقوم بأعمال حفر بحثاً عن منابع جديدة إضافة إلى القيام بمزيد من أعمال التنظيف»، وتابع هندرسون: «هذا يكلف مبالغ طائلة، وأعتقد أن زايد ربما كان ينفق زهاء ٥٠ ألف روبية في السنة منذ عام ١٩٥٥» (١٢/٢). ويبدو أن ما أنفقه الشيخ زايد مبلغ كبير قياساً لإمكانيته في تلك الفترة، فإنفاق ٥٠ ألف روبية سنوياً يعني أنه عند زيارة هندرسون للعين عام ١٩٦٠ أنفق ٢٥٠ ألف روبية لإصلاح الأفلاج وتنمية القطاع الزراعي، وهذه الأموال التي أنفقت أتت بمردود قوي، وبنتائج طيبة على أهالي العين عوضتهم عن سنوات الحرمان والقحط خلال فترة طويلة من الزمن منذ أن كانت العين وبقية واحات البريمي مسرحاً للقتال والسلب والنهب والخطف، ولم يسبق أن شهد أبناء تلك المناطق من يهتم بشؤونهم، وكانت زراعاتهم وأفلاجهم تصلح بجهودهم الذاتية وبمساعدة بعضهم بعضاً. وبعد خمس سنوات من الإصلاحات التي بدأها الشيخ زايد بعد انتهاء نزاع البريمي، بدأت نتائجها تظهر للعيان، ويعبر عن ذلك إدوارد هندرسون في تقريره لعام ١٩٦٠ فيقول: «كانت نتيجة العمل الذي نفذ منذ عام ١٩٥٥ مجزية جداً، فعلى سبيل المثال لم يكن بالإمكان ري جزء من مزارع المويجعي إلا مرة كل خمسة أسابيع، ولم يكن ممكناً أبداً ري ما يزيد على ثلثها في أكتوبر ١٩٥٥، لذلك كانت الأشجار تموت، أما الآن فيمكن ري مزارع المويجعي كلها كل ثلاثة أسابيع تقريباً، وتحصل الآن المزارع الأخرى من قرى أبوظبي من الواحة على ضعفين أو ثلاثة أضعاف مما كانت تحصل عليه سابقاً من الماء، وربما تحصل قرية العين، وهي الكبرى، على أضعاف عديدة مما كانت تحصل عليه من إمدادات المياه عندما يتم وصل المنابع الجديدة بواسطة القنوات التي يتم شقها الآن تحت سطح الأرض» (١٢/٢).

وهكذا قد نجح الشيخ زايد في تحقيق هدفه الأول (توفير المياه الصالحة للزراعة) فانهمرت المياه غزيرة من فلج الصاروج وغيره من الأفلاج لتملأ قنوات الري وتصل إلى أقصى الواحات، ومن هنا بدأت الخضرة والحياة تدب مؤذنة ببداية عهد جديد مع الخصب والنماء. وبعد تلك الأعمال أصبح الفلج يغطي حاجة النخيل ويفيض، إذ كانت الدورة تدور كل ٣٥ يوماً والآن كل ١٢ يوماً فقط، ويعني ذلك مياه أكثر تروي مساحات زراعية أكبر من الواحات، وبالتالي إنتاجية أفضل وأكبر (١٣/٢).

صورة ٢/٣. الشيخ زايد يراقب جريان الماء في أحد أفلاج العين.

صورة ٢/٤. الشيخ زايد والعقيد بوستد يراقبان جريان الماء في فلج الصاروج، وفي أعلى الصورة يظهر الشيخ سالم بن حم العامري.

٢-٤ زايد يمنع الإتجار بالمياه ويصلح نظام الري

أشرنا سابقاً إلى أن من بين المعاناة أو المشاكل الزراعية التي كان يعاني منها سكان مدينة العين وتعوقهم عن التوسع الزراعي في تلك الحقبة هو قلة المياه لري أراضيهم الزراعية، وما زاد المشكلة سوءً مسألة توزيع المياه المجحف على المزارعين أو (نظام السقاية) المتبع في واحات المدينة، حيث كان يتم توزيع مياه الأفلاج على المزارع على فترات زمنية، بما يعني أن لكل مالك مزرعة في الواحة فترة يسمح له فيها بري مزرعته من مياه الفلج مقابل دفع الثمن، فكانت حصص الماء في ذلك الوقت يمكن شراؤها أو بيعها أو رهنها، فساد بذلك النظام ظاهرة (تجارة الماء)، وكان الأغنياء هم المستفيدين من هذا النظام وعلى حساب الفقراء، وبالتالي أدى النظام إلى ازدياد الأغنياء ثراءً والفقراء فقراً. لقد كانت تلك الأفلاج حكراً لنفر قليل يدّعون ملكيتها، بالإضافة إلى احتكار بيع الماء لمن يدفع، وغالبية الناس لا تحصل على ما يكفيها إلا بقدر ما يتوفر لديها من مال، فالأغنياء ممن يمتلكون مساحات واسعة من مزارع النخيل كانت مزارعهم تروى بوفرة، والذين يمتلكون مساحات صغيرة كانوا يعانون من نقص المياه للري، وهؤلاء كانوا يضطرون لشراء ساعات ري من الأغنياء، أو يتبعون نظام المشاع في ري نخيلهم. والمشاع عبارة عن تخصيص جزء من الماء للبيع، ويستثمر العائد منه في صيانة وترميم الأفلاج في حالة تعرضها للانهيار (٣/٢). كان الفقراء يبحثون عن حلٍ لهذا الظلم، ولكنهم لم يجدوا أحداً يناصرهم طيلة عهد طويل، فظل هذا الوضع سائداً دون أن يجرؤ أحد على تغييره. وعندما تولى الشيخ زايد مسؤولية الحكم رأى أن النظام المتبع غير عادل، ويتحكم به الأغنياء على حساب الفقراء المحتاجين، وأن هذا الوضع لا يتماشى مع مبدأ العدل والمساواة الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله، فكان هذا الأمر يؤرقه ويزعجه، لأن تلك الأمور تأباها نفس زايد الذي أحب الناس وأحب فقيرهم قبل غنيهم، وأحس بآلامهم ومعاناتهم، وشعر بما يشعر به هؤلاء الفقراء أمام نظام السقاية المجحف، فكانت كل تلك الأمور تحثه على إيجاد حل حازم وفوري لتلك القضية. عندها أعلن الشيخ زايد قراره الشجاع والحاسم الذي لا رجعة فيه، وهو إلغاء تجارة الماء، وقال قولته الشجاعة والحاسمة: «إن مياه الأفلاج الآتية من جوف الأرض هي من حق كل الناس الذين يعيشون فوق هذه الأرض». وجمع الشيخ زايد أصحاب المال والأرض الذين يتحكمون في مياه الأفلاج وكان قد انتهى من حفر فلج الصاروج تماماً، وعرض عليهم أن تكون السقاية حرة مشاعة للجميع وبلا استثناءات، وبدأ بنفسه وأسرته، وأعلن تنازله عن الحقوق المتوارثة له ولأسرة آل نهيان، وكيف لا وهو الذي نطق بهذا القول:«إن القائد يجب أن يؤمن بأنه الأمين على الشعب وثروته وأن يطبق على نفسه ما يطبقه على شعبه». وأباح السقاية منها للجميع دون مقابل، عملاً بالحديث «المسلمون شركاء في ثلاثة: في الكلأ، والماء، والنار» (١٤/٢)، وقال: «إن الله هو الذي يفجر الماء من الأرض ليرتوي منها الإنسان والزرع والحيوانات، وكل كائن حي يعيش عليها»، وقرأ زايد -رحمه الله- عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلا» (١٥/٢).

وبهذا أقام الحاكم العادل مبدأ العدل والمساواة وفضل الوقوف مع الضعيف والفقير مطبقاً مبدأً من مباديء الإسلام وهو «الماء والكلأ لكل الناس» لينهي بذلك قصة تجارة الماء التي كانت تمارس، وليقطع مفهوم الاستغلال والمحسوبية بين أفراد المجتمع، وأصبح بذلك نظام الري عن طريق الأفلاج دورياً، فكل مُزارع ينتظر دوره حتى يسقي ثم يعطى المجال لغيره من المزارعين لكي يأخذوا دورهم.

ولقد فرح الناس بهذا القرار الشجاع، فطابت أغلبية النفوس وهنأت بهذا القرار التاريخي، وأصبح الجميع ينعمون بهذه الثروة الطبيعية التي لا يمكن أن تقوم زراعة إلا بها، وخصها الله تعالى بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦/٢). ولقد أشاد الجميع بهذا القرار حتى البريطانيين، فقد جاء في تقرير هندرسون ما يشيد بقرار الشيخ زايد في إلغاء ضريبة الماء قائلا: «هذا الموقف العطوف الخيري هو جزء من السياسة العامة للشيخ زايد بغية تحسين مستوى شعبه دون أن يتكبدوا أية تكلفة، ومن اللافت للنظر أن تمنح المياه مجاناً إلى المزارعين في بلد تكلفة المياه فيه باهظة جداً» (١٢/٢).

ويعبر ذلك العمل الذي قام به الشيخ زايد وبوضوح عن شخصية قائد تولدت فيه ثورة ضد الظلم، وضد القهر، وضد الاحتكار، وجعلته يتخذ قراراً شجاعاً في ذلك التاريخ الصعب وحجمه

السياسي لم يزد عن كونه ممثلاً للحاكم في إمارة أبوظبي، إلا أنه كان بجانب شجاعته المطلقة في الحق والإقدام لرفع الظلم، كان حكيماً في قراراته ومواقفه والتي دائماً تجد القبول والرضا من المواطنين. وكان أيضاً يعالج القضايا والمشاكل من جذورها، فلم يتخذ هذا القرار قبل أن يحفر مزيداً من الآبار ويصلح الأفلاج القديمة فيتوفر الماء. لم تكن قضية السقاية في فكر الشيخ زايد قضية زراعية فقط، بل كانت أيضاً قضية سياسية، وموقفاً عظيماً شجاعاً يعبر فيه عن نظرته للعدالة الاجتماعية، ليس من منطلق الشعارات والأقوال بل من منطلق الأفعال، ومن واقع التطبيق العملي المؤثر في حياة الناس. كما أن قضية السقاية شدت انتباه الناس نحو قائد عادل مبدع يخطط وينفذ فينجح، قائد يراعي مصالح الرعية، قائد يستطيع أن يوقف الظلم والعدوان، ويتصدى لكل من يحاول استغلال الشعب، ولأية محاولة تستهدف إلحاق الضرر بالمجتمع.

٢-٥ زايد.. يتوسع في استصلاح الأراضي ويشجع الشعب على الزراعة

بعد أن أصبح الماء متوفراً ومشاعاً للجميع ويصب في المنفعة العامة للشعب بعد تطبيق مبدأ سام وهو «الخير لكل الناس» راح الشيخ زايد يشجع المواطنين على مضاعفة الاهتمام بمزارعهم، وزراعة الأراضي غير المزروعة من الواحات والتي تركت أو أهملت في الماضي بسبب مشاكل قلة المياه. فصار الناس يتجاوبون مع طرح الشيخ زايد وتشجيعه، فأخذوا يجتهدون في مزارعهم ويزرعون كل أراضيهم، فاخضرت الواحات ولم تبقَ فيها رقعة بيضاء، بل كان على أثر هذا العمل أن توسعت أحجام هذه الواحات، وأصبحت تكبر يوماً بعد يوم، وتزداد إنتاجيتها بعدما كانت تتكمش يوماً بعد يوم قبل مجيء الشيخ زايد.

بعدها بدأ زايد -رحمه الله- مرحلة زراعية أخرى حيث شَرَعَ في استصلاح أراضٍ جديدة خارج حدود الواحات، وحفر الآبار فيها، كما أخذ يأمر الناس على فعل ذلك ويشجعهم عليه ويعرض عليهم الأراضي بالمجان لمن يريد منهم زراعتها، بل كان يحمسهم على ذلك ويمدهم بما يلزمهم من معدات زراعية ومضخات مياه ومن ماله الخاص، كما يؤكد ذلك تقرير للمعتمد السياسي البريطاني في أبوظبي (تقرير اقتصادي، إبريل-يونيو ١٩٦٢): «إن زايد شجع سكان العين على استغلال مصادر المياه الوفيرة والتربة الخصبة لتحسين الزراعة فيها» (١٧/٢). وبسبب عدم قدرة معظم السكان على شراء المعدات اللازمة للزراعة، قام الشيخ زايد بشراء مضخات زراعية وتوزيعها عليهم. ويقول التقرير البريطاني نفسه حول ذلك: «صرف زايد مضخات معظمها من صنع هندي وياباني لصغار المزارعين بطريقة التقسيط المريح جداً، وطلب جرارات وعدداً من المعدات الزراعية من إنجلترا»، ويتابع التقرير: «يجري أيضاً طلب بذور وأشجار الفاكهة لزراعتها في الخريف، وذلك من الولايات المتحدة والهند، وتجري مفاوضات لتعيين مستشار زراعي ومساعد له لكي يقيما في الواحة على نفقة الشيخ زايد» (١٧/٢)، ويختم المعتمد البريطاني تقريره بقوله: «هذه بوادر مشجعة جداً، ويؤمل أن تصل منطقة العين قريباً إلى مستوى إنتاجية رأس الخيمة المشهورة أصلاً في الإمارات المتصالحة بفاكهتها وخضارها» (١٧/٢).

وفي أواخر الخمسينات من القرن العشرين، يذكر أن الشيخ زايد أمر بزراعة العديد من أشتال الأشجار في أنحاء مختلفة من مدينة العين (١٨/٢). كما قام الشيخ زايد -رحمه الله- بوضع خطة زراعية لتشجير مدينة العين، واستدعى خبيراً زراعياً باكستانياً يدعى عبد الحفيظ خان ليقوم بهذا العمل، ودفع له من ماله الخاص. وقد وصل خان إلى مدينة العين في سبتمبر ١٩٦٢، وبدأ عمله في تشجير المدينة تحت إشراف مباشر من الشيخ زايد (١٩/٢). ويروي أول طبيب جاء إلى مدينة العين، ويدعى الدكتور ثابت، حوالي منتصف الخمسينات من القرن الماضي، أن أول شيء لاحظه في المدينة هو حب الشيخ زايد للزراعة، فقد كان -رحمه الله- يقيم المعارض الزراعية البسيطة، يعرض فيها أصحاب المزارع إنتاجهم من الخضروات والفاكهة وكان زايد يشجع المشاركين في هذه المعارض ويكافئهم، ويذكر الدكتور ثابت، أن أول معرض زراعي شهده كان في عام ١٩٦٣ (٢٠/٢).

ويمكن القول هنا إن الخطة الجريئة التي وضعها الشيخ زايد -رحمه الله- لتحسين وتطوير الزراعة في مدينة العين قد تكللت بالنجاح. فبعدما كانت المساحة الزراعية في الواحات تتقلص سنة بعد أخرى قبل توليه المسؤولية، وإنتاجية النخيل تنخفض ويموت

كثير من أشجارها، كان من نتائج جهود الشيخ زايد في تلك الفترة أن ازدادت الرقعة الزراعية في الواحات فزاد الإنتاج الزراعي من التمور والمانجو والخضار ومحاصيل الحبوب ومحاصيل أخرى، وكان وفيراً ويتم تصدير الفائض منه إلى أبوظبي والمناطق المجاورة.

لقد نجح الشيخ زايد -رحمه الله- في تحقيق أهدافه في تلك الفترة فتحسن اقتصاد المدينة، وتحسنت بذلك أحوال الناس، وأصبحت العين على إثر ذلك منطقة جذب سكاني وتبادل تجاري بعدما كانت منطقة طرد لضعف مواردها، وبدأت القبائل تهوي إليها من مختلف المناطق ليسكنوا فيها ويعيشوا تحت ظل هذا القائد العادل، الذي حقق في تلك الفترة إنجازات كبيرة بإمكانيات قليلة جداً.

ولقد آمن الشيخ زايد ومنذ البداية بأن الزراعة هامة في حياة الشعوب وكافلة لأمنهم الغذائي، وأساس راسخ لرقيهم وتحضرهم، فما ارتبطت الزراعة بقوم أو أمة حتى كانت عاملاً مهماً في بروز حضارة تلك الأمة، وهذا ما قرأناه في كتب التاريخ التي سردت كيف ظهرت حضارات الشعوب، فكان أساسها الزراعة، كحضارة الرافدين في العراق، والفراعنة في مصر، وسبأ في اليمن وغيرها كثير. وكما سنشاهد فيما هو قادم من فصول، فقد كان لفكر الشيخ زايد الزراعي المبكر واقع مستقبلي على أرضه، وأن الزراعة على أرض الإمارات سيكون لها شأن كبير في يوم من الأيام، وستكون محط دهشة وإعجاب العالم أجمع، وفي هذا المعنى صدح بكلمته الشهيرة: «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة».

وفي العين، وفي ذلك التاريخ البعيد، بدأت عمليات التغيير والتطوير، وبدأت عجلة الإصلاح تنطلق وتتسارع في انطلاقتها، وحل الاهتمام محل الإهمال نظراً لوجود القائد الطموح، القائد العبقري، القائد القدوة. وأثبت الشيخ زايد وقتها أنه رجل الإصلاح والتطوير الذي يضع حقوق مواطنيه فوق كل اعتبار، ولهذا اجتمع المواطنون حوله وأحاطوه بحبهم وإخلاصهم، لأنهم عرفوه جيداً وقرأوا أفكاره، وشاركوه آماله وأحلامه، ولم يبخل عليهم بشيء سألوه إياه. وهكذا فقد استطاع الشيخ زايد بالإمكانيات البسيطة في تلك الفترة تحقيق إنجازات كبيرة.

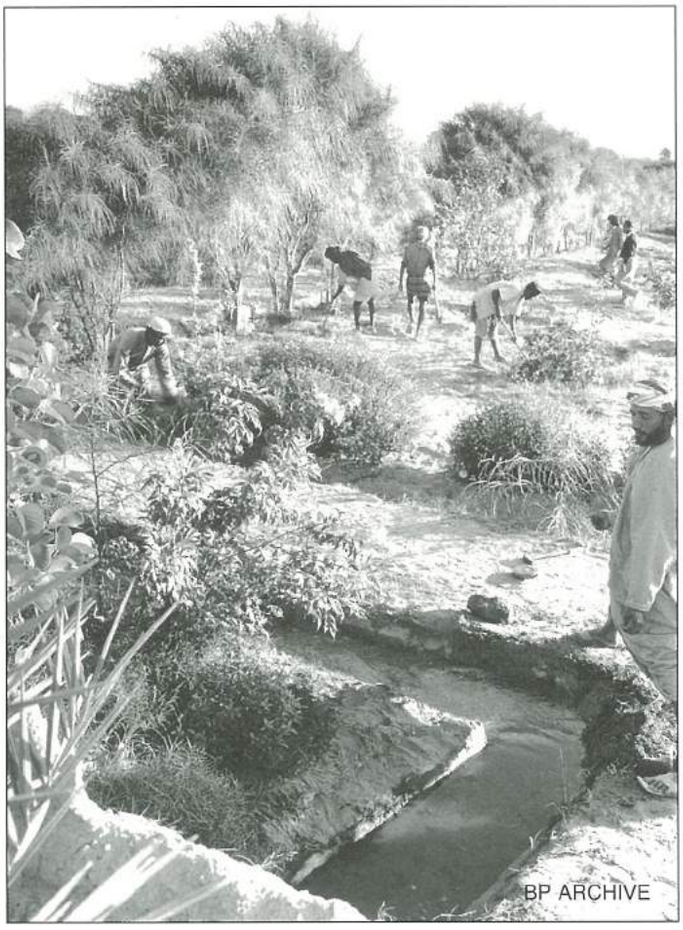

صورة ٥/٢. المياه تجري في فلج المشروع الزراعي التجريبي الذي أقامه الشيخ زايد في عام ١٩٦٣ لاستصلاح أراض زراعية جديدة في المنطقة الشرقية.

الفصل الثالث

إن الطموحات
تصنع الأمم العظيمة
زايد بن سلطان

كيف بدأ زايد المسيرة الخضراء؟

٣-١ البداية.. أعمال خضراء وأحلام كثيرة

٣-٢ انطلاقة القائد الفعلية

٣-٣ زايد ينشيء المؤسسات الزراعية المختصة

٣-٤ زايد يستعين بالخبرات الأجنبية

٣-٥ زايد ينشيء المحطات التجريبية والبحثية

٣-٦ زايد ينشيء المزارع النموذجية

٣-٧ زايد يقيم المعارض الزراعية ويشجع المواطنين المشاركة فيها

٣-٨ زايد يخطط المشاريع الزراعية ويشرف عليها بنفسه

٣-٩ زايد يصدر القوانين والتشريعات الداعمة للزراعة والبيئة

٣-١ البداية.. أعمال خضراء وأحلام كثيرة

البداية كانت في العين، حيث عرفنا في فصل سابق من هذا الكتاب أن المسيرة الخضراء التي قادها الشيخ زايد قد انطلقت شرارتها من العين، وبالتحديد عند توليه مسؤولية ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية عام ١٩٤٦، فهي المحطة الأولى لمسيرة زايد الخضراء، وهي التجربة التي فجرت مواهبه وأحلامه، والأحلام الكبيرة كانت جزءً من بصيرته وشخصيته. فالعين أول من رأت أحلام وطموحات زايد، وهي المدينة التي أشرقت منها شمس المسيرة الخضراء لبطل الأرض، فامتدت أشعتها الخضراء إلى أبوظبي، ومنها إلى الإمارات كلها. وفي العين أحس زايد بمسؤوليته تجاه أرضه فحقق إنجازات زراعية كبيرة بإمكانيات بسيطة، أصلح الأفلاج، وصنع الأخرى، وأصلح نظام السقاية، ووسع حجم الواحات، واستصلح الأراضي وزرعها. وفيها أيضاً بدأ زايد يشجع المواطنين على الزراعة بل يحثهم عليها، واستطاع بتلك السياسة الخضراء أن يرفع إنتاج المدينة ويحسن اقتصادها. ولم تكن تلك الأعمال والإنجازات التي قام بها الشيخ زايد في العين ترقى إلى طموحاته وأحلامه في الزراعة وفي إسعاد شعبه، فطموحاته وأحلامه كانت أبعد من ذلك بكثير، وهو القائل: «إن الطموحات تصنع الأمم العظيمة»، والقائل أيضاً: «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة».

وكان لأول رحلة قام بها الشيخ زايد إلى خارج البلاد عام ١٩٥٣، إلى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وأعقبها بزيارات إلى عدد من الدول العربية والأجنبية، بالغ الأثر في تطور أحلامه ونظرته للمستقبل، كما زادت من قناعته بمدى حاجة البلاد والعباد إلى التنمية الشاملة للحاق بركب التقدم والحضارة، فأصبح الشيخ زايد أكثر اقتناعاً بمدى حاجة البلاد إلى الإصلاح والتقدم والنهوض بعد أن لمس المسافة الشاسعة التي تفصل بين وطنه وبين تلك الدول. وبعد تلك الزيارة حلم الشيخ زايد بكل شيء فيه خير لأرضه وشعبه، كان يحلم ببناء مجتمع فيه الوحدة والتعاضد، مجتمع تغمره الرفاهية وتختفي فيه المعاناة والحرمان، فيه المدرسة والعيادة والسكن النظيف، فيه الكهرباء والماء النقي. كان يتأمل في أبناء شعبه ويحلم أن يكون من بينهم المدرس والمهندس والطبيب والضابط. كان دائم التفكير في شعبه الذي قاسى وعانى الكثير، وعاش الفقر والحرمان معهم دهوراً طويلة. كان هذا الأمر يشغل فكر الشيخ زايد ويؤرقه، وفي هذا المعنى قال: «كنت أفكر دائماً وقبل أن تتوفر لي الإمكانيات التي أنعم الله بها علينا مع ظهور البترول، أن شعبنا حرم كثيراً في الماضي من الخدمات والمرافق التي كان يتمتع بها غيره، وآن الأوان لأن نعوض شعبنا عما فاته لينعم بما أعطاه الله من خير وفير» (١/٣). لقد حلم الشيخ زايد لشعبه بحياة كريمة طيبة هنيئة حالهم حال غيرهم من الشعوب، وتعويضهم سنين الفقر والحرمان.

في تلك الفترة من التاريخ بدأت أحلامه تتطور يوماً بعد يوم وتبرز في الميدان وتظهر للعيان فيسمعها رعاياه والمقربون منه من أهله وأصحابه. فينقلُ الذين عاصروا الشيخ زايد في العين أنهم كانوا يشاهدونه مراراً وهو يرسم ويخطط للمدينة بعصاه على الرمل. ويذكر أحدهم أنه في يوم من الأيام شاهد الشيخ زايد يرسم بعصاه على الرمال خطوطاً هندسية، وعندما سأله عما يفعل أجابه: «إنني أحاول تصور شبكة الطرق اللازمة لربط ضواحي مدينة العين» (٢/٣).

ويذكر لنا السيد أحمد بن محمود سكرتيره الخاص في ذلك الوقت قصة مؤثرة في هذا الموضوع، فيقول: «إن فكره يسبق عصره، وكنا نحتار فيما يقوله في بعض الأحيان ونستغرب كيف يمكن أن يتم ذلك ونتعجب، لكننا لم نكن نملك غير الصمت وأن نقول إن شاء الله». ويضيف بن محمود: «أذكر في مرة من المرات الكثيرة التي رافقت فيها الشيخ زايد في رحلات القنص، وكان يعتبرها سموه متعة كبيرة وتخفيفاً عن النفس من هموم الحياة والعمل، ويعتبرها أيضاً فرصة للالتقاء مع الناس عن قرب رغم أنه كان قريباً منهم دائماً ولم يبتعد عنهم لحظة، في مرة من مرات خروجنا للقنص في منطقة الصفاة على حدود سلطنة عُمان تفرقنا على أربع مجموعات تخرج كل مجموعة للقنص في اتجاه، ثم نلتقي المغرب عند نقطة محددة، وفعلاً ذهب كل منا لحاله وقرب المغرب تجمعنا في نقطة الالتقاء ووضعنا الصيد أمام زايد الذي سُرَّ به كثيراً وكان وفيراً والحمد لله، وفي تلك الليلة ذهب عنا زايد بعيداً، وبقينا ننتظره طويلاً والجماعة كان يغالبهم النوم من شدة التعب، ولا يجرؤ أحد منا أن ينام قبل أن يعود زايد، وشعرنا أنه تأخر فاقترحنا أن يقوم أحدنا بدعوته للعودة

فاختاروني لتلك المهمة، سرت أحدق في الظلام حتى وجدته فتنحنحت من بعيد، فقال دون أن ينظر ناحيتي: «جئت يا أحمد؟!!» جلست بجواره فوجدته ساهماً يفكر بعمق قلت له: يا طويل العمر.. تفكر طويلاً.. دَعْها لله سبحانه وتعالى.. قال: «أنتم لا تدرون فيم أفكر.. أنا أحلم باليوم الذي يتواصل فيه البنيان بين أبوظبي والعين.. فلا ترى بقعة إلا وفيها بنيان وبيوت ومدارس ومساجد ومستشفيات وأشجار ومزارع.. هذا ما يدور بخاطري.. أريدها شبكة واحدة من العين لأبوظبي» (٣/٣).

وفي الزراعة كانت أحلامه أكبر من أن يتصوره المرء في ذلك الحين، كان يحلم بتحويل الصحراء إلى حدائق ومتنزهات، وإلى مزارع خاصة يستفيد منها المواطنون، كان يحلم بقهر الكثبان الرملية وتحويلها إلى غابات ممتدة في عمق الصحراء، كان يحلم أن يجمع الحيوانات البرية المهددة بالانقراض ويسكنها في تلك الغابات، وأن يقيم المساكن الرحبة والطرق الواسعة ويحفها بالأشجار وفي كل الاتجاهات، وكان يقول لأحد أصحابه وهم يركبون الخيل: «سترى هذه الصحراء من هنا إلى أبوظبي متصلة البنيان متراصة الأشجار وستكون مدينة واحدة» (٤/٣). كان يحلم أن تكون هذه الأرض أرضاً جاذبة ليست طاردة، أرضاً منتجة ليست مستهلكة، وقد عبر رحمه الله عن هذه الطموحات والتطلعات بقوله: «كانت أحلامي كثيرة، كنت أحلم بأرضنا تواكب حضارات العالم الحديث ولكنني لم أستطع أن أفعل شيئاً ولم يكن بين يدي ما يحقق الأحلام ولكنني كنت واثقاً أن أحلامي سوف تتحقق في يوم من الأيام» (٥/٣)، وكان يقول أيضاً: «إن الطموحات تصنع الأمم العظيمة» فكانت طموحات الشيخ زايد وأحلامه عظيمة في العين وهي التي قادت إلى الحضارة التي تشهدها الآن دولة الإمارات العربية المتحدة.

صورة ٢/٣. الشيخ زايد، في جلسة خاصة أثناء رحلة صيد، ماسكاً عصا ويرسم على رمال الصحراء تصوراً جديداً لمستقبل هذه الأرض.

٣-٢ انطلاقة القائد الفعلية

في الثامن من أغسطس عام ١٩٦٦ وقع في المنطقة حدث عظيم غير من تاريخها، فيه تولى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الحكم في إمارة أبوظبي، فبدأت في ذلك التاريخ أعظم مسيرة إعمار وتخضير شهدتها المنطقة. وفيها انطلقت مسيرة زايد الكبرى في تعمير البلاد في شتى الاتجاهات، وما كان يحلم به في صباه أو عندما كان ممثلاً للحاكم في العين ويعجز عن تحقيقه أصبح الآن قريباً منه حيث أصبح في إحدى يديه قوة السلطة وفي الأخرى قوة المال وهما ما كان يفتقده من قبل مما حال دون تحقيق أحلامه وتطلعاته نحو أرضه وشعبه.اليوم انطلاقة زايد نحو التطوير والتحديث والتخضير لا يمكن أن تقف أو تتعثر. فبوصوله إلى دفة الحكم نال الشيخ زايد السلطتين، سلطة السياسة التي تمكنه من اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، وسلطة المال التي تمكنه من تحقيق ما كان يعجز عنه في الماضي. وما كان بالأمس لا يستطيع أن يأمر به بات الآن يستطيع، وما كان بالأمس يعجز عن عمله لقلة ماله أصبح الشيخ زايد ينفق المال بسخاء ويردد كلمات في قمة الروعة: «إنه لا قيمة للأموال إذا لم تستثمر في تحقيق خدمة ومنفعة الجماهير، فالأموال زائلة والأعمال باقية أبد الدهر». وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» (٦/٣).

ولقد أعجبتني كثيراً تلك الكلمات العظيمة التي أطلقها الشيخ زايد في ذلك الوقت فكانت تعبر عن قائد قادم بكل حماس لتغيير وجه الأرض، كان الشعب متشوقاً إليها، وكان بحاجة ماسة لسماعها. ومن تلك الكلمات التي كان يرددها الشيخ زايد وتعكس أحلامه وتطلعاته نحو أرضه وشعبه قوله: «إن أمامي مشوار طويل كي أحقق الخير والرخاء لإنسان هذه الأرض، ومادامت العزيمة متحفزة فإن الطموحات لا تتوقف عند حدود»، وقوله: «لا بد من إسعاد هذا الشعب وإقامة نهضة شاملة في كافة المجالات»، وقوله: «لا بد ألا نعرف النوم لكي نصل إلى كل آمالنا في خلال فترة قصيرة»، وقوله: «بالإيمان والعمل المتواصل علينا أن نختصر الزمن»، ويكرر ذلك المعنى في تصريح آخر: «نريد أيها الرجال أن نختصر الزمن، وأن نصل إلى أهدافنا بأحسن الطرق وأسرعها فلقد عانى الشعب الكثير».

وفي ذلك الحين ورث الشيخ زايد أرضاً بيضاء قاحلة تكثر بها السبخات الملحية، وأرضاً أخرى حمراء في مواقع أخرى من الإمارة تكثر بها الكثبان الرملية ويقل بها الغطاء الأخضر في مناطق وينعدم في أخرى، وإذا أردت أن تسافر بين مدن وقرى تلك الإمارة أو منها إلى إمارة أخرى مجاورة فلن تجد في طريقك إلا الصحراء القاحلة والشمس الحارقة، التي لا تطيق مقاومة حرها إلا نباتات قوية قاسية التركيب كالسمر والغاف، ورياح تسف في وجهك الرمال. وإن بحثت عن قطرة ماء فلا تجدها إلا في فلج يقتسم ماءه الأهل أو في بئر يجتمع على مائها نسوة ينتظرن دورهن ليأخذن حاجتهن منها.

من هنا بدأ الشيخ زايد خطاه، وبدأ الحلم يتعاظم، وبدأ الإصرار يزداد، وبدأت تلك العينان اللتان تمتلئان بالهمة والعزيمة تتخيل أرض الإمارات القاحلة جنة خضراء وارفة الظلال. وبدأ البطل يسعى لتحقيق الأمل والحلم القديم، وبدأ يتحدى تلك الصعاب، فلا رمال الصحراء وقفت في طريقه، ولا الشمس الملتهبة هزت عزيمته، ولا ندرة المياه ثبطت همته، ولم يلق بالاً لرأي الخبراء الذين راهنوا على عدم إمكانية وجود زراعة في تلك الأرض الصحراء.

من ذلك التاريخ، بدأ زايد ينشر النهضة الزراعية في كل مكان على أرض الإمارة، بل تعدى فكره أبعد من ذلك فعمَّر الجزر القاحلة. وبرزت أهدافه وطموحاته واتضحت رؤيته لما هو قادم عليه. وفي ما هو قادم من هذا الفصل سوف نصف كيف بدأ زايد المسيرة الخضراء.

٣-٣ زايد ينشيء المؤسسات الزراعية المختصة

عندما تولى الشيخ زايد الحكم في إمارة أبوظبي لم يكن هناك مؤسسة زراعية واحدة متخصصة في الزراعة على أرض الإمارة، فبادر إلى توفير قاعدة سليمة وقوية لبناء الإمارة وتشكيل أجهزتها وتنظيمها، فأصدر المرسوم الأميري رقم ٣ لسنة ١٩٦٦ الذي تضمن إنشاء الدوائر الحكومية وتوزيع اختصاصاتها، ومن بين الدوائر الرئيسية التي ظهرت في هذا المرسوم مؤسسة تعنى بالزراعة سميت في ذلك الوقت «دائرة الزراعة».

كان توجه الشيخ زايد في هذه المرحلة أن يقيم الدوائر الزراعية المختصة ويدعمها بالأجهزة والأخصائيين في مختلف العلوم

والاختصاصات الزراعية لزيادة الفاعلية في تنفيذ مشاريعه الزراعية الطموحة والنهوض بمسؤوليات تلك الدائرة لمضاعفة الإنتاج في الإمارة ووفق أحدث الطرق والوسائل العلمية. ولقد تشكلت تلك الدائرة في أُولى سنوات تأسيسها من عدة أقسام زراعية هامة والتي بذكرها يمكن تصور السياسة الزراعية القادمة للشيخ زايد. أول تلك الأقسام وأهمها قسم انتشار المزارع، ويضم كافة الخدمات الآلية اللازمة لتسوية وحراثة الأراضي الزراعية، والأجهزة العاملة في شؤون حفريات الآبار الارتوازية، وكان الهدف الرئيس من هذا القسم هو إنشاء المزارع وتوفير آبار المياه فيها وذلك لتحقيق رغبة قديمة عند الشيخ زايد وهي إنشاء عدد كبير من المزارع وفي مناطق مختلفة من الإمارة لتوزيعها على المواطنين لتحقيق رؤيته الكبيرة من ذلك وهو دعم المواطنين لتحسين دخولهم، ولتوطين البدو في أراضيهم. أما القسم الثاني الهام في الدائرة الجديدة فهو قسم الإرشاد والإعلام الزراعي، وتكمن أهميته في كونه يقوم بتعميم الخدمات الزراعية وتقديم النصح والإرشاد للمزارعين الذين كانوا يفتقرون إلى الخبرة والمعرفة بنظم ومتطلبات الزراعة الحديثة، وكان ذلك الأمر بالغ الأهمية للمزارعين لأن غالبية الشعب كان لا يعرف عن الزراعة الكثير كونهم كانوا يعيشون حياة البداوة في الصحراء، إضافة إلى انتشار الأمية بينهم. وضمت تلك الدائرة الحديثة أيضاً قسم وقاية النبات، وقد عمل به أخصائيون وفنيون في شؤون وقاية النباتات ومكافحة الحشرات والآفات الزراعية للمحافظة على سلامة إنتاج المزارعين، بالإضافة إلى مختبر للتحليل والتشخيص. وثمة قسم آخر هام هو قسم الثروة الحيوانية، الذي تولى شؤون أبحاث وتربية الدواجن والأبقار الحلوب تمهيداً لنشر ذلك بين المزارعين وإنتاج الدواجن والعجول الصالحة للتربية في تلك المنطقة لرفع كفاءة الإنتاج الحيواني، وتوفير اللحوم الطازجة وغيرها من المنتجات الحيوانية، وقسم الصحة الحيوانية، للمحافظة على سلامة الحيوانات الزراعية وفق أصول الطب البيطري الحديث. وفي فترة لاحقة (عام ١٩٧٣)، واستجابة لتطلع الشيخ زايد للمحافظة على البيئة وأشجارها والتوسع في مشاريع الغابات في كافة أنحاء المنطقة، تشكل قسم آخر لا يقل أهمية عن الأقسام الأخرى في تلك الدائرة هو (قسم التحريج والغابات).

وكانت الأعمال التي قدمتها تلك الدائرة الفتية في أول سنوات تأسيسها باهرة ومتسارعة بسبب متابعة الشيخ زايد لبرامجها وحرصه على أن يرى الخدمات الزراعية المنوطة بالدائرة تصل إلى الميدان وأيادي المزارعين في أسرع وقت ممكن. ففي خلال الموسمين الزراعيين ١٩٦٨-١٩٦٩، قامت الدائرة بتوزيع ٥٥ ألف شتلة خضار، وحوالي ١٥ ألف غرسة أشجار مثمرة من مختلف الفاكهة، ومقدار ١٤٠٠ كيلو غرام من مختلف أنواع وأصناف بذور الخضار، و١٧٥ طن سماد كيماوي، وقام بذلك الدور قسم الإرشاد الزراعي. وفي خلال الموسمين المذكورين قام قسم التحريج والغابات بالدائرة بتوزيع ما لا يقل عن ٨٠ ألف غرسة حرجية على المزارعين، وزراعة حوالي ٥٠ ألف غرسة حرجية وزينة أخرى في المؤسسات الرسمية ومشاريع التحريج التي ترعاها هذه الدائرة (٧/٣). ومن إنجازات ذلك القسم أيضاً في تلك الفترة المبكرة من عمر الدائرة، وعلى الرغم من قصر الفترة التي انقضت على هذه المبادرة ومحدودية الإمكانيات المتوفرة آنذاك، تم تأسيس استراحة وحديقة عامة بمساحة ٢٥ دونماً في منطقة أبو سمرة على الطريق العام المؤدي من مدينة العين إلى أبوظبي وذلك لتوفير الراحة للمسافرين زرعت بمختلف الأشجار المناسبة. وأيضاً أنجز ذلك القسم زراعة جانبي طريق أبو سمرة - العين وبطول ١٢ كيلومتراً بالأشجار الغاباتية. وفي منطقة هزع البوش تم تجهيز قطعة من الأرض بمساحة ٢٥ دونماً لإنشاء غابة ومنتزه هناك. وفي عام ١٩٧٠ قام قسم الإرشاد بالدائرة بإنشاء أربعة مراكز إرشادية جديدة في مناطق الهيلي، والقطارة، وسيح بن عمار، وأبو سمرة، ويحيط بكل مركز مزرعة نموذجية تنتج الشتلات للمزارع المجاورة، وتكون عبارة عن نموذج للمزارعين يقتدون بها وينفذون ما يشاهدونه في هذا الحقل النموذجي في مزارعهم. ثم قامت الدائرة وبرغم من محدودية الإمكانيات في ذلك الوقت بإصدار نشرة زراعية دورية تحوي مقالات ومواضيع عن مختلف شؤون الزراعة، وآخر الأخبار والأنباء والمكتشفات الزراعية وذلك لتثقيف المواطنين في ذلك المجال، وقد تم إصدار العدد الأول في شهر شباط من عام ١٩٧٠ (٧/٣). وفي عام ١٩٧١ أسست الدائرة قسم تسويق الإنتاج الزراعي بهدف تسويق منتجات المزارعين وبيعها.

ونتيجة لطموح الشيخ زايد الكبير في تعميم التنمية الزراعية ونشر

الرقعة الخضراء في شتى أرجاء البلاد تأسست أقسام زراعية كبرى تتبع دوائر حكومية تعنى بالزراعة ولها أهداف وبرامج مشابهة لما تقوم به دائرة الزراعة والثروة الحيوانية بالعين والتي كان من أهمها قسم الزراعة بدائرة بلدية أبوظبي. وقد بدأت النواة الأولى لقسم الزراعة في عام ١٩٦٦ كوحدة صغيرة تشمل طاقماً صغيراً من الفنيين الزراعيين والعمال لزراعة بعض الدوارات والشوارع الصغيرة داخل المدينة وتنظيم الأشجار البيئية المنزرعة في أماكن متفرقة على جوانب الطرق داخل المدينة (٨/٣)، وبعد ذلك عُهِدَ لقسم الزراعة جميع شؤون الزراعة في مدينة أبوظبي والمنطقة الغربية. كما أسست بلدية العين أيضاً قسماً زراعياً متكاملاً يعنى بالزراعة وله أهدافه وبرامجه الزراعية المنبثقة من رؤية الشيخ زايد في الزراعة. ثم بعد ذلك ظهرت الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة وولي العهد لتلعب دوراً مماثلاً لدور المؤسسات الأخرى من خلال قسم الزراعة الذي قام ومنذ تشكيله بدور كبير في نشر الرقعة الزراعية وإقامة الغابات والمحميات على أرض الدولة. ونتيجة للتوسع في أعمال التشجير وتزايد مشاريع الغابات في جوف الصحراء، تشكل في الأول من ابريل عام ١٩٧٤ دائرة مستقلة للغابات سميت بدائرة الغابات بالعين ألحقت بديوان الحاكم بالمنطقة الشرقية بعدما كانت قسماً تابعاً لدائرة الزراعة، وأراد الشيخ زايد من تلك الدائرة أن تتولى مسؤولية إقامة مشاريع الغابات والإشراف عليها وحمايتها. ولقد عملت تلك المؤسسة في تنفيذ سياسة الشيخ زايد في مجال التشجير وحماية الحياة البرية والمحافظة على البيئة من أخطار التصحر التي تهدد البلاد. ولسوف نرى تلك الإنجازات واضحة عند الحديث عنها في الفصل القادم من هذا الكتاب. وعند قيام دولة الإمارات والتي على إثرها تشكلت وزاراتها الاتحادية المختلفة، ظهرت وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً) كمؤسسة حكومية تعنى بالزراعة على مستوى الدولة.

ومنذ البدايات (١٩٦٦) رأينا كيف بدأ الشيخ زايد مشواره في الزراعة بإنشاء المؤسسات الزراعية المختصة ومدها بإمكانيات واسعة، حتى يمكن أن يحقق حلمه وأفكاره في التنمية الزراعية والتي لم يكن لها حدود أو أفق، بل كانت تتعاظم سنة تلو الأخرى. وأصبح النشاط الزراعي منذ ذلك الحين وحتى عام ٢٠٠٤ يَحظى بدعم وإشراف هيئات حكومية اتحادية ومحلية متعددة تعنى بالزراعة على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة. وكان الشيخ زايد -رحمه الله- يشرف على كل تلك المؤسسات ويوجهها بنفسه، ويرسم سياساتها ويشرف على أعمالها ويتابع مشاريعها. كانت رغبته من هذه الدوائر والأقسام واضحة، وهي الانتقال من مرحلة الزراعة التقليدية واستخدام الأساليب الزراعية البدائية إلى مرحلة الزراعة الحديثة ووضع وإرساء قواعد المتطلبات الزراعية الضرورية وتوفير الموظفين الإداريين والفنيين المؤهلين للعب هذا الدور بكفاءة عالية.

٣-٤ زايد يستعين بالخبرات الأجنبية

منذ أن كان ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية والشيخ زايد يبحث عن الخبرات وذوي الاختصاص للاستفادة منهم في تطوير بلاده في مختلف جوانب الحياة. وعندما تولى حكم إمارة أبوظبي وحدد مسيرة الإعمار والتخضير، سعى إلى الاستعانة بالخبرات الأجنبية لوضع هيكل إداري للإمارة، والبدء بإدارة المؤسسات التي ستنشأ. ولقد أشارت التقارير البريطانية إلى ذلك التوجه للشيخ زايد وأوردته في تقاريرها السرية فيشير السيد لامب، المعتمد البريطاني في أبوظبي في تقريره عام ١٩٦٦، إلى أن الأمر اقتصر في البداية على الخبراء البريطانيين والسودانيين(٩/٣)، إلا أن الأمر كان فيه سعة أكبر، وعلى أي حال فلم يكن من ذلك الأمر بد حيث أن الظروف السائدة على أرض الإمارة -وكما أشرنا سابقاً- كانت غاية في الصعوبة وأنها كانت تفتقر لكل شيء ومن بينها فرصة التعليم، فلم يكن حول الشيخ زايد من أبناء وطنه من يحمل شهادات علمية في ذلك الحين.

ويذكر أن أول خبير زراعي استدعاه الشيخ زايد -رحمه الله- هو عبد الحفيظ خان وكان ذلك في عام ١٩٦٢ عندما قرر الشيخ زايد تشجير مدينة العين، حيث وضع خطة زراعية لتشجير المدينة واستدعى هذا الخبير من باكستان ليقوم بهذا العمل تحت إشرافه، وكان الشيخ زايد يصرف راتبه من ماله الخاص. وفي منتصف عام ١٩٦٥ استقدم الشيخ زايد أول مهندس زراعي، هو المهندس مجدي شعت، ولهذا الحدث قصة يرويها المهندس نفسه، فيقول: «عندما

كان الشيخ زايد في زيارة أخوية لحاكم قطر، الشيخ أحمد بن علي آل ثاني، سأل الشيخ زايد عن الشخص المسؤول عن زراعة قصر الرميلة الذي حل به ضيفاً آنذاك فأجابه الشيخ أحمد ذاكراً اسمي، عندها طلب الشيخ زايد من حاكم قطر الاستعانة بي في زراعة قصر المقام في العين وعلى الفور وافق حاكم قطر، وقد رافقت الشيخ زايد في عودته إلى أبوظبي عن طريق البر» (١٠/٣).

وعندما تولى الشيخ زايد حكم الإمارة، واتسعت رؤيته في الزراعة قرر البدء في مسيرة الإعمار والتخضير وعلى نطاق واسع، ولم يكن على أرض الإمارة رجل واحد من المواطنين يحمل شهادة علمية في الزراعة أو عداها يمكن أن يشغل وظيفة من وظائف دائرة الزراعة التي بادر في تأسيسها مع بداية جلوسه حاكماً لإمارة أبوظبي في أغسطس ١٩٦٦. لذا فقد قرر الشيخ زايد بدء مسيرته في التنمية الزراعية مستعيناً بمختلف الخبرات والكفاءات العربية والدولية، فاستعان بالخبرات الأجنبية لشغل الوظائف الفنية والإدارية في تلك الدائرة وعين السيد خالد عبدالله الفياض مديراً عليها، وهو من كبار موظفي وزارة الزراعة في المملكة الأردنية الهاشمية، وهو أول مدير يشغل دائرة الزراعة وباشر عمله في النصف الأخير لعام ١٩٦٧. ثم خلفه في هذا المنصب الدكتور حسن رشيد الغرايبة في أواسط عام ١٩٦٨، وفي أواخر عام ١٩٦٩ طلبت حكومة أبوظبي من حكومة المملكة الأردنية الهاشمية اختيار خبير زراعي مقتدر يخلف الدكتور حسن الغرايبة، فكان ترشيح المهندس الزراعي السيد سامي علي بشناق. فكان توجه الشيخ زايد في تلك المرحلة دعم دائرة الزراعة بمزيد من الأخصائيين في مختلف العلوم والاختصاصات الزراعية لزيادة الفاعلية في تنفيذ المشاريع، والنهوض بمسؤوليات هذه الدائرة ومضاعفة الإنتاج.

والشيخ زايد، إذ أدرك مبكراً أهمية العلم والعلماء وإمكانية الاستفادة من الخبرات الأجنبية في شتى المجالات الزراعية في دعم توجهه الزراعي، فتح أبواب إمارة أبوظبي لكل الخبرات لتأتي إلى هنا وتشارك في التنمية والعمل على إقامة نهضة سريعة، ووجه المؤسسات الزراعية بالاستعانة بهؤلاء واستقدمهم إلى أرض الإمارة للعمل بها أو للاستشارة وتقديم المشورة، ولهذا قامت دائرة الزراعة في العين بعد تأسيسها بدعوة هؤلاء الخبراء في شتى التخصصات والحقول العلمية. ففي حقل تربية النباتات والتحريج والمتنزهات العامة زار البلاد في أواخر الستينيات البروفوسور برايور، استاذ علم النبات في جامعة استراليا الوطنية، حيث قضى في الإمارة أسبوعاً من الزمن زار خلالها كافة المناطق الزراعية في المنطقة الشرقية وقدم تقريراً عن أفضل النباتات والأشجار الحرجية التي يمكن إكثارها في تلك المنطقة والتي يمكن أن تتحمل الحرارة وجفاف الطقس السائدين. ثم زار المنطقة الدكتور يحيى أمين صلاح، خبير البستنة في منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) بالقاهرة سيما في نباتات شبه الاستوائية، ونصح هذا الخبير بأهمية وضع خطة متكاملة لأبحاث البستنة وتجربة الأشجار المثمرة التي أثبتت نجاحاً في المناطق الحارة وشبه الاستوائية. أما في مجال الإرشاد الزراعي وتحسين التعليم والخدمات الزراعية للمزارعين فقد زار البلاد السيد سعيد التاجي الفاروقي من منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) (القاهرة)، وقضى بضعة أيام درس خلالها إمكانية تأسيس مراكز إرشادية وقدم توجيهات تقضي بأهمية مباشرة الانتفاع من مختلف نشاطات المنظمة المذكورة وضرورة حضور الاجتماعات والمؤتمرات المختلفة، كما ساعد المذكور أيضاً في إيصال تقارير ومؤلفات المنظمة لهذه الدائرة بصفة دورية مستمرة.

كما اهتمت حكومة المملكة المتحدة برغبة حكومة أبوظبي في استقبال الخبراء البريطانيين، فقامت بإيفاد الإخصائيين الزراعيين بشؤون الإنتاج والتصنيع والتسويق الزراعي، فزار الإمارة عدد من الخبراء من مصانع إنتاج الأدوية والعلاجات الزراعية والبيطرة مثل شركة كوبر وشركة الصناعات الكيماوية البريطانية، وكذلك السيد وورد زوبرث، خبير التسويق الزراعي بالشرق الأوسط، الذي نصح آنذاك بتأسيس الجمعيات التعاونية للتسويق ومراكز التسويق المركزية. وزار الإمارة المستر ستيفنس من جامعة دُرَم البريطانية حيث قضى ثلاثة أشهر في دراسة وتحليل التربة وقابليتها لإنتاج مختلف أصناف وأنواع النباتات. وقدم المذكور تقريراً قيماً ضمنه نتائج أبحاثه ودراسته.

أما في مجال التحريج وإنشاء الغابات، فقد استعان الشيخ زايد -رحمه الله- وكخطوة مبكرة، بشركة فرنسية هي شركة الاستشارات الزراعية الفرنسية (سوجريا)، وهي من كبريات الشركات العالمية ذات الخبرة في شؤون التحريج وزراعة الغابات،

وكلفها بتشجير وإنشاء غابات من الأشجار التي تستطيع العيش في المناطق الصحراوية على طول وجانبي طريق أبوظبي-العين وفي مناطق طريف، وجبل الظنة وذلك بهدف وقف زحف الرمال على المناطق المعمورة وتوفير الظل والمراعي. وقد باشرت الشركة المذكورة عملها في عام ١٩٦٩ وحققت نجاحاً أصبح يلاحظه المسافرون بين هاتين المدينتين. وقامت الشركة بزراعة مجموعة من الغابات على جانبي طريق أبوظبي-العين بمساحة إجمالية تقريبية قدرها ٦ آلاف دونم والتي آلت العناية بها وصيانتها والمحافظة عليها إلى دائرة الزراعة بعد انتهاء عملها وعقد الشركة المذكورة.

ويمكن أن نوضح للقارىء هنا أن الخبراء والاستشاريين الذين قدموا للإمارة في ذلك الوقت فوجئوا بقسوة المناخ والذي على إثره كانت معظم توصياتهم زراعة أشجار يمكن أن تتحمل مثل تلك الظروف، أو عدم التفكير في الزراعة لعدم جدواها. وهنا أيضاً نلمس النضج الإداري الواضح من الإمارة في توجيه الدعوة لعلماء مختصين في النباتات والأشجار التي تتحمل الظروف البيئية الصعبة. وفي حديث لتلفزيون القاهرة في ٢٥ يونيو ١٩٧٦ قال الشيخ زايد -رحمه الله- في هذا الصدد: «كان الخبراء الذين قدموا إلينا لا يشجعون الزراعة، ويقولون إن نموها في أرضنا ووسط هذا المناخ أمر مستحيل، فقلنا لهم دعونا نجرب، ووفقنا الله، ونجحنا في تحويل منطقتنا الصحراوية إلى منطقة خضراء، مما شجعنا على الاستمرار والسير في هذا المضمار، ونحن اليوم نباشر بتشجير المراعي وزراعتها للحيوانات، وأصبح لدينا الآن ما يزيد على مساحة ٣٢ ألف هكتار مزروعة».

صورة ٣/٢. الشيخ زايد يشاهد باهتمام عرضاً سينمائياً عن نشاطات خبراء جامعة أريزونا في إنتاج الخضار. وذلك خلال فعاليات المعرض الزراعي السنوي الأول عام ١٩٦٩.

٣-٥ زايد ينشيء المحطات التجريبية والبحثية

في عام ١٩٦٨ تم تأسيس أول محطة للأبحاث والتجارب الزراعية على أرض إمارة أبوظبي، وكانت مساحتها ألف دونم تقريباً، وتقع في الجانب الشرقي لمدينة العين حيث تتوفر في تلك المنطقة تربة رملية طينية ومياه ري عذبة لا تتعدى نسبة الأملاح فيها عن ٤٠٠ جزء من المليون. وأحيطت هذه المحطة بمصدات الرياح لحماية الزراعات فيها من رياح الصحراء القاسية. وكان الهدف من إنشاء هذه المحطة إجراء التجارب والأبحاث الزراعية العلمية على إنتاج الخضروات، ومواعيد زراعتها، وزراعة الأشجار المثمرة، وإنتاج شتول الخضار والأشجار الحرجية وغراس الزينة والفاكهة، وأيضاً لإجراء تجارب التسميد وإضافة المخصبات الطبيعية وطرق وكميات الري، والفلاحة والحراثة. كذلك كان من أهدافها أن تكون مركزاً أساسياً لتدريب المزارعين على أصول الزراعة. وبالفعل تم إجراء العديد من التجارب والبحوث الزراعية في تلك المحطة لاكتشاف أفضل الأنواع والأصناف من محاصيل الخضار والفاكهة والأشجار الحرجية وأشجار الزينة. ولتدعيم إنتاجية المحطة تم دعم جهازها بمزيد من الاختصاصيين لمضاعفة إنتاج الأشتال والغراس، ودراسة طبيعة نموها، وإجراء التجارب والأبحاث على أصناف الخضار المتنوعة، وتحديد الملائم منها وتعميم ذلك على المزارعين، بالإضافة إلى كون المحطة مركزاً للتعليم ونشر الثقافة الزراعية بين المزارعين، وتدريبهم على أصول الإنتاج الصحيح، بعدها توالى ظهور مثل تلك المحطات التجريبية. وفي مجال أبحاث إنتاج الخضار في المناطق القاحلة وخدمة الأبحاث العالمية، فقد كان للشيخ زايد يد عظيمة ودور كبير في هذا المجال في ذلك الوقت المبكر. ففي ٢٢ مارس ١٩٦٩ قدم الشيخ زايد حاكم أبوظبي الأرض ومنحة قدرها ثلاثة ملايين ومائة وستون ألف دولار لجامعة أريزونا الأمريكية وذلك نظير إقامة مشروع أبحاث وتجارب لإنتاج الخضار وفق أحدث الوسائل العلمية، ويهدف -بجانب القيام بالأبحاث والتجارب الزراعية التي تخدم المناطق القاحلة- إلى تحقيق مصدر من مصادر الأمن الغذائي لمدينة أبوظبي. وسُمي ذلك المشروع بـ «مركز أبحاث الأراضي القاحلة» وأقيم على جزيرة السعديات، وزود بمحطة لتحلية مياه البحر لاستخدامها في الزراعة، كما زود بمحطة كهرباء وعدد كبير من البيوت المحمية (زجاجية وبلاستيكية) حتى لا تؤثر اعتبارات الطقس أو فصول السنة على البحوث، ولضمان استمرارية الإنتاج من المحاصيل الزراعية طوال السنة.

ولقد أسهم ذلك المشروع الرائد في المنطقة في ذلك الوقت في توفير الغذاء لأنواع مختلفة من محاصيل الخضار لمدينة أبوظبي والتي كانت تعاني في السابق من نقص في تلك المحاصيل، وبيع ما يستورد منها في سوق المدينة بأثمان باهظة، الأمر الذي كان يحرم كثيراً من المواطنين من الحصول على متطلباتهم من محاصيل الخضار اليومية. وبهذا المشروع الكبير استطاع الشيخ زايد أن يسد نقص الخضار في المدينة، وأن يحل أزمة غذائية كانت سائدة سنين طويلة. ويذكر لي بعض ممن شهد تلك المرحلة فرحة المواطنين بهذا المشروع الذي زود مدينتهم بالغذاء الطازج والرخيص، ويقول واصفاً إنتاج مشروع السعديات: «كان للسعديات إنتاج ممتاز ومن أفضل الإنتاج في السوق وكنا نشاهد كراتين الخضار وقد كتب عليها إنتاج السعديات».

كما أسهم هذا المشروع في تنشيط اقتصاد جزيرة السعديات فزادت حركة الحياة بها، وأقيمت المساكن الحديثة والعيادات الصحية والمدارس وتم توفير المياه والكهرباء فتحسنت أحوال المعيشة لسكانها الذين كانوا يعتمدون في حياتهم على صيد الأسماك قبل أن تتحول جزيرتهم إلى واحدة من أكبر المزارع التي أسهمت في سد احتياجات أبوظبي من الخضر والفاكهة.

وتزايد أعداد محطات التجارب والبحوث الزراعية بعد ذلك على أرض دولة الإمارات بسبب الاهتمام الكبير بالنشاط الزراعي فكان أهمها إضافة للمحطتين المذكورتين آنفاً، محطة الأبحاث الزراعية بالسلامات، والمركز التجريبي الزراعي بمزيد، ومحطة الحمرانية. وكانت تلك المحطات البحثية تسعى في مجملها إلى تحقيق الأهداف التالية:

- إجراء البحوث والدراسات حول تنمية المناطق الصحراوية، واتباع الأساليب الحديثة في الزراعة.
- عمل الدراسات الشاملة حول المحاصيل الهامة من الخضر والفاكهة، ووضع البرامج للنهوض بها.
- إجراء الدراسات حول اقتصاديات الإنتاج لمعرفة مدى

صورة ٣/٤. متابعة مستمرة لأنشطة المحطات التجريبية والبحثية التي كان يأمر بإنشائها.

صورة ٣/٥. الشيخ زايد يطلع على نتائج إحدى المحطات البحثية في السبعينيات من القرن الماضي.

إمكانية إقامة الصناعات الغذائية.

- وضع البرامج لحل المشكلات الرئيسة التي تجابه المزارع.
- وضع الحلول المناسبة للحد من استهلاك المياه، وإتباع الطرق الاقتصادية في الري.

٣-٦ زايد ينشيء المزارع النموذجية

رأينا في فصل سابق كيف عاش الشيخ زايد تجربة العين بإمكانياتها الضعيفة وبالرغم من ذلك كان قد بدأ يستصلح الأراضي لزراعتها، وكان يحث المواطنين على ذلك، ويعرض عليهم الأراضي المجاورة للمدينة والواحات لزراعتها، ويشجعهم ويمدهم بالمضخات وغيرها من لوازم الزراعة المتوفرة لديه في ذلك الوقت. ولكن ما أن تولى الشيخ زايد حكم أبوظبي وتوفرت له الإمكانيات لم تقتصر أعماله فقط على المناطق القريبة من المدينة، بل اقتحم الصحاري الشاسعة وبدأ يخططها ويطلق عليها الأسماء ثم بعد ذلك يستصلح أراضيها، ثم يقيم عليها مزارع نموذجية مزودة بعدد بئرين إرتوازيين مع المضخات وشبكة ري وسياج (سور) حول المزرعة وعامل زراعي، ثم بعد ذلك يأمر بتمليكها للمواطنين بدون أي مقابل. والأكثر من ذلك كان يعطي أوامره للمؤسسات الزراعية بتقديم كل الخدمات الفنية والمادية للمزارعين، فكانت دائرة الزراعة تصرف الأسمدة وأنواع مختلفة من بذور الخضار والأعلاف والشتلات، كما تقوم بعمليات الإشراف والإرشاد على تلك المزارع ومنح القروض ومعدات الرش، ثم بعد أن تنضج الثمار تقوم الدائرة باستلام المحاصيل وبأجور مجزية يستلمها المزارع عند نهاية كل شهر.

صورة ٣/٦. الشيخ زايد يقود حملة استصلاح أراضي جديدة لإقامة مشاريع زراعية حديثة.

وأول صرف لتلك المزارع النموذجية في العين كما تشير إحصاءات دائرة الزراعة بالعين كان في عام ١٩٦٩، وفيها قام قسم إنشاء المزارع والإرشاد الزراعي بدائرة الزراعة بتوزيع ١٢٠ مزرعة في مدينة العين والمناطق التابعة لها، وكانت مساحة كل مزرعة في تلك الفترة حوالي ٥٠ فداناً، أقيم بها خزانات الماء وسياج واقي حول المزرعة، وحفرت فيها الآبار الارتوازية وزودت بالمضخات وماكينات الري، فجرى تركيب ٦٠ مضخة و٧٧ ماكينة على تلك الآبار (٧/٣)، كما غطت الدائرة نفقات إصلاح هذه المكائن عندما يتقدم المزارعون بطلباتهم لمثل تلك الخدمات، كما كانت تزود المزارع أيضاً بالبذور والشتلات والأسمدة، وتوفر لها عمليات الوقاية والإرشاد بانتظام. وفي عام ١٩٧٠ تم تجهيز ١٥٠ مزرعة أخرى مشابهة لتلك المزارع، وهكذا كان عدد المزارع يتزايد سنة بعد أخرى، وظل الشيخ زايد على هذه الوتيرة يستصلح أراضي الصحراء ويقيم عليها المزارع النموذجية ويوزعها على المواطنين بالمجان حتى وفاته رحمه الله(٧/٣).

ولقد أشارت التقارير البريطانية إلى ذلك التوجه للشيخ زايد وأوردته في تقاريرها السرية، فيشير السيد، لامب المعتمد البريطاني في أبوظبي، في تقريره الذي كتبه للسير ستيوارت كراوفورد المقيم السياسي البريطاني بالبحرين في ٦ نوفمبر ١٩٦٦ عن أبوظبي إلى أنه: «يمكن عن طريق انتهاج سياسة توطين زراعي تذليل صعوبات حل معضلة توزيع ثروة البلاد الهائلة، وهي سياسة لن تساعد فقط على توزيع الثروة، بل ستولد المزيد من المصادر والموارد، ويدرك الحاكم هذا، ويعيه جيداً، وهو متلهف للشروع في التنمية الزراعية» (١٢/٣). ويقول أيضاً في تقريره: «يخطط الحاكم لإقامة نظام تمليك زراعي، تمتلك بموجبه عائلات المواطنين في البريمي قطعة أرض صغيرة ومضخة مياه، مع ضمان إمدادها بالمياه العذبة، وتزويدها بمنزل مكون من حجرات ثلاث يتمتع بنظام الصرف الصحي» (١٢/٣).

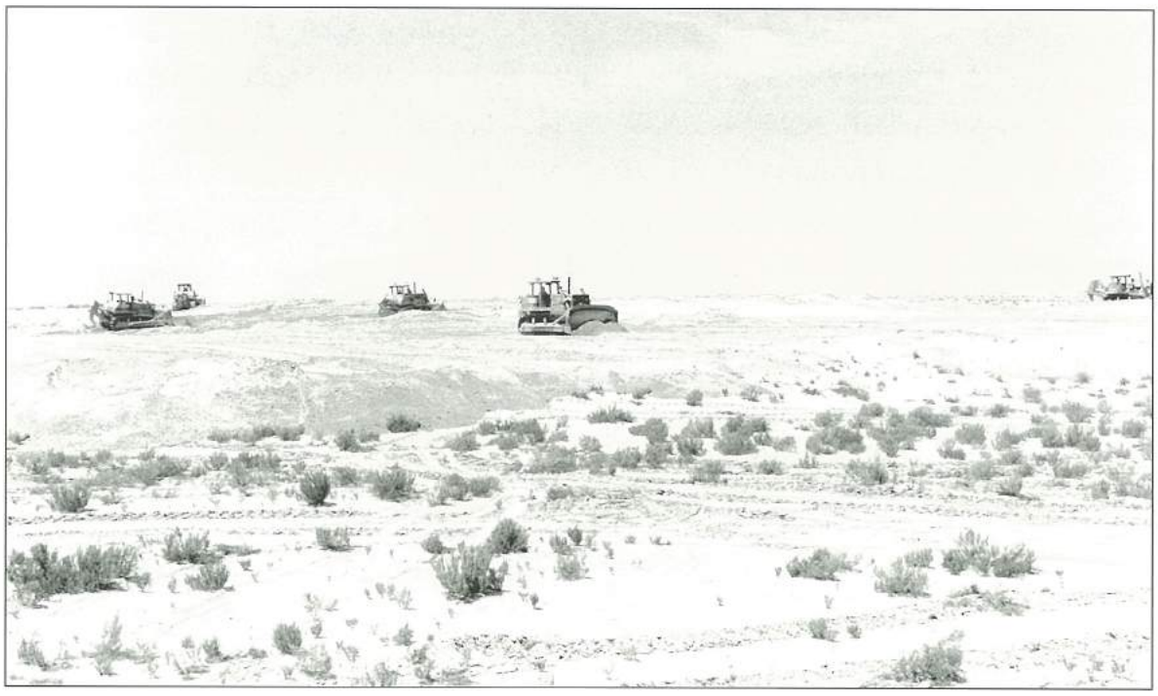

صورة ٣/٧. استصلاح أراض شاسعة من الصحراء لإقامة مزارع نموذجية للمواطنين.

صورة ٣/٨. مزرعة نموذجية كاملة التجهيز، وفي الصورة معدة زراعية تقوم بالحفر لتجهيز شبكة ري حديثة في مزرعة أحد المواطنين في المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي.

٣-٧ زايد يقيم المعارض الزراعية ويشجع المواطنين المشاركة فيها

البداية كانت في مدينة العين، فعندما كان الشيخ زايد ممثلاً للحاكم في المنطقة الشرقية كان يشجع المزارعين ويأمرهم بعرض منتجاتهم الزراعية عليه، وكان يفرح بذلك أشد الفرحة. يذكر الدكتور ثابت، وهو أول طبيب جاء إلى مدينة العين في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، أن أول شيء لاحظه في المدينة هو حب الشيخ زايد للزراعة، وأن من شدة ذلك الحب كان رحمه الله يقيم المعارض الزراعية البسيطة في المدينة، فيعرض فيها أصحاب المزارع إنتاجهم من الخضروات والفاكهة، وكان الشيخ زايد يشجع المشاركين في هذه المعارض ويكافؤهم، ويقول راوي الحديث أن أول معرض زراعي كان في عام ١٩٦٣.

وعندما تولى الشيخ زايد مسؤولية الحكم في الإمارة وشكل مؤسساتها الزراعية شجع على إقامة المعارض الزراعية بشكل قوي ومنتظم بغية تحميس المزارعين على التنافس لإنتاج أفضل المحاصيل. وفي ٢ مارس ١٩٦٩ افتتح الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي المعرض الزراعي الأول للزهور والخضروات والذي أقامته بلدية العين، ويعتبر هذا أول معرض من نوعه يقام في إمارة أبوظبي (١٣/٣). ولقد وجه الشيخ زايد- رحمه الله- أن يقام المعرض سنوياً، فتوالى تنظيمه سنوياً، وكان الشيخ زايد يحرص أن يفتتحه بنفسه ويشارك فيه المواطنين. وفي ٢٦ فبراير ١٩٧٠ افتتح الشيخ زايد -رحمه الله- المعرض الزراعي السنوي الثاني الذي أقامته دائرة الزراعة بمدينة العين (١٤/٣)، واشترك فيه حوالي ٥٢ مزارعاً و٣ دوائر و٥ شركات ومؤسسات زراعية. وقد لاقى هذا المعرض نجاحاً كبيراً، وعبر الشيخ زايد عن ارتياحه التام لما تم تحقيقه في مجال الزراعة وتحسين مستواها في إمارة أبوظبي الفتية. وبلغ عدد زوار المعرض أكثر من ٥ آلاف زائر بالإضافة إلى عدد من الوفود التي كانت تزور الإمارة في تلك الآونة سواء من الإمارات المجاورة أو دولية ومنها وفود منظمة تنظيم المدن العربية، وقد أعجبوا كثيراً بما وصلت إليه إمارة أبوظبي على الرغم من الفترة القصيرة التي انقضت على نهضتها.

وفي ٢٦ مارس ١٩٧١، شهد الشيخ زايد حفل افتتاح المعرض الزراعي السنوي الثالث الذي نظمته دائرة الزراعة في مدرسة مالك بن أنس بمدينة العين (١٥/٣). وفي ١٧ مارس ١٩٧٢ افتتح الشيخ زايد المعرض الزراعي السنوي الرابع الذي نظمته وزارة البلديات والزراعة وذلك أيضاً في مدرسة مالك بن أنس في مدينة العين (١٦/٣). واستمر الشيخ زايد يقيم المعارض الزراعية ويفتتحها بنفسه سنين عديدة، وكان رحمه الله يبتهج ويسعد كثيراً بإقامة هذه المعارض والتي يعرض فيها المواطنون منتجاتهم ويشجعهم عليها ويفتخر بذلك. وقال رحمه الله عقب افتتاحه المعرض الزراعي السنوي الثامن في مدينة العين يوم ٢٥ مارس١٩٧٧: «إنني مسرور جداً بما شاهدته اليوم في هذا المعرض للمنتجات الزراعية التي تبشر بالخير، حيث أن المنتجات المعروضة في معرض هذا العام زادت أضعافاً مضاعفة عن الأعوام السابقة، وأنا فخور أيضاً بما رأيته اليوم من إقبال المواطنين على الزراعة واهتمامهم بها مما يجعلنا نواصل تشجيع ودعم المزارع بكل الإمكانيات المادية والمعنوية والفنية ليسهل عليه العمل ويزيد من الإنتاج. ونتيجة لمتابعتي الشخصية لكل ما يتعلق بالزراعة وتطويرها وتنميتها، وجدت اليوم أن حجم المنتجات الزراعية للخضروات والمحاصيل الأخرى كالحبوب والنخيل يزيد ضعفين عما كان عليه في العام الماضي. واهتمام المواطن بالزراعة واضح من زيادة الطلبات على المكائن والآلات الزراعية الحديثة التي تقدمها وزارة الزراعة للمزارعين. ونتيجة لاهتمام الحكومة ورعايتها للمزارعين فقد زاد عددهم في الدولة خمسة أضعاف عددهم قبل خمس سنوات، كما أُنتجت أنواع جديدة كثيرة ومتعددة كالخضروات والمحاصيل الزراعية وأصبح إنتاجها يبشر بمستقبل زاهر» (١٧/٣).

وكان الشيخ زايد يهدف من تنظيم تلك المعارض الزراعية أولاً تشجيع المواطنين على الزراعة ورفع معنوياتهم وخلق روح المنافسة بينهم، وذلك لحثهم على الاجتهاد والاهتمام بمزارعهم وإنتاجهم أكثر فأكثر. كما كان يريد أيضاً من المواطنين الآخرين الذين يزورون تلك المعارض أن يتأثروا بتشجيعه لأولئك المزارعين فيحذوا حذوهم. فرحمك الله يا زايد الخير.

ومن الأشياء التي أولاها الشيخ زايد -رحمه الله- اهتمامه وأعطاها قدراً كبيراً من وقته جولاته وزياراته للمزارعين. فكان

يزور المزارعين في مزارعهم ويسألهم عن إنتاجهم ويطلب منهم أن يروه إنتاجهم، فكان المواطنون يعرضون إنتاجهم فيفرح كثيراً بما يعرضونه عليه، ويجلس معهم ويأكل معهم ما أنتجت مزارعهم ويشجعهم فكان هذا العمل يؤثر فيهم كثيراً ويجعلهم أكثر ارتباطاً بأرضهم ومزارعهم، ثم يسألهم عن حاجاتهم وحاجات مزارعهم فيأمر بتوفيرها لهم.

صورة ٣/٩. الشيخ زايد يفتتح المعرض الزراعي الرابع في مدينة العين عام ١٩٧٢، يرافقه أخيه الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان.

صورة ٣/١٠. الشيخ زايد يفتتح المعرض الزراعي السابع (العين، ١٩٧٦).

صورة ٢/١١. الشيخ زايد يستمع لشرح أحد المشاركين ويناقشه في الزراعة، (المعرض الزراعي الرابع، العين ١٩٧٢).

صورة ٢/١٢ (أ، ب، ج، د). الشيخ زايد يطلع على المنتج الزراعي للمشاركين في المعرض الزراعي الرابع، مدينة العين، ١٩٧٢.

صورة ٣/١٤. الشيخ زايد يتجول في أحد المعارض الزراعية التي كان يوجه المؤسسات المختصة بإقامتها، ويشجع المواطنين المشاركة فيها (٥ مارس ١٩٧٧).

صورة ٣/١٥(أ، ب). الشيخ زايد يطلع على إنتاج مزارع المواطنين من المحاصيل الزراعية المختلفة (١٩٧٨).

٣-٨ زايد يخطط المشاريع الزراعية ويشرف عليها بنفسه

إن من أعظم الصفات التي تميز بها الشيخ زايد -رحمه الله- عن غيره من الزعماء أنه كان رجل الميدان، وأن أعظم مشاريع التنمية، سواء كانت زراعية أو بيئية أو في مجالات أخرى كمشاريع الإعمار والتعليم التي قامت على أرض دولة الإمارات، كانت من صنع فكره ويده، فهو الذي خططها، ووقف على مراحل إعدادها، وأشرف على تنفيذها، وإذا كان بعيداً عن موقعها كان يستخبر المسؤولين المكلفين عنها ليتابع أخبارها دون أن ينسى واحداً منها. لم يترك الشيخ زايد الأمور تسير بعيداً عن عينيه ورقابته الميدانية المباشرة، فقد حرص على الذهاب بنفسه إلى الميدان ليشرف ويتابع ويلتقي بالمسؤولين على كافة المستويات ليوجههم توجيه القائد الخبير ببواطن الأمور، الواعي بكل أبعاد الموضوع.

كانت تلك الصفة في شخصية زايد قديمة، فعندما كان ممثلاً للحاكم في العين رأينا في فصل سابق من هذا الكتاب كيف كان الشيخ زايد المخطط الأول لبرامج التنمية، والموجه الأول، والمشرف الأول على تلك الأعمال، بل كان القائد المشارك حيث شارك قومه الأعمال، وتجلى ذلك واضحاً عندما قاد ملحمة تطوير الأفلاج في مدينة العين، فكان ينزل في أعماق تلك الأفلاج ليطمئن إلى دقة العمل، وكان يشارك الناس الحفر وخاصة في حفر (فلج العين) وظلت هذه المنقبة معه طوال حياته حتى في أصعب الظروف، وعندما ساءت صحته آخر عمره كان الشيخ زايد يخرج ويحرص على جولاته التفقدية، ويراقب سير العمل في المشاريع القائمة.

ويروي معالي علي بن سالم الكعبي، الذي عمل مع الشيخ زايد في سنواته الأخيرة كمدير مكتب صاحب السمو رئيس الدولة، فيقول: «كانت جولات الشيخ زايد صباحية ومسائية، وكان عند خروجه من القصر يحدد الاتجاه، لقد كان منظماً في كل شيء ويعرف إلى أين يذهب، وكان يستفسر خلال جولاته عن أدق التفاصيل من القائمين على تلك المشاريع، وكان يدخل في أسئلة غاية في التفاصيل حول المشاريع، سواءاً كانت زراعية أو سكنية أو شق الطرق أو تدخل ضمن مشاريع البنية التحتية، وكان يشرف رحمه الله بنفسه على إنشاء البيوت الشعبية وكان يقف على التصاميم قبل التنفيذ ويوجه المهندسين في توزيع الغرف وأبعاد كل غرفة ويطلع عليها لدرجة أنه يعرف غرف المساكن كم عددها وقياساتها بتفاصيل تذهلنا أحياناً، وكان يغضب كثيراً لو أحس بغش في عملية البناء، وكانت العصا التي يحملها طولها متر بالتمام والكمال لا تنقص سنتيمتراً واحداً ويحتفظ بها دائماً في سيارته وعندما نكون في أحد المشاريع العمرانية أو مشاريع (الدفان) يطلب منا أن نقوم بالتأكد من القياسات باستخدام العصا. وكان سموه عندما يشرع في التجهيز لأحد المشاريع قبل الرسم على الخرائط والتنفيذ كان يطلب منا أن نحدد المكان بوضع علامات مميزة عبارة عن أحجار كبيرة ثم يقف أمام الموقع ليحدد أماكن المساكن والأسواق والمساجد والحدائق، ثم يأتي بعد ذلك دور المهندسين ليضعوا ما خطط له الراحل الكبير على الأوراق ليبدأ بعدها المتابعة للتنفيذ وليتأكد بأن العمل يجري كما خطط سموه. والذي يأتي بخارطة خاصة فيما يخص الإنشاءات يجب أن يعرف أدق التفاصيل في الخارطة و إلا تورط أمام زايد واعتبر غير متقن لعمله. كان كل هدفه في جولاته اليومية أن يتفقد المشاريع الجبارة التي يهدف من خلالها أن يرى شعبه والمقيمين في هذه الدولة سعداء، سواء المشاريع التخطيطية أو السكنية أو الزراعية أو الترفيهية والمشاريع التنموية بشكل عام».

ويؤكد ذلك معالي وزير الزراعة والثروة السمكية السابق، السيد سعيد محمد الرقباني، والذي عمل بالقرب من الشيخ زايد في حدود سبع وعشرين سنة، فيقول: «الشيخ زايد كان دائم السؤال والمتابعة عن الزراعة والمشاريع الزراعية في الدولة، وما التقيته قط إلا وسألني عن أحوال الزراعة والمزارعين، وإذا أمر بمشروع زراعي كان دائم السؤال عنه ويريدنا أن نوافيه دائماً بالتقارير عنه، وكان رحمه الله ينزل الميدان ليراقب ويتأكد من حسن تنفيذ الأعمال، فكان يعشق الميدان وحريص على المتابعة» (١٨/٣).

وحدثني السيد سلطان هلال بن دري القبيسي، وكيل الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، والذي عمل بالقرب منه مدة أربعة عشر عاماً فيقول: «لم يكن الشيخ زايد يغفل عن أي مشروع قد أمر به وحتى في أيام سفره للخارج. فكان يطلب منا موافاته بتقارير مفصلة عنها كل أسبوعين ليرى الفرق في العمل وحجم الإنجاز خلال هذه المدة. فكنا نقوم بتصوير تلك المشاريع من الأرض ومن الجو عن طريق طائرة الهيلوكبتر ثم نقدم له تقريراً مزوداً

بالصور». ويضيف بن دري: «ولقد كنت أعجب كثيراً من شدة حرصه رحمه الله على الوقت فإذا كنا خارج الدولة وأمرني بالعودة للإمارات لمتابعة المشاريع الزراعية كان يريدني أن أعود في أقرب وقت ممكن ليعرف المزيد عن تلك المشاريع. وكنت أشعر بعد أن يعطيني التعليمات بالعودة لمتابعة المشاريع أنه لا يريد أن يراني في مجلسه، وعندما كنت أعود كان يفرح بي ويقربني من مجلسه ليسمع بشوق لما أحمله له من أخبار. وكان يسأل بدقة متناهية عن تلك المشاريع» (١٩/٣).

وما يدهشني أكثر في هذا الموضوع ما سمعته من السيد سلطان هلال بن دري القبيسي وأشير إليه هنا ليتأمل في عظمته القارىء الكريم. يقول بن دري: «عندما كان الشيخ زايد في رحلة العلاج بأمريكا في عام ١٩٩٧ والتي فيها أجرى عملية جراحية كان أول شيء سألني عنه بعدما أفاق من العملية هو المشاريع الزراعية التي كان قد أمر بها. وفيها أمرني أن أتصل بالشيخ طحنون بن محمد آل نهيان والسيد محمد البلوشي وأسألهم عنها. وعجبنا جميعاً من حرص الشيخ زايد على متابعة الأعمال وهو في تلك الظروف والتي كان حينها لا يزال في العناية المركزة» (١٩/٣).

ويضيف الوكيل المساعد في الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، السيد راشد محمد بن حرمش المنصوري، والذي عمل بالقرب من الشيخ زايد أكثر من ثلاثين عاماً أنه كان رحمه الله يتابع بدقة المشاريع التي قد أمر بها ويسأل عنها باستمرار، وحتى في آخر عمره عندما بدأت صحته تتدهور». ويقول أيضاً في شهادته: «أن الشيخ زايد كان يسأل عن كل شيء في الزراعة، ويسأل عن الأمطار ومكان سقوطها وكمياتها وفي أي مكان سقطت في الدولة» (٢٠/٣).

كان الشيخ زايد يهدف من تلك الجولات تحقيق عدة أهداف أولها التأكد من سير العمل في تلك المشاريع وأنها تجري وتنفذ بصورة دقيقة وكما يريدها. ثانياً، أنه بهذه الصفة يقدم للمسؤولين الآخرين القدوة لكي يشرفوا بأنفسهم على المهام الملقاة عليهم، وفي هذا كان يقول: «إنني أريد أن يراني المسؤولين بأعينهم على رأس العمل، وفي أي وقت بدون التحضير لذلك، حتى يقتدي كل مسؤول بهذا الأسلوب في العمل، وصولاً إلى الكفاءة والاقتدار في كل إنجازات الدولة»، ثم يضيف: «وكيف يرتاح ضميري إذا لم أُلاحظ وأُتابع بنفسي سير العمل في مشاريع التنمية وغيرها، وما إذا كانت تسير بجدية أو بإهمال، ولهذا فإنني أفضل التعب والمشقة مكتفياً بساعات قليلة للراحة، في مقابل أن تتم إنجازات الدولة على الوجه الأكمل والصورة المُثلي» (٢١/٣). ثالثاً، أنه بهذه الجولات كان يلتقي المواطنين للاستماع إلى مطالبهم والنظر في احتياجات مناطقهم من مشاريع الخدمات. وكان رحمه الله يسعد كثيراً بلقاء رعيته ويقول في هذا الشأن: «إن الحاكم يجب أن يلتقي بأبناء شعبه باستمرار، ويجب ألا تكون بينه وبينهم حواجز مهما تكن الظروف» (٢٢/٣).

وعندما طلب منه البعض عدم إجهاد نفسه بهذه الجولات والمتابعات المرهقة لمواقع العمل رد قائلاً: «لقد اقترح علي البعض شخصياً أن أترك متابعة سير العمل للمشاريع إلى المسؤولين المكلفين حتى لا أتحمل المعاناة والمشقة خلال وجودي في هذه المواقع وقت الظهيرة وفي فصل الصيف، وكان ردي عليهم إنني المسؤول الأول عن هذه الدولة فكيف اترك العمل للمسؤولين بدون متابعة مني لما يتم إنجازه خطوة بخطوة وذلك تحاشياً لأي خلل أو قصور. وبالفعل قد لاحظت قصوراً في بعض مواقع العمل والتي كنت أتطلع إليها بكل الأمل في أن يكون الإنجاز على الوجه الأكمل وبكل كفاءة» (٢٣/٣). كما أضاف إلى ذلك وهو يعرف ويحدد مسؤولية الحكم وقلق الحاكم العادل فيقول: «وكيف يرتاح ضميري إذا لم ألاحظ وأتابع سير العمل في مشاريع التنمية وغيرها، وما إذا كانت تسير بجدية أو بإهمال، ولهذا فإنني أفضل التعب والمشقة مكتفياً بساعات قليلة للراحة في مقابل أن تتم إنجازات الدولة على الوجه الأكمل والصورة المثلي» (٢٣/٣).

ولقد استمر الشيخ زايد- رحمه الله- يحرص على جولاته التفقدية حتى في آخر سنوات عمره. وفي هذا الشأن حدثني السيد سلطان هلال بن دري القبيسي، وكيل الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، عن موقف جميل عايشه هو بنفسه مع الشيخ زايد، يقول فيه: «بعد أن رجع الشيخ زايد من فترة علاجه في أمريكا، باشر جولاته التفقدية في عدة اتجاهات وكان من بينها الذهاب إلى منطقة حزام الغابات، ليتفقد مشاريع الغابات التي أمر بها، وكنت أنا من يقود له السيارة في تلك الجولة. وكنت أتريث بالسياقة خائفاً على صحة الشيخ زايد من حركة السيارة وهي تمر في الطرقات غير المعبدة

في الصحراء، فكان الشيخ زايد يقول لي: «لماذا تتباطأ؟ ولماذا لا تريد أن تمر من هذا الطريق أو ذاك أتخشى أن تغرز؟»، ويواصل رحمه الله: «لاتخشى شيء، إذا غرزت السيارة غيرك سوف يخرجها من الرمل». فعجبت من استمرارية الهمة الكبيرة في نفس ذلك القائد وفي ذلك العمر، وكيف أنه مازال لا يبالي بشيء في سبيل الإشراف على مشاريع التنمية (١٩/٣).

وإن من الشيء الجميل والعظيم لتلك الجولات والزيارات التي كان يقوم بها الشيخ زايد لتطوير البلاد أنه ما نزل موضعاً إلا وتركه خيراً مما كان عليه، ولسوف نذكر كثيراً من القصص والمواقف في هذا المعنى في الفصل الحادي عشر (صور أخرى من العبقرية). وهنا أذكر قصة مختصرة رواها السيد خلفان مطر الرميثي رئيس الحرس الأميري السابق الذي قال: «تشرفت بالعمل مع الشيخ زايد سنين عديدة، ورافقته في جولاته الكثيرة، وأحياناً كان يخرج في عز الصيف (أي أشد أشهر الصيف حرارة) ويقف يخطط ويوجه في وسط الصحراء، وكنا نسائل أنفسنا ماذا يصنع الشيخ زايد في هذه الصحراء وفي هذه الأشهر الحارة؟ وبعد فترة كنا نكتشف أن المكان الذي كانت قدماه تقف وتمشي عليه قد تحول إلى بساتين وجنان خضراء يعيش فيها الطير والحيوان، ويستمتع برؤيتها الإنسان» (٢٤/٣). ويقول السيد محمد سلطان الدرمكي -رحمه الله- وهو أحد الرجال الذين كلفهم الشيخ زايد بمسؤولية الاشراف على دائرة الزراعة والثروة الحيوانية بالعين، في السياق نفسه: «إن الشيخ زايد كان يشرف بنفسه على زراعة الشجر وكان يتابعها شجرة شجرة وكنا نشاهده يخرج تحت الشمس ويتحمل مشقة الحرارة والغبار ليشرف بنفسه على عملية التشجير مما أوجد لنا حافزاً وعزماً قوياً للسير على خطاه» (٢٥/٣).

وهذه الصفة التي كانت بارزة في شخصية الشيخ زايد -رحمه الله- هي صفة القياديين الصالحين، صفة محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته العظام مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وهنا حديث نبوي عظيم عن هذا المعنى: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (٢٦/٣).

ولا أريد الإطالة في الحديث عن هذه الخصلة التي بدأ بها الشيخ زايد مشواره التنموي على أرض الإمارات واستمرت معه طيلة حياته، وأني لأدعو القارىء للتأمل في هذه الصور وإنها لأبلغ أحياناً مما تخطه الأقلام. فلنتأمل فيها قليلاً لمعرفة أي رجل كان الشيخ زايد، وأي قائد هذا الذي يقف تحت الشمس، يراقب ويشرف ويوجه.

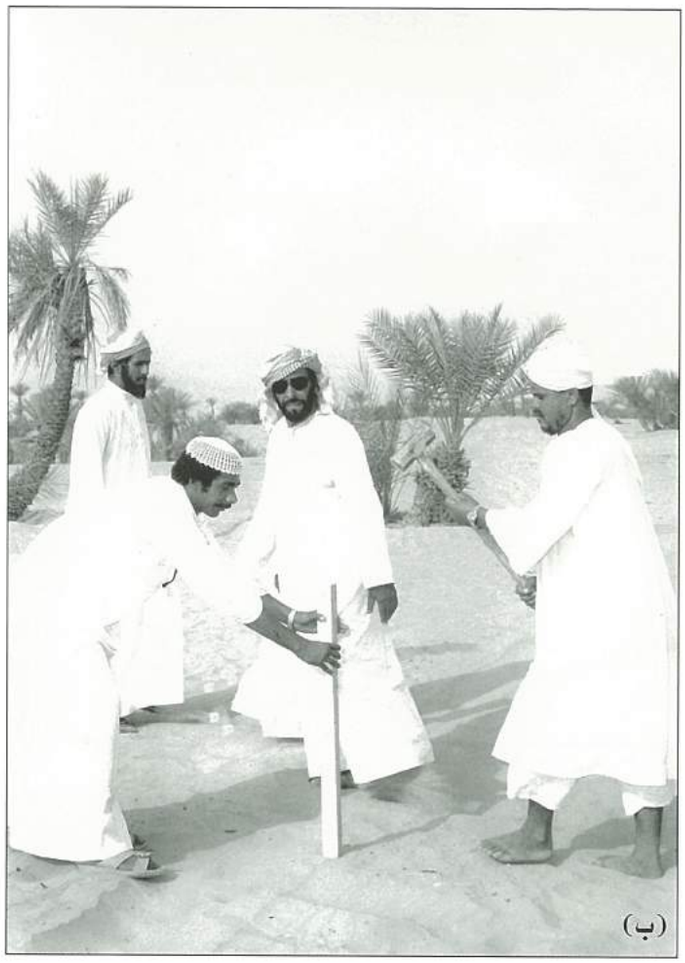

صورة ١٦/٣ (أ، ب، ج). الشيخ زايد يشرف على تخطيط مشروع زراعي جديد، عام ١٩٧٩.

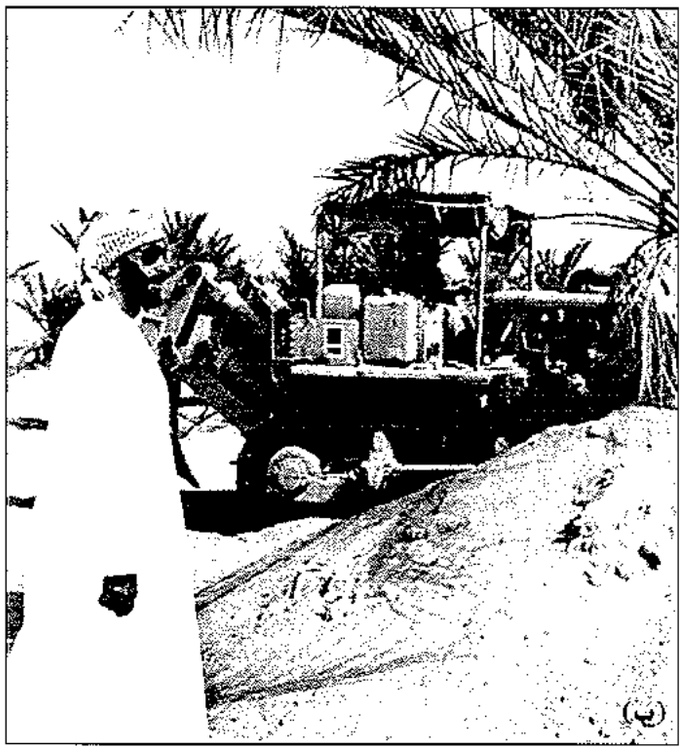

صورة ١٧/٣ (أ، ب، ج، د). كانت حياته مشواراً طويلاً من العمل الدؤوب المتواصل، وحلم تحويل الصحراء إلى واحات خضراء.. أمر شغله طوال حياته، وأن هذه الصور لهي أكثر بلاغة من القول، عام ١٩٧٩.

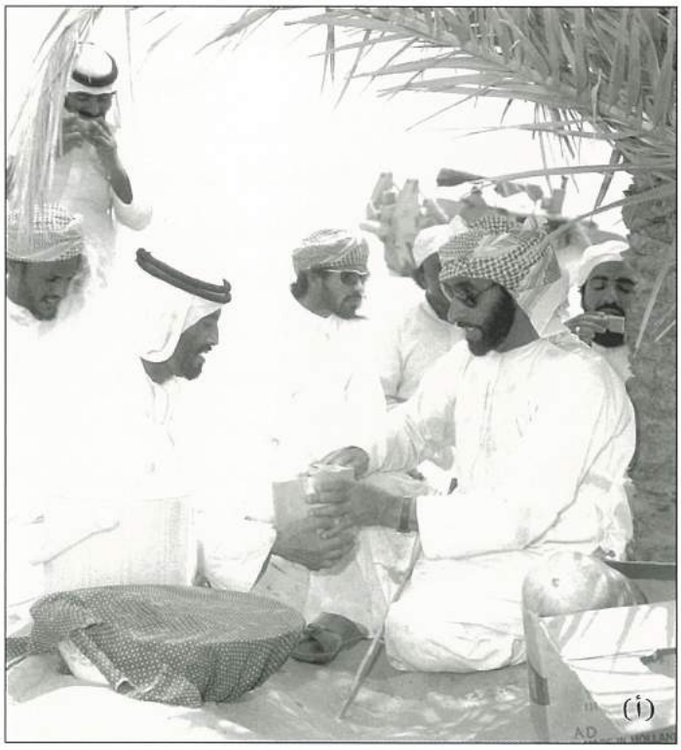

صورة ١٨/٣ (أ، ب). الشيخ زايد في الحقل يشارك المواطنين تناول ثمار الفاكهة (الجح والتمر) وقت استراحته أثناء عمل مشروع زراعي جديد (١٩٧٩).

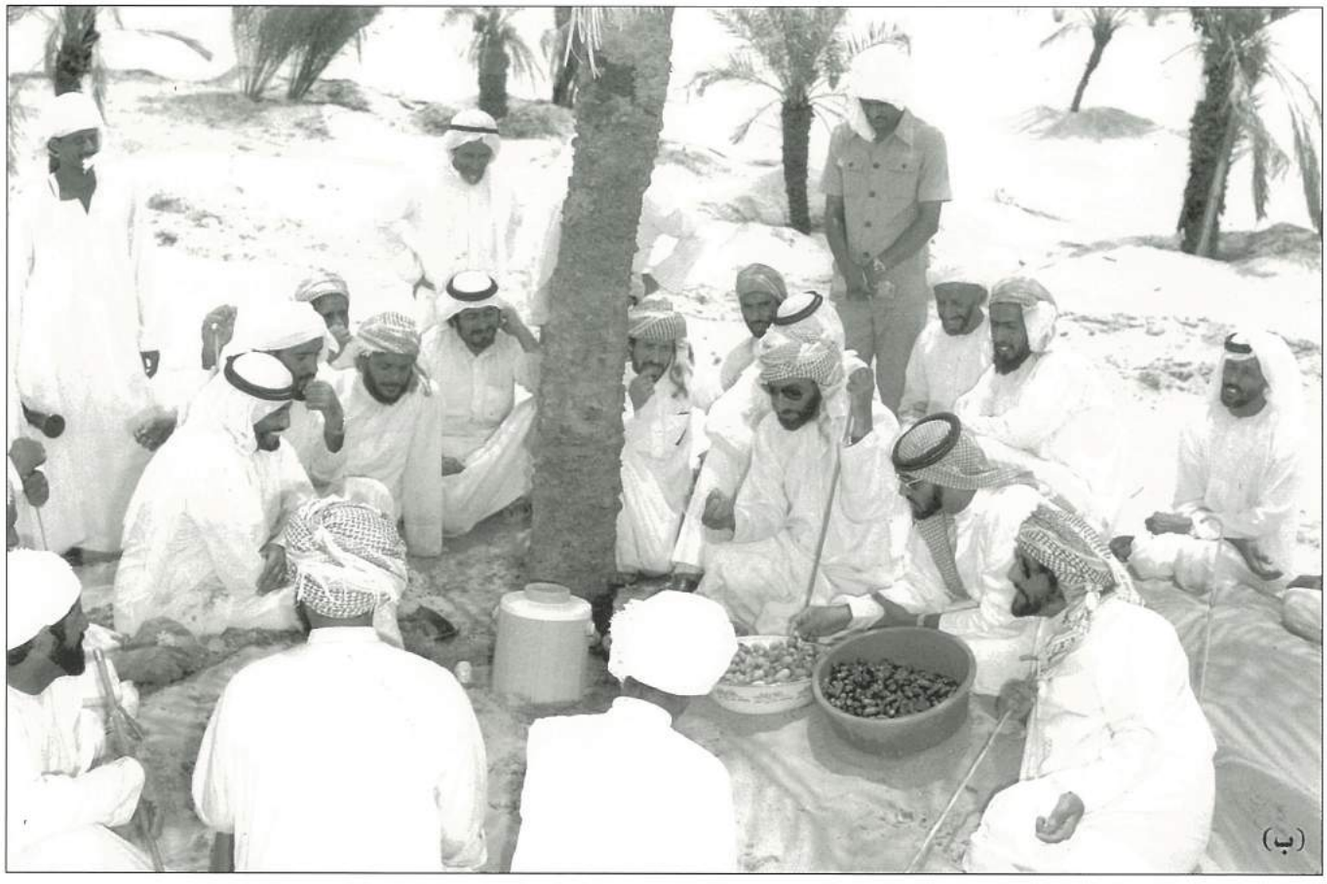

٣-٩ زايد يصدر القوانين والتشريعات الداعمة للزراعة والبيئة

صاحَبَ اهتمام الشيخ زايد بالنشاط الزراعي والبيئي اهتمامه البالغ وحرصه الشديد في المحافظة على هذه الثروة إدراكاً منه بأهميتها خاصة في بيئة صحراوية تفتقر للحياة الخضراء، فقام بسن القوانين والتشريعات العديدة للمحافظة على الثروة الزراعية والبيئية على أرض الإمارات. ولهذا الهدف أيضاً لم يتوانَ الشيخ زايد -رحمه الله- على الإطلاق في إصدار تلك القوانين والأنظمة ولو كان الأمر يتعارض مع مصالح الآخرين. ففي أوائل السبعينيات من القرن الماضي أصدر قراراً حكيماً يمنع فيه الإضرار بالأشجار مهما كان نوعها، بعدما استنكر رحمه الله قطع شجرة كبيرة وارفة الظلال كانت في منطقة السوق في العين بهدف توسيع المنطقة في أواخر الستينيات (٣/٢٧)، وكان ذلك القرار قراراً صائباً ومن المواقف الحكيمة التي يشهد بها للشيخ زايد -رحمه الله- في مجال المحافظة على البيئة، فتضمن ذلك القرار منع الاحتطاب من الأشجار الصحراوية ومن يرتكب ذلك فإنه مخالف ويخضع للقانون مهما يكن شخصه، كما تضمن منع قلع أي شجرة، وأين ما كان موقعها، ولأي سبب كان إلا لحالات الضرورة القصوى، لدرجة أنه أمر بتغيير مجرى بعض الشوارع لتجنب التعرض لشجرة موجودة في خط سير الشارع، والكثير من مشاريع الطرق تم تفادي إقامتها في مناطق مشجرة أو بها أشجار كبيرة أو مجموعة من النخيل.

ويذكر أفراد بعثة مجلة «العربي» الذين زاروا أبوظبي عام ١٩٧٤ مدى الاحترام والتقدير التي تناله الشجرة في أرض الإمارة قائلين: «الويل لك إن قطعت شجرة في أبوظبي. إنها الجريمة التي لا تغتفر في هذا البلد.. الطرق المستقيمة تلتوي عندما تتقابل مع شجرة.. وحاكم البلاد يقطع جزءً من جلبابه ليصلح به اعوجاج شجرة.. إلى هذا الحد وأكثر منه وصل شعور سكان أبوظبي تجاه الشجرة» (٣/٢٨).

ومما يحسب للشيخ زايد- رحمه الله- أيضاً أنه وفي وقت مبكر (عام ١٩٧٧) أصدر قانوناً يحظر صيد الحيوانات البرية والطيور في سهول وجبال وصحاري إمارة أبوظبي، وفي عام ١٩٨١ شمل هذا المنع كل الإمارات بهدف المحافظة على البيئة وما تحويه من كائنات(٣/٢٩). وكان لذلك التوجه أهمية كبيرة في المحافظة على الحياة البرية وترسيخ مفهوم المحافظة على البيئة بين المواطنين والمقيمين والزائرين على حد سواء، وفي هذا قال رحمه الله: «إننا ننظر للجهود المبذولة في مجال الزراعة والتشجير والمياه وحماية البيئة باعتبارها جزءً من الاستراتيجية العليا للدولة، ولهذا أصدرنا من القوانين والتشريعات ما يكفل التقيد بالسياسات البيئية في كل نشاط مدني وإنساني صغيراً أو كبيراً» (٣/٣٠). وفي موقف آخر قال رحمه الله: «لقد عملنا منذ قيام دولتنا على حماية البيئة والحياة البرية وتوفير كل الأنظمة والتشريعات والبرامج والمشاريع، التي جعلت من دولة الإمارات سباقة إلى الاهتمام بالبيئة، ونموذج يحتذى على المستوى العالمي في الاهتمام بالبيئة وحمايتها وحفظها.. هذه الإنجازات يجب أن تكون حافزاً لنا جميعاً، وخاصة لشباب الإمارات جيل المستقبل، لمواصلة العناية بالبيئة والمحافظة عليها سليمة ونظيفة، لأننا إذا لم نفعل سندمر الموارد التي حبانا بها الله سبحانه.. فهذه الموارد ليست لنا وحدنا، بل هي أيضاً لأبنائنا وأبناء أبنائنا» (٣/٣١).

لقد أدرك الشيخ زايد أهمية الشجرة والحياة البرية فحماها من عبث العابثين فأصبحت هذه الثروة في منزلة القدسية في دولة الإمارات. وللاطلاع على أهم القوانين والتشريعات الداعمة للتنمية الزراعية في دولة الإمارات العربية المتحدة فإنه يمكن للقارىء الكريم النظر في ملحق الكتاب رقم (٣).

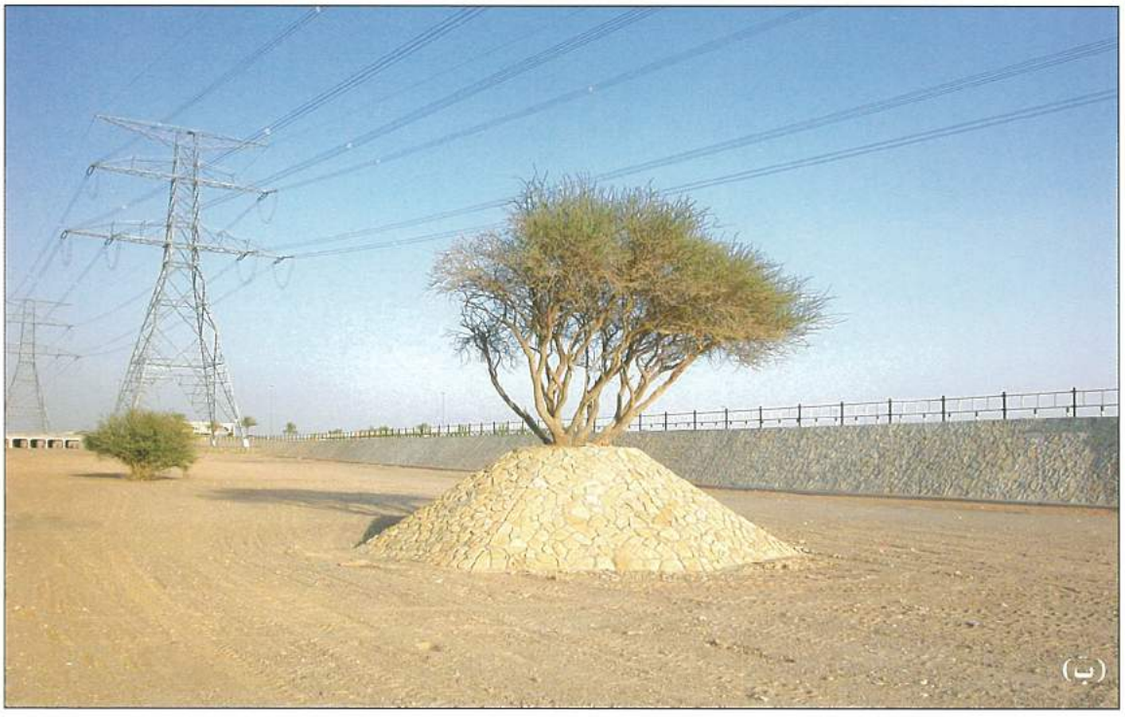

صورة ١٩/٣ (أ، ب). حماية الأشجار الصحراوية من التدهور. أ. أشجار غاف قديمة في منطقة الجيمي بمدينة العين سيجت بسور متين للمحافظة عليها من الزوال، ب. شجرة سمر في وادٍ بمنطقة الشعيبة في مدينة العين حُميت من سيول الأمطار عن طريق حف تربتها ببناء خرساني مشيد.

صورة ٣/٢٠ (أ، ب، ج). مشاهد مختلفة لأشجار صحراوية حُفظت من الإزالة لإقامة منشآت طرق رئيسية (مدينة العين، ٢٠٠٥).

(ج)

الفصل الرابع

رؤيـــة زايـــد

٤-١ رؤية واضحة

٤-٢ أهمية الزراعة في حياة الشعوب

٤-٣ تطوير ثروة النخيل

٤-٤ الاستقرار

٤-٥ تحسين دخل المواطن

٤-٦ سياسة الدولة

٤-١ رؤية واضحة

لا يمكن لقائد حقق إنجازات عظيمة، وفي ميادين مختلفة نال عليها إعجاب أمته والعالم أجمع، فحصد بذلك الجوائز وشهادات التكريم، إلا كانت له رؤية واضحة، رسمها في ذهنه، وكانت له سياسة منبثقة من تلك الرؤية سار عليها بثبات وإصرار حتى حقق على أرضه ما كان يصبو إليه. والقادة المبدعون وأصحاب الإنجازات العظيمة نادراً ما يفكرون بالطريقة التي يفكر بها الناس العاديون، ولذا فهم يسبقون من حولهم في رؤاهم وأحلامهم. وفي هذا الفصل سوف نناقش رؤية الشيخ زايد من وراء التوسع في الزراعة وأعمال التشجير الضخمة التي غزا بها رحمه الله صحاري الإمارات.

فالشيخ زايد رجل من رجالات التاريخ العظام، وهو قائد غير تقليدي، وله رؤية وفلسفة في الحياة، وقبل ذلك كانت له أحلام وآمال لشعبه وأرضه وبطريقة مختلفة تماماً عمن عاصروه. نعم فقد بدأ الشيخ زايد مشواره السياسي بأحلام وآمال كبيرة، وفي سن مبكرة عندما تولى مسؤولية الشعب والأرض في مدينة العين والمنطقة الشرقية. بدأت أحلامه وآماله تجاه أرضه وشعبه تكبر يوماً بعد يوم، يصحبها في المستوى نفسه سمة الشخصية القيادية المتنامية، والتي كانت عاملاً من العوامل الأساسية التي أسهمت في تحقيق تلك الأحلام والآمال.

ففي العين حلم الشيخ زايد وتطلع أن يحقق لشعبه العيش الكريم والبيئة النظيفة، وأن يشق الطرق ويحفها بالأشجار والأزهار، وأن يقتحم الصحراء فيزرعها ليوقف زحفها وتناميها. وهنا استشهد بكلمات قالها في ذلك الوقت المبكر عندما كان يمارس مهامه كممثل للحاكم في المنطقة الشرقية، قال لأحد أصحابه: «سترى هذه الصحراء من هنا إلى أبوظبي متصلة البنيان، متراصة الأشجار، وستكون مدينة واحدة» (٤/١). وفي العين كان للشيخ زايد أحلام وآمال كثيرة، ولقد ذكرت في موضع متقدم من هذا الكتاب ولا أريد تكرارها، إلا أنني أود أن أؤكد أنها كانت كثيرة وكبيرة في الوقت نفسه.

وبعدما تولى الشيخ زايد مسؤولية الإمارة كاملة كحاكم لأبوظبي، ثم مسؤولية دولة الإمارات العربية المتحدة كرئيس لها، أصبح

صورة ٤/٢. الشيخ زايد في جولة تفقدية لمشاريع الزراعة عام ١٩٧٩.

للشيخ زايد رؤية وسياسة واضحة منبثقة من أحلامه وآماله الأولى التي تشكلت في تجربة العين. وهي واضحة في مختلف جوانب التنمية، وُضعت لها سياسات وخطط، وابتدأت رؤيته تكبر وتصبح ذات معالم واضحة لا يختلف عليها أحد، وعُرِفَ بها زايد، وهنا سوف نناقش تلك الرؤية ونحاول الاقتراب منها أكثر للتعرف على معالمها وأبعادها.

لقد برزت رؤية الشيخ زايد في التنمية الزراعية والبيئية فور توليه حكم إمارة أبوظبي، وهنا سوف نسترجع سريعاً بعضاً من أعماله وخطاه في تلك الفترة، لنقترب من رؤيته أكثر. لقد بادر الشيخ زايد في بداية حكمه للإمارة إلى توفير الدوائر الزراعية المختصة التي تعنى بأنشطة الزراعة المختلفة، مثل دائرة الزراعة التي أمر بتأسيسها في عام ١٩٦٦. وكانت رغبة الشيخ زايد من تلك الدائرة واضحة وهي وضع وإرساء قواعد المتطلبات الضرورية للتنمية الزراعية. بعدها رأينا أنه أقام المحطات البحثية والتجريبية، كمحطة الأبحاث والتجارب الزراعية في العين عام ١٩٦٨، وذلك

لإجراء التجارب والأبحاث الزراعية العلمية على محاصيل الخضار والفاكهة الملائمة للبيئة، وإنتاج أشتال تلك المحاصيل، إضافة إلى أشتال أشجار الزينة والغابات. ثم سعى بعد ذلك لاستصلاح الأراضي وإقامة المزارع النموذجية وتجهيزها بما تحتاج من متطلبات زراعية ثم أمر بتوزيعها على المواطنين وبدون مقابل. بعد ذلك فتح أبواب أبوظبي لاستقدام الخبراء والمختصين للاستفادة من تجاربهم الزراعية. ثم أمر بإقامة المعارض الزراعية السنوية وحرص على أن يفتتحها بنفسه ويشجع المواطنين على المشاركة فيها ويكافئهم، وكان الثاني من مارس عام ١٩٦٩ موعد أول معرض زراعي يقام على الإمارة ويفتتحه الشيخ زايد ويأمر بإقامته سنوياً. ثم أمر بإنشاء الحدائق والاستراحات على الطرق الخارجية والتي تربط مدن الإمارة ببعضها ببعض، وكان الثالث من أغسطس ١٩٦٩ يوماً من أيام زايد في المسيرة الخضراء، فيه حضر احتفالاً بتدشين الحديقة الواقعة على الطريق الرئيسي بين مدينة العين ومدينة أبوظبي - حديقة رماح - وهي الحديقة التي أنجزتها شركة بولينغ بمناسبة إنهاء الطريق المذكور، تلاها إنشاء حديقة واستراحة في منطقة أبو سمرة، بالإضافة إلى تبني تحريج مناطق أخرى في منطقة العين.

ثم سعى مبكراً لإقامة الغابات والتشجير على أرض الإمارة، وكان أول المشاريع الكبرى التي بدأ بها الشيخ زايد -رحمه الله- عملية التشجير في عام ١٩٦٩، فقد كلف وكخطوة مبكرة شركة فرنسية تدعى شركة الاستشارات الزراعية الفرنسية(سوجريا) إنشاء غابات من الأشجار التي لها قدرة على تحمل الظروف الصحراوية على طول وجانبي طريق أبوظبي-العين وفي مناطق طريف، وجبل الظنة وذلك لتحسين الطقس، ووقف زحف الرمال على المناطق المعمورة، وتوفير الظل وتحسين المراعي.

ثم بدأ مبكراً يحمي الحياة البرية وما تحويه من حيوانات ونباتات بيئية عندما رأى أنه لا يوجد الوعي الكافي والعناية المفروضة لصون الحياة البرية وكائناتها، لهذا أصدر أمره بتأسيس حديقة الحيوان بالعين في عام ١٩٦٩ لحماية الحيوانات البرية من الانقراض، وتوالى بعد ذلك سن القوانين والتشريعات الداعمة للبيئة والكفيلة بحماية الحياة الفطرية.

وكل تلك الأعمال قام بها الشيخ زايد على أرض أبوظبي فور توليه منصب حاكم الإمارة لتدل على أن هذا القائد قادم ولديه رؤية زراعية وبيئية واضحة، وأنه يمضي على خطى هو وحده يعرفها بينما يجهلها الكثير ممن حوله في ذلك الوقت.

وفي تصريحه لمندوب الإذاعة والتلفزيون في الرابع من مارس ١٩٧٣، بمناسبة زيارته لمنطقة الذيد بهدف تفقد المشاريع الزراعية، دليل آخر على وضوح رؤيته في الزراعة، نستشف منها أن من أهدافه المبكرة أيضاً توفير المياه التي يحتاجها المزارعون، وتوفير ما يحتاجونه من مواد زراعية لتذليل الصعاب التي تحد من تطور الزراعة، حيث قال: «إن هدف الزيارة هو تفقد المنشآت والمشاريع الزراعية التي تم تنفيذها، ومتابعة المشاريع القائمة والتي تعود بالنفع على المواطنين، وكذلك دراسة حاجيات المزارعين هناك، وتذليل العقبات التي تعترض تطور الزراعة في منطقة الذيد، وتوفير المياه التي يحتاجها المزارعون من المناطق القريبة» (٢/٤). كما أطلق الشيخ زايد نية أخرى يرمي إليها وهي التوسع في الرقعة الزراعية ومضاعفتها في أقرب وقت قائلاً: «إن في منطقة الذيد جميع أنواع الخضروات والفواكه، ونريد أن نوسع رقعة المساحة المزروعة حالياً ونضاعفها في أقرب وقت إن شاء الله» (٢/٤).

ولتحقيق تلك الرؤية فقد ذهب الشيخ زايد إلى أن سياسة الحكومة يجب أن تكون: أولاً، زيادة مساحة الرقعة الزراعية بصورة مضطردة وذلك لرفع إنتاجية الأرض أفقياً. ثانياً، رفع إنتاجية الأرض رأسياً بتوفير الآلات والأسمدة، واستخدام الوسائل العلمية لزيادة المحاصيل ووقاية المزروعات من الآفات، والتوسع في الإرشاد الزراعي.

ومن رؤيته أيضاً أن التركيز على المشاريع الزراعية إنما يهدف إلى تنويع مصادر الدخل القومي، والحد من الاعتماد الاقتصادي على النفط، وهذا ما أكده الشيخ زايد في حديثه للوفد الإعلامي الجزائري بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٧٥ حول مسألة تطوير مصادر الدخل في البلاد فقال: «إن دولة الإمارات تحرص على تطوير الزراعة إلى جانب مصادر الدخل الأخرى غير البترول، وهناك دراسات مستفيضة لتنويع مصادر الدخل» (٣/٤). كما أكد ذلك الهدف في حديث آخر أدلى به للصحفي الهندي كارنجيا بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٨٧ حيث قال: «بالفعل إن تخطيط الدولة يركز على ضرورة تنويع

القاعدة الاقتصادية، عن طريق تطوير الصناعة والزراعة، لكي يصبحا مورداً إضافياً للدخل مع البترول ومورداً بديلاً إذا نضب البترول».

ويمكننا أيضاً أن نقترب أكثر لمعرفة رؤية الشيخ زايد وحلمه الكبير في الزراعة والبيئة وذلك بالتأمل في قصة الخبراء الذين استقدمهم في السبعينيات للاستعانة بهم في تحقيق تطلعاته وأفكاره. فماذا كان الشيخ زايد يريد من هؤلاء الخبراء؟. عرض عليهم نيته ورغبته، بل رؤيته التي صنعها في فكره وأراد اليوم أن يظهرها لأهل الخبرة والاختصاص، لا ليصرفوه عنها وعما هو مقدم عليه، بل ليساعدوه في إظهارها وتطبيقها على أرضه. فماذا كانت تلك الرؤية؟ كانت تتلخص في أنه يريد زراعة وتخضير ما يمكن من أرض بلاده، وكان يعتزم إنشاء المزارع الكثيرة في جوف الصحراء وتوزيعها على المواطنين لإنتاج مختلف المحاصيل الزراعية، وكان يريد أن يتوسع في زراعة أشجار النخيل، وأن ينشيء الحدائق والمتنزهات التي يغطيها العشب الأخضر. كان يريد أن يقتحم الصحراء ويوقف زحف كثبانها الرملية، وينشر فيها مشاريع الغابات والمحميات الطبيعية ويطلق فيها الحيوانات البرية، فيعيد الحياة البرية المفقودة لما كانت عليه في تاريخها القديم.

تلك كانت رؤية القائد، وتلك كانت نظرته في السبعينيات من القرن الماضي. وعندما أجابوه بأن ذلك مستحيل، لأنه ضرب من الخيال، وأخذوا يرددون أن بيئة الإمارات لا تصلح لمثل تلك الأحلام، لم يعبأ زايد برأيهم قيد أنملة. وقال كلمة بسيطة جداً وإن كان خلفها فكر عميق جداً «دعونا نجرب». ولقد حدثنا الشيخ زايد عن ذلك الموقف فيما بعد فقال: «كان الخبراء الذين قدموا إلينا لا يشجعون الزراعة، ويقولون إن نموها في أرضنا ووسط هذا المناخ أمر مستحيل، فقلنا لهم: دعونا نجرب، ووفقنا الله، ونجحنا في تحويل منطقتنا الصحراوية إلى منطقة خضراء، مما شجعنا على الاستمرار والسير في هذا المضمار» (٤/٤). لقد وضحت الرؤية عند الشيخ زايد ونضجت جوانبها، وإنه قرر ومنذ ذلك الحين أن يرسمها على صحراء الإمارات وبكل ثقة وإصرار. ولقد ذكر الشيخ زايد فيما بعد تلك التجربة وذلك الإيمان والعزيمة التي وجدها في نفسه نحو تحقيق هدفه، فقال في حديث له للوفد المغربي الذي زار البلاد في فبراير ١٩٩٩ واستقبلهم في قصر حزام الغابات: «كان لدي إيمان بالله العظيم، ورغبة في التغيير، وعزيمة وإصرار على تحدي الصعاب، وسرنا على طريق الصلاح وأداء الواجب تجاه الوطن والمواطن، ووفقنا الله وأصبحنا قادرين على أن نغير الصحراء إلى جنان خضراء، وأن نغير حياة الإنسان ونوفر له الحياة الكريمة والرفاهية» (٥/٤).

لقد تميزت رؤية الشيخ زايد الخضراء بأمرين إيجابيين. أولهما أنها كانت رؤية واضحة ومنذ البداية، وهذا ما تجلى في أعماله وخطواته التي خطاها فور توليه القيادة والمسؤولية، ورأينا ذلك واضحاً عندما تناولنا في فصل سابق كيف بدأ زايد المسيرة الخضراء. ولسوف نلمس إشارات الرؤية الواضحة أيضاً في سياق هذا الفصل. ولا شك أن وضوح الرؤية لأي قائد سمة من سمات العبقرية، ولقد بدأ الشيخ زايد مشاريعه وبرامجه التنموية برؤى واضحة. وهو إذ يقول قولته الشهيرة: «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة» فقد طرح فكراً وثقافة لم يتعلمها في جامعات الغرب المتقدمة، ولم يطرحها قبله أحد على تلك الأرض، ولكنها الحكمة والفطنة وبعد النظر التي اتسم بها.

والأمر الثاني، الذي تميزت به رؤية الشيخ زايد، أنها كانت رؤية موفقة وسديدة، بدليل نجاح ما انطوت عليه من أفكار وتمنيات، لمسها شعبه وكان يفتخر بها، كما أنه قطف خيرها. والدليل الآخر شهادة المراقبين الدوليين والمؤسسات الزراعية والبيئية العالمية المختلفة على نجاح تجربة الشيخ زايد في هذين المجالين، وهو ما عكسه التقدير العالمي الكبير منقطع النظير الذي نالته دولة الإمارات ورئيسها الشيخ زايد تَمثل في منحه أكثر من ١٨ جائزة ووساماً عالمياً في ذلك المجال وحده، تعبيراً عن التقدير الكبير لجهوده الكبيرة في التنمية الزراعية ومكافحة التصحر، والاهتمام بالبيئة على مستوى دولة الإمارات، وعلى مساهمته الدولية في ذلك المجال.

وبفضل الرؤية الحكيمة والواضحة للشيخ زايد فقد سبقت دولة الإمارات العربية المتحدة أقرانها من الدول في مجال الزراعة، وبرامج البيئة المختلفة، ومكافحة التصحر، بالرغم من أن كثيراً من تلك الدول قد نعمت بعائدات ثروة البترول قبل الإمارات بسنين طويلة، وأن كثيراً منها كان ذي إمكانيات أكبر وطبيعة وظروف بيئية أفضل.

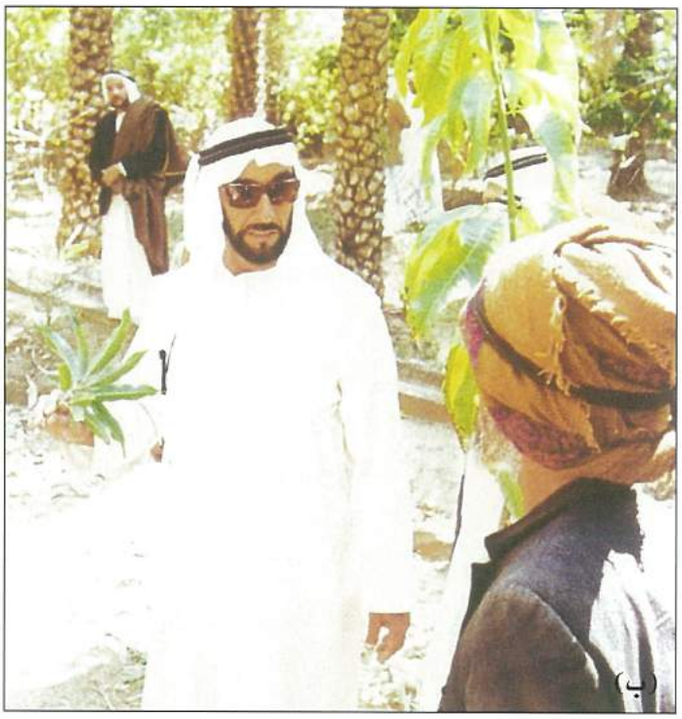

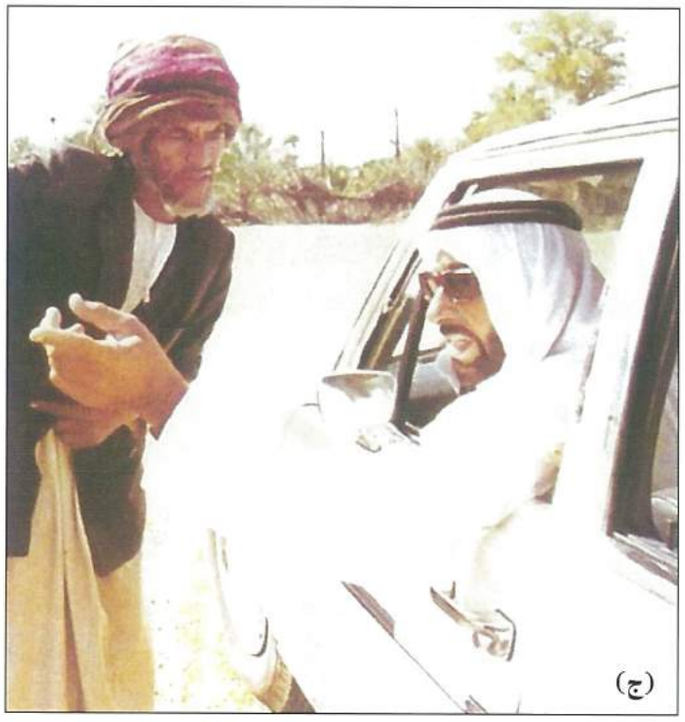

صورة ٣/٤ (أ، ب، ج). الشيخ زايد في جولة تفقدية لمشاريع الزراعة في منطقة الذيد عام ١٩٧٤.

٤-٢ أهمية الزراعة في حياة الشعوب

الأرض والزراعة أساس كل شيء في حياة الإنسان، ومنهما يتحقق الخير بقدر العناية بهما والحفاظ عليهما، وحسب أساليب استخدامهما. هذا ما قاله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة في أحد تصريحاته عن أهمية الزراعة (٦/٤)، وهو ما يشير إلى الفكر والوعي الكبير لدى الشيخ زايد بأهمية الزراعة في حياة الإنسان. ودعونا نتتبع هذا الفكر من بداياته.

بعد أقل من سنتين من قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، وبالتحديد في العشرين من أغسطس ١٩٧٣، قام الشيخ زايد -رحمه الله- بزيارة إلى وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً)، وأوضح للمسؤولين هناك رؤيته وتطلعه وسياسته القادمة في الجانب الزراعي فقال: «إن اهتمامنا يجب أن ينصب في المقام الأول على المزارع، واحتمالات التوسع في الطلب على الخضروات والفاكهة مستمرة، ولا بد من تحسين كفاءة الإنتاج الزراعي وتحقيق التنمية في هذا القطاع الحيوي من قطاعات الاقتصاد الوطني» (٧/٤). وبعين المراقب والمتابع لشؤون الزراعة أضاف رحمه الله: «لقد أمضى مجلس التطوير قبل الاتحاد فترة طويلة في إجراء سلسلة من الاختبارات والتجارب الزراعية، وأمضت وزارة الزراعة الآن أكثر من سنة في هذا المضمار أيضاً، ونحن نريد أن يلمس المزارع جهودكم بسرعة، وأنا أتساءل لماذا لا تستنبط وزارة الزراعة البذور محلياً؟. إنني أطلب من الوزارة استنباط بذور الفواكه والخضروات، نريد أن يحس المزارع بجهودكم أكثر، إن ١٧ بالمائة من عدد السكان يعتمدون في حياتهم على الزراعة في الإمارات سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، دولة الإمارات العربية المتحدة تتطلع إلى تحقيق التنمية الزراعية جنباً إلى جنب مع التنمية الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، نريد أن نخفف باستمرار من وطأة الغلاء وارتفاع الأسعار، وتنمية الإنتاج الزراعي هو إحدى الوسائل لمواجهة هذه الظاهرة» (٧/٤).

تلك كانت رؤية القائد، وذاك كان حديثه للمسؤولين عن قطاع الزراعة في الدولة بعد عام واحد من قيام الاتحاد، إنه حديث الخبرة والوعي الكامل بظروف المجتمع ومتطلباته وطموحاته المستقبلية.

ثم أشار رحمه الله في حديثه للمسؤولين: «إن الطلب المتزايد على الخضراوات والفواكه من السكان يتطلب تحقيق التنمية الزراعية جنباً إلى جنب مع التنمية التي تشهدها البلاد في مختلف المجالات، لأننا لا نهدف بالطبع إلى تغليب الطابع الزراعي على اقتصاد البلاد لظروف واعتبارات متعددة، وكل ما نهدف إليه ونسعى إلى تحقيقه هو إقامة زراعة على قدر كبير من الكفاءة والتخصص لتلبية احتياجات المواطنين من المحاصيل الزراعية» (٧/٤).

ونستشف من حديث القائد للمسؤولين أنه مهتم وحريص على التوسع في إقامة المزارع بقصد توفير المحاصيل الزراعية التي تحتاجها دولة الإمارات في المرحلة المقبلة. فالدولة في نمو متسارع، وسكانها يتزايدون بسبب توفر الحياة الكريمة والرعاية الصحية، ناهيك عن العمالة الكبيرة التي دخلت البلاد للمساهمة في عمليات البناء والتطوير، وبات الأمر يتطلب زيادة الإنتاج الزراعي لمواكبة ذلك التغيير. وكانت الإمارات في ذلك الوقت ضعيفة الإنتاج الزراعي، وتعتمد اعتماداً كلياً على الغذاء المستورد. ولهذا الأمر مخاطر جسيمة، فالدولة التي تعتمد على الغير في غذائها، ستكون دائماً في حاجة لذلك المنتج، وستكون دائماً تحت الضغوط وفرض الرأي أو التحكم في الأسعار. ويحضرني هنا قول الزعيم الهندي غاندي، وهو أحد رجالات التاريخ الذين خدموا أوطانهم وشعوبهم بإخلاص، : «من لا يملك قوته لا يملك قراره».

فأراد الشيخ زايد -رحمه الله- أن يجنب بلاده مخاطر النقص المحتمل في الخضروات والفواكه والمحاصيل الزراعية الأخرى التي ازداد الطلب عليها، فكان من رؤيته الثاقبة أنه يتعين على دولة الإمارات أن تحد من اعتمادها على المواد الغذائية المستوردة وتخفيف وطأة الغلاء وارتفاع الأسعار في تلك السلع، فجاءت دعوته إلى الاهتمام بالزراعة لمواجهة تلك الظاهرة، ولما تشكله من أهمية استراتيجية، ولتصبح الدولة في منأى عن التعرض لظروف النقص الغذائي نتيجة لتقلبات السياسة الدولية، وأن تحقق الدولة الاكتفاء الذاتي من المحاصيل الزراعية، ولذا قرر الشيخ زايد أن تكون مشاريع التنمية الزراعية في الدولة موازية لمشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

لقد كان الشيخ زايد يتطلع إلى أن تكون بلاده دولة تعتمد على

نفسها في كل شيء، ويصبح لديها إكتفاء ذاتي، لأن أول ما تهدف إليه أي دولة هو تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي لشعبها، حتى ولو جزئياً.

٤-٣ تطوير ثروة النخيل

لقد رأينا عند مناقشة عبقرية الشيخ زايد في العين كيف اهتم رحمه الله بواحاتها ونخيلها. وبعد أن تولى حكم إمارة أبوظبي بدأ يكثف اهتمامه بتلك الشجرة المباركة، فأخذ يأمر بجلب أشجار النخيل وأصنافها المختلفة من مناطق الدولة المختلفة ويزرعها في أراضي واسعة لإكثارها، ولم يكتف رحمه الله بذلك بل أخذ يستورد أصناف النخيل الممتازة من مختلف الدول الزارعة للنخيل، ويدفع في ذلك أثماناً كبيرة.

وهنا أستشهد بمذكرات أول مهندس زراعي عمل بالقرب من الشيخ زايد وكان شاهداً على ذلك العهد، وعاش تلك التجربة، وهو المهندس مجدي شعت الذي قال: «في الفترة الممتدة ما بين عام ١٩٦٦-١٩٧٠، وبتوجيهات من الشيخ زايد -رحمه الله-، قمنا بجلب كافة صروم النخيل من واحات ومزارع مدينة العين. ومن ثم قمت بجلب أول شحنة من فسائل النخيل من الإحساء بالمملكة العربية السعودية، وبعدها من البحرين، ثم العراق وتونس والجزائر ومصر والمغرب وأمريكا». ويضيف: «في بداية العام ١٩٦٨ تم استجلاب ٦٠٠ شتلة نخيل من أصناف (خلاص، لولو، برحي، رزيز)، وكان ذلك من البحرين، وزرعت في شارع المطار القديم بدءاً من تقاطعه مع شارع الكترا (دوار المجمع الثقافي) وصولاً إلى دوار أم النار سابقا (ساس النخيل حالياً)، وكان ذلك أول شارع يزرع بالنخيل في أبوظبي. وفي مايو ١٩٦٩ وصلت إلى شواطيء أبوظبي (كورنيش دوار الساعة) ثاني شحنة من أشجار النخيل (عدد٥١٠ شجرة)، وهي هدية من العراق، وقد جاءت من البصرة على متن السفينة (رزافي رقم ٦) وتمت زراعتها في شوارع أبوظبي الفتية» (٤/٨).

كان ذلك الاهتمام الذي أولاه الشيخ زايد بالنخيل وفي ذلك الوقت المبكر يشف عن رؤية واضحة أيضاً ومنذ البداية بالاهتمام بثروة النخيل وتطويرها كماً وكيفاً، وتطوير صناعاتها المختلفة، وهذا أيضاً ما أكده الشيخ زايد -رحمه الله- في حديثه مع المسؤولين في وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً) في أغسطس ١٩٧٣، حيث قال: «ينبغي أيضاً الاهتمام بأشجار النخيل هي الأخرى والعناية بها، لأن نخيل التمر هو أهم أشجار الفاكهة في دولة الإمارات العربية المتحدة» (٤/٧).

لقد أدرك الشيخ زايد مبكراً أهمية نخلة التمر ومستقبلها للمنطقة، وهو إذ جعلها في مقدمة مشاريعه الزراعية فقد أدرك ومنذ ذلك الوقت أنها الاستثمار الزراعي الأمثل لدولة الإمارات كونها شجرة من البيئة، وتتحمل الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة السائدة في الدولة.

واليوم تفتخر دولة الإمارات بما وصلت إليه من تطور في زراعات النخيل وصناعاتها بفضل الرؤية الحكيمة للشيخ زايد. ولسوف نرى في الفصل القادم كيف وضعت هذه الثروة دولة الإمارات في مقدمة دول العالم في زراعات النخيل، وكيف أصبحت هذه الثروة وبسبب النظرة الحكيمة للشيخ زايد محط أنظار المهتمين بزراعات النخيل.

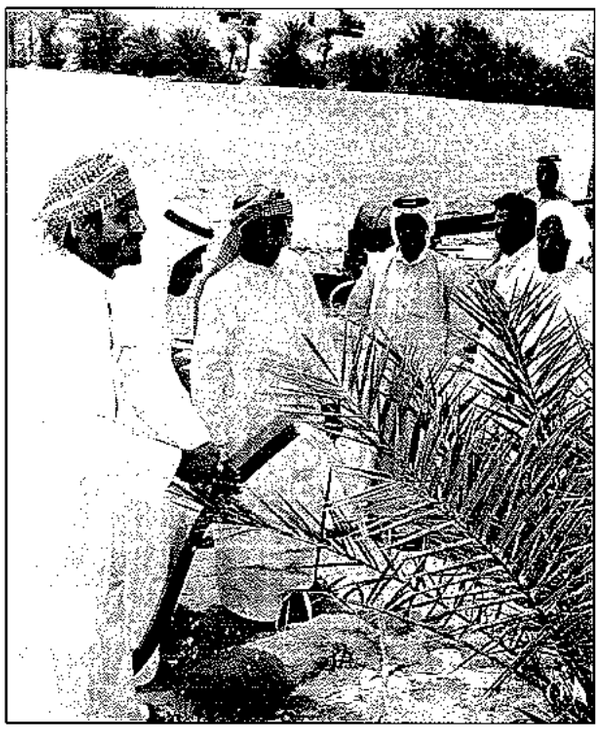

صورة ٤/٤ (أ، ب، ج). اهتمام مبكر من الشيخ زايد بأشجار النخيل ونشر زراعتها، ويدل ذلك على رؤية واضحة ومنذ البداية نحو تطوير هذه الثروة وتنميتها (١٩٧٩).

٤-٤ الاستقرار

بعد اكتشاف النفط في دولة الإمارات العربية المتحدة توجه كثير من أبناء الإمارات للعيش في المدن الرئيسة، والأسباب وراء ذلك واضحة ومنها أن المؤسسات الحكومية الجديدة ومنشآتها المختلفة، وشركات النفط قد أقيمت في تلك المدن فكانت عامل جذب لأبناء الوطن للعمل فيها وضمان دخول عالية. أما العوامل الأخرى والتي أسهمت في هجرة السكان إلى تلك المدن هي توفر فرص التجارة والكسب السريع في المدن، وتوفر القطاعات الاقتصادية الأكثر ريعاً، ناهيك عن الخدمات الأساسية التي بدأت في أول الأمر في المدن الرئيسة في الدولة.

ولقد برز عن هذا التغيير الذي طرأ على البلاد وجود ظاهرتين سلبيتين في مجتمع الإمارات، تنبه لها الشيخ زايد مبكراً فتدخل أيضاً في حلهما مبكراً، الأولى أن كثيراً من السكان الذين كانوا يمتهنون الزراعة وكانت في الماضي حرفتهم الرئيسة وأغلبهم كان في مناطق الواحات، قد هجروا العمل في الزراعة، واتجهوا إلى الدوائر الحكومية وشركات البترول للعمل فيها. وكان ذلك أمراً طبيعياً، فالجدوى الاقتصادية من العمل في تلك المؤسسات كانت أكبر من قطاع الزراعة. أما السلبية الثانية، التي ظهرت في الحياة الجديدة، فإن الفئة الأخرى من السكان والذين كانوا يعيشون في البادية ويمتهنون تربية الإبل ورعيها في مناطقهم المختلفة (وكان أغلبهم في المنطقة الغربية من البلاد) بدأوا أيضاً يهاجرون من مناطقهم ويتوافدون على المدن بأعداد كبيرة للتمتع بمميزاتها التي ذكرت سابقاً. وهذه الظاهرة أيضاً كانت طبيعية لتلك الفئة من المجتمع. لكن ذلك التحول في مجتمع الإمارات لم يكن أبداً طبيعياً بالنسبة للشيخ زايد، الذي اعتبر تلك الظاهرتين أمراً غريباً. إذ كان يجدر بالمزارع أن يبقى مهتماً بزراعاته، وأن يبقى البدوي محتفظاً بمنطقته وعدم هجرها.

فكر الشيخ زايد في الأمر ملياً، وكانت الأسئلة المطروحة حينئذ هي، كيف يجعل المواطن يهتم بالزراعة ويجعله مساهماً رئيسياً في التنمية الزراعية في بلاده وعدم تخليه عن الزراعة وتركها للأجنبي وهو أولى بها؟، والسؤال الثاني كيف يمكن أن يجعل إنسان البادية مستقراً في منطقته، ويجعل حياته في البادية لا تقل كرامة ولا سعادة عن الحياة في المدينة؟.

ورأى الشيخ زايد أن الهجرة -أياً كان نوعها- تعني عدم الاستقرار للمواطن. وحتى يمكن لقطاع الزراعة أن يتطور لا بد من وقف انتقال المزارعين من قطاع الزراعة إلى القطاعات الأخرى، أو على الأقل ربطهم بها بجانب أعمالهم الجديدة. ورأى أنه لا بد من عودة ثقافة الزراعة إليهم ولأبنائهم مرة أخرى، وجعلها هامة لهم كما كانت في السابق. كما أن أهل البادية -وهم يشكلون قطاعاً عريضاً من السكان- يجب أن يبقوا في مناطقهم، وأن الحكومة يجب أن تنتقل إليهم وتوفر لهم كل وسائل الاستقرار، وكافة الخدمات التي يتمتع بها سكان المدن ليتوافر لهؤلاء البدو كافة فرص المشاركة الفعالة في بناء مجتمعهم. وبالرغم أنهم كانوا أُناساً لا يمتهنون الزراعة رأى الشيخ زايد أنه يجب أيضاً أن يربطوا بالزراعة في مناطقهم الأصلية. وبالفعل بدأ ينفذ ما كان يراه ويؤمن به، فأقام المزارع في كل المناطق وجهزها باحتياجاتها ثم صرفها لهم بالمجان تشجيعاً لهم، كما ضمن للمزارع تسويق منتجاته الزراعية وبأثمان عالية، فكان ذلك الأمر مشجعاً لهم، وزادهم إرتباطاً بالزراعة، وكرس فيهم ثقافتها وأهميتها.

لقد أسهمت تلك المزارع التي أنشأها الشيخ زايد في توطين البدو في مناطقهم القديمة، والحد من نزوحهم إلى المدن بحثاً عن الرزق، وكان لها أثر كبير في عملية الاستقرار، وبالتالي أسهمت الزراعة في زيادة تمسكهم بأرضهم وانتمائهم لها. ومن الإيجابيات الأخرى لتلك المزارع التي وزعها الشيخ زايد على المواطنين أنها أسهمت في رفع ثقافة المواطنين في الزراعة، أضف لذلك الفوائد البيئية العديدة من جراء زراعة الصحراء.

وقامت الحكومة كذلك بتدريب المزارعين وإرشادهم لرفع الكفاءة الإنتاجية لمزارعهم، وفتحت لهم مراكز التسويق بالقرب من مواقع مزارعهم، وقامت بشراء المحاصيل بأسعار مجزية، وكل ذلك لتشجيعهم على ممارسة الزراعة وجعلها هامة في حياتهم، فأصبح أغلب السكان يمتهنون الزراعة ويعرفون عنها الكثير، بل وصلت بهم المعرفة والخبرة الزراعية أنهم أصبحوا يميزون بين الأصناف المختلفة من محصول ما، ويعرفون أيهما أكثر ملاءمة لبيئة الإمارات، وأيهما أكثر تحملاً للملوحة، وأيهما أكثر مقاومة لمرض ما، ويعرفون مقادير الأسمدة العضوية والكيماوية لكل محصول،

وأسماء المبيدات وأنواعها وتراكيز استخداماتها، ويعرفون أشياء كثيرة لا يمكن ذكرها هنا. وهكذا حقق المواطنون، بفضل سياسة الشيخ زايد، كفاءة إنتاجية عالية في مختلف محاصيل الخضر والأعلاف والنخيل، وهذه أسهمت بقوة في تطور الإنتاجية الزراعية لدولة الإمارات، وتحقيق الاكتفاء الذاتي في كثير من المحاصيل. لقد أدى ذلك الفكر الخلاق الذي رسمه الشيخ زايد بالمزارعين إلى إعطاء الزراعة عناية كبيرة، ومن هذا المنطلق كان للشيخ زايد نظرة بعيدة وثاقبة لم يستوعبها الذين من حوله وحتى ذوي الاختصاص في مجال الزراعة والبيئة، وهم أول من حاول أن يثنيه ويثبطه عن هذا الاتجاه.

وتأمل أيها القارىء الكريم كيف استطاع الشيخ زايد أن يوطن السكان في مناطقهم الأصلية بسياسة خضراء. وما كان أسهل عليه أن يقيم للبدو مساكن خاصة في مدينة أبوظبي أو العين ويوفر لهم كافة الخدمات الأساسية؟ وهو الحل الذي يبدو الأسهل والأسرع في نظر الكثيرين. لكن زايد قائد غير تقليدي، آمن أن سكان البادية يجب أن يبقوا في مناطقهم ويعمروها، وتصبح مناطقهم تضم مدناً كبيرة فيها كل شيء، فكانت تلك النظرة صائبة وحكيمة، وفي هذا المعنى قال: «إن مهمتنا تنمية البادية وتعميرها، وليس تهجير السكان من بواديهم إلى المدن». واليوم نرى تلك المناطق وبها مدن كبيرة زاخرة بالحياة مثل مدينة زايد، وبدع زايد، وبينونة، وغياثي والتي أنجزت في العام ١٩٧١. توالت بعدها توجيهات الشيخ زايد ببناء المزيد من المدن كالمرفأ، وبعيا، والسلع، وبدع المطاوعة، وليوا، والرويس في المنطقة الغربية. أما في المنطقة الشرقية فقد قامت مدن مزيد، وأم غافة، والظاهر، والوجن، والقوع، والهير، وسويحان، والفقع، والشويب، والخزنة، وبذلك تكاملت خطوات النهضة العمرانية مع النهضة الزراعية، وتحولت الصحراء إلى موطن للاستقرار بدلاً من أن تكون مناطق للتنقل والارتحال. وخلال سنوات قليلة تحولت تلك المناطق إلى بساتين غناء تحفها الحدائق والغابات والمزارع المنتجة للعديد من محاصيل الخضار والفواكه والتمور.

وهكذا فقد نجحت وتحققت رؤيته على صحراء الإمارات، وكانت هي الأصوب، واستطاع عبر برامج التوطين إنشاء مدن في الأماكن الأصلية لمعظم السكان، ووفرّ لهم المساكن والخدمات الحديثة ليجعلهم ينعمون بثروة بلادهم، والمدن الجديدة التي ذكرت آنفاً خير شاهد على ذلك.

٤-٥ تحسين دخل المواطن

ومن جوانب رؤيته أيضاً في المشاريع الزراعية مساعدة المواطنين في تحسين دخولهم. ولقد ذكرت هذه النية في تصريحات عدة قالها الشيخ زايد، منها: «إن غايتنا الأساسية هي توفير الحياة الكريمة للمواطنين باعتبارهم الثروة الحقيقية لحاضر هذا الوطن ومستقبله» (٤/٩). ويقول أيضاً في تصريح آخر: «إن سعادة ورفاهية المواطنين أمانة في عنقي.. وإنني وإخواني الحكام حريصون على السهر وبذل كل جهد من أجل خير المواطنين وتحقيق المزيد من التقدم والرقي للوطن» (٤/١٠). والسؤال المهم الذي أطرحه هنا للتأمل فيه، هل تعلمون كم ساعدت الزراعة مواطني دولة الإمارات؟ وكم نتج عنها من إيجابيات في مجتمع دولة الإمارات؟ أذكر منها ولا أحصيها: أن المواطنين ارتفعت مدخولاتهم الشهرية فأصبحوا يعيشون حياة كريمة وخاصة ذوي الدخل المحدود، وخاصة رب الأسرة الذي يعيل عدداً كبيراً من أفراد أسرته.

عندما يستصلح الشيخ زايد المزارع ويأمر بتزويدها بما تحتاج من وسائل وعناصر زراعية، ثم يوزعها على المزارعين، ويأمر بشراء منتجاتهم وإعطائهم مبالغ مجزية فإن وراء ذلك فكر عند الشيخ زايد، ربما لم يستوعبه الكثيرون آنذاك، فكان أولاً يريد بهذا العمل أن يجازي شعبه ويرفع دخلهم، ولكن بالعمل، فلم يرد أن يعطيهم دون مقابل، ودون أن يغرس في عقولهم بذرة الجهد والعمل. وكان يريد من ذلك أن يرفع شعبه وأرضه إلى مصاف الدول المتقدمة والمنتجة، وقد أشار لذلك عندما أعلن وبصورة واضحة لا يشوبها غبار «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة».

٤-٦ سياسة الدولة

من تلك الرؤية الواضحة للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيب الله ثراه- أولت الحكومة ومنذ قيامها اهتماماً كبيراً بمسألة التنمية

الزراعية، ووضعت لها سياسة واضحة وتمثلت أهدافها في التالي:

١- إنتاج أقصى ما يمكن إنتاجه من الغذاء لرفع معدل الاكتفاء الذاتي من الغذاء، وتقليل الاعتماد على الاستيراد من الخارج.

٢- تنويع مصادر الدخل القومي.

٣- مساعدة المزارعين والصيادين في تحسين وضعهم المعيشي بهدف المحافظة على ثباتهم في مهنهم التقليدية ومساهمتهم في بناء الاقتصاد الوطني الحديث.

٤- تمكين أبناء الوطن من الاستفادة من الوفرة المالية التي حققتها الدولة من العوائد النفطية.

٥- ربط المُزارع بأرضه، وبالتالي الحد من الهجرة من الريف إلى المدينة، وذلك بعد توفير الظروف المناسبة التي تكفل ذلك.

٦- ربط الصياد بمهنة الصيد.

٧- العمل على نشر الخضرة والتشجير لما لذلك من أهمية في تحسين البيئة وتجميلها، وتسهيل سبل الحياة.

٨- المحافظة على الموارد الطبيعية من المياه والتربة.

الفصل الخامس

مظاهر التنمية الزراعية

إنجازات زراعية

٥-١ أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة

٥-٢ تطور عدد المزارع والمساحة الزراعية

٥-٣ تطور حجم الإنتاج الزراعي

٥-٤ تطور عدد النخيل وإنتاج التمور

٥-٥ تطور الصناعات الزراعية

٥-٦ تطور الثروة الحيوانية

٥-٧ تطور الثروة السمكية

٥-٨ مؤشرات الاكتفاء الذاتي

٥-١ أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة

شهدت دولة الإمارات العربية المتحدة في عهد مؤسسها وراعي نهضتها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، الذي تولى مسؤوليتها منذ نشأتها في ديسمبر ١٩٧١ وحتى نوفمبر ٢٠٠٤، إنجازات خضراء عديدة وعظيمة سعد بها شعب الإمارات، وأصبح يتباهى بها بين الأمم، وأشادت بها شعوب العالم ومؤسساته وهيئاته المختلفة. وأقصد هنا بكلمة «الخضراء» الإنجازات الزراعية والبيئية التي حققتها دولة الإمارات العربية المتحدة تحت قيادة الشيخ زايد راعي النهضة الزراعية، ورجل البيئة الأول رحمه الله.

وفي هذا الفصل والذي يليه سوف نستعرض تلك الإنجازات الخضراء استعراضاً مفصلاً لنقف على حجم التغيير الذي حدث على أرض الإمارات وتحويلها من أرض صحراء إلى جنة خضراء. وإن هذه الانجازات لم تكن لتتحقق لولا فضل الله على هذه الأرض أولاً ثم وجود عبقرية فذة تقود هذه الأرض تمثلت في شخصية قائدها وراعي نهضتها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله-، ذلك الرجل الطموح ذي الإرادة العالية والنظرة الثاقبة، عاشق اللون الأخضر، الذي قاد بلاده إلى حضارة لم يكن أحد في السابق يتوقعها أو يمكن أن يتخيلها، فقد رسمها في عقله مبكراً، فوضع لها أساساً ثابتاً، ودعوة أوصلها لآذان أبناء وطنه عندما نادى: «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة». نعم لقد كان لتلك الكلمة الخالدة أساس قديم في فكره، ورسم لها صورة ذهنية واضحة في عقله، ثم أصبحت واقعاً على أرضه.

لقد باتت تلك الكلمة نبراساً تهتدي به كل المؤسسات ذات العلاقة، والتي تسهم جميعها في جعل الإمارات واحة زراعية انطلاقاً من المفهوم العالمي للتنمية الشاملة والمستدامة التي لا تخل بالتوازن البيئي.

عندما كان الشيخ زايد يردد أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة، فإن ذلك القول يدل على رؤية عميقة واضحة، وإيمان كبير بأهمية الزراعة عند الشعوب وتطورها، فكان يعي تماماً ما يقول، وكان يعرف حق المعرفة أن الحضارات لا تبنى إلا بالإنجازات. قالها لشعبه مبكراً، فساروا جميعاً على نورها، فحقق بذلك زايد الحضارة المنشودة، فكانت دولة الإمارات العربية المتحدة من الدول ذات

صورة ٥/٢. الشيخ زايد في إحدى جولاته الزراعية في صيف عام ١٩٧٩، ويبدو أنه يوصي المواطنين ويشجعهم على الزراعة.

التجارب الزراعية والبيئية الرائدة سعى كثير من العلماء والساسة للتعرف عليها والعمل في هديها، فنالت أعظم الجوائز وشهادات التقدير، كما نال قائدها العديد من الجوائز والأوسمة العالمية في هذا المجال، وبذلك صدق زايد وعده عندما كان يشجع شعبه ويقول لهم: «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة». وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: «النخل والشجر بركة على أهله، وعلى عقبهم بعدهم، إذا كانوا لله شاكرين» (٥/١).

لقد وصفت تلك الحضارة التي رسمها الشيخ زايد على أرض الإمارات بالمعجزة، وذلك لعدة أسباب أهمها: أولاً، أنها قامت في زمن قصير، ومن لاشيء (أي من الصفر)، فشعب الإمارات في الماضي لم يكن يعرف كلمة غابة ولا يتخيلها، والزائر لتلك المنطقة في الماضي لا يجد في طريقه إلا أشجار الغاف والسمر وسدر قليل. ثانياً، أنها حدثت على أرض صحراوية قاحلة، ذات طبيعة بيئية ومناخية قاسية، تجعل مجرد التفكير في الزراعة أمراً أشبه بالمستحيل، وهذا ما سوف نناقشه في فصل التحديات التي واجهها

الشيخ زايد في سبيل تحقيق حلمه في الزراعة.

وهنا أود أن أذكر مقتطفات من التقرير المفصل الذي نشرته مجلة «الأزمنة الحديثة» السوفيتية واسعة الانتشار إذ تقول: «إن التقدم الذي حققته دولة الإمارات العربية المتحدة خلال فترة وجيزة بقيادة صاحب السمو الشيخ زايد يعد أحد ظواهر العصر الحديث ويتصدرها». وتضيف المجلة: «إن شعباً يقارب تعداده سكان أحد أحياء موسكو قد استطاع أن يبني ويرسخ خلال ثمانية عشر عاماً حضارة جديدة من نوعها». وأشادت المجلة السوفيتية بروح الحكمة والفراسة البدوية التي تتميز بهما شخصية الشيخ زايد الذي قاد بتلك الروح الخبراء والمعاونين لتحقيق حلمه بتحويل الصحراء إلى جنان. وقالت في سلسلة مقالات نشرتها عن الإنجازات الحضارية التي حققتها الدولة إن الصورة التي تبدو عليها دولة الإمارات اليوم لا يمكن عكسها من خلال هذه المقالات، فالواقع يعكس معالم حضارة رائعة لا يمكن تصورها لدرجة أنه إذا قيل لأحد إن تلك المعالم الحضارية الموغلة في عصريتها قد تحققت منذ عقد ونصف من الزمان لظنوا أن ذلك ضرب من الخيال وسراب لا يمكن دخوله، وفي المقارنة بين التطور الزراعي في دولة الإمارات والاتحاد السوفيتي، تقول مجلة (الأزمنة الحديثة): «إن المقارنة تأتي لغير صالح الاتحاد السوفيتي، فالأراضي السوفيتية المشهورة في العالم بخصوبتها ضاعت ملايين الهكتارات منها ضحية للإهمال، بينما نشهد ثمار الإرادة القوية والعمل الدؤوب في أرض الإمارات. وتتساءل المجلة كيف تعطي هذه الصحاري كل هذا العطاء، وعندنا تتصحر جنان الماضي فتجف، فمن الأكثر تحضراً الآن نحن أم هم؟» (٢/٥).

والمسيرة الخضراء التي قادها الشيخ زايد على أرض الإمارات، وأدت إلى استصلاح ٧٢٣ ألف و٧٣٧ هكتاراً من الأرض الجرداء، منها أكثر من ٣٠٠ ألف هكتار هي مشاريع غابات (٣/٥) إنجاز كبير أثار إعجاب المجلة السوفيتية سالفة الذكر والصحيفة البريطانية (التايمز) والعديد العديد من الصحف والمجلات العالمية.

لقد تفانى الشيخ زايد طيلة حياته في سبيل تحسين البيئة في الإمارات العربية المتحدة، ونشر الرقعة الخضراء في مدنها وصحاريها، وهذا نابع من حبه للطبيعة وإعمار الأرض، ومن مرجعيته الإسلامية التي تحثه على ذلك، إذ يدعونا المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الاهتمام بالزراعة وغرس الأشجار حتى آخر لحظة في عمرنا إذ يقول: «إن قامت الساعة وفي يَدِ أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها» (٤/٥). ويقول صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يغرسُ غرساً، أو يزرعُ زرعاً، فيأكُلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (٥/٥). وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟» فقالت بل مسلم. فقال: «لا يغرس مسلم غرساً، ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء، إلا كانت له صدقة» (٦/٥). ولا شك أن هذه الخلفية الحضارية والمرجعية الفكرية الإسلامية تمثل رافداً هاماً من روافد اهتمام الشيخ زايد بالزراعة والبيئة.

وفي هذا الفصل سوف نناقش أهم مظاهر التنمية الزراعية التي حققتها دولة الإمارات العربية المتحدة في عهد المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والتي امتدت قرابة ثلاثة عقود. وفيه سوف نشير إلى تطور أعداد المزارع والمساحات المزروعة، وتطور حجم الإنتاج الزراعي، وتطور أعداد النخيل وإنتاج التمور، وتطور الصناعات الزراعية، ثم تطور الثروة الحيوانية والسمكية، وأخيراً مؤشرات الاكتفاء الذاتي في دولة الإمارات العربية المتحدة. أما في الفصل التالي فسوف نتحدث عن مظاهر التنمية البيئية، وهي إنجازات بيئية عظيمة حققها الشيخ زايد على أرض الإمارات كان من أهمها تطور مشاريع الغابات والتشجير، وتطور مشاريع المحميات الطبيعية، كما سوف نناقش عبقرية زايد في هذا الجانب ونقف لاستعراض الاسباب التي أدت إلى إطلاق العالم على الشيخ زايد لقب «رجل البيئة الأول»؟.

٥-٢ تطور عدد المزارع والمساحة الزراعية

نبدأ الحديث عن إنجازات الشيخ زايد في هذا المجال من مدينة العين، فهي أول اهتماماته بالزراعة، وشهدت واحاتها وأفلاجها عبقرية زايد الأولى في الزراعة، ومنها انطلقت إلى سائر مناطق وصحاري الإمارات الأخرى.

ففي فترة حكم الشيخ زايد (١٩٦٦-٢٠٠٤) حدث في مدينة العين وصحاريها الممتدة نهضة زراعية كبيرة، وطفرة هائلة في أعداد المزارع والمساحة الزراعية، صاحبها أيضاً تطور كبير في استخدام الأساليب الزراعية الحديثة، بقصد تحقيق أفضل النتائج الزراعية للمدينة.

إن التطور في هذا الجانب ليدعو للدهشة والإعجاب في آن واحد. ولنتأمل ذلك في إحصاءات دائرة الزراعة والثروة الحيوانية بالعين، التي أوكلت إليها مسؤولية إدارة التنمية الزراعية في المنطقة الشرقية كاملة وذلك من تاريخ نشأتها في العام ١٩٦٦، لنرى القفزات الكبيرة في أعداد المزارع والمساحات المزروعة في المنطقة خلال العقود الثلاثة الماضية، بفضل الرعاية المباشرة للشيخ زايد رحمه الله.

كان عدد المزارع في تلك المنطقة لا يتعدى ٣١٩ مزرعة في عام ١٩٧١، على مساحة قدرها ١٧ ألف و٤٧٧ دونماً، وبعد عشر سنوات (١٩٨١) قفزت أعدادها إلى ألف ٣٨٦ مزرعة بمساحة قدرها ٤٩ ألف و٧٠٢ دونم. واستمرت أعداد المزارع والمساحة الزراعية في العين في التزايد حتى بلغ عددها ١١ ألف و٦٠٣ مزرعة بمساحة بلغت ٤٥٠ ألف و٧٢٢ دونماً وذلك في عام ٢٠٠٣، أي أن مساحة المزارع المنتجة تضاعفت نحو ٢٦ مرة في ٣٢ عاماً، وبنسبة نمو ٢٤٧٩٪، وهو معدل زيادة لم يحدث في أي مكان في العالم (٥/٧). بمعنى آخر زادت الرقعة الزراعية بمعدل سنوي قدره ١٣ ألف و٥٣٩ دونماً.

ونتيجة للتوسع في المساحات، وتعدد المناطق الزراعية فقد أنشأت الدائرة ٣٦ مركزاً للإرشاد الزراعي موزعة على مختلف مناطق العين، مهمتها نقل الخبرات الفنية التي توصلت إليها محطات التجارب الزراعية، والمشاركة في الإشراف على المزارع، وتقديم خدمات الحراثة، وتوزيع الشتلات والبذور والتقاوي، إضافة إلى القيام بالزيارات الإرشادية للمزارعين.

وعند الحديث عن هذا الموضوع على مستوى دولة الإمارات العربية المتحدة، تكشف لنا إحصاءات وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً) أن تطوراً كبيراً قد حدث في أعداد المزارع وفي المساحات الزراعية في الدولة منذ قيامها، حيث ارتفع عدد المزارع في الدولة من ٤ آلاف و٩٤٠ مزرعة في عام ١٩٧٣ إلى ٣٨ ألفاً و٥٤٨ مزرعة في عام ٢٠٠٣، بنسبة إرتفاع قدرها ٦٨٠٪. وزادت المساحة الزراعية من ١٢٥ ألفاً و٦٩١ دونماً في عام ١٩٧٣ لتصل بنهاية العام ٢٠٠٣ إلى ٢ مليون و٦٠٧ ألف و٣٢٤ دونماً (جدول ١)، أي بزيادة مقدارها حوالي ١٩٧٤٪.

وفي إطار نظام الزراعات المحمية باستخدام البيوت المحمية والتي تم إدخالها في السبعينيات وأدت إلى زيادة الإنتاج في وحدة المساحة بشكل ملحوظ، أصبحت دولة الإمارات العربية المتحدة من الدول الرائدة في ذلك المجال، وذلك للتغلب على الظروف البيئية القاسية وخاصة في أشهر الصيف الحارة، ولترشيد استهلاك المياه، فقد ارتفعت هذه البيوت إلى ٧ آلاف و٦١١ بيتاً محمياً في سنة ٢٠٠٣ بمساحة ٢٤٦٨ دونماً مقارنة بـ ١٦٧٨ بيتاً محمياً في عام ١٩٨٦ بمساحة قدرها ٢,٥٥٧ دونم (جدول ٢).

ولترشيد استهلاك المياه في الزراعة، تبنت دولة الإمارات العربية المتحدة استخدام طرق الري الحديث، وشجعت المزارعين على تطبيقها في مزارعهم، فانتشرت في هذه المزارع أحدث أساليب الري، كالري بالتنقيط والنوافير والرش. ولهذا فقد ارتفع عدد المزارع التي تطبق أنظمة الري الحديث من ٤ آلاف و٤٧٨ مزرعة في عام ١٩٩٢ وهي تشكل نسبة ٢١٪ من العدد الكلي للمزارع إلى ٢٣ ألف و٤٢١ مزرعة في عام ٢٠٠٣ بنسبة تصل نحو ٦٠٪، وتشكل مساحتها حوالي ٨٧,٢٪ من إجمالي المساحات المروية في الدولة، وهو إنجاز في غاية الأهمية لأنه يساعد على توفير ما مقداره ٤٠-٦٠٪ من المياه (جدول ٣).

ويرجع ذلك التطور الكبير في أعداد المزارع والمساحات الزراعية، وتطبيق أنظمة الري الحديث، والزراعات المحمية إلى الدعم الكبير والخدمات الكثيرة التي قدمتها الحكومة بتوجيهات من الشيخ زايد -رحمه الله- لهذا القطاع، ولقد تم عرض أنماط ذلك الدعم وتلك الخدمات في فصل سابق من هذا الكتاب.

جدول ١. تطور عدد المزارع والمساحة الزراعية في دولة الإمارات (٨/٥).

السنة	عدد المزارع	المساحة الكلية (دونم)
١٩٧٣	٤٩٤٠	١٢٥٦٩١
١٩٨٠	١١٤٤٤	٢٣٤٧٤٩
١٩٩٠	١٩٥١٢	٤٥٤٠٥٦
٢٠٠٠	٣٥٥٨٤	٢٧٣٣٣٢٤
٢٠٠٣	٣٨٥٤٨	٢٦٠٧٣٢٤

جدول ٢. عدد ومساحة البيوت المحمية في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة (٨/٥).

السنة	عدد البيوت المحمية	المساحة (دونم)
١٩٨٦	١٦٧٨	٥٥٧,٢
١٩٩٠	٢٢٢٣	٨٠٦,٤
٢٠٠٠	٦٩١٧	٢٧٨٦
٢٠٠٣	٧٦١١	٢٤٦٨

جدول ٣. نسبة وعدد ومساحة المزارع التي تطبق أسلوب الري الحديث إلى جملة المساحة المروية في الدولة خلال الأعوام المبينة (٨/٥).

السنة	عدد المزارع	المساحة الكلية (دونم)	المساحة المزروعة (دونم)	عدد المزارع المروية بالري الحديث	نسبة المزارع المطبق فيها نظام الري الحديث	المساحة المروية بالري الحديث (دونم)	نسبة مساحة الري إلى جملة المساحة المروية
١٩٩٢	٢٠٤١٣	٦٨٨٧٧٠	٥٢٥٧٠٥	٤٤٧٨	٪٢١,٩	٣٦٩١٣١	٪٧٠,٢
٢٠٠٠	٣٥٥٨٤	٢٧٣٣٣٢٤	٢٤٤٦١٢٥	٢٠٣٣٠	٪٥٧,١	١٩٧٥٧٤٢	٪٨٠,٧
٢٠٠٣	٣٨٥٤٨	٢٦٠٧٣٢٤	٢٢٨٥٩٠٣	٢٣٤٢١	٪٦٠,٧	١٩٩٤١٣٩	٪٨٧,٢

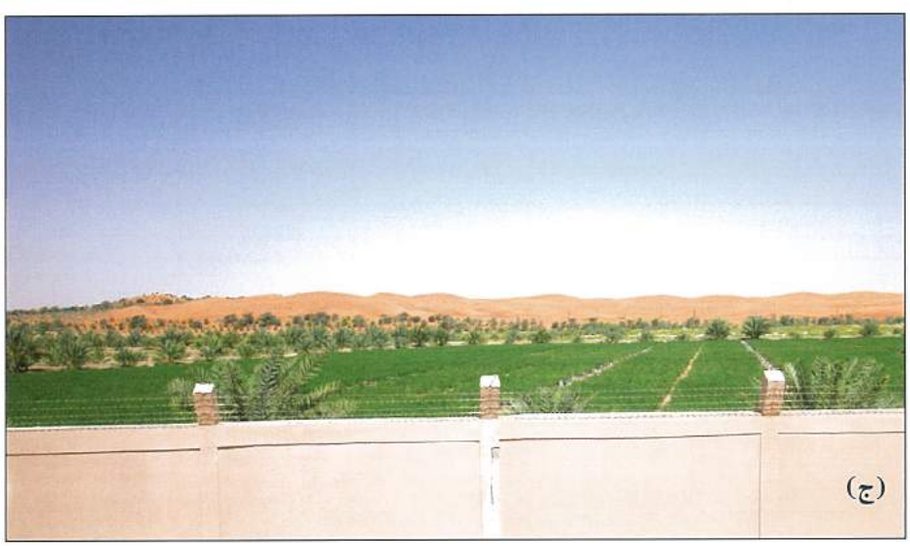

صورة ٣/٥(أ، ب، ج). مزارع حديثة تنتشر في أعماق الصحراء كسجادة خضراء فرشت على رمالها. أ. إحدى مزارع المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي، والتي خصصت لزراعة أشجار النخيل ومحاصيل الأعلاف (حشيشة الرودس)، العين، ٢٠٠٤، ب. إحدى مزارع منطقة سيح حرز في المنطقة الشرقية والتي كانت في السابق أرض صحراء قاحل، ج. مزارع على طريق مدينة العين - ناهل، ٢٠٠٥.

صورة ٥/٤. البيوت المحمية في دولة الإمارات استخدمت للتغلب على بيئة الصحراء وإنتاج محاصيل زراعية مختلفة في مواسم مختلفة من السنة، العين، ٢٠٠٤.

٥-٣ تطور حجم الإنتاج الزراعي

يمكن تقسيم المحاصيل الزراعية في دولة الإمارات العربية المتحدة إلى ثلاث فئات رئيسية وهي: محاصيل الفاكهة، ومحاصيل الخضر، والمحاصيل الحقلية ويقصد بها محاصيل العلف والحبوب والتبغ. وتتبوأ محاصيل الفاكهة المرتبة الأولى في الأهمية من حيث مساحة الزراعة حيث تنتشر على مساحة قدرها ١ مليون و٨٧٤ ألف و١٢٧ دونماً، تشكل نسبة أعلى من ٨١٪ من المساحة المزروعة بالدولة والتي تقدر بنحو ٢ مليون و٢٨٥ ألف و٩٠٣ دونماً، كما جاء في إحصاءات عام ٢٠٠٣ (جدول ٤، ٥). وأهم أشجار الفاكهة في الدولة نخلة التمر وتشكل نحو ٩٨٪ من المساحة التي تشغلها محاصيل الفاكهة. أما أشجار الفاكهة الأخرى التي تزرع في دولة الإمارات ولكن بمساحات ضئيلة هي أشجار الموالح والمانجو والجوافة والتين.

وحتى عام ٢٠٠٠ تبوأت الخضروات المرتبة الثانية في الأهمية من حيث المساحة الزراعية حيث تنتشر على مساحة قدرها ٣٩٨ ألف و٣٧٣ دونماً مشكلة بذلك نسبة قدرها ١٦,٢٪، تنتج ما يقارب ٢ مليون و٦٢١ ألف و٨٣٢ طناً من الخضار (جدول ٤). ويغطي إنتاج الكثير من أصناف الخضروات الاحتياجات الغذائية بالدولة، خاصة خلال ذروة موسم الإنتاج، ويصدر الفائض إلى الخارج. ولسوف نتعرض لهذا الموضوع تفصيلاً عند الحديث عن مؤشرات الاكتفاء الذاتي. وأهم محاصيل الخضر المزروعة في الدولة الطماطم، والكرنب، والبطيخ حيث تزرع في مساحات كبيرة، يليها الخيار، والباذنجان، والكوسة، والبصل.

وبانتهاء الموسم الزراعي لعام ٢٠٠٠ بدأت المساحة المخصصة للخضار في مزارع المواطنين في انحسار على حساب زيادة المساحة الزراعية المخصصة للمحاصيل الحقلية، التي ارتفعت نسبتها إلى الضعف (١٤,٤٪) من المساحة الزراعية في الدولة في عام ٢٠٠٣ على مساحة قدرها ٣٣٠ ألف و٩٤٥ دونماً، بعد أن كانت تشكل نسبة مساحة زراعية تقدر بنحو ٦,٩٪ في عام ٢٠٠٠ وتشغل مساحة قدرها ١٦٩ ألف و٧٥٣ دونماً، (جدول ٤). وذلك بسبب التوجه الجديد لسياسة الدولة في رفع معدلات إنتاج محاصيل الأعلاف لتواكب زيادة الطلب عليها نظراً لزيادة أعداد الثروة الحيوانية.

ومن أهم المحاصيل العلفية التي ازدادت زراعتها في دولة الإمارات في السنوات الأخيرة محصول الرودس. وقد بلغ حجم أعلاف الرودس المستلمة من مزارع المواطنين في العين في موسم (٢٠٠٣-٢٠٠٤) ٣٤٧ ألف و٧٥٩ طناً من خلال ١١ مركز إستلام في مناطق مختلفة من العين وهي مراكز الزعلة، والخشم، والعانجة، والخزنة، وسيح المياه، والفوعة، والظاهرة، وأبوكرية، والمراد، والعويا، وواحة الصحراء.

أما محاصيل الحبوب فتزرع في مساحات محدودة، وأهمها الذرة، والشعير، والقمح، الذي تم زراعة أول مشروع حكومي منه في منطقة الفوعة في مدينة العين عام ١٩٧٤. وأكدت نتائج التجارب التي أجرتها دائرة الزراعة والثروة الحيوانية بالعين نجاحه وجدواه الاقتصادي في ذلك الحين لتوفر كميات وافرة من المياه العذبة في تلك المنطقة، الأمر الذي أدى لاحقاً لإنشاء عدد من المشاريع الزراعية الحكومية المختصة في إنتاج القمح في كل من منطقة الفوعة ذاتها، ومنطقة سيح المياه حيث بلغت المساحة المنزرعة لجملة مشاريع القمح في العين (٢٥ ألف و٩٨٠ دونماً).

ويشير (جدول٤) إلى التطور الواضح في حجم المساحة المخصصة للزراعة في دولة الإمارات نتيجة الدعم المتواصل من الحكومة لقطاع الزراعة، الأمر الذي أدى إلى تطور هائل في الإنتاج الزراعي خلال العقود الماضية. وتشير الأرقام إلى أن المساحة المزروعة قد إرتفعت من ١٣٥ ألف و٦٣٩ دونماً في العام ١٩٨٠ إلى ٢ مليون و٢٨٥ ألف و٩٠٣ دونماً في العام ٢٠٠٣، أي بنسبة زيادة قدرها ١٥٨٥٪. وعلى أثرها زاد حجم الإنتاج الزراعي من المحاصيل المختلفة من ٢٧٦ ألف و٤٥٠ طناً في عام ١٩٨٠ إلى ٤ مليون و٩١ ألف و٤٣٩ طناً في العام٢٠٠٣ (جدول ٤)، أي بزيادة نسبتها ١٣٧٩٪.

والجدير بالذكر أن هناك مشاريع زراعية أخرى نجحت على أرض الإمارات، وكانت مشاريع مربحة نذكر منها على سبيل المثال مشاريع مزارع الزهور، والمشروع الذي أنشأته الشركة الوطنية لإدارة الزراعة المحمية في العام ١٩٩٨ في منطقة سويحان بوسط الصحراء على بعد نحو مائة كيلو متر من مدينة أبوظبي، وقد وصل انتاج المزرعة نحو ٦ ملايين و١٥٠ ألف زهرة سنوياً من مختلف الألوان والأنواع. واليوم تصدر دولة الإمارات الزهور الى دول مجلس التعاون، وبريطانيا، وأستراليا، ولبنان، واليابان.

جدول ٤. تطور المساحة الزراعية للمحاصيل المختلفة وكمية إنتاجها في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة (٨/٥).

السنة	محاصيل الفاكهة		محاصيل الخضار		المحاصيل الحقلية		المجموع الكلي	
	مساحة (دونم)	كمية (طن)	مساحة (دونم)	كمية (طن)	مساحة (دونم)	كمية (طن)	مساحة (دونم)	كمية (طن)
١٩٨٠	٧٠٥٢٣	٥٩٢٦٤	٤٦٦١٥	١٢٦٧٩٤	١٨٥٠١	٩٠٣٩٢	١٣٥٦٣٩	١٨٧٧٩٩٧
٢٠٠٠	١٨٧٧٩٩٧ (٪٧٦,٧)	٧٩٧٥٠٣	٣٩٨٣٧٣ (٪١٦,٢)	٢٦٢١٨٣٢	١٦٩٧٥٣ (٪٦,٩)	١٤٩٥٠٤٧	٢٤٤٦١٢٣	٤٩١٤٣٨٢
٢٠٠٣	١٨٧٤١٢٧ (٪٨١,٩)	٧٨٣٥٩٨	٨٠٨٣١ (٪٣,٥)	٢٨٩٨٠٨	٣٣٠٩٤٥ (٪١٤,٤)	٣٠١٨٠٣٣	٢٢٨٥٩٠٣	٤٠٩١٤٣٩

جدول ٥. مساحة وكمية الإنتاج الزراعي في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة (٥/٨).

السنة	محاصيل الفاكهة		محاصيل الخضار		المحاصيل الحقلية	
	مساحة (دونم)	كمية (طن)	مساحة (دونم)	كمية (طن)	مساحة (دونم)	كمية (طن)
١٩٧٧	-	٣٨١٢٢	-	٤٠٣٥٣	-	٢٣٢٦٦
١٩٧٨	٩٦٥١٨	٤٦٧٢٧	٣١٠٩٨	٧١٨٦١	١٠٥٣٥	٢٧٦٥٢
١٩٧٩	-	٥٩٦٧٦	-	١٠٢٤٤٠	-	-
١٩٨٠	٧٠٥٢٣	٥٩٢٦٤	٤٦٦١٥	١٢٦٧٩٤	١٨٥٠١	٩٠٣٩٢
١٩٨١	٧٨٨٤٥	٦٠٢٨٦	٦٢٥٩٥	١٥٩٧٩٤	٢٦٣٧٦	١٢٣٤٦٣
١٩٨٢	٨٨٣٩٨	٧٠٢٩١	١٠٠٢٥٤	٢٤٩٢٦٩	٣٧٤٣٤	١٩٨٦٤٨
١٩٨٣	٢١٧٠٢	١٢٧٦١	١٣٧٣٠٧	٣٠٠٠٦٨	٤٩٥٢٨	٢٠٨٩١٢
١٩٨٤	٢٣٧٣٩	٢٣٩٩٧	١١٧٩٢٨	٢٤٨٣٦٢	٨٢٩٤٦	٢١٦٧٧٤
١٩٨٥	٢٨٠٠٦	٢٦١١٨	٩٦٨٣٧	٢٣٢٢٩٢	٨٥١٧٤	٣١٩٩٩٥
١٩٨٦	٢٨٣١٦	٢٨٧٧٩	٨٣١٣٩	١٦٤٠٤٢	٥٥٦٠٨	٢٥٥٧٥٩
١٩٨٧	٩٤٨٠٨	١٠٨٢٥٠	٨٣١٢٩	١٦٤٠٤٢	٥٥٦٠٨	٢٥٥٨٤٩
١٩٨٨	٢٥١٤٥٥	١٧٠١٦٧	٧١٦٨١	١٤٨٢٢٨	٧٣٠١٧	٣٥٢٤٩٥
١٩٨٩	٢٥٠٧٠٤	١٧٨٣٠١	٨٠٦٠٠	٢٣١٠٩٥	٨١٣٨٥	٤٤٦٩٩٣
١٩٩٠	٢٥١٢٦٦	١٨٠٦٧٥	٧٧٠٩٩	٢٤٩٤٤٢	٩٤٩٠٢	٤٧١٨٤٠
١٩٩١	٢٥٥١٩٩	٢١٧٣٠٠	٨٨٨٩٦	٣٤٢٢٦١	٨٩٨٣٠	٤٠٩٤٩٥
١٩٩٢	٣٠٥٧٣١	٢٦٩١٦٤	١٢٨٠٥١	٤٨٦٨٨٧	٩٠٦٩٤	٤٥٦٤٦١
١٩٩٣	٣٣٠١٩٨	٢٧٥٠٤٦	١٣٨٤٧٦	٥٣٧٦٩١	٩٢٠٥٤	٤٧٩٨٣٢
١٩٩٤	٣٢٨٢٨٩	٢٧٦٢٥٩	١٣١٠١٣	٥٧١٠٣٧	٨٥٨١٥	٤٨٣٥٢٣
١٩٩٥	٣٢٧٦٢٦	٢٧٧١٩٧	١٤٧٥٦٧	٧٦١١٦٤	٧٤٥٢٣	٤٣٢٤٠١
١٩٩٦	٣٣٥٥٨٧	٢٨٤٨٦٢	١٦٠٢١٢	٧٧٧٣٧٣	٧٩٠٧٣	٤٤٦١٣٢
١٩٩٧	٣٩٠٨١٦	٣٣٠٧٦٩	١٨٤٤٨٤	١٠٢٣٥٥٤	٨٦٠٨٨	٥١٢٩٠٠
١٩٩٨	٦١٧٠٧٨	٣٣٣٦٧٧	٢٣١٩٨٤	١٠٤٩٧٧٣	٨٤٢٦٦	٥٠٧٤١١
١٩٩٩	١٧٢٨٨٦٣	٥٧٧٠٤٤	٣٣٠٠٩٢	١٧٢١٩٤٦	٨٥٢٦١	٥٨٤١٤٦
٢٠٠٠	١٨٧٧٩٩٧	٧٩٧٥٠٣	٣٩٨٣٧٣	٢٦٢١٨٣٢	١٦٩٧٥٣	١٤٩٥٠٤٧
٢٠٠١	١٨٧٦٢٧٠	٧٩٤٧١٦	١٠٦٥٩٦	٥٧٩٠٩٤	٤٣١٥٥٩	٣١٧٦١٨٧
٢٠٠٢	١٨٧٦٢١٤	٧٩٥١٦٠	١١١٥٨٦	٤٦٧٠٢٠	٤٣٦٤٢٣	٤٣٠٧٦١٣
٢٠٠٣	١٨٧٤١٢٧	٧٨٣٥٩٨	٨٠٨٣١	٢٨٩٨٠٨	٣٣٠٩٤٥	٣٠١٨٠٣٣

صورة ٥/٥. سيارات المواطنين تأخذ دورها في إحدى مراكز التسويق الزراعي في المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي لتسويق محاصيل الخضار من مزارعهم الخاصة.

صورة ٦/٥(أ، ب). مشاريع محاصيل الأعلاف، إحدى المشاريع الزراعية التي أولتها دولة الإمارات دعماً كبيراً بهدف توفير احتياجات الثروة الحيوانية من هذه السلعة. أ. مشروع أعلاف حشيشة الرودس على طريق العين - دبي. ب. مزارع في منطقة غمض (المنطقة الشرقية) خصصت لزراعة علف الجت.

صورة ٥/٧. محاصيل فاكهة مختلفة نجحت زراعتها في أراضي الإمارات.

صورة ٥/٨(أ، ب). مشاريع زراعة القمح، إحدى المشاريع الزراعية الكبيرة التي خاض تجربتها الشيخ زايد في السبعينيات من القرن الماضي في صحراء مدينة العين عاكسة حلمه الكبير في تحقيق دولة الإمارات الاكتفاء الذاتي من مختلف المحاصيل الزراعية لتحقيق سياسة الأمن الغذائي في البلاد. أ، ب. مشروع قمح الفوعة في مدينة العين.

٥-٤ تطور عدد النخيل وإنتاج التمور

لأنها رمز للخير والعطاء، ورفيقة الإنسان في أرض الصحراء، كان للنخلة مكانة خاصة في قلب الشيخ زايد -رحمه الله- وشعب الإمارات عامة. وجاء اهتمامه بهذه الشجرة مبكراً ومنذ أن تولى مسؤولية ممثل الحاكم في العين، فرأينا في فصل سابق كيف اهتم الشيخ زايد بأشجار نخيل واحات العين، وبذل لذلك القصد جهداً ومالاً لتلبية إحتياجاتها من المياه، لأنها كانت تشكل لأهالي العين مصدر دخل ورزق، وتربعت في نفوسهم مكانة عالية. وبتولي الشيخ زايد حكم إمارة أبوظبي حظيت أشجار النخيل بالنصيب الأكبر من إهتماماته الزراعية، فوجه إلى شراء أشجار النخيل من كل بقاع الإمارات لزراعتها في مناطق خصصها لذلك. والأكثر من ذلك أنه وَجَّهَ رحمه الله في استيراد مختلف الأصناف الجيدة ومن مختلف الدول. ومنذ ذلك الحين، بدأت الدوائر والمؤسسات المختصة حملة إستيراد متواصلة من دول الخليج العربي، والعراق، وإيران، وباكستان، ومن دول المغرب العربي بقصد رفع مستوى أعدادها وأصنافها في البلاد. وفي عام ١٩٧٥ وَجَّه رحمه الله دائرة الزراعة والإنتاج الحيواني بالعين استصلاح أرض كبيرة لزراعة أصناف مختلفة من النخيل سمي بـ (مشروع النخيل بالفوعة)، على طريق العين - دبي، بمنطقة الفوعة. وقد أنشيء المشروع على مساحة ٢٦٠ ألف متر مربع، وكان من المشاريع النموذجية في المنطقة تم فيه زراعة أصناف نخيل جديدة استوردت من دول مختلفة. وروعي في تخطيطه أحدث نظم الزراعة واستخدام أنظمة الري الحديثة (الري بالفقاعات) لري أشجار النخيل (٥/٩).

ومنذ قيام دولة الاتحاد، وضع الشيخ زايد، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، طيب الله ثراه، زراعات النخيل ضمن الإستراتيجيات الزراعية فقال في هذا الموضوع في العام ١٩٧٣: «ينبغي أيضاً الاهتمام بأشجار النخيل هي الأخرى والعناية بها، لأن نخيل التمر هو أهم أشجار الفاكهة في دولة الإمارات العربية المتحدة». ونتيجة لتلك الرعاية والاهتمام الكبير الذي كان يوليه رحمه الله لهذه الشجرة المباركة قامت المؤسسات الحكومية المعنية بالزراعة في الدولة بإنشاء أقسام خاصة بالنخيل في مؤسساتها يُسْنَد إليها مهام تطوير زراعات النخيل وحمايتها من

صورة ٥/٩. الشيخ زايد يعتني بشجرة نخيل (صنف خلاص)، صيف عام ١٩٧٩.

الآفات الزراعية، وإجراء التجارب والدراسات الميدانة في كل ما هو متعلق بشؤون النخلة. فلو أخذنا على سبيل المثال المهام التي يقوم بها قسم النخيل في وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً) في هذا المجال نجدها عديدة ومتنوعة، وهي مهام تتشابه مع بقية أقسام النخيل في المؤسسات الأخرى، وتتلخص في الإشراف على الدراسات والتجارب الخاصة بأشجار النخيل وبزيادة إنتاجيتها وتحسين صفاتها. وبالنظر إلى أدوار المراكز البحثية التابعة لتلك الأقسام نتبين تفاصيل المهام الملقاه على عاتقها. فعلى سبيل المثال يشتمل قسم النخيل في وزارة البيئة والمياه على المراكز التالية: مركز تطوير النخيل بالحمرانية بالمنطقة الشمالية، وأهم الوحدات الموجودة فيه هي: مجمع وراثي للأصناف، ومجمع أصناف الزراعة النسيجية، وحقول خاصة ببحوث النخيل، وحقل استنباط وانتخاب أفحل النخيل، ووحدة تنبيت آلي، ووحدة خزن الرطب بالتبريد، ووحدة تجفيف التمور، ومصنع تجريبي للتمور. وهناك مراكز نخيل أخرى تابعة لهذا القسم وتقوم بمثل تلك النشاطات وتتواجد في مناطق مختلفة من الدولة أهمها، في المنطقة الوسطى، مركز تطوير النخيل بالعوير، مركز تطوير النخيل بالذيد، مركز تطوير النخيل بمصفوت، مركز تطوير النخيل بفلج المعلا. وفي المنطقة الشرقية مركز تطوير النخيل بدبا، ومركز تطوير النخيل بالفوعة. وفي المنطقة الغربية مركز تطوير النخيل بغياثي.

كانت جهود الشيخ زايد -رحمه الله- في سبيل تطوير نخيل التمر

وصناعاتها كثيرة وغير مقتصرة على ظهور تلك الأقسام المعنية بالنخلة ودعمها، بل كان له جهود مباشرة أخرى أسهمت في رفع مكانة وسمعة نخلة التمر في دولة الإمارات العربية المتحدة، نذكر منها على سبيل المثال: استصلاح أراض واسعة في الصحراء، وتوفير المزارع وصرفها على المواطنين بالمجان. والأمر الثاني توجيهاته لوزارة الزراعة والثروة السمكية والمؤسسات الزراعية الأخرى في الدولة لتقديم كل الدعم والخدمات الزراعية التي يمكن أن تسهم في تطوير زراعات النخيل والحفاظ عليها، وتوفير فسائل النخيل الممتازة وصرفها على المزارعين. وبالفعل قامت تلك المؤسسات بتوزيع أعداد كبيرة من فسائل وشتلات النخيل للمزارعين بالمجان، وأحياناً بأسعار مدعومة. ولقد قامت الوزارة خلال السنوات الماضية -بجانب توفير الفسائل التقليدية- بتوفير شتلات النخيل النسيجية من الأصناف الجيدة لإحلالها محل الأصناف الرديئة حيث بلغ إجمالي الكميات التي وفرتها الوزارة للمزارعين خلال الفترة ١٩٩٨- ٢٠٠٤ أكثر من ربع مليون شتلة.

ومن بين سياسات الشيخ زايد الحكيمة بهدف تنمية أشجار النخيل في الدولة توجيهاته إلى المؤسسات الزراعية بإلزام كل مواطن يملك مزرعة من الحكومة بزراعة عدد لايقل عن ٢٠٠ نخلة في مزرعته، ومن لا يلتزم بذلك تحرم مزرعته من تسويق منتجات محاصيلها الأخرى. ولقد ألزم ذلك الأمر المزارعين بزراعة العدد المطلوب. ثم بعد ذلك أعطى أوامره بإنشاء مصانع التمور لاستعاب إنتاج التمور في الدولة وتصديره للخارج، فأنشِئت عدة مصانع في دولة الإمارات أهمها مصنع تمور الإمارات بالساد، ومصنع المرفأ لتعبئة الخضروات والتمور، وسوف نتحدث عن هذا الموضوع باسهاب عند الحديث حول (تطور الصناعات الزراعية) في موضع لاحق من هذا الفصل.

ومن أعظم تلك السياسات مكرمته في تسويق تمور مزارع المواطنين بأسعار مجزية، وذلك عبر ثمانية مراكز مزودة بمخازن مبردة تستوعب ٢٥ ألف طن طاقة تخزينية. وفي عام ١٩٩٨، شملت هذه المكرمة جميع ملاك النخيل في الدولة، وبلغت قيمة التمور المسوقة من مزارع الإمارات الشمالية في ذلك العام حوالي ٢١ مليوناً و٨٩٥ ألف درهم، وتضاعفت تلك المبالغ إلى ٤١ مليوناً و١٤٧ ألف درهم عام ٢٠٠١. ويعتبر هذا العمل من أهم وأعظم الأعمال

صورة ١٠/٥. الشيخ زايد في جلسة استراحة مع المزارعين بعد جولة تفقدية للمشاريع الزراعية، صيف عام ١٩٧٩.

في هذا المجال، وهو ركيزة أساسية لتشجيع المزارعين لزراعة النخيل والاهتمام بمنتجها. وهذا العمل يؤكد حرص الشيخ زايد -رحمه الله- على تقديم كل الدعم المادي والمعنوي لمزارعي النخيل، بقصد تشجيعهم على رعايتها والإهتمام بها، مما أسهم في زيادة أشجار النخيل وتحسين نوعية التمور في الدولة.

ولقد أسهمت دولة الإمارات بتمورها في تخفيف المعاناة عن كثير من الشعوب في العالم. فبلغت قيمة مكرمة الشيخ زايد من التمور للشعوب التي تعاني من وطأة الفقر خلال عام (٢٠٠٣) زهاء ١٨ مليون و٢١٨ ألفاً و٣٥٨ درهماً. وتضمن برنامج المكرمة الذي نفذته هيئة الهلال الأحمر توزيع حوالي ١٥٠٠ طن من التمور للمستفيدين في ١٢ دولة أفريقية وآسيوية (١٠/٥).

ومن الأنشطة والخدمات التي قدمتها الدولة لتطوير زراعة النخيل إجراء العديد من التدابير والدراسات الخاصة بالنخيل مثل:

- دراسة وحصر أهم أصناف نخيل التمر عالية الجودة وإكثارها بهدف إحلالها محل الأصناف التقليدية منخفضة الجودة.
- إنشاء مزارع المجمعات الوراثية لأصناف النخيل المختلفة.
- إنشاء مختبرات زراعة الأنسجة النباتية لإكثار نخلة التمر بكميات كبيرة.
- إنشاء عدة مصانع للتمور، وبطاقة إنتاجية عالية.
- إدخال الأساليب المتطورة في عمليات جني وحفظ وتخزين وتعبئة وتغليف التمور.

- إدخال تقنيات التنبيت الآلي وحفظ حبوب اللقاح.
- حظر استيراد جميع أنواع أشجار النخيل وفسائله من أى جهة سجل بها مرض البيوض أو سوسة النخيل الحمراء.

ونتيجة لتلك الجهود السخية التي قدمها الشيخ زايد لنخلة التمر في دولة الإمارات العربية المتحدة فقد تطورت أعداد النخيل تطوراً كبيراً فاق كل التوقعات، حيث تشير الإحصاءات السنوية التي تعدها وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً) بالدولة إلى أن عدد أشجار النخيل قد ارتفع من ٢,٣ مليون شجرة عام ١٩٧٨ إلى ١٣,١ مليون شجرة عام ١٩٩٠، واستمرت الأعداد في تزايد حتى وصلت في عام ٢٠٠٣ إلى حوالي ٤٠,٧ مليون شجرة (جدول ٦). وبتطور أعداد أشجار النخيل ارتفع إنتاج التمور في الدولة من ٣٨ ألف و٩٩٠ طناً عام ١٩٧٨ إلى ١٧٣ ألف و١١٠ طن عام ١٩٩٠، ثم تطور إلى ٧٥٧ ألف و٦٠١ طن في عام ٢٠٠٣، بنسبة زيادة بلغت ١٨٤٣ بالمئة عن عام ١٩٧٨.

ومن خلال الإحصاءات الزراعية الصادرة عن منظمة الأغذية والزراعة (الفاو، ٢٠٠٤) يتبين أن إنتاج دولة الإمارات العربية المتحدة من التمور قد بلغ حوالي ٧٦٠ ألف طن، وبذلك احتلت المرتبة الثالثة عربياً بعد جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية، وبنسبة ١٧,١٪ من إنتاج الدول العربية مجتمعة. واحتلت المرتبة الرابعة عالمياً بعد جمهورية مصر العربية وجمهورية إيران الإسلامية والمملكة العربية السعودية وبنسبة ١١,٤٪ من الإنتاج العالمي (١١/٥). وبهذا التطور في إنتاج التمور حققت دولة الإمارات العربية المتحدة اكتفاءً ذاتياً من هذه السلعة الغذائية الهامة (٨/٥). ولا تزال أعداد النخيل في تزايد مستمر في دولة الإمارات، وسبب هذا التزايد -إضافة لما ذكر سابقاً- تبني الدولة تطبيق التقنيات المتطورة، وإدخال الميكنة الزراعية، ونقل نتائج أبحاث ودراسات الهيئات المحلية والاتحادية إلى المرشد والمزارع، بالإضافة إلى توفير الأيدي العاملة المدربة، فأصبحت دولة الإمارات العربية المتحدة تحتل مكانة متقدمة في الوطن العربي ودول العالم الأخرى في زراعة أشجار النخيل وإنتاج التمور.

ونتيجة للاهتمام الواسع من قبل الحكومة ومجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة بأشجار النخيل ظهرت في شهر أكتوبر ٢٠٠٣ جمعية ذات نفع عام تعنى بأشجار النخيل وتهتم بشؤونها تسمي «جمعية أصدقاء النخلة». وقد تم إشهارها في حفل كبير أقيم بهذه المناسبة حضره عدد كبير من محبي النخلة، وقد تقدم أولئك المحبين سمو الشيخ نهيان مبارك آل نهيان، وزير التعليم العالي والبحث العلمي، الرئيس الأعلى لجامعة الإمارات العربية المتحدة، الذي رعى ذلك الحفل. ولقد تمثلت أهدافها في: ١- جمع ودراسة ونشر المعلومات المتعلقة بزراعة النخيل بالدولة، ٢- حصر المعوقات والمشاكل الرئيسية التي تعاني منها النخلة بالإمارات واقتراح الحلول المناسبة لها، ٣- اقتراح وضع خطط طموحة لتطوير زراعة النخيل بالدولة، ٤- التعاون مع الجهات العلمية والبحثية بالدولة للإرتقاء بمستوى البحوث في مجالات زراعة وإكثار النخيل ومقاومة أمراضه المختلفة، ٥- تبادل ونشر المعلومات التقنية والفنية بين الجهات البحثية والمواطنين بالدولة، وما يتبع ذلك من حق إصدار النشرات الإعلامية والمجلات والكتب (١٢/٥).

ولقد انعكس الإهتمام الكبير الذي أولاه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله- لهذه الشجرة المباركة التي ارتبطت بتاريخ هذه المنطقة وتراثها، إيجابياً على زراعة وإنتاج التمور في دولة الإمارات العربية المتحدة. وبهذا انتشرت زراعة النخيل على أرض الإمارات بصورة مضطردة، وأصبحت جزءً من معالمها الزراعية البارزة. فإذا ما تجولت في حدائق وطرقات مدن الدولة الداخلية والخارجية ستجد نخلة التمر واقفة بعزة على أرض الإمارات، عذوقها متدلية أمام ناظريك لتقطف منها ما تشتهي وبلا حساب، وليأكل منها الطير والحيوان كأجمل ما يكون الخير والعطاء والحمد لله رب العالمين.

جدول ٦. مساحة وعدد وحجم إنتاج نخيل التمر في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة (٨/٥).

السنة	المساحة (دونم)	العدد الكلي لأشجار النخيل	العدد المثمر	الإنتاج (طن)
١٩٧٨	٨٤٩١٥	٢٣٦٣٤٣٢	١٥٩٧٤١٣	٣٨٩٩٠
١٩٨٠	٥٥٦٤٩	١٨٢٣٥١٣	١٢١٤٢٩٥	٥١١٥٧
١٩٩٠	٢٢٣٦٧٥	١٣٠٩٣٦٠٠	٥٩٦٠٠٠٠	١٧٣١١٠
٢٠٠٤	١٨٥٣٢٩٥	٤٠٧٠٠٠٠٠	١٦٣٤٠٠٠٠	٧٥٧٦٠١

صورة ٥/١١ (أ، ب، ج). علاقة الشيخ زايد بنخلة التمر علاقة حب صادقة امتدت طوال حياته (أ. عام ١٩٧٩، ب. عام ١٩٨٠).

صورة ١٢/٥ (أ، ب، ج، د). تكفلت دولة الإمارات العربية المتحدة بتسويق محاصيل تمور مزارع المواطنين، مما كان له الأثر الكبير في تطور أعداد النخيل وحجم إنتاج التمور في الدولة. وتلك كانت نظرة ثاقبة من الشيخ زايد رحمه الله بأن أعطى أوامره في هذا الصدد (ج. سيارات المواطنين تأخذ دورها في إحدى مراكز التسويق الزراعي في المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي لتسويق منتج تمور مزارعهم الخاصة).

صورة ١٣/٥ (أ، ب). أصبحت نخلة التمر في دولة الإمارات شجرة الفاكهة الأولى، ومحبوبة الجميع، وأصبح المواطنون يزرعونها في كل مكان، وهذا يعكس الرعاية الكبيرة التي لاقتها هذه الشجرة من مؤسسات الدولة المختلفة. أ. مشهد متكرر في مدينة العين يعكس مدى حب المواطنين في زراعة أشجار النخيل فهم لايكتفون بزراعتها داخل المنزل فقط بل وحتى خارجه (منزل أحد المواطنين في منطقة عشارج، العين، ٢٠٠٤)، ب. أشجار نخيل التمر تزين بناية تجارية في مدينة الشارقة، ٢٠٠٤.

مختبر زراعة الأنسجة النباتية

ومن الأعمال العظيمة التي تحسب للمغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيب الله ثراه- في مجال تطوير ثروة النخيل بدولة الإمارات توجيهاته لجامعة الإمارات العربية المتحدة بإنشاء مختبر لزراعة الأنسجة النباتية لإستثمار تقنيات العلوم الحديثة في إكثار نخيل التمر. ومضت جامعة الإمارات في هذا التوجه الحكيم فأنشأت في عام ١٩٨٩ بمدينة العين بمنطقة الفوعة أول مختبر لزراعة الأنسجة النباتية بدولة الإمارات، كان الهدف الرئيس من إنشائه إنتاج أعداد كبيرة من مختلف شتلات أصناف النخيل المحلية والعالمية بقصد توفير متطلبات الفترة القادمة من تلك الأشجار.

ولأهمية المشروع فقد حظي مختبر زراعة الأنسجة النباتية ومنذ إنشائه باهتمام كبير من قبل الشيخ زايد رحمه الله. كما حظي بالدعم السخي والرعاية المستمرة من صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة حفظه الله. كما نال المختبر الإشراف المباشر من قبل سمو الشيخ نهيان مبارك آل نهيان، وزير التعليم العالي والبحث العلمي، الرئيس الأعلى للجامعة، وذلك للأهمية الكبيرة التي يشكلها هذا المشروع لزراعات النخيل في دولة الإمارات.

وفي عام ١٩٩٣ تم إنشاء مبنى جديد ومتطور للمختبر، خصصت له مساحة قدرها ٢٠ هكتاراً، بلغت مساحة المباني المخبرية ١٦٠٠ متر مربع، وذلك بقصد مضاعفة الإنتاج من شتلات النخيل.

وقد حقق مختبر الجامعة الهدف من إنشائه فأنتج ومنذ قيامه أكثر من ٥٠٠ ألف شتلة نخيل نسيجي من مختلف الأصناف. وما زال الإنتاج مستمراً لأجود أصناف النخيل الأنثوية والذكرية، مثل أصناف خلاص، وبرحي، وبومعان، وجبري، وفرض، وسكري، ونبتة سيف، وسلطانة، وغيرها من الأصناف الأنثوية التجارية. ومن الأفحل أنتج المختبر فحل السكة، والغريف، والفحل الأمريكي (البوير) وكان أهمها على الإطلاق «فحل مدينة العين» والذي تمكن المختبر من إكثاره عن طريق زراعة أزهار الطلع لعدم توافر فسائل ذلك الصنف المتميز. فكانت تقنية زراعة الأزهار (أزهار الطلع)، أو ما يسمى محلياً (بالنبات) هي السبيل الوحيد أمام الباحثين في المختبر لإنقاذ هذا الفحل من الانقراض. ولقد وفقوا في ذلك البحث وتم إنتاج أكثر من ٢٠ ألف شتلة من هذا الفحل النادر تم توزيعها من قبل رئيس الدولة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان -حفظه الله- إلى العديد من ملوك ورؤساء الدول الشقيقة والصديقة، وإلى المهتمين بزراعة النخيل في الدولة وخارجها.

واليوم يُعَدُّ مختبر زراعة الأنسجة النباتية التابع لجامعة الإمارات العربية المتحدة مشروعاً زراعياً متميزاً في الوطن العربي، فهو من أكبر المختبرات في العالم في إنتاج شتلات النخيل النسيجية. وبهذا أسهمت جامعة الإمارات إسهاماً مميزاً في تحقيق أماني الشيخ زايد نحو تطوير زراعات النخيل بالدولة.

صورة ١٤/٥. مختبر زراعة الأنسجة النباتية بجامعة الإمارات.

صورة ١٥/٥. براعم النخيل في مرحلة الإكثار.

صورة ١٦/٥. إحدى فنيات المختبر تقوم بنقل براعم النخيل إلى أوساط غذائية جديدة.

صورة ١٧/٥ (أ، ب، ج). مراحل إنتاج شتلات النخيل النسيجية في مختبر زراعة الأنسجة النباتية بجامعة الإمارات: أ، ب. مرحلة استئصال الجمارة (الحيب) من الفسيلة المراد إكثارها وتجهيزها للزراعة النسيجية في ظروف المختبر المعقمة، ج. وتحت ظروف مخبرية معقمة، تمر عملية إكثار الصنف في أربع مراحل مختلفة وهي (من اليسار):

- مرحلة زراعة الحيب.
- مرحلة إكثار البراعم.
- مرحلة استطالة البرعم.
- مرحلة تجذير البرعم.

صورة ١٨/٥. مرحلة تقسية شتلات النخيل في المشاتل الخارجية للمختبر. عشرات الآلاف من شتلات النخيل النسيجية يمكن إنتاجها بواسطة تقنيات زراعة الأنسجة النباتية (الإكثار الدقيق).

صورة ١٩/٥. شتلة نخيل نسيجية منتجة من مختبر زراعة الأنسجة النباتية بجامعة الإمارات جاهزة للزراعة الحقلية.

صورة ٥/٢٠(أ، ب). متابعة مستمرة من المسؤولين لبرامج الإنتاج والأبحاث في مختبر زراعة الأنسجة النباتية- وفي هذه الصورة يبدو سمو الشيخ طحنون بن زايد آل نهيان، رئيس الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، في زيارة للمختبر قام بها عام ١٩٩٩، يصحبه فيها سمو الشيخ نهيان مبارك آل نهيان، الرئيس الأعلى لجامعة الإمارات، والدكتور هادف بن جوعان الظاهري مدير الجامعة.

صورة ٥/٢١. زيارات دولية للمختبر. حظي مختبر زراعة الأنسجة النباتية بسمعة عالمية الأمر الذي جعل كثيراً من المؤسسات المعنية بالزراعة في المجتمع الدولي تقوم بزيارته للاطلاع على تجربة دولة الإمارات في هذا المجال. وفي هذه الصورة يبدو معالي وزير المالية السوداني، الدكتور عبدالرحمن أحمد الخضر والوفد المرافق له في مشاتل المختبر في زيارة قاموا بها في ١٥ فبراير ٢٠٠١.

٥-٥ تطور الصناعات الزراعية

الغذاء والصناعات الغذائية من الموضوعات ذات الأهمية البالغة للدول على إختلاف أحجامها وأوضاعها لارتباطها بحياة الإنسان سواءً المنتج أو المستهلك، كما تدخل في سياسات الأمن الغذائي للدول، لذا فإن السلع الزراعية وخصوصاً الغذائية منها (بجميع أشكالها كمواد أولية أومصنعة) ذات طبيعة استراتيجية وسياسية تختلف عن السلع الأخرى. ومن هذا المنطق فإن أحد أسباب اهتمام الشيخ زايد -رحمه الله- بالزراعة كنشاط تقليدي كونها تسهم ولو بشكل جزئي في تحقيق الأمن الغذائي لسكان الإمارات، كما أنها تحد من حجم استيراد المواد الغذائية. وبناء عليه توجهت سياسة الدولة لإيجاد صناعات غذائية من خلال تأمين منتجات زراعية كالخضروات وبعض الفواكه وفي مقدمتها التمور والتي تشكل متطلباً استراتيجياً أساسياً وفرصاً استثمارية واعدة للدولة. ونتيجة لزيادة الإنتاج الزراعي الذي تشهده دولة الإمارات كان لابد من الاتجاه إلى التصنيع الزراعي لاستثمار الفائض من إنتاج المزارع للاستفادة منه طوال العام. ولقد أثبتت بعض الصناعات الغذائية القائمة على الزراعة نجاحها في دولة الإمارات ومثال على ذلك إنتاج التمور، ومعجون الطماطم وبعض محاصيل الخضر المجمدة، والمخللات.

ولقد اهتمت الدولة بمجال التصنيع الغذائي، وعملت جاهدة على تشجيع إنشاء المزيد من مصانع الإنتاج الغذائي الخاص بالخضراوات والفواكه وتغليف التمور، وذلك منذ الثمانينيات من القرن الماضي. ففي الرابع من فبراير عام ١٩٨٦ افتتحت دائرة الزراعة والإنتاج الحيواني مصنع العين لتعليب وتصنيع الخضروات، بتكلفة بلغت ٥٤ مليون درهم، ليكون أول مصنع في مجال التصنيع الزراعي وذلك بعد التطور الكبير الذي شهدته الزراعة في المنطقة الشرقية، ولامتصاص الفائض الكبير في إنتاج الخضروات الذي زاد على٧٠ في المائة من حاجة السوق المحلي (١٣/٥).

وبدأ التشغيل الفعلي للمصنع في العام ١٩٨٧، وأصبح ينتج نحو ٦ آلاف طن من معجون الطماطم، و٥ آلاف طن من الخضر المجمدة، و٣ آلاف طن من المخللات. ثم توسع المصنع فأنشأ خطوطاً لإنتاج المربى والعصائر المختلفة. ويسد إنتاج المصنع نسبة كبيرة من احتياجات السوق المحلية، ويتم تصدير جانب من إنتاجه لعدد من دول مجلس التعاون الخليجي، والدول العربية، والدول الأجنبية مثل سيريلانكا، وتركيا، وإيطاليا. وقد بلغ حجم مبيعات المصنع في عام ٢٠٠٤ نحو ٩ مليون و٥٠٠ ألف درهم، منها نحو مليون و٢٠٠ ألف درهم صادرات خارج الدولة.

وفي عام ١٩٩٤ أقيم في المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي مصنع آخر مشابه هو مصنع المرفأ لتعليب الخضروات والتمور، ويقوم بتوفير متطلبات الأسواق المحلية من الخضروات المعلبة والمكيسة وكذلك تعبئة التمور، وحقق المصنع زيادة كبيرة في إنتاجه خلال العام ١٩٩٩ بلغت نحو ١٠ آلاف طن من التمور والخضر.

ونتيجة لتطور زراعة النخيل وإنتاج التمور بدولة الإمارات العربية المتحدة ظهر عدد من مصانع التمور الحكومية والخاصة تقدر طاقتها الإنتاجية بحوالي ٤١ ألف و٢٥٠ طناً، تنتج مختلف أصناف التمور (جدول ٧). والعديد من تلك المصانع حقق نجاحاً طيباً وملحوظاً على مستوى دول المنطقة، ومنها ما أكد حضوره في الأسواق العالمية بشكل واضح على الرغم من المنافسة الخارجية الكبيرة، ومثال على ذلك مصنع الإمارات للتمور بالساد الذي أُنشأ في عام ١٩٩٨ في منطقة الساد بمدينة العين. ويُعَد المصنع من أكبر مصانع التمور في منطقة الشرق الأوسط حيث بلغت تكلفته الإجمالية نحو ١٥١ مليون درهم، وأقيم على مساحة ٢٢٥ ألف متر مربع، بطاقة تصميمية ٢٣ ألف طن سنوياً، إضافة إلى٢٠ ألف طن خزن مبرد (١٤/٥). ويضم المصنع عدة خطوط للإنتاج أهمها خطاً لإنتاج عجوة التمر بطاقة إنتاجية ٣ آلاف طن سنوياً، وخطاً لإنتاج الدبس بطاقة إنتاجية ٣ آلاف و٥٠٠ طن سنوياً، وخطاً لإنتاج المربى بطاقة إنتاجية ألفان و٨٠٠ طن سنوياً، وآخر للتمور المضغوطة، وخطاً لتجهيز حشوة التمور، وخطاً للتمور منزوعة النوى وتعبئتها، وخطاً لتغليف التمور بالشوكولاته، وخطاً لإنتاج علف الحيوانات. وينتج المصنع حالياً نحو٢٠ ألف طن سنوياً من أجود أنواع التمور التي يتم تصدير بعضها إلى شرقي آسيا، واستراليا، وأوروبا، وأمريكا الجنوبية. إضافة إلى مصنع المرفأ المشار إليه سابقاً بطاقة إنتاجية تجاوزت ١١ ألف طن من التمور سنوياً إضافة إلى ٥ آلاف طن خزن مبرد، وتتميز الإنتاجية بالجودة وفقاً للمواصفات العالمية وأنظمة الجودة للأيزو والهاسب.

جدول ٧. مصانع التمور وطاقتها الإنتاجية في دولة الإمارات، عام ٢٠٠٤.

اسم المصنع	الموقع	الإنتاج (طن)
مصنع الإمارات للتمور بالساد *	العين/ الساد	٢٣,٠٠٠
مصنع المرفأ لتعليب الخضروات والتمور*	المرفأ	١١,٠٠٠
مصنع دبي للتمور	الشارقة	٢٠٠٠
مصنع تمور الشارقة	الشارقة	١٢٥٠
مصنع تمور خت	رأس الخيمة	١٠٠٠
مصنع تمور الإمارات	رأس الخيمة	١٠٠٠
مصنع العين لتعبئة التمور	العين	٥٠٠
مصنع تمور الكومي	عجمان	٧٥٠
مصنع الخليج للتمور	الشارقة	٧٥٠
مجموع الانتاج		٤١,٢٥٠

* شركة الفوعة لتطوير وتنمية قطاع النخيل.

صورة ٢٢/٥ (أ، ب). الشيخ زايد يتفقد مصنع الإمارات للتمور بالساد (أ. سبتمبر ٢٠٠٢، ب. ديسمبر ٢٠٠٢).

٥-٦ تطور الثروة الحيوانية

من المعروف أن الثروة الحيوانية تُؤمِّن جانباً هاماً من الغذاء الضروري للشعوب. منذ عهد قديم، وأنها أيضاً تشكل مصدراً هاماً من مصادر الدخل الزراعي الذي يعتبر بدوره أحد مكونات الدخل القومي. وفي دولة الإمارات العربية المتحدة يشكل الإنتاج الحيواني ما قيمته ٨, ٣٥٪ من إجمالي قيمة الإنتاج الزراعي وصيد الأسماك.

وقد لاقت الثروة الحيوانية اهتماماً كبيراً من الشيخ زايد -رحمه الله- وذلك منذ توليه حكم إمارة أبوظبي (١٩٦٦)، وباتت تلك الثروة في تطور وازدهار بسبب حرصه الشديد على تنميتها وزيادة إنتاجيتها. فلو أخذنا مدينة العين كمثال لذلك الاهتمام نجد أن الثروة الحيوانية قد لاقت اهتماماً مبكراً من قبل الحكومة، ففي عام ١٩٧٧ أنشأت دائرة الزراعة والثروة الحيوانية بالعين مستشفى بيطرياً متكاملاً لتقديم كافة الخدمات البيطرية لهذا القطاع الهام، ونتيجة للتوسع الأفقي فقد توالى إنشاء العيادات البيطرية الخارجية حتى بلغ عددها في عام ٢٠٠٤ (١٦ عيادة) موزعة على مناطق العين وخاصة في الأماكن التي تتميز بوجود كثافة عالية من الحيوانات، هذا بالإضافة إلى العيادات البيطرية المتنقلة والمحمولة في سيارات مجهزة بكامل المعدات اللازمة لتقديم الخدمات البيطرية في المناطق النائية وتجمعات البادية. كما تنوع الدعم والرعاية لتلك الثروة إلى أشكال أخرى، منها الدعم المالي لأصحاب الحيوانات حيث بلغ إجمالي قيمة الدعم المالي في العام ٢٠٠٢-٢٠٠٣ مبلغ ٩٥ مليون و٩٢١ ألف و٧٥٠ درهماً، استفاد منها ٩ آلاف و١٢٠ مواطناً (١٥/٥). وقد تم افتتاح معقر للجمال بالخزنة واللبسة لاستلام الجمال من المواطنين وبيع لحومها بمراكز التسويق، وقد وصل عدد الجمال المسلَّمة إلى المعقرين ١٨ ألف و٤٧ جملاً في العام ٢٠٠٣-٢٠٠٤. ونتيجة لهذا الدعم إرتفع قطيع الحيوانات في المدينة حيث أشارت إحصاءات الدائرة عام ٢٠٠٤م إلى تطور أعداد الحيوانات من أغنام وماعز إلى مليون ٢٨٠ ألف و٦٩٩ رأساً وبلغ عدد الجمال ١٨٥ ألف و٩٦٧ جملاً في العام ٢٠٠٣-٢٠٠٤.

وعلى مستوى الدولة، أولت حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً).

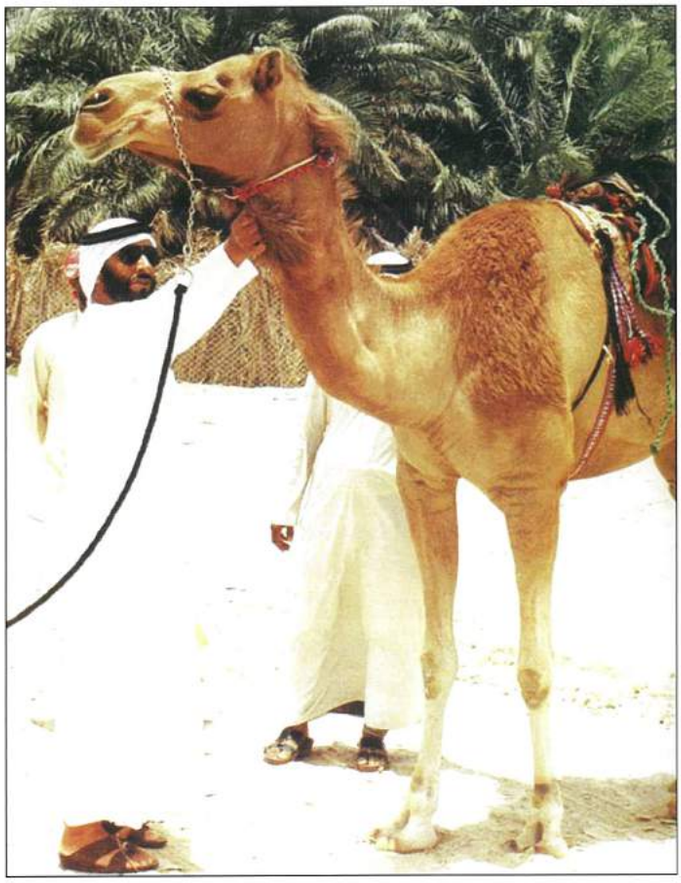

صورة ٢٣/٥. لاقت الثروة الحيوانية (خاصة الجمال) إهتماماً كبيراً من الشيخ زايد رحمه الله.

اهتماماً كبيراً بالثروة الحيوانية، وسخرت لها الجهود والإمكانيات الكبيرة بغية حمايتها والمحافظة عليها، وتطوير حجمها وإنتاجيتها، وتحسين سلالاتها وذلك من خلال:

١- توفير الرعاية البيطرية المجانية لمربي الحيوان في جميع أنحاء الدولة، حيث أنشأت الوزارة ٢٤ عيادة بيطرية في مختلف مناطق الدولة وزودتها بالأجهزة والمعدات الطبية، والأدوية العلاجية، واللقاحات والأمصال، والكوادر الفنية اللازمة لتشغيلها وتقديم الرعاية الصحية والإرشادية لمربي الحيوان.

٢- إنشاء ٢١ مركزاً للحجر البيطري في المنافذ البرية والبحرية والجوية للدولة، وتم تزويدها بالأجهزة والمعدات والكوادر الفنية اللازمة لتشغيلها، حيث تقوم تلك المراكز بفحص الحيوانات الواردة والصادرة عبر المراكز المذكورة للتأكد من

خلوها من الأمراض الوبائية والمعدية التي تلحق أضراراً بالثروة الحيوانية في الدولة.

٣- الاتصال الدائم مع الهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية ذات الصلة، والتعاون معها في مجال المحافظة على الثروة الحيوانية في الدولة.

٤- الانضمام إلى عضوية عدد من المنظمات والاتفاقيات الدولية المعنية بالصحة الحيوانية.

٥- توقيع مذكرات تفاهم مع العديد من الدول بهدف تطوير وتنشيط استيراد وتصدير الحيوانات والمنتجات الحيوانية.

٦- تطوير المختبرات البيطرية بالتعاون مع القطاع الخاص.

٧- توفير خدمات التلقيح الاصطناعي المجانية لمربي الحيوان.

٨- المحافظة على السلالات المحلية وتنميتها.

٩- دعم وتشجيع رياضة سباق الهجن والخيول حيث ازدهرت رياضة الفروسية وأصبحت الإمارات العربية المتحدة من أهم الدول في العالم التي تقام فيها سباقات الخيول الدولية (كأس دبي العالمي، بطولة العالم للقدرة، منافسات الخيول العربية، قفز الحواجز، مسابقة جمال الخيول)، وذلك بفضل الاهتمام الكبير الذي حظيت به الخيول، والرعاية الصحية التي تم توفيرها لها، والاتفاقيات التي عقدتها الدولة مع الدول المتقدمة في هذا المجال مثل الاتحاد الأوربي، وأمريكا، وكندا، وأستراليا، وغيرها.

١٠- استصدار التشريعات الخاصة بالحجر البيطري، وتنظيم التداول بالأدوية واستيرادها وتسجيلها، وإحكام الرقابة على العيادات البيطرية الخاصة ومستودعات الأدوية البيطرية والصيدليات، ومزاولة مهنة الطب البيطري في الدولة.

ونتيجة لتلك الأنشطة والخدمات التي قدمتها الدولة لمربي الحيوان ارتفع حجم الثروة الحيوانية من أغنام وماعز وأبقار وإبل من ٢٧٨ ألف رأس عام ١٩٧٢ إلى ٥٠٧ آلاف و٤٨٦ رأساً في عام ١٩٧٨ ليصل في نهاية عام ٢٠٠٣ الى مليونين و٤٤٩ ألف رأس. وارتفع على إثره إنتاج الحليب في الدولة من ٢١ ألف و١٧٢,٤ طناً عام ١٩٧٨ ليصل إلى ٩٥ ألف و١٧٧ طناً عام ٢٠٠٣ (جدول ٨). كما ارتفع إنتاج اللحوم من ٧ آلاف و٩٣٣ طناً عام ١٩٨٣ ليصل إلى ٢٩ ألفاً و١٥٠ طناً في عام ٢٠٠٣.

ولقد حدث تطور كبير في عدد مزارع الأبقار والدواجن الحديثة، حيث ارتفع عدد تلك المزارع من ٤ (٢ أبقار و٢ دواجن) في عام ١٩٧٢ إلى ٦٨ مزرعة أبقار ودواجن حتى نهاية عام ٢٠٠٣، كما تشير إحصاءات وزارة الزراعة والثروة السمكية وهي على النحو التالي:

- عدد ٢٨ مزرعة للأبقار، عدد الأبقار فيها ١١ ألفاً و٤٩٣ رأساً، تنتج نحو ٩٠ ألفاً و٢٧٧ طناً من الحليب الطازج، ونحو ٢٧ ألفاً و٧٨٠ طناً من اللحوم الحمراء (٥/١٣).
- عدد ٤٠ مزرعة دواجن، تنتج نحو ٣٠٤ طناً من البيض و٤١ ألفاً و٢٩ طناً من اللحوم البيضاء (٥/٨)، جدول (٨).

جدول ٨. بيانات قطاع الثروة الحيوانية في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة (٥/٨).

السنة	الحيوانات المرباة (تقدير)			مزارع الأبقار			مزارع الدواجن		
	عدد الحيوانات	إنتاج الحليب (طن)	إنتاج اللحوم (طن)	عدد المزارع	عدد الأبقار	إنتاج الحليب (طن)	عدد المزارع	إنتاج لحوم الدواجن (طن)	إنتاج البيض (طن)
١٩٧٨	٥٠٧٤٨٦	٢١١٧٢,٤	-	-	-	-	-	٧٣٦	٣٥
١٩٩٠	١٠٧٢٩٤٤	٤٢٣٧١	١٢٦٩٠	١٨	٨٨١١	١٨٢٨٨	١٨	١٥٤١٥	٢٠٣,٥
٢٠٠٠	٢٠٨٩٢٢٧	٨٢٥٠٢	٢٤٨١٠	٢٨	١٠٩٨٣	٦٣٦٨٠	٣٦	٢٧٣١١	٢٦٦
٢٠٠٣	٢٤٤٩٧٧٦	٩٥١٧٧	٢٩١٥٠	٢٨	١١٤٩٣	٩٠٢٧٧	٤٠	٤١٠٢٩	٣٠٤,١

٥-٧ تطور الثروة السمكية

منذ القدم تشكل الثروة السمكية أحد مصادر الدخل في البلاد، ومصدراً من مصادر الرزق والغذاء لسكان الإمارات، ولهذا فقد اهتمت الدولة بها اهتماماً بالغاً فعملت على تنميتها والمحافظة عليها من أي تدهور. وحظى النشاط السمكي في العقود الثلاث الماضية باهتمام ودعم متزايدين من الحكومة، تجلى ذلك في شكل تقديم الكثير من المساعدات الفنية والمالية للصيادين تمثل في تزويدهم بالمكائن البحرية، وقوارب الصيد، والرافعات، والشباك بنصف القيمة، وتقديم خدمات الصيانة والإصلاح المجاني للمكائن في الورش البحرية التابعة لوزارة الزراعة والثروة السمكية والبالغ عددها ١٩ ورشة. وأيضاً تقدم الحكومة القروض لشراء المعدات والمحركات البحرية، بالإضافة إلى خدمات الصيانة المجانية، والتسهيلات في مخازن التبريد، وتقديم برامج تدريب للصيادين على طرق الصيد الحديثة. ولقد أسهمت تلك الخدمات في زيادة أعداد المواطنين العاملين في هذا النشاط. ومن المراكز البحثية الهامة التي أقامتها الدولة دعماً لتنمية النشاط السمكي (مركز أبحاث وتربية الأحياء المائية في أم القيوين) وهو مركز متخصص في إجراء الدراسات والأبحاث اللازمة على الأسماك ويرقاتها والقشريات بغرض تكاثرها في مياه الدولة، بالإضافة إلى تدريب الصيادين على أصول تقنية التربية المائية في الأحواض والأقفاص الشبكية التي يتم توزيعها بهدف تربية وإنتاج الأسماك فيها، وزراعة النباتات والأشجار التي تعد غذاءً رئيسياً لتلك الأسماك وتساعد على تحسين البيئة وتطوير الخيران (١٣/٥).

وفيما هو قادم سوف نستعرض أهم الإنجازات التي حققتها دولة الإمارات العربية المتحدة في مجال الثروة السمكية نتيجة للدعم والإهتمام اللذين حظى بهما هذا القطاع من قبل الدولة خلال الثلاثة عقود ونيف الماضية.

أولاً: الإحصاءات

ارتفع مجمل الإنتاج السمكي من ٦٤,٤ ألف طن عام ١٩٧٦ (الذي تعتبر سنة الأساس) إلى حوالي ٩٥,٢ ألف طن عام ٢٠٠٣، أي بزيادة ٦٧٪ (جدول ٩). كذلك ارتفعت أعداد قوارب الصيد العاملة في الدولة من ألف و٦٥ قارباً عام ١٩٧٦ إلى ٥ آلاف و٥٧١ قارباً في العام ٢٠٠٣. وارتفع مجمل العاملين في قطاع الصيد من ٣ آلاف و٩٥٥ صياداً عام ١٩٧٦ إلى حوالي ١٤ ألفاً و٧٤٨ صياداً في العام ٢٠٠٣ (٨/٥). وتدل هذه المؤشرات على الرعاية الكبيرة التي حظي بها قطاع الثروة السمكية من الحكومة، وبالتالي أصبحت الثروة السمكية دعامة ومرتكزاً من مرتكزات الأمن الغذائي للدولة، ومورداً اقتصادياً هاماً يساهم في الناتج المحلي للدولة.

جدول ٩. بيانات قطاع الثروة السمكية في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة (٨/٥).

السنة	عدد القوارب	عدد الصيادين	الانتاج السمكي (ألف طن)	القيمة (مليون درهم)
١٩٧٦	١٠٦٥	٣٩٥٥	٦٤,٤	٢١٣,٥
١٩٨٠	١٤٨٨	٣٩٦٢	٦٤,٤	٢١٣,٥
١٩٩٠	٣٣٢١	١٠١٧٢	٩٥,١	٣٧٩,٦
٢٠٠٠	٤٦٨٨	١٥٥٤٣	١٠٥,٤	٩٥٨
٢٠٠٣	٥٠٥٢	١٤٧٤٨	٩٥,٢	٩٤٢

ثانياً: في المجال التشريعي

اهتمت الدولة بالثروة السمكية، وعملت على حمايتها والمحافظة عليها وتنميتها، ويعتبر القانون الاتحادي رقم (٢٣) لسنة ١٩٩٩ الذي أصدره الشيخ زايد -رحمه الله - في شأن استغلال وحماية وتنمية الثروات المائية الحية في دولة الإمارات العربية المتحدة إطاراً لكل ما من شأنه أن يؤدي إلى تنمية الثروة السمكية والمحافظة عليها، كما يحدد العقوبات على المخالفات والممارسات السلبية التي تؤدي إلى تدهورها واستنزافها. وشجع القانون المواطنين على ممارسة الصيد من خلال شرط تواجد نوخذة مواطن على القارب، وتنظيم قطاع الصيد من خلال لجان تنظيم الصيد. ومن أجل المحافظة على المخزون السمكي أوقفت الوزارة تسجيل قوارب صيد جديدة، وقامت بالتنسيق مع السلطات المحلية في الإمارات بوقف إصدار رخص صيد جديدة. كما أن لدى الوزارة برنامج لتدريب الصيادين وخاصة الشباب منهم أثناء العطلة الصيفية على هذه المهنة. وشكلت وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً) في شهر يونيو ٢٠٠٤ لجنة خاصة لتطبيق أحكام القانون الاتحادي الذي أصدره الشيخ زايد -رحمه الله- في العام ١٩٩٩ في شأن استغلال وحماية الثروات المائية، وكذلك لائحته التنفيذية (١٣/٥).

ثالثاً: في مجال الدعم وتوفير مستلزمات الإنتاج

حرص الشيخ زايد -رحمه الله- على توفير كل الدعم والاحتياجات الأساسية التي تتطلبها مهنة الصيد وترفع من إنتاجية الصيادين. وفي إطار هذا التوجه خصصت وزارة الزراعة والثروة السمكية مبالغ كبيرة من ميزانيتها السنوية لتوفير مستلزمات الإنتاج السمكي من محركات بحرية بنوعيها الداخلية والخارجية، والرافعات البحرية، وشباك الصيد، وأقفاص لصيد الأسماك، وقوارب الصيد، الأمر الذي جعل هذا القطاع يسهم مساهمة كبيرة في توفير الغذاء الأساسي للمواطنين والمقيمين. وقد أُعطيت الأولوية في توزيع هذا الدعم للصيادين المتفرغين لمهنة الصيد الذين يمارسون المهنة بأنفسهم، وأصحاب المهن البسيطة، وذلك تشجيعاً لهم للعمل في مهنة الصيد ولتحسين أوضاعهم المعيشية ورفع مستوى دخلهم.

رابعاً: المحافظة والتنمية للثروة السمكية

وللمحافظة على الثروة السمكية وتنميتها هناك جهود وإجراءات فرضتها الحكومة لهذا القصد نذكر منها التالي:

١- إجراء الدراسات عن استغلال الثروة السمكية في بيئتها البحرية، وإصدار التشريعات والقوانين اللازمة لحماية أنواع الأسماك من سوء الاستغلال الذي يُعَرِّض المخزون السمكي للاستنزاف، وقد تُوِّجَت هذه الدراسات والأبحاث بإصدار الشيخ زايد -رحمه الله- القانون الاتحادي رقم ٢٣ لسنة ١٩٩٩ بشأن استغلال وحماية وتنمية الثروات المائية الحية بالدولة.

٢- تنمية المخزون السمكي من خلال إنتاج وتربية وطرح يرقات أنواع الأسماك الهامة في الخيران والمحميات البحرية، وذلك للمساهمة في دعم البيئة البحرية بمزيد من الأنواع الهامة ذات المردود الاقتصادي والتجاري.

٣- وتنفيذاً لتعليمات وتوجيهات الشيخ زايد -رحمه الله- قامت الوزارة بعدة إجراءات من شأنها المحافظة على الثروة السمكية وهي:

- منع السفن الأجنبية من الصيد في مياه الصيد الإقليمية.
- منع سفن الجر.
- منع الصيد باستخدام شباك النايلون.
- منع الصيد باستخدام شباك المنصب القاعي.
- منع الصيد باستخدام شباك الهيال.
- منع استخدام المناشل القاعية.
- منع استخدام الشباك التي تقل فتحاتها عن ١.٥ × ١.٥ بوصة.

كما أولت الدولة أهمية كبيرة للأبحاث العلمية المتعلقة بالثروة السمكية تمثلت في تحديد مواسم تكاثرها، والحجم الأدنى الذي يسمح بصيده للحفاظ على الكتلة القابلة للتكاثر لتلك الأنواع، حيث أسهم ذلك في تقييم الطاقة الإنتاجية للمخزون السمكي.

خامساً: الجمعيات التعاونية لصيادي الأسماك

وتجسيداً لفكر الشيخ زايد في ضرورة دعم ومساعدة الصيادين المواطنين، وإيجاد كيان يحمي مصالحهم ويحقق أهدافهم تبنت وزارة الزراعة والثروة السمكية فكرة إنشاء وتكوين الجمعيات

التعاونية لصيادي الأسماك في جميع إمارات الدولة، وذلك إيماناً بأهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه تلك الجمعيات في تحقيق أهداف وتطلعات الصيادين خاصة لأن تلك الجمعيات تعتبر بمثابة همزة الوصل التي تربط الوزارة بالصيادين، والتي يمكن أن يتم من خلالها تنظيم ورسم الكثير من السياسات التي تؤدي إلى خدمة ومصلحة الصيادين والدولة في آن واحد. وحتى عام ٢٠٠٤ بلغ عدد تلك الجمعيات في الدولة عشر جمعيات (جدول١٠).

جدول ١٠. الجمعيات التعاونية لصيادي الأسماك في دولة الإمارات (٨/٥).

م	اسم الجمعية	الإمارة	عدد المساهمين	تاريخ الإشهار
١	جمعية أبوظبي لصيادي الأسماك	أبوظبي	٢٩٧	١٩٩٠
٢	جمعية دبي لصيادي الأسماك	دبي	٤٢١	١٩٨٨
٣	جمعية الشارقة لصيادي الأسماك	الشارقة	١٤٧	١٩٩٠
٤	جمعية الحمرية لصيادي الأسماك	الشارقة	٥١	٢٠٠٤
٥	جمعية عجمان لصيادي الأسماك	عجمان	٥٦	١٩٨٩
٦	جمعية دبا الفجيرة لصيادي الأسماك	الفجيرة	٧٥	١٩٩٢
٧	جمعية خور فكان لصيادي الأسماك	الشارقة	١٧٩	١٩٩٧
٨	جمعية الغرفة لصيادي الأسماك	الفجيرة	٩٩	١٩٩٣
٩	جمعية دبا الحصن لصيادي الأسماك	الشارقة	١٢٩	١٩٩٤
١٠	جمعية كلباء لصيادي الأسماك	الشارقة	١٦٠	٢٠٠١

سادساً: البيئة البحرية

أصبحت البيئة البحرية في عهد المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان موئلاً لكثير من الأحياء البحرية، فقد وجه رحمه الله بإنشاء المحميات الطبيعية البحرية والتي تلعب دوراً بارزاً في حماية الأحياء البحرية والموارد المائية والمحافظة على التنوع الحيوي البيئي. كما استطاعت تلك المحميات أن تدعم الظروف الهيدرولوجية والبيئية المثلى لنمو الأسماك والأحياء البحرية وازدهارها. كما كان للشيخ زايد -رحمه الله- دور بارز في تشجيع زراعة أشجار القرم على سواحل الدولة وفي خيرانها. وتعتبر بيئة أشجار القرم من أفضل البيئات التي تساعد على تكاثر وتنوع الثروة السمكية، نظراً لما توفره لصغار الأسماك والقشريات من ملجأ غني بالمواد الغذائية.

وكان لمركز أبحاث الأحياء البحرية الذي أنشأته وزارة الزراعة والثروة السمكية أهمية كبرى في تنمية الثروة السمكية في الدولة، ويعتبر أحد أهم المراكز المتخصصة في مجال أبحاث الثروة السمكية واستزراع الأسماك في المنطقة، وتتركز أهدافه في التالي:

١- العمل على تنمية الموارد السمكية من خلال الإنتاج الصناعي ليرقات بعض أنواع الأسماك، وطرحها على خيران الدولة وعلى سواحلها وفي المحميات البحرية التي أُنشأت من أجل الحفاظ على الثروة السمكية وتنميتها.

٢- إجراء التجارب على إنتاج يرقات بعض أصناف الأسماك صناعياً مثل أسماك الصافي، والهامور، والبياح، والقابط، والشعم، والربيان، وغيرها.

٣- إجراء التجارب على بعض أصناف الأسماك التجارية المرغوبة من قبل المواطنين والتى لا يفي إنتاجها فى الوقت الحالي بحاجة السوق المحلية.

٤- تدريب من يرغب من المواطنين والصيادين (المواطنين) على أصول وتقنيات التربية المائية.

٥- إجراء الأبحاث الهيدروجرافية والبيولوجية لأصناف الأسماك التجارية الموجودة في مياه الدولة، وفي منطقة الخليج.

٦- تقديم المساعدة والمشورة الفنية للجهات المحلية الراغبة في إنشاء مشاريع إنتاج أسماك مماثلة في الدولة، سواء كانت في القطاع العام أو الخاص.

٧- التعاون والتنسيق مع الهيئات المحلية والإقليمية والدولية ذات طبيعة العمل المماثلة.

٨- نشر الوعي والمعرفة لدى زوار المركز من خلال إطلاعهم على نشاطاته وعمل المعرض المائي الملحق به.

٩- إجراء أبحاث ودراسات أخرى تشمل تنمية الخيران والسواحل، ودراسات حول التلوث، والبيئة، وأشجار القرم، وغير ذلك من الأبحاث ذات الصلة بالبيئة البحرية.

٥-٨ مؤشرات الاكتفاء الذاتي

لقد تحقق حلم الشيخ زايد -رحمه الله- في الزراعة، وأصبحت دولة الإمارات العربية المتحدة تحقق نسباً عالية من الاكتفاء الذاتي في عدد من المنتجات الزراعية والحيوانية على الرغم من الظروف البيئية والمناخية الصعبة، فقد أصبحت الدولة مكتفية ذاتياً بنسبة ١٠٠٪ من التمور، وكذلك الحال بالنسبة للأسماك الطازجة والمبردة نتيجة اهتمام الدولة بتشجيع الصيد الرشيد والمحافظة على البيئة البحرية واستدامتها. كما حققت الدولة اكتفاءً ذاتياً بنسبة ٥٠٪ من الخضار، و٤٥٪ من اللحوم، شكلت اللحوم الحمراء منها نسبة ٢٨٪ (٥/٨). وتصل نسبة الاكتفاء الذاتي من الحليب الطازج إلى ٨٣٪، والبيض إلى ٣٨٪ (جدول ١١). وتنتج الدولة العديد من الفواكه أهمها الحمضيات والمانجو والتي تحقق نحو ٦٪ من الاكتفاء الذاتي. وبهذا فإن دولة الإمارات قد قطعت شوطاً كبيراً في اتجاه الاكتفاء الذاتي وجعلها تحد من اعتمادها على المواد الغذائية المستوردة، وهذا كان أحد أحلام ورؤية الشيخ زايد في الزراعة منذ توليه مسؤولية البلاد. ولقد تخطت الدولة في السنوات الأخيرة مرحلة الاكتفاء الذاتي في بعض المنتجات الزراعية إلى مرحلة الفائض في الإنتاج والذي جعل الدولة تفتح باب التصدير لتلك المنتجات، ومثال على ذلك منتجات التمور.

جدول ١١. أهم المؤشرات الزراعية والاكتفاء الذاتي في دولة الإمارات، عام ٢٠٠٣ (٥/٨).

البيـــان	المنتج المحلي (طن)	الاكتفاء الذاتي
التمور	٧٥٧٦٠١	١٠٠٪
الخضار	٤٦٧٠٢٠	٥٠٪
الفاكهة	٣٧٥٥٩	٦٪
لحوم حمراء	٢٧٧٨٠	٢٨٪
لحوم دواجن	٢٨٥٨٦	١٧٪
حليب طازج	٢٠٢٤٤١	٨٣٪
بيض	١٦١٠٠	٣٨٪
أسماك طازجة	٩٧٥٧٤	١٠٠٪

يجب أن تتوازن الطبيعة والخليقة من جديد.. ولو ازدهرت معيشة الإنسان ولم تتأمن معيشة الحيوان وسلامة الطبيعة، يكون هناك قلة إنصاف. في البداية ركزنا على رفعة الإنسان وقدرته وعلمه وثقافته ومعيشته، ثم بدأنا الاهتمام بأمور أخرى مثل الحفاظ على الحياة البرية وإكثار الأنواع المهددة بالانقراض.

زايد بن سلطان آل نهيان

الفصل السادس

مظاهر التنمية البيئية

إنجازات بيئية

٦-١ زايد رجل البيئة الأول

٦-٢ تطور مشاريع الحدائق والمتنزهات

٦-٣ تطور مشاريع الغابات والتشجير

٦-٤ أهمية التشجير في دولة الإمارات

٦-٥ تطور مشاريع المحميات الطبيعية

٦-١ زايد رجل البيئة الأول

هو أحد الألقاب التي قيلت في الشيخ زايد -رحمه الله- كونه جعل من دولة الإمارات العربية المتحدة مثالاً يحتذى على المستوى العالمي في الحفاظ على البيئة وحمايتها، بالرغم من التحديات البيئية والمناخية التي تمت مواجهتها بما يشبه المعجزة. لقد سبق الشيخ زايد العالم في الاهتمام بالبيئة وبفترة طويلة، وأكد ذلك في أحد تصريحاته قائلاً: «إن اهتمامنا بحماية البيئة وصون ما فيها من نبات وحيوان ليس وليد الساعة، وإنما هو اهتمام أصيل وراسخ دعونا له ومارسناه وطبقناه قبل أن يبدأ الاهتمام العالمي بسنوات عديدة».

ولو تأملنا في تاريخ الاهتمام الدولي بالبيئة لوجدنا أن ديسمبر ١٩٦٨ كان أول إشارة له، عندما دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر عالمي حول البيئة، للبحث عن حلول لمشكلات التلوث وغيرها مما يهدد الكرة الأرضية. ثم في عام ١٩٧٢ كان هناك إشارة أخرى للاهتمام الدولي بالبيئة تمثلت في إنعقاد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة في العاصمة السويدية ستوكهولم (١/٦). ولذلك تعتبر الاهتمامات الدولية بالبيئة اهتمامات حديثة. ويشير التاريخ إلى أن الشيخ زايد أحس بالبيئة وأدرك مدى أهمية المحافظة عليها وعلى ما تحويه من مقدرات منذ زمن أبعد من ذلك، وفي سن مبكرة من عمره. ونذكر في ذلك عدة أمثلة:

أولاها، قصة يرويها الشيخ زايد بنفسه تفسر كيف أنه وفي سن مبكرة قد امتنع عن استخدام البندقية في الصيد بالرغم من حبه الشديد لممارسة تلك الرياضة والتي كانت جزءً من تراث الآباء إلا أنه امتنع عن مزاولتها احتراماً للبيئة وحفاظاً على حيواناتها الطبيعية، إدراكاً منه أن هذه الأداة تسهم في تدهور أعداد الحيوانات البرية وتسرع في القضاء عليها. ولنتأمل في تلك الرواية حيث يقول الشيخ زايد: «عندما كان عمري حوالي اثني عشر عاماً كنت أتصيد بالبندقية، وأذكر وقتها أنني لصغر سني كنت لا أقوى على حملها كثيراً بل كنت أعتمد حينما أضرب بالبندقية على ساتر أو على أي شيء آخر. لقد أحببت القنص وأخذت أمارسه وأخرج كثيراً للصيد بالصقور فشرعت أزاول الصيد بالاثنين معاً، بالبندقية حيناً والصقر حيناً آخر. وعندما بلغت من العمر الخامسة والعشرين، كان قد مضى علي وقت من الزمن في تعلم الصيد وفنونه، في هذا الوقت فضلت الصيد بالصقر على ما عداه وأقلعت عن استخدام البندقية في صيد الحيوان، وكان لهذا التحول سبب في نفسي. ففي ذات يوم ذهبت لرحلة صيد في البراري، وكانت الطرائد قطيعاً وافراً من الظباء يملأ المكان من كل ناحية فجعلت أطارد الظباء وأرميها، وبعد حوالي ثلاث ساعات قمت أعد ما رميته من الظباء فوجدتها أربعة عشر ظبياً. عندئذ فكرت في الأمر طويلاً وأحسست أن الصيد بالبندقية إنما هو حملة على الحيوان وسبب سريع يؤدي إلى انقراضه، فعدت عن الأمر واكتفيت بالصيد بالصقر» (٢/٦).

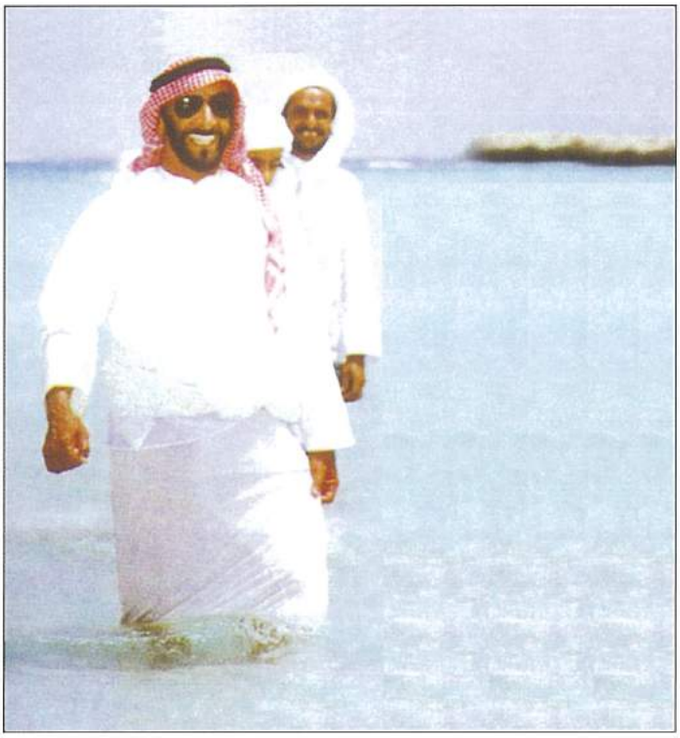

صورة ٢/٦. الشيخ زايد في جولة بحرية لشواطيء أبوظبي، عام ١٩٨٠.

أما المثال الثاني، ففي نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، تنبه الشيخ زايد -رحمه الله- إلى أن أعداد الحيوانات البرية آخذة في التناقص نتيجة الصيد الجائر والجفاف، وأهمها كان المها العربي. فأصدر أوامره الحكيمة بأسر ما تبقى منها في الحياة البرية وحفظها في محمية طبيعية ووفرت لها كل عناصر البيئة السليمة، فتوالدت وتكاثرت أعدادها وأصبحت الإمارات تملك من هذا

الحيوان النادر ضعف العدد الذي يمتلكه العالم أجمع (٦/٣). فكان ذلك التوجه سياسة حكيمة لإنقاذ تلك الحيوانات من الانقراض. وفي عام ١٩٦٨ أصدر أوامره بإنشاء حديقة الحيوان في مدينة العين، تم افتتاحها في ١٩٧١، وكانت من أوائل الأعمال البيئية التي أقدم عليها الشيخ زايد، ونموذجاً للاهتمام بالحيوانات البرية في فكره، فقد أدرك بوعيه ورؤيته المستقبلية منذ أكثر من ثلاثين عاماً الأخطار التي تواجه الحياة البرية.

وفي بداية السبعينيات، أصدر الشيخ زايد مرسوماً يمنع فيه الصيد، أياً كان نوعه، وأياً كان نوع الحيوان المستهدف، ثم في منتصف السبعينيات أصدر رحمه الله مرسوماً بيئياً آخر يمنع قطع الأشجار سواء للاحتطاب أو لغيره من عمل طرق أو بناء أو ما شابه ذلك. وفي عام ١٩٧٧ شرع في استيلاد الحبارى في الأسر، وبذلك فقد استبق جهود الأوساط البيئية العالمية التابعة للأمم المتحدة. وبحسه البيئي أدرك الشيخ زايد انحسار أعداد الصقر العربي «الحر» وقبل ما يزيد على العشر سنوات (عام ١٩٩٥) حيث بدأ برنامج زايد لاطلاق الصقور كبرنامج رائد في المنطقة، وهو يهدف إلى المحافظة على الصقور ودراسة أنماط هجرتها وقدرتها على التأقلم مع الحياة البرية (٦/٤). وبالمثل فقد منع الشيخ زايد صيد أبقار البحر منذ عشرين عاماً قبل أن توجد هناك دراسات تنذر بتناقص أعدادها بشكل يهدد بقاءها، وقبل أن يدرك العلماء أن هذا النوع من الكائنات البحرية النادرة مهدد بالانقراض وعلى أثره فقد صنفه الاتحاد الدولي لصون الطبيعة (IUCN) كأحد الأنواع المهددة بالانقراض (٦/٤). واليوم تتواجد نسبة كبيرة من أبقار البحر في مياه أبوظبي تقدر بـ ٤٠٪ من الأعداد المتواجدة في مياه الخليج العربي والبحر الأحمر والمقدرة بأكثر من ٧ آلاف بقرة (٦/٥). وبهذا يتضح الدور الهام الذي قام به الشيخ زايد -رحمه الله- في الجهود العالمية المبذولة لحماية هذا النوع الوحيد الباقي على قيد الحياة من العائلة (Dugongidae) والنوع الوحيد غير المنقرض من بين أربعة أنواع فقط تتبع للرتبة (Sirenia)(٦/٥).

ولم يكتف رحمه الله بالمحافظة على البيئة وعلى ما تضمه من حيوانات وأشجار، بل أطلق في صحراء الإمارات وعلى شواطئها وجزرها حملة كبيرة من عمليات التشجير والأحزمة الخضراء وإقامة الغابات والمحميات الطبيعية في مختلف مناطق الدولة بهدف تربية الحيوانات البرية والمحافظة عليها من الانقراض. ومن ذلك الحين ومشاريع البيئة وبرامجها في دولة الإمارات لم تتوقف.

ولقد أكد الشيخ زايد الإهتمام المبكر لدولة الإمارات بشؤون البيئة في كلمته إلى مؤتمر قمة الأرض التي عقد في ريو دي جانيرو بالبرازيل عام ١٩٩٢، عندما قال: «اعتبرت دولة الإمارات منذ البداية حماية البيئة هدفاً رئيسياً لسياستها التنموية، وبذلت جهوداً مكثفة في ظروف بيئية قاسية لمعالجة مشكلة التصحر وزيادة الرقعة الخضراء، وتطوير موارد المياه، وتحسين البيئة البحرية وحمايتها من التلوث، والحفاظ على الثروة السمكية والحيوانية والإكثار منها». ويقول أيضاً: «إننا نولي بيئتنا جُلَّ اهتمامنا لأنها جزء عضوي من بلادنا وتاريخنا وتراثنا. ولقد عاش آباؤنا وأجدادنا على هذه الأرض وتعايشوا مع بيئتها في البر والبحر وأدركوا بالفطرة والحس المرهف الحاجة للمحافظة عليها وأن يأخذوا منها قدر احتياجاتهم فقط ويتركوا فيها ما تجد فيه الأجيال القادمة مصدراً للخير ونبعاً للعطاء».

واليوم تعد تجربة دولة الإمارات في مجال التشجير ومكافحة التصحر والحفاظ على البيئة من التجارب الرائدة التي أبهرت العالم. فقد استطاع الشيخ زايد وبتوفيق من الله تعالى، بفعل عكس ما رآه الخبراء في بداية قدومهم إلى المنطقة بأن إقامة مثل تلك المشاريع يعد بالأمر المستحيل، وضرب من الخيال. لكن بالتصميم والتحدي الذي تميز بهما العبقري زايد استطاع أن ينجح في تحويل مناطق صحراوية شاسعة إلى أراض خضراء مليئة بالحياة، واستطاع أن يقهر بذلك ظروف الصحراء فيقيم أعظم مشاريع الغابات والمحميات ذات التنوع النباتي والحيواني على صحاري الإمارات، بينما نرى في مناطق أخرى من المعمورة إزالة الغابات لأسباب اقتصادية، أو تدهورها لأسباب أخرى، كما نرى في غيرها أن عمليات صيد الحيوانات البرية مازالت جارية إلى يومنا هذا. وتوضح الدراسات والأعمال المسحية في (S.A. SMITH SONA-INSTITUTION) ولجنة النباتات المهددة التابعة للاتحاد الدولي للمحافظة على الطبيعة بأنه بمعدل ١٠٪ من الغابات تتلاشى سنوياً (٦/٧).

كما حذرت المنظمة العربية للتنمية الزراعية من زيادة مساحة الأراضي المتصحرة في الوطن العربي والتي بلغت ٩ ملايين و٨٠٠ ألف كيلومتر مربع تمثل ٦٨٪ من مساحته الكلية، بينما تقدر

المساحة المهددة بالتصحر بنحو ٢ مليون و٨٧٠ ألف كيلومتر مربع تمثل حوالي ٢٠٪ من المساحة الكلية للوطن العربي. وأكدت المنظمة في تقريرها السنوي عن التنمية الزراعية في الوطن العربي للعام ٢٠٠٥، الذي ناقشه وزراء الزراعة العرب في اجتماعهم الأخير بالقاهرة، أن التصحر بمختلف أشكاله ودرجاته أحد أهم المشكلات التي تواجه تنمية وصيانة الأراضي الزراعية في الوطن العربي نظراً لوجود أراضيه ضمن حزام المناطق الجافة وشبه الجافة، ومن ثم تتعرض معظم المناطق إلى عوامل التدهور والتصحر والزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية، وتتزايد معدلات التدهور مع حدوث موجات متكررة من الجفاف. وذكر التقرير أن المساحة المتصحرة تتركز في إقليم شبه الجزيرة العربية بنسبة ٨٩,٦٪ من إجمالي مساحة الإقليم، ويعاني المغرب العربي من تلك المشكلة بنسبة تبلغ ٧٧,٧٪ من مساحته (٦/٧).

أما ما يحدث على أرض الإمارات فشيء مختلف تماماً ومعاكس للتقارير سابقة الذكر. وهنا أذكر مثالاً واحداً فقط عن جهود الشيخ زايد في مجال البيئة وإقامة مشاريع الغابات والتشجير على صحراء بلاده لأن تفاصيل تلك الإنجازات سوف يأتي ذكرها لاحقاً في هذا الفصل وفصول تالية. كانت جزيرة صير بني ياس في السبعينيات أرضاً قاحلة تفتقد إلى الغطاء النباتي وإلى أي مظهر من مظاهر الزراعة والحياة البرية، ثم أصبحت فيما بعد من أكبر المحميات الطبيعية وأهمها في منطقة الشرق الأوسط. يعيش في ربوعها أكثر من ٦٠ ألف حيوان، موزعة على ٢٣ نوعاً من الحيوانات البرية، من بينها بعض الأنواع المهددة بالانقراض، والتي تم جلبها من مختلف دول العالم. ويوجد في الجزيرة حوالي ٨٦ نوعاً من الطيور المختلفة معظمها من الطيور المهاجرة (٦/٨)، بسبب الإنتشار الواسع لمشاريع الغابات والتشجير على أرضها، إضافة إلى توفر الحماية لهذه الكائنات.

وأعمال التشجير الضخمة ومشاريع الغابات والمحميات الطبيعة التي أقامها الشيخ زايد في كافة مناطق الدولة لجديرة أن تذكر وبإسهاب، فهي أشبه بالمعجزة، كما أنها مفخرة لدولة الإمارات في هذا المجال، وفوائدها لبيئة الإمارات كبيرة، فقد أسهمت المشروعات الكبيرة في مجال التشجير وإقامة المحميات الطبيعية

صورة ٦/٣. الشيخ زايد يقوم بزراعة أشجار القرم (المانغروف) على شواطيء أبوظبي.

في تحقيق التوازن البيئي، وفي مكافحة التصحر، والتقليل من نسبة الأتربة وانتشار الميكروبات، وتلطيف حرارة الجو، وتقليل نسبة الرطوبة، وتوفير بيئة صحية نظيفة وجميلة.

لقد كان لإنجازات الشيخ زايد البيئية صدىً عالمياً وإشادة دولية واسعة النطاق، فقد أشاد برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) بجهوده رحمه الله في المحافظة على سلامة البيئة، وما أطلقه من برامج لمكافحة التصحر ونشر الرقعة الخضراء على مساحات واسعة من الأرض مما جعل دولة الإمارات العربية المتحدة من الدول المتقدمة في هذا المجال. هذا ما يؤكده كبار الخبراء والمسؤولين الدوليين الذين أعجبوا بالسياسة الحكيمة التي كان يتبعها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد في هذا الميدان، ومنهم الدكتور جاك ضيوف، مدير عام منظمة الأغذية والزراعة (الفاو)، الذي قال بعد زيارته للدولة خلال شهر ديسمبر ١٩٩٥: «إن ما قام به الشيخ زايد من جهود وسياسات زراعية حكيمة يسعى حالياً الخبراء في المنطقة إلى تحقيقها على المستوى العالمي» (٩/٦). كما أكد شفقت كاكاخيل نائب المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة في ٢٦ سبتمبر عام ٢٠٠٠ في أبوظبي أن دولة الإمارات العربية المتحدة تمكنت من قهر الصحراء (١٠/٦).

وتحدث العالم البريطاني مارك جريفيتس في مقالة نشرتها صحيفة «التايمز» اللندنية في عددها الصادر ٢٢ مايو ٢٠٠٤ عن إنجازات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله- في مجالات البيئة والحفاظ عليها، والمعجزات التي تحققت بفضل جهوده وتوجيهاته فقال فيها: «إن مفهوم البيئة الجديد في دولة الإمارات العربية المتحدة قد اتسم بالعملية لأنه مفهوم شامل لثورة إحياء الأنواع المسالمة. ولكي تكتشف ذلك بنفسك عليك أن تلاحظ مدى تأثير التشجير في هذه الأرض القاحلة خلال الرحلة من مطار أبوظبي الدولي إلى داخل مدينة أبوظبي لتدرك أن شعب الإمارات قد أعاد إحياء البيئة بمفهوم واسع شمل حتى أدق تفاصيل الحياة. وتقف جزيرة صير بني ياس نموذجاً رائعاً يجسد ذلك المفهوم لما تحتضنه من شتى أنواع النباتات والتي تشكل مجتمعات طبيعية ذاتية النمو. ولقد كان واضحاً منذ الوهلة الأولى أن هذا الإنجاز كان كبيراً وعميقاً في الوقت نفسه». ويلخص في مقالته ذاك الإنجاز البيئي فيقول في كلمات معدودة: «أكثر السياسات البيئية تطوراً وتغييراً لأي من الدول في العصر الحديث». ويضيف: «أنا هنا اليوم لكي استكشف لماذا قرر الشيخ زايد أن يحول بلاده كلها الى حدائق غناء». ويجيب قائلاً: «كان يجب أن تكون الإجابة واضحة لأن الزراعة شيء جميل وخاصة بالنسبة إلى دولة تمتلك ١٠ بالمائة من احتياطي النفط العالمي، ولما يتوافر لها من أموال طائلة من عائدات النفط تستطيع أن تمول بها مشاريع زراعية واسعة النطاق» (١١/٦).

وللمزيد من شهادات الإعجاب والتقدير لجهود الشيخ زايد يمكن للقارىء الرجوع إلى فصل (تقدير عالمي) للنظر في المزيد من شهادات المراقبين والعلماء الدوليين في تجربة الشيخ زايد على صحراء دولة الإمارات.

ونتيجة للجهود الكبيرة التي قدمها الشيخ زايد في مجال البيئة فقد تسارعت المؤسسات والمنظمات الدولية المختلفة لمنحه الجوائز والأوسمة تقديراً لجهوده المتميزة في ميادين الحفاظ على البيئة وتنميتها. وكان من أعظم تلك الجوائز في هذا المجال جائزة «الباندا الذهبية» في عام ١٩٩٧، وهي أرفع شهادة يمنحها الصندوق العالمي للحفاظ على الطبيعة والتي منحها الصندوق لأول مرة إلى رئيس دولة، تقديراً للجهود الكبيرة التي بذلها رحمه الله في هذا المجال.

لقد أدرك الشيخ زايد أهمية البيئة ومواردها في وقت مبكر كان فيه مفهوم البيئة وحمايتها لا يتجاوز مشكلات التلوث البيئي، لكن حكمة القائد وفطرته التي ارتبطت بالبيئة كانت تنظر إلى أفق أبعد من تلك المفاهيم والاهتمامات الضيقة، وهكذا برز على أرض الإمارت عدد من المشاريع الزراعية والتنموية، وتم إنشاء عدد من الهيئات والمؤسسات المعنية بالبيئة وذلك على المستويين الاتحادي والمحلي. فعلى المستوى الاتحادي كانت البداية عام ١٩٧٥ بإنشاء «اللجنة العليا للبيئة» والتي استمرت حتى فبراير شباط عام ١٩٩٣، وهو التاريخ الذي شهد إنشاء «الهيئة الاتحادية للبيئة»، وهي هيئة مستقلة تعنى بالشأن البيئي على المستوى الاتحادي، وتهدف إلى حماية وتطوير البيئة في الدولة، ووضع الخطط والسياسات، واتخاذ التدابير والإجراءات المناسبة لوقف تدهور البيئة ومكافحة التلوث البيئي بجميع أشكاله (١٢/٦). كما أصدر الشيخ زايد عدة قوانين لحماية البيئة والثروة السمكية والحياة الفطرية، كان أشملها

القانون الاتحادي رقم ٤٢ لعام ١٩٩٩ في شأن حماية البيئة وتنميتها (١٢/٦). وفي إمارة أبوظبي تشكلت عام ١٩٩٦ هيئة بيئية تسمى «هيئة أبحاث البيئة والحياة الفطرية وتنميتها»، تعرف حالياً باسم «هيئة البيئة-أبوظبي»، وهي هيئة مستقلة ومسؤولة عن الشأن البيئي في إمارة أبوظبي، وتهدف إلى حماية البيئة والحياة الفطرية، والحفاظ على التنوع البيولوجي، وتعزيز الوعي البيئي، وإجراء الدراسات والبحوث اللازمة للحفاظ على البيئة وتنمية الحياة الفطرية، وتقديم الاقتراحات والتوصيات في هذا الشأن. وتضم الهيئة مجموعة من الدوائر والإدارات والمراكز الفنية، منها مركز بحوث البيئة البحرية، والمركز الوطني لبحوث الطيور، ودائرة حماية البيئة، ودائرة التعليم والتوعية البيئية، وغيرها (١٣/٦).

وإلى جانب الهيئة الاتحادية للبيئة، وهيئة أبحاث البيئة والحياة الفطرية وتنميتها، هناك وزارات وهيئات تعنى هي الأخرى بقضايا البيئة ذات العلاقة، مثل وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً)، ووزارة النفط، ووزارة الكهرباء والماء، ووزارة المواصلات، والأمانة العامة للبلديات. أضف إلى ذلك وجود العديد من الجمعيات الأهلية ذات النفع العام والتي تعنى بهذا المجال، ومنها جمعية أصدقاء البيئة والتي تأسست في نوفمبر ١٩٩١، ومجموعة الإمارات للبيئة التي تأسست في سبتمبر ١٩٩١ بهدف نشر الوعي البيئي عبر وسائل التعليم.

ومن مظاهر اهتمام دولة الإمارات بقضايا البيئة تخصيص يوم وطني للبيئة، فقد وافق مجلس الوزراء عام ١٩٩٧ على تخصيص يوم الرابع من فبراير في كل عام يوماً وطنياً للبيئة في الدولة. وقد تم اختيار هذا التاريخ كونه ذكرى إنشاء الهيئة الاتحادية للبيئة في عام ١٩٩٣، باعتبارها أول هيئة حكومية مستقلة تعنى بالشأن البيئي على المستوى الاتحادي.

ومن الأنشطة الأخرى التي تقوم بها الدولة التوعية البيئية من خلال وسائل الإعلام وإصدار الكتب والمجلات المختصة بالبيئة ومنها على سبيل المثال مجلة «البيئة» التي تصدرها الهيئة الاتحادية للبيئة، ومجلة «شؤون بيئية» التي تصدرها جمعية أصدقاء البيئة. ومن مظاهر الاهتمام بالبيئة أيضاً تنظيم المؤتمرات والندوات حول قضايا البيئة، ورصد جوائز للأبحاث والأعمال البيئية المتميزة وفي مقدمتها جائزة زايد الدولية للبيئة التي تعتبر واحدة من أكبر الجوائز العالمية في ذلك الميدان. وأخيراً وليس آخراً التدخل التشريعي والقانوني لعقاب من يعتدي على البيئة، فقد سنت الدولة العديد من القوانين والتشريعات التي من شأنها الحفاظ على البيئة وحمايتها من التدهور أو التلوث، وقد ذكرت في فصل سابق.

لقد تحدث الشيخ زايد -رحمه الله- عن تجربة دولة الإمارت في البيئة في كلمة قالها في افتتاح المؤتمر الوزاري الآسيوي الثاني للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر والذي عقد في أبوظبي في شهر يونيو من عام ٢٠٠٣، فقال: «إن دولة الإمارات العربية المتحدة استطاعت التعايش مع البيئة الصحراوية التي تشكل حوالي ثلاثة أرباع مساحتها، والتكيف مع مواردها المحدودة لسنوات طويلة، وإنه بفضل جهود أبناء الإمارات المخلصين، استطاعت الدولة قهر الظروف الصعبة وتحقيق ما اعتبره الخبراء مستحيلاً، فبدأت الرقعة الخضراء تتسع، والصحراء تتراجع أمام اللون الأخضر». وأضاف قائلاً: «إن دلالات ذلك واضحة من المساحات الواسعة من الغابات والمزارع والحدائق، وملايين الأشجار والنباتات من كل الأنواع والتي باتت تنتشر بصورة متزايدة ومستمرة وسط الأراضي الصحراوية، وتقف اليوم شاهداً على ضخامة الجهد المبذول وعلى عظمة الإنجاز الذي تحقق».

وفي هذا الفصل سوف نناقش أهم مظاهر التنمية البيئية التي حدثت على أرض الإمارات بفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها مؤسسها وراعي نهضتها، رجل البيئة الأول، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله.

صورة ٦/٤. الشيخ زايد يستقبل العلماء المشاركين في المؤتمر العالمي للنباتات التي تتحمل الملوحة الذي نظمته جامعة الإمارات في عام ١٩٩٠.

صورة ٦/٥. أبقار البحر في مياه أبوظبي تنعم ببيئة ملائمة لتكاثرها.

صورة ٦/٦. طائر الحبارى عاد ليتوالد من جديد في صحراء الإمارات، منطقة بينونة (٢٠٠٧).

صورة ٦/٧. الحياة البرية وما تحويه من أشجار ونباتات بيئية أصبحت مصانة في مناطقها الأصلية لوجود القوانين والأنظمة الرادعة لتدخل الإنسان في طبيعتها، كحظر اقتلاع الأشجار أو الاحتطاب، أو الرعي الجائر. صور لبيئات مختلفة في صحاري مدينة العين، ٢٠٠٥.

صورة ٨/٦(أ، ب، ج). شواطيء ذات بيئة سليمة تعكس مدى اهتمام دولة الإمارات بشؤون البيئة. ويظهر في الصورة (أ، ب) حجم اهتمام الشيخ زايد بنشر زراعة أشجار القرم على شواطيء الدولة لما لها من فوائد بيئية كثيرة، ج. طيور الفلامنجو المهاجرة وقد استوطنت بالقرب من تلك الأشجار لتوفر البيئة الملائمة لمعيشتها.

٦-٢ تطور مشاريع الحدائق والمتنزهات

في مدينة العين والمنطقة الشرقية

نبدأ الحديث عن هذا الموضوع من مدينة العين التي شهدت كما أشرنا سابقاً أولى إشارات طموح الشيخ زايد الزراعي والبيئي. ففي العين أقام رحمه الله أول حديقة على أرض الإمارة، وهي حديقة الجاهلي عام ١٩٦٤ على مساحة ١٢٠ ألف متر مربع، تلاها في عام ١٩٦٩ إنشاء حديقتي المعترض وحديقة السوق على مساحة إجمالية قدرها ٥٨ ألف متر مربع (٦/١٤)، ثم حديقة رماح والتي أنجزتها شركة بولينغ على الطريق الرئيسي بين مدينة العين ومدينة أبوظبي بمناسبة انتهاء العمل من بناء الطريق المذكور، وبهذه المناسبة قام رحمه الله بنفسه بافتتاح تلك الحديقة وكان ذلك في ٣ أغسطس ١٩٦٩ (٦/١٥). بعدها بدأت الحدائق والمتنزهات في مدينة العين تظهر عاماً بعد عام وتزداد أعدادها ومساحاتها بسبب اهتمام الشيخ زايد بهذا الموضوع والذي استمر طيلة حياته رحمه الله. ونذكر في ذلك السياق مثالاً واحد فقط: في السنوات الأخيرة من عمره، وبالتحديد قبل وفاته بعامين (نوفمبر ٢٠٠٢) أمر بإنشاء ٢٠ حديقة جديدة في العين، تزرع في كل منها قرابة ٤٠٠ نخلة من أصناف مختلفة، وتزود هذه الحدائق بكافة المرافق والاحتياجات والألعاب الترفيهية الخاصة بالأطفال(٦/١٦): ونتيجة لذلك الاهتمام كثرت الحدائق في مدينة العين حتى بلغ عددها ٧١ حديقة في نهاية عام ٢٠٠٣، منها ٢٦ حديقة عامة و٨ حدائق مخصصة للنساء والأطفال، و٣٧ حديقة من حدائق المرافق العامة، وذلك بمساحة إجمالية تبلغ حوالي ٦ ملايين و١٨٧ ألف و٩٥٣ متراً مربعاً.

ومن أشهر حدائق العين حديقة ألعاب الهيلي والتي أقيمت على مساحة قدرها ٨٦٠ ألف متر مربع، وتعد أكبر حديقة ترفيهية في المنطقة، وهي مخصصة لهواة المرح والألعاب والتسلية (٦/١٤).

وتزخر الحديقة بعدد كبير من الألعاب المتطورة ولجميع الفئات العمرية، كما تضم بحيرة قوارب كبيرة، ويقام على أرضها سنوياً مهرجان العين السياحي الذي يجذب عادة نحو ١٢٠ ألف زائر من داخل الدولة وخارجها.

ومن أبرز حدائق العين وأكثرها اهتماماً بالزهور الحديقة العامة

صورة ٦/٩. صورة لمدخل مدينة العين للقادم من مدينة أبوظبي، منطقة السلامات، ٢٠٠٥.

التي أقيمت على مساحة ١١٠ آلاف متر مربع، إذ تزرع أنواعاً مختلفة من الزهور على مساحات كبيرة من مسطحاتها الخضراء تتجاوز ١٦ ألف متر مربع، وتضم عادة ما يقارب ٣٠٠ ألف زهرة، تزرع مرة بالموسم الصيفي، ومرتين بالموسم الشتوي. وينظم في هذه الحديقة المعرض الدولي للزهور، فقد اعتادت مدينة العين تنظيم معرض دولي للزهور في الحديقة العامة بالمدينة، يجذب آلاف الزوار والسائحين من مختلف إمارات الدولة ومجلس التعاون الخليجي، إضافة إلى الوفود الخارجية. ويشارك في هذا المعرض العديد من الحدائق بعروض متنوعة من الزهور، وتقوم لجنة تحكيم محايدة باختيار أفضل العروض حيث يخصص جوائز قيمة لها. ومن أشهر الحدائق المخصصة للنساء والأطفال حدائق الجاهلي، والمضيف، والبصرة، والمريجيب، والمقام. وأصبحت العين تعرف وتسمى بـ «مدينة الحدائق» أو «المدينة الحديقة» وذلك لكثرة الحدائق والمتنزهات فيها وتنوع تصاميمها.

العين المدينة الثانية عالمياً في مسابقة «أمم في ازدهار»

لقد عشق الشيخ زايد مدينة العين فرسم لها صورة خضراء في عقله، وملأها بالحدائق والمتنزهات، وزين شوارعها بأشجار النخيل والزينة ونباتات الزهور، فجعل لها مكانة خاصة في قلوب شعب الإمارات، كما أصبح لها مكانة وشهرة عالمية حتى أنها توصف بأنها من أجمل مدن العالم وأسلمها بيئة، فتنال تقديراً دولياً مشرفاً في عام ١٩٩٧ وتحصل على المرتبة الثانية في مسابقة البيئة والتجميل الدولية «أمم في ازدهار» وهي من أهم المسابقات العالمية التي تعني بالبيئة، والمعتمدة من جانب برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP).

وفي مدينة مدريد الأسبانية التي نظمت تلك المسابقة في شهر أكتوبر ١٩٩٧ كُرمت مدينة العين أمام العالم بحصولها على المرتبة الثانية وبفارق ضئيل عن مدينة وست منستر الجزء الراقي في إنجلترا. وفي واشنطن عام ٢٠٠٠ حصلت مدينة العين على المركز نفسه في المسابقة نفسها باعتبارها مدينة عصرية جميلة ومتكاملة (١٧/٦).

وفي عام ١٩٩٨ فازت مدينة العين بتنظيم فعاليات نهائيات المسابقة (أمم في ازدهار) لعام ١٩٩٨، وهو ما يعد اعترافاً عالمياً بما أحرزته مدينة العين من تطور كبير في حدائقها ومتنزهاتها، وفي مجال الاهتمام بالزراعة وحماية البيئة وتحويل الصحراء إلى جنان خضراء. وشارك في المسابقة العديد من المدن وذلك لما أبداه محكمو المسابقة السابقة من إطراء لهذه المدينة الجميلة، ولما حققته من تفوق على الرغم من الظروف المناخية الصعبة. وقد انبهر المحكمون في تلك المسابقة بما شاهدوه من انتشار الخضرة والجمال في المدينة، وأعربوا والمشاركون العالميون في المسابقة عن جدارة العين باستضافتها، وأشادوا بدور الشيخ زايد في نشر اللون الأخضر وحماية البيئة على أرض الإمارات (١٧/٦).

ولا شك أن كل تلك الإنجازات الخضراء لمدينة العين إنما تعكس الاهتمام الكبير والرعاية التي كان يوليها الشيخ زايد -رحمه الله- لها، والتي كان يخصها بزيارات عديدة متفقداً جوانب نهضتها، وخاصة في ما يتعلق بالزراعة والحدائق ونشر الخضرة، وحرصه الشديد على توفير البيئة الجميلة السليمة لإنسان هذه الأرض.

صورة ٦/١٠. تنوعت المشاهد الخضراء في مدينة العين حتى باتت تسمى بمدينة الحدائق أو المدينة الحديقة، وهي تعكس حجم المسيرة الخضراء التي أطلقها الشيخ زايد -رحمه الله- عليها.

صورة ٦/١١. مشاهد خضراء لمواقع مختلفة في مدينة العين، ٢٠٠٥.

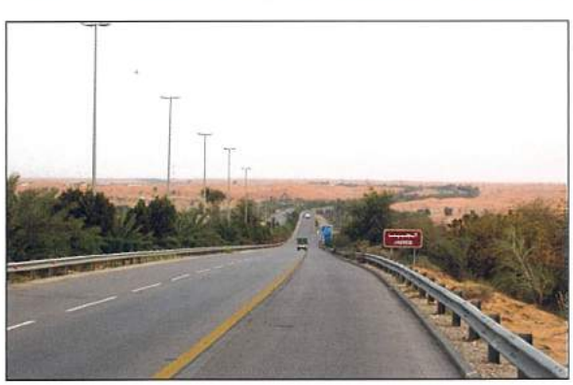

صورة ٦/١٢. الطرق الخارجية لمدينة العين، ٢٠٠٥.

في مدينة أبوظبي والمنطقة الغربية

وفي مدينة أبوظبي والمنطقة الغربية نشر الشيخ زايد -رحمه الله- أيضاً الخضرة والجمال، وصبغ الصحراء باللون الأخضر، وانتشرت الحدائق والمتنزهات بسرعة لا يجاريها في مستواها أي دولة من دول المنطقة، فأصبحت وحتى عام ٢٠٠٤ تضم ٤٩ حديقة ومنتزهاً داخل وخارج مدينة أبوظبي، وعلى مساحة إجمالية بلغت ٤ ملايين و٨٥٧ ألفاً و٥٠٠ متر مربع ولم يكن بها في عام ١٩٧٤ إلا حديقة واحدة هي الحديقة العامة بالخالدية (١٩/٦).

وزودت حدائق ومتنزهات أبوظبي بكامل المرافق ووسائل الترفيه الحديثة لتوفير كل سبل الراحة لمرتاديها. ومن بين تلك الحدائق ٩ مخصصة للنساء والأطفال موزعة في مختلف مناطق أبوظبي والمنطقة الغربية بلغ إجمالي مساحتها ٣ ملايين و٤٧٢ ألف متر مربع، ويأتي في مقدمتها حديقة النساء والأطفال بالخالدية التي تم إنشاؤها عام ١٩٧٨ على مساحة ٥٥ ألف متر مربع، وحديقة النساء والأطفال بالمشرف على مساحة ١٤٥ ألف متر مربع وأنشئت عام ١٩٨٢، وشاطيء السيدات بالرأس الأخضر على مساحة ٤٠ ألف متر مربع وقد أنشأ عام ١٩٩٥ (١٩/٦).

ومن أقدم الحدائق العامة داخل مدينة أبوظبي الحديقة العامة بالخالدية على مساحة ٦٥ ألف متر مربع وأنشئت عام ١٩٧٤، ثم حديقة العاصمة بشارع خليفة على مساحة ٥٦ ألف متر مربع وأنشئت عام ١٩٧٦، ثم حديقة الاتحاد على مساحة ١٠ آلاف متر مربع، وحديقة آل نهيان بشارع الملك خالد على مساحة ٥ آلاف متر مربع، في العام ١٩٧٧. ومن أقدم المتنزهات داخل مدينة أبوظبي متنزه شارع المرور على مساحة ١٧٣ ألف متر مربع في العام ١٩٧٨، ومتنزه شارع سعيد بن طحنون على مساحة ١٤٠ ألف متر مربع في العام ١٩٨٠ (٢٠/٦).

كما بلغ عدد حدائق المرافق العامة في أبوظبي والمنطقة الغربية ٥٢٤ حديقة وبمساحة قاربت ١٥ مليون و٥٥٥ ألف متر مربع (١٨/٦). ومن أهم حدائق أبوظبي حديقة شاطيء الراحة على بعد حوالي ٣٠ كيلومتراً من مدينة أبوظبي على مساحة تبلغ ١٨٠ ألف متر مربع. بالإضافة إلى حدائق ومتنزهات كبرى يجري إنشاؤها، وعلى رأسها متنزه خليفة في مدخل مدينة أبوظبي.

صورة ١٣/٦. مدينة أبوظبي كيف تبدو اليوم (٢٠٠٥).

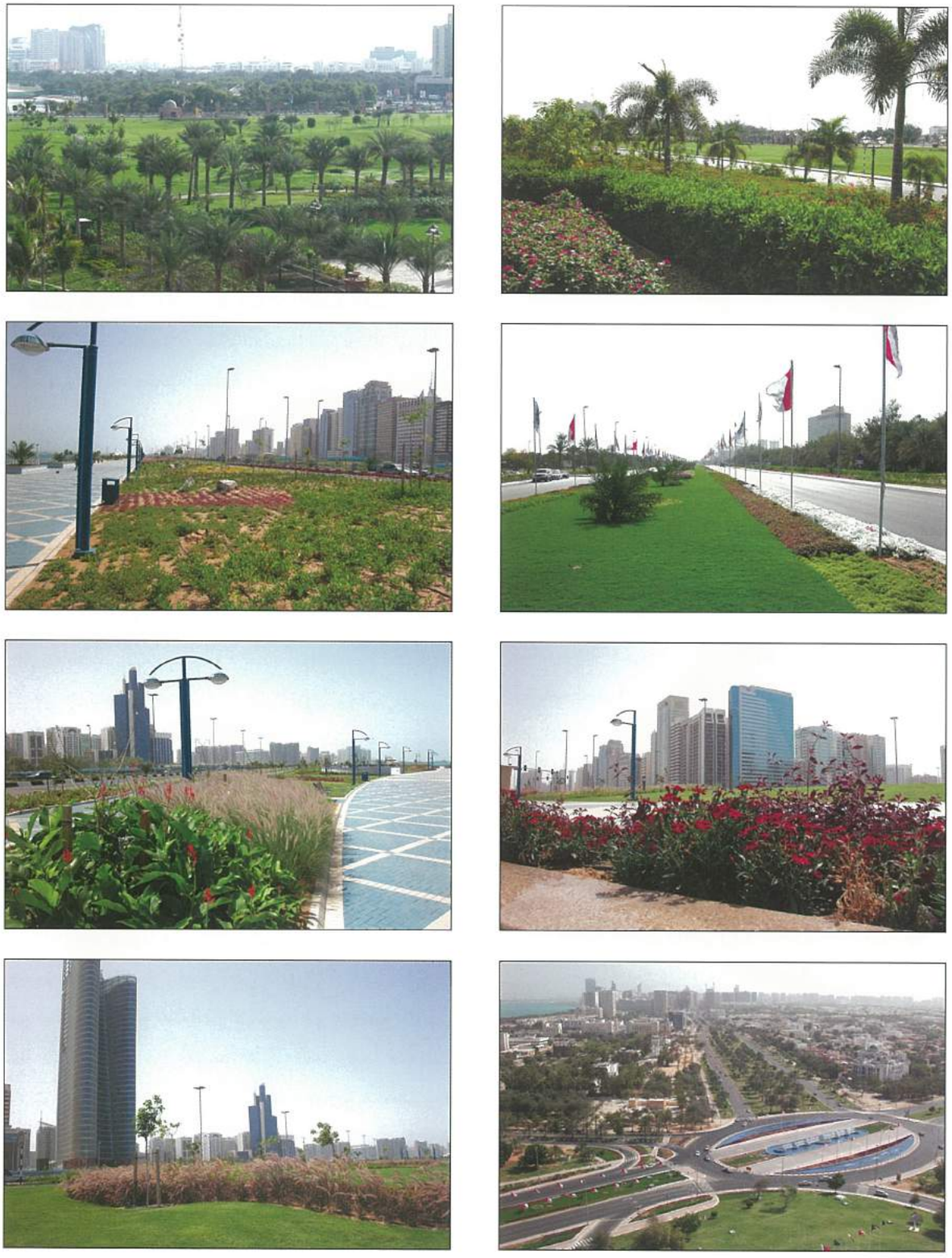

صورة ٦/١٤. صور خضراء تعكس جزء من حجم الكساء الأخضر في مدينة أبوظبي، (٢٠٠٥).

٦-٣ تطور مشاريع الغابات والتشجير

إن الجهود التي بذلها الشيخ زايد -رحمه الله- في مجال إقامة الغابات ومشاريع التشجير في سبيل مواجهة التصحر وتوسيع الرقعة الخضراء على أرض الإمارات لكبيرة يعجز المتتبع أن يحصيها، ولكننا هنا سوف نحاول أن نستعرض بعضاً من مشاهد ملحمة الصحراء التي أطلقها الشيخ زايد على أرض الإمارات.

ففي فصل سابق من هذا الكتاب عرفنا أن الشيخ زايد قد بدأ مشاريع التشجير ومكافحة التصحر مبكراً عندما كان ممثلاً للحاكم في مدينة العين والمنطقة الشرقية، حيث بدأ في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين بزراعة العديد من شتلات الأشجار البيئية في أنحاء مختلفة من مدينة العين، واستدعى خبيراً زراعياً من باكستان ليقوم بذلك العمل. ثم عرفنا في فصل آخر، عند الحديث عن بدايات الشيخ زايد في هذا المجال بعدما تولى الحكم في إمارة أبوظبي، أن أول المشاريع الكبرى التي أمر بها الحاكم الجديد في مجال زراعة الغابات كان في عام ١٩٦٩، وكلف به شركة فرنسية تدعى (سوجريا) لإنشاء غابات من الأشجار تتحمل العيش في المناطق الصحراوية على طول وجانبي طريق أبوظبي-العين. والهدف الأساسي من إقامتها كان وقف زحف الرمال على الطرق الرئيسة والمناطق المعمورة. وكان ذلك المشروع أول إتفاقية في مجال زراعة الغابات تقوم به شركة أجنبية كانت من أوائل الشركات في اقتحام هذا المجال، وقامت بتشجير مساحة ٦٥٠ هكتاراً على طريق أبوظبي - العين على مسافة ٧٥ كلم بحلول شهر مارس ١٩٧٢. ولقد ذكرنا هذين المثالين لنؤكد أن الشيخ زايد -رحمه الله- قد بدأ ذلك المشوار مبكراً في مسيرته الخضراء.

وبعدها توالى تنفيذ مشاريع الغابات والتشجير في مختلف مناطق الدولة، وجعلها الشيخ زايد في مقدمة اهتماماته، ولهذا هيأ لها رحمه الله عدة مؤسسات زراعية متخصصة في مشاريع الغابات إما بكامل طاقاتها كدائرة الغابات بالعين والتي تشكلت في عام ١٩٧٤ (بعدما كانت في حجم قسم تابع لدائرة الزراعة والثروة الحيوانية بالعين)، أو كأقسام كبيرة تابعة لتلك المؤسسات الزراعية، مثل بلدية أبوظبي، وبلدية العين، ودائرة الزراعة والثروة الحيوانية، والدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة. ولقد اتضحت لتلك

صورة ٦/١٥. صورة تظهر جانباً من مشاريع التشجير في صحاري المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي، ليوا ٢٠٠٥.

الدوائر رؤية الشيخ زايد من إقامة مشاريع الغابات، ولذا كانت تلك الرؤية حاضرة في برامجها. ويمكن أن نلخص للقارىء الكريم الأهداف المباشرة من إقامة مشاريع الغابات والتشجير على النحو التالي:

- وقف الزحف الصحراوي وتحرك الكثبان الرملية على المنشآت، وذلك بزراعة أحزمة حراجية حول المشاريع السكنية والبترولية والطرق الخارجية.
- حماية المدن والمزارع والمشروعات الزراعية المختلفة من تأثير الرياح والعواصف الرملية.
- استخدام الغابات كمحميات طبيعية لتربية الحيوانات البرية المختلفة مثل الغزلان والأرانب والطيور للمحافظة عليها ولإنعاش الحياة البرية بشكل عام.

ولقد بلغت المساحة الحرجية (مشاريع الغابات) في الدولة حتى عام ٢٠٠٢ حسب إنشاء المشاريع الحرجية حوالي ٣٧٨ ألفاً و٢٩٩ هكتاراً (٦/٦)، وهي مشروعات الغابات المنجزة بواسطة دائرة الغابات بالعين، وبلدية أبوظبي، والدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة. وبلغت مساحة زراعة أشجار القرم (المانجروف) في

الدولة حتى عام ١٩٩٩ حوالي ٤ آلاف هكتار، وتركزت في إمارات (أبوظبي، ودبي، وأم القيوين، والفجيرة) وفقاً لتقديرات مركز الأحياء البحرية بأم القيوين (٦/٦).

وتشير الإحصاءات الصادرة عن دائرة الغابات بالعين إلى التطور الهائل في مساحات مشاريع الغابات في المنطقة الشرقية. فإذا نظرنا إلى تطور قطاع الغابات منذ عام ١٩٦٩ نرى أن المساحة المزروعة بالأشجار الحرجية قد قفزت من ٢٥٤ هكتاراً عام ١٩٦٩ إلى ٨ آلاف و٢٠٥ هكتاراً عام ١٩٧٩، ثم تضاعفت لتبلغ ٢٢ ألفاً و٨١١ هكتاراً عام ١٩٨٩، ثم قفزت إلى ٤٦ ألفاً و٥٠١ هكتاراً عام ١٩٩٩. وتواصلت جهود زيادة الرقعة الخضراء لتصل مساحات الغابات إلى ٦٤ ألفاً و٧٨٨ هكتاراً عام ٢٠٠٤ (شكل ٨-١)، تتوزع على ٨١ موقعاً (ملحق ٤).

وأهم الغابات التي نفذتها دائرة الغابات في مدينة العين والمنطقة الشرقية غابات طريق العين - أبوظبي حيث تعتبر من أقدم الغابات التي زرعت بالمنطقة الشرقية، ويعود تاريخ إنشائها إلى أواخر الستينيات وبداية السبعينيات بهدف حماية الطريق من زحف الكثبان الرملية نتيجة لهبوب الرياح والعواصف الرملية، إضافة إلى غرض آخر كان يحرص عليه الشيخ زايد -رحمه الله- وهو تزيين جانبي الطريق مما يبعث السرور والابتهاج لدى المسافرين. ومن أكبر غابات المنطقة الشرقية غابات الليسيلي، ويعود تاريخ إنشائها إلى سنة ١٩٨٤ وتبلغ مساحتها ١٠ آلاف هكتار، ويوجد بها أكثر من مليون و٨٠٠ ألف شجرة من أشجار الغابات المختلفة (٢١/٦). ومن الغابات الهامة أيضاً في المنطقة الشرقية، والتي تشرف عليها دائرة الغابات غابات العشوش، وسيح المياه، وبو أرطة، والروضة غرب، والروضة شرق، وقمرة، والعقير، والوقن قديم، والوقن جديد، واليعيلة، وخور بن عطي، وغابات بن عطي، وغابات قيسورة، إضافة إلى غابات الساد وغابات الوجن، وهناك غابات أخرى يشير إليها ملحق (٤). ولقد امتدت تلك الغابات على مساحات شاسعة من صحراء المنطقة الغربية بلغت نحو ٦٤ ألفاً و٧٨٨ هكتاراً وفقاً

صورة ١٦/٦. إحدى مشاريع الغابات في مدينة العين، ٢٠٠٥.

لإحصاءات دائرة الغابات في عام ٢٠٠٣. وتشير الإحصاءات أيضاً إلى أن عدد الأشجار البيئية المزروعة في تلك الغابات بلغ نحو ١٠ ملايين و٦٨٦ ألفاً و١٨٥ شجرة (٢١/٦).

كما تشير تقارير الدائرة إلى تنوع الأشجار الحرجية المزروعة في مشاريع الغابات، ولم يأت ذلك التنوع عشوائياً، وإنما كان نتيجة تجارب ودراسات أجرتها الدائرة. ففي بداية مشاريع الغابات والتي أقيمت في المنطقة الشرقية تم تجربة العديد من النباتات المحلية والمستوردة، وذلك بهدف الوصول إلى أكثر تلك النباتات ملاءمة لبيئة دولة الإمارات. وبمرور الزمن ومن خلال تلك التجارب والدراسات تم التركيز على عدد معين من الأشجار والشجيرات التي أثبتت نجاحاً وملاءمة لمختلف بيئات المنطقة. وأهم تلك النباتات والأشجار اليوم في مشاريع الغابات: أشجار الغاف، والسدر، والسمر، والطلح، والأراك، والدماس، والسلم، والمرخ، والقرط، والكينا، والغويف، وغاف البحر، والأرطة، والطرفة (جدول ١٢).

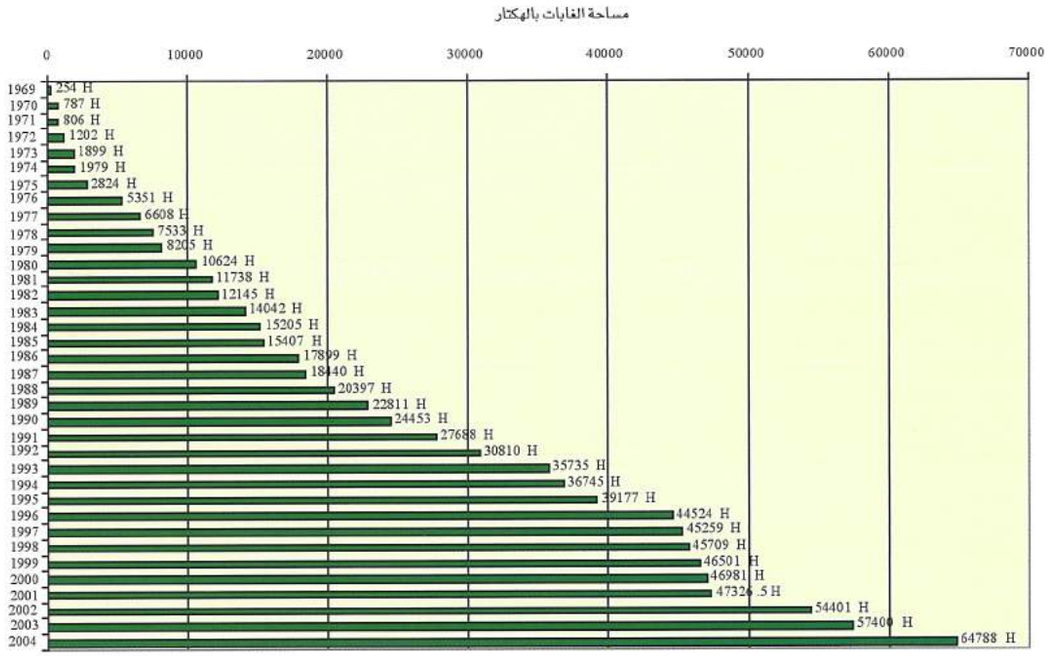

شكل ١٦. تطور الغابات (المساحة بالهكتار H) في المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي (٦/٢١).

جدول ١٢. أهم أسماء النباتات المزروعة في غابات المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي (٦/٢١).

الاسم العربي	الاسم العلمي
الغاف	*Prosopis cineraria*
الأراك	*Salvadora persica*
السدر	*Zizyphus spina christi*
السمر	*Acacia tortilis*
أكاسيا راديانة	*Acaciaraddiana*
السلم	*Acacia ehreenbergina*
الطلح	*Acacia suyal*
الكافور/الكينة	*Eucaluptus camaldulensis*
دماس	*Conocarpus lancifolius*
أثل أو الطرفة	*Tamarix aphylla*
أرطه	*Calligonum comosum*
مرخ	*Leptadenia pyroteechnica*
غاف البحر	*Pithecolobium dulce*

صورة ٦/١٧ (أ، ب). مشاريع تشجير الطرق الخارجية. لم يترك الشيخ زايد طريقاً داخلياً أو خارجياً على أرض الإمارة إلا وزينه بأشجار النخيل، وحفه بأشجار الغابات المختلفة وعلى امتداد مئات الكيلومترات (طريق العين-أبوظبي).

وفي مدينة أبوظبي والمنطقة الغربية امتدت أيضاً مشاريع التشجير والغابات على نطاق واسع، ولم تكن بأقل مما حدث في مدينة العين والمنطقة الشرقية. ولقد أوكلت تلك المهمة إلى كل من بلدية أبوظبي والدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة. ولو بدأنا الحديث عن الأعمال والمشاريع التي قامت بها بلدية أبوظبي في ذلك المجال فإنها كثيرة ومتعددة الأنماط، نذكر منها مشاريع التشجير الضخمة حول طرق أبوظبي الداخلية والخارجية، وأهمها طريق أبوظبي-العين شرقاً حتى منطقة الختم، وطريق أبوظبي-دبي باتجاه الشمال، وطريق أبوظبي-المنطقة الغربية باتجاه الغرب تتمثل في طريق مدينة زايد -أبوظبي، وطريق غياثي- بدع المطاوعة، ومشروع تشجير طريق حميم -أبوظبي بطول ١١٤ كيلومتراً(٦/٢٢). ولم يكن ذلك التشجير قاصراً على وسط الطريق وحوافه من خلال أشرطة من الأشجار والشجيرات البيئية محاذية، بل كان هناك أيضاً أحزمة الحماية الغابية وهي منتشرة حول تلك الطرق.

ومنذ إنشاء قسم الغابات في بلدية أبوظبي في العام ١٩٧٥ (٦/٢٣). بدأت مشاريع الغابات والتشجير تظهر حول مدينة أبوظبي وصحاري المنطقة الغربية، وبدأت أعدادها تزداد سنة تلو الأخرى بما يثير الدهشة والإعجاب، ويكاد يرقى إلى مرتبة المعجزات، حيث امتدت تلك المشاريع على مساحات واسعة في عمق الصحراء، شملت قطاعات مدينة زايد، وليوا، وغياثي، والسلع، والوثبة. وحتى عام ٢٠٠٤ بلغت جملة المساحات المزروعة ٢٠٦ آلاف و٥٠٠ هكتار، منها ٤٥ ألف هكتار في مدينة زايد، و١١٨ ألفاً و٧٠٠ هكتار في غياثي، و٤٢ ألفاً و٢٠٠ هكتار في الوثبة. وبلغت أعداد الأشجار المزروعة في تلك المناطق ٤١ مليوناً و٣٠٠ ألف شجرة (٦/٢٤). ولقد بلغت أعداد الغابات التي تشرف عليها بلدية أبوظبي نحو ١٦٦ غابة. ولإدامة تلك المشاريع قام قسم الغابات بإنشاء العديد من المشاتل لإنتاج مختلف شتلات الأنواع الحرجية (٦/٢٥).

ومن أبرز غابات قطاع مدينة زايد بالمنطقة الغربية، غابات الوضيحي، وتبلغ مساحتها حوالي ١٠٠٠ هكتار، وهي محمية يربى فيها الآلاف من الغزلان، وبصفة خاصة المها العربي (ويسمى أيضاً الوضيحي) ذي القرون الطويلة، والذي كان مهدداً بالإنقراض. وأقيمت غابات الكبشية على مساحة ٦٠٠ هكتار. وغابتا الفلاحية والبوجير على مساحة ٦٣٥ هكتاراً، وغابة وادي غزلان (١) ووادي غزلان (٢).أما غابات المجموعة (د) فقد أقيمت على مساحة ٨ آلاف و٦٠٠ هكتار وتضم عدة غابات مثل غابة الهيمة ٦٠٠ هكتار، والحلوة ١٥٠٠ هكتار، والعزيزية ٥٠٠ هكتار، وغابات شرق الفلاحية (أ) و(ب) على مساحة ٦٠٠ هكتار (٦/٢٤).

وفي محاضر ليوا هناك غابات ليوا (١٥٠٠ هكتار)، وغابات شامخة بر (٩٠ هكتارا)، وغابات المجموعة السادسة كمشاريع ليوا الحدود (٢٠٠٠ هكتار)، وغابات امتداد بدع خليفة وغابات الأربعين (٩٠ هكتارا)، وأسوار واسط وحميم (١٠ آلاف هكتار)، إضافة الى مشاريع مجموعة طريف والتي تضم الأحزمة الجانبية المقامة على جانبي طريق أبوظبي- السلع (٢٠٠٠ هكتار)، وغابات السلمية (١٢٠٠ هكتار)، ومشاريع مجموعة الطوي (١٦٠٠ هكتار) (٦/٢٤). وتضم مشاريع غياثي أربعة قطاعات هي: مجموعة شرق غياثي وتبلغ مساحتها ٧ آلاف و٢٧٠ هكتاراً، وتشمل عدة غابات أهمها غابة برقة الندى والتي أقيمت على مساحة ٢ ألف هكتار، وغابة المرخية وتبلغ مساحتها ٣ آلاف هكتار. وتضم هاتان الغابتان أيضاً العديد من الحيوانات البرية، ولقد زودتا بالعديد من خزانات وأحواض المياه لتشرب منها الحيوانات البرية والطيور. ولقد أقيمت مشاريع غرب غياثي على مساحة تبلغ ٧٩ ألفاً و٣٠٠ هكتار، وتضم غابات عدة أهمها غابات الشهرية(١) والشهرية(٢) والشهرية(٣) على مساحة ٢ ألف و٥٠٠ هكتار، وحزام بدع المطاوعة على مساحة ٢ ألف و٥٠٠ هكتار. أما مشاريع وسط غياثي فأقيمت على مساحة ١١ ألف هكتار، وأهم تلك المشاريع مشروع مركز غياثي والذي أقيم على مساحة ٣٢٢ هكتاراً، وحزام غياثي-الرويس على مساحة ٢ ألف هكتار، ومشروع غابات غياثي (أ) و(ب) و(ج) و(د)على مساحة ٧ آلاف هكتار (٦/٢٤).

أما في منطقة جبل الظنّة فتبلغ مساحة مشاريع الغابات ١٩ ألفاً و٥١١ هكتاراً، ويَضم غابة جبل الظنة بمساحة١٥٠٠ هكتار، ومنطقة الرويس (١٠٠٠ هكتار)، وبرقا الصقور (٤٠٠ هكتار)، وغابة الوعب (٦٠٠ هكتار)، وغابة بو القدر (١٣,٤٤٦ هكتاراً)، وغابة بعية

(١٠٠٠ هكتار)، وغابات الدورية والسلع والغويفات والويابة (١٠٦٥ هكتاراً) (٢٤/٦).

وفي منطقة الوثبة تقسم مشاريع الغابات إلى تسع مجموعات تنتشر على شكل مشاريع متقاربة مع بعضها. وأقيمت المجموعة الأولى على مساحة ٧ آلاف و٨٨٠ هكتار، وتضم غابات عدة أهمها غابة أبوطوق (١٢٠٠ هكتار)، وغابة الغويليات (١٧٠٠ هكتار)، وغابة أبو أرنب (٤٠٠ هكتار)، وغابة بوذيب (١) و(٢) على مساحة ١٠٥٠ هكتاراً، وغابة مجهولة (١٣٠٠ هكتار)، وغابة بومرارة (١) و(٢) (٦٣٠ هكتار)، وغابة سبخة الحفار وغرب الخزنة (١٦٠٠ هكتار) وتبلغ مساحة مشاريع المجموعة الثانية ٦٨١١ هكتاراً، أهمها مشروع غابات الخريمة (٢٠٠٠ هكتار). أما مشاريع المجموعة الثالثة فقد أقيمت على مساحة ٥٢٢٥ هكتاراً، وأهم غاباتها ظهارة (١) و(٢) و(٣) على مساحة ٢٠٠٠ هكتار. وأقيمت مشاريع المجموعة الرابعة على مساحة ٢ ألف و٧٧٠ هكتاراً. أما المجموعة الخامسة فأقيمت على مساحة ٢ ألف و٤٩٠ هكتاراً، والمجموعة السادسة على مساحة ٤ آلاف و٦٥٣ هكتاراً، والمجموعة السابعة على مساحة ٢ ألف و٢٠٠ هكتاراً (٢٤/٦).

ونجحت مشاريع زراعة أشجار الأراك في المناطق المالحة وكان نجاحاً باهراً، حيث تمكن قسم الغابات من زراعة ١٥ ألف هكتار بأشجار الأراك في منطقة الوثبة رغم ارتفاع نسبة الملوحة فيها والتي تصل نحو ٥٠ ألف جزء بالمليون (٢٤/٦). ولقد زرعت تلك الأشجار في مناطق مختلفة من ذلك القطاع أهمها في مشروع سباق الهجن، ومشروع صاروق الزهر، ومشروع جنوب ميدان السباق الشرقي، وامتداد جنوب الوثبة (غرب الختم) وغرب الوثبة(٢)، وبوعصيبة بوصالة، وجنوب الخريمة، وغرب بحيران، إضافة إلى شمال غرب نهشلة (١) ونهشلة (٢)، وسبخة الحفار، وسبخة الملح، وظهارة بالملح شرق (٢٢/٦). وشكلت تلك الأشجار أهمية بيئية كبيرة في تلك المنطقة إذ تستخدم كغذاء للحيوانات البرية المختلفة، إضافة إلى أن بذورها غذاء جيد للطيور التي تجذبها للاستيطان والتكاثر.

ولقد كان للدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة دور كبير في تنفيذ رؤية الشيخ زايد -رحمه الله- في امتداد مشاريع الغابات والتشجير على صحراء الإمارات بقصد إعمار الأرض، ومكافحة التصحر، والحفاظ على التنوع البيولوجي بشقيه النباتي والحيواني.

وتشير إحصاءات الدائرة الخاصة إلى أن إجمالي المساحة التي إستصلحتها في مناطق مختلفة من صحراء الإمارات وزُرعت بمختلف أنواع الأشجار بلغت ٢٨ ألفاً و١٠٧ هكتاراً، وأن إجمالي عدد الأشجار الحرجية المزروعة في تلك المناطق بلغ ٤ ملايين و٦٨٧ ألفاً و٤٦٩ شجرة من أشجار الغابات المختلفة، و٢٢١ ألفاً و٦٧٥ شجرة فاكهة، و١١٠ آلاف و٩٦٩ شجرة نخيل (ملحق ٥)، (٢٦/٦).

ومن أهم مشاريع الغابات والتشجير التي نفذتها الدائرة الخاصة وتشرف عليها مباشرة هي مشروع منطقة حزام الغابات والذي أقيم على مساحة ٨ آلاف و ٧٣ هكتاراً، ويضم ذلك المشروع أكثر من ١ مليون و٣٤٨ ألف من أشجار الغابات، وعلى أكثر من ٥١ ألف شجرة فاكهة مختلفة، وأكثر من ٣٣ ألف شجرة نخيل من أصناف مختلفة.

ومن المشاريع الضخمة الأخرى التي نفذتها الدائرة بتوجيه وإشراف مباشر من الشيخ زايد -رحمه الله- مشروع روضة وبدع خليفة الذي أقيم على مساحة ٦ آلاف و ٤١٢ هكتاراً، ويضم أكثر من مليون و٢٥٥ ألف شجرة غابة، وأكثر من ٤٥ ألف شجرة فاكهة، وأكثر من ٢١ ألف و٥٠٠ شجرة نخيل (ملحق ٥). ومن المشاريع المميزة أيضاً في مجال التشجير مشروع شاطيء الراحة الذي أقيم على مساحة ٥ آلاف و ٥٠ هكتاراً، ومشروع السلمية على مساحة ١٨٨٥ هكتاراً، وهناك مشاريع ضخمة أخرى نفذتها الدائرة في سويحان، والعجبان، والذيد، والخوانيج، وعلى جزيرة دلما، (ملحق ٥).

ومن المشاريع الضخمة التي نفذتها الدائرة الخاصة في مجال التشجير وإقامة الغابات غابة المها ومساحتها ١٨ ألف هكتار، وتمتد من طريق أبوظبي - دبي بطول ٣ كلم إلى طريق الشاحنات في سيح السديرة وبعرض ٦ كلم، وتم زراعتها بأشجار الغابات المختلفة وكذلك بالمحاصيل العلفية التي زرعت للحيوانات المرباة فيها وأهمها المها العربي. وثمة مشروع آخر هو محمية الشيخ زايد وتقع في منطقة سيح شعيب وتمتد بطول ٣٠ كلم وبعرض ٨ كلم. وقد باشرت الدائرة بمد شبكات الري والخزانات وزراعة أشجار الغابات لتهيئتها كأكبر محمية طبيعية في المنطقة، كما قامت الدائرة بزراعة مساحات واسعة فاصلة بين الطرق الرئيسية بمنطقة

الباهية، والشهامة، والرحبة، وتشمل المساحات المزروعة أشجار النخيل وأنواعاً كثيرة من الاشجار والنباتات والزهور.

ومن أهم وأروع أعمال التشجير التي نفذتها الدائرة الخاصة تلك التي تمت على جزيرة صير بني ياس والتي كانت وقبل أن يطلق عليها الشيخ زايد حملته أرضاً قاحلة صحراء لا زرع فيها، وأصبحت اليوم حديقة غناء في وسط البحر تضم بين دفتيها ملايين النباتات من أشجار وشجيرات بيئية مختلفة، وهذه تنتشر في هيئة عدد كبير من الغابات تنوعت ما بين غابات مُسيجة، وغابات مفتوحة. وسوف نتحدث عن المشاريع البيئية وأعمال التشجير التي قامت على أرض الجزيرة بالتفصيل في فصل مستقل لنتبين حجم ذلك التغيير الذي حدث على أرض الجزيرة بقوة عبقرية زايد. فكان رحمه الله يتابع مشاريع التشجير بنفسه، ويشرف عليها أولاً بأول، ويدعمها بكل شيء انطلاقاً من قناعته بالدور الحقيقي الذي تمثله الزراعة والبيئة للشعوب وبناء الحضارات. والإنجازات التي حققها رحمه الله في هذا المجال كثيرة ويتعذر حصرها أو الوصول إلى كل أرقامها، ولكن يمكن القول إن ما تحقق من إنجازات لمفخرة لدولة الإمارات ويعد أشبه بالمعجزة لأنه حدث في زمن قياسي، وظروف بيئية صعبة.

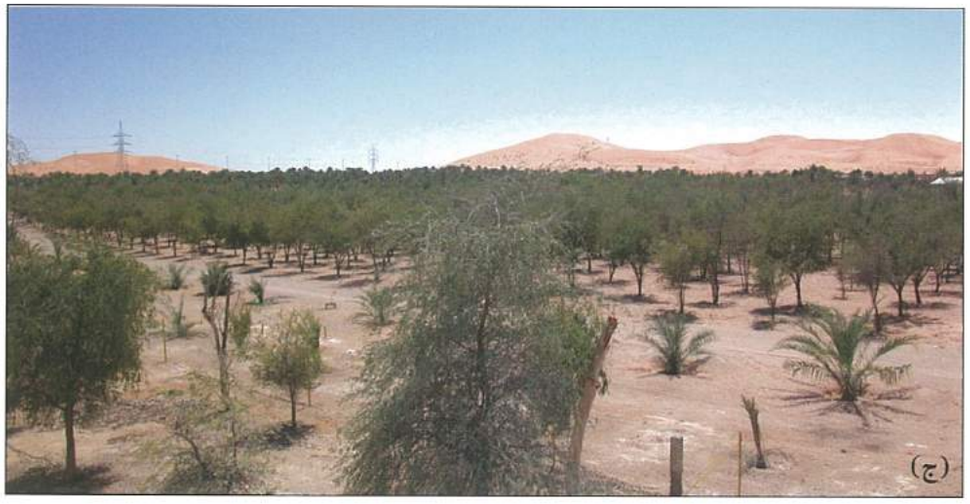

صورة ١٨/٦ (أ، ب، ج). مشاريع تشجير ضخمة ممتدة في أعماق الصحراء.

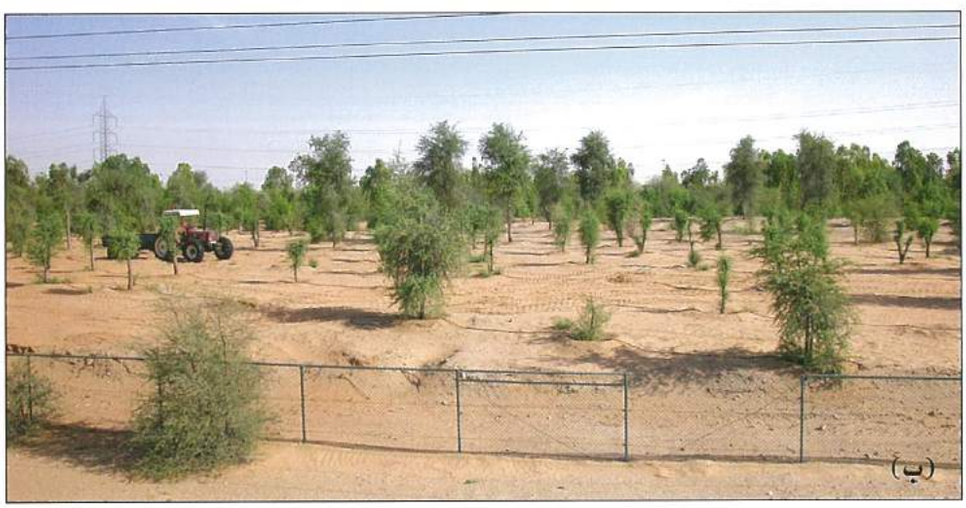

صورة ٦/١٩ (أ، ب، ج). مشاريع تشجير تحف الطرق الخارجية.

٦-٤ أهمية التشجير في دولة الإمارات

نجحت مشاريع الغابات والتشجير التي أقيمت على أرض دولة الإمارات في تحقيق الغرض منها، وأصبح للشجرة وعمليات التشجير أهمية كبرى في مجتمع الإمارات وذلك بفضل جهود ورؤية الشيخ زايد -رحمه الله- في ذلك المجال. فلقد لعبت مشاريع التشجير الضخمة التي أقيمت على أرض الإمارات دوراً بيئياً كبيراً وذلك من خلال تحقيق عدة أهداف أبرزها:

- إن انتشار أحزمة الحماية الغابية على جانبي الطرق الرئيسية والفرعية، وحول المشاريع الزراعية (مثل مزارع المحاصيل الزراعية ومزارع الأبقار والدواجن)، وحول المشاريع البترولية والمنشآت السكنية كان له أثر كبير في تقليل تأثير الرياح والعواصف الرملية حول هذه المشاريع، وأسهمت بشكل ملموس في تثبيت الكثبان الرملية ووقف زحفها نحو تلك الطرق والمشاريع الزراعية والمناطق السكنية. وهكذا فقد ساعدت عمليات الشجير في حماية تلك المنشآت والتجمعات السكنية المقامة في جوف الصحراء من أضرار الرياح وزحف الصحراء. كذلك فقد أسهمت مشاريع التشجير بشكل كبير في مكافحة التصحر ووقف زحف الصحراء والكثبان الرملية نحو المدن السكنية والطرق والمنشآت والمشاريع الأخرى.
- شكلت مشاريع الغابات والتشجير الممتدة في عمق الصحراء بيئة سليمة مناسبة لإنعاش الحياة البرية في تلك المناطق، كما شكلت محمية طبيعية للعديد من الأحياء البرية كالظباء، والغزلان، والأرانب، وتوفير بيئة جاذبة للطيور البرية وغيرها من عالم الأحياء المتنوع، وهذه قد تكاثرت وازدهرت أعدادها بفعل ملاءمة الظروف الموقعية لها، فَأَثْرَتْ تلك المشاريع التنوع الحيوي في تلك المناطق.
- إن مشاريع التشجير كان لها أيضاً فوائد بيئية أخرى متعددة مثل توفير الظل، وتلطيف الجو وارتفاع نسبة الأكسجين به، والتقليل من تآكل التربة وتعريتها وإنجرافها، وتحسين مواصفاتها وزيادة مادتها العضوية. كما كان لها أيضاً دور تجميلي من خلال تزيين جانبي الطرق العامة، وكسو أراضي الصحراء باللون الأخضر مما يبعث السرور والابتهاج لدى المارين والزائرين عند مشاهدتهم شريط البساط الأخضر على الكثبان الرملية الذهبية.

ولأهمية التشجير في دولة الإمارات أصبحت بلديات الدولة تحتفل في كل عام بأسبوع التشجير، بعد أن كان يوماً واحداً، وذلك لتزايد أهمية الشجرة ومشاريع التشجير بالنسبة للحكومة ومجتمع الإمارات. وفي ١٩-٢٣ من مارس ٢٠٠٥ تزامنت احتفالات البلديات بأسبوع التشجير بمرور خمسة وعشرين عاماً (اليوبيل الفضي) على انطلاق هذه الفعالية(٦/٢٧). وتهدف إحتفالات بلديات الدولة بأسبوع التشجير إلى تحقيق خمسة محاور رئيسية، كما جاء في نشرة الأمانة العامة للبلديات حول الموضوع (٦/٢٧)، وتتمثل في الآتي:

أولاً، توعية أفراد المجتمع بأهمية التشجير، وذلك من خلال:

- إبراز أهمية مشاركة أفراد المجتمع على فئاتهم العمرية والمهنية والثقافية في الحفاظ على الزراعة أينما وجدت.
- تأصيل قيم الزراعة وأهميتها في نفوس الطلاب والطالبات من خلال التشجير ومشاركة المدارس في كافة فعاليات إحتفالات أسبوع التشجير.
- توعية أفراد المجتمع بصفة عامة، والمزارعين بصفة خاصة، بأهمية الزراعة والتشجير والمحافظة على الخضرة.
- تعريف الجمهور بالدور الذي تقوم به بلديات الدولة والجهات المعنية الأخرى في مجال زراعة الطرق والحدائق العامة.
- مقاومة الآفات والأمراض التي تظهر بالمناطق الزراعية لحماية الثروة النباتية.

ثانياً، زيادة المسطحات الخضراء والتوسع في المشروعات الزراعية وذلك من خلال:

- توفير المتنفسات والحدائق والأماكن الترفيهية للمواطنين والمقيمين على أرض الدولة.
- إنتاج الأشجار والنباتات الأخرى بالمشاتل المختلفة بما يتفق مع خطة التشجير وصولاً إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي.

ثالثاً، رفع كفاءة العاملين في مجال الزراعة.

رابعاً، زيادة النواحي الجمالية وتطويق المدن بالأحزمة الخضراء وذلك من خلال:

- تجميل المدن عن طريق زراعة الأشجار والشجيرات.
- وإقامة الأحزمة الخضراء حول المدن لحمايتها من العواصف

والأتربة وتقليل فرص تلوث البيئة.

خامساً، تقديم خدمات لكافة المؤسسات الحكومية والأهلية لنشر الخضرة وذلك من خلال:

- تقديم الخدمات الإرشادية، عن طريق إصدار النشرات الإرشادية، وتنظيم حلقات توعوية عبر التلفزيون، وعقد ندوات في المدارس.
- تقديم المساعدات للمواطنين والهيئات الحكومية ممثلة في إمدادهم بالطمي الزراعية، وقطع الأشجار التي تشكل خطورة، وتوزيع الشتلات على المواطنين.
- تقديم خدمات زراعة حدائق الهيئات الحكومية.

٦-٥ تطور مشاريع المحميات الطبيعية

لم يترك الشيخ زايد -رحمه الله- أمراً زراعياً أو بيئياً إلا وسعى له سعياً قوياً فحقق بذلك وفي وقت قصير إنجازات عظيمة تفخر بها دولة الإمارات إقليمياً وعالمياً. وإن من أعظم الأعمال التي قام بها الشيخ زايد في مجال البيئة إقامة المحميات الطبيعية، وهي أحد برامجه الجبارة التي أتقن تخطيطها فنجح في تنفيذها وبشكل واسع، وذلك بعد إقامة العديد من الغابات في مختلف مواقع الصحراء وفي أطراف المدن وعلى امتداد الطرق الرئيسية، وهو ما يعد القاعدة والبرنامج الأول في قهر الصحراء. فبعد نجاح تجربة التشجير والغابات الرامية إلى إعادة التوازن البيئي بالمنطقة وإثراء بيئة الصحراء بالأعشاب والشجيرات البرية مما يساعد في وقف التصحر وزحف الرمال في مناطق الزراعات المختلفة، جاء دور الاهتمام بالحياة البرية عن طريق إدخال مختلف أنواع الحيوانات البرية والطيور النادرة المهددة بالانقراض في عدة مشاريع غاباتية تمهيداً لإعادة الحياة البرية التي كانت سائدة. ولقد تكاثرت تلك الحيوانات في تلك المحميات بعدما وجدت فيها البيئة الملائمة، بعد تأمين الحماية والظروف المناسبة لها، وزادت أعدادها بصورة غير متوقعة، وتحولت تلك الأراضي الصحراوية إلى محميات طبيعية زاخرة بالحياة.

ويأتي حرص الشيخ زايد -رحمه الله- على إقامة المحميات الطبيعية من منطلق صون التنوع البيولوجي، والحفاظ على بيئات طبيعية لأنواع الطيور والحيوانات المعرضة للانقراض. ولقد كان من أهم أهدافه في إقامة مشاريع الغابات الضخمة في عمق الصحراء وفي الجزر إقامة المحميات الطبيعية لحماية الحياة البرية في تلك الغابات.

جدول ١٣. الحيوانات البرية المتواجدة بغابات المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي (٦/٢١).

الاسم العربي	الاسم اللاتيني
المها العربي أو أبو حراب عربي	*Oryx geucoryx*
المها بيسة أو أبو حراب بيسة	*Oryx beisa*
الغزال العربي	*Gazella arabica*
الغزال الجبلي	*Gazella cora*
الريم	*Gazella supgoturosa marica*
الغزال الهندي الأسود	*Antilope cervicapra*
الماعز النوبي	*Copra ibex nubiana*
الغزال تومسون	*Gazelle thomsoni*
الوعول	*Ovis ammon*
الطهر العربي	*Arabian tuher*
الأرانب البرية	*Lepus capensis*

جدول ١٤. الطيور البرية المتواجدة بغابات المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي (٦/٢١).

الاسم العربي	الاسم اللاتيني
النعام	*Struthio camelus*
الطاوس	*Peafowl*
الحبارى	*Chlomydotis u.undulata*
الكروان	*Numenius arquata*
القطا	*Pterocles exutus*
الحجل	*Alectoris chukar*
الصفرد/الدراج	*Francolinus pondcerianus*
تذرج ذهبي	*Phasianus oratus*
الحمام الأزرق المتوج	*Goura cristata*
البط	*Rosy- billed pochard*

فلو أخذنا -على سبيل المثال- مشاريع غابات المنطقة الشرقية والتي كانت تشرف عليها دائرة الغابات بالعين فإنه قد تم إدخال أنواع مختلفة من الحيوانات البرية والطيور في عدد كبير من تلك الغابات التي ذُكرت سابقاً، وذلك وفقاً لتوجيهات الشيخ زايد -رحمه الله- فقد شكل ذلك الأمر أحد أحلامه المبكرة بقصد المحافظة على الحيوانات البرية من الانقراض، والمحافظة على التوازن الطبيعي للبيئة. ولقد تنوعت الحيوانات القاطنة في تلك الغابات تنوعاً كبيراً كان أهمها المها العربي (أبو حراب عربي)، والمها بيسة، والغزال العربي، والغزال الجبلي، والريم، والغزال الهندي الأسود، والماعز النوبي، والغزال تومسون، والوعول، والطهر العربي، والأرانب البرية، وهي الحيوانات البرية المتواجدة في مشاريع غابات المنطقة الشرقية (جدول ١٣). أما الطيور البرية المتواجدة في مشاريع تلك الغابات فهي أيضاً عديدة وأهمها النعام، والطاووس، والحبارى، والكروان، والقطا، والحجل، والصفرد، والدراج (جدول ١٤).

وتجدر الإشارة هنا أن كثيراً من الحيوانات والطيور التي أُطلقت في تلك الغابات قد تأقلمت تدريجياً مع البيئة المحلية وتكاثرت بشكل كبير، وأسهم في ذلك العناية والخدمات الوفيرة التي تقدمها الجهة المشرفة على تلك المحميات للكائنات البرية القاطنة بها، فلم يقتصر دور تلك المؤسسات على إدخال الحيوانات والطيور البرية فحسب بل كان هناك مراقبة دائمة ورعاية واهتمام دقيق من الدوائر الحكومية المشرفة على هذه الكائنات. ويجري اهتمام الدوائر بحيوانات الغابة على محورين: أولاً، الحفاظ على سلامتها، وذلك بمراقبتها المستمرة وتقديم الخدمات البيطرية لها عند الضرورة. ثانياً، توفير الأعلاف والأغذية التكميلية داخل الغابات.

وفي المنطقة الغربية تنتشر حوالي ٥١ محمية طبيعية، ٢٠ منها بقطاع مدينة زايد، و١١ محمية في قطاع الوثبة، و٢٠ محمية طبيعية في قطاع غياثي (٦/٢٤). كما بدأ قسم الغابات في عام ١٩٩٦ في تسوير ٢٠٠ كيلومتر، من أجل إقامة عدة محميات جديدة في المنطقة الغربية إلى جانب المحميات الطبيعية السابقة.

وتشرف الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة على عدة محميات طبيعية أهمها محمية جزيرة صير بني ياس التي أصبح يعيش على أرضها الآن أكثر من ٦٠ ألف حيوان من أصل ٢٣ نوعاً من الحيوانات البرية، من بينها بعض الأنواع المهددة بالانقراض والتي تم جلبها من مختلف دول العالم. ولقد أثرت مشاريع الغابات والتشجير الواسعة في حياة الطيور فتنوعت وتكاثرت، وأصبحت الجزيرة تضم حوالى ٨٦ نوعاً من الطيور المختلفة معظمها من الطيور المهاجرة (٦/٢٦).

وتُرجع التقارير والدراسات البيئية أسباب الضرر الذي لحق بأنواع الحيوانات والنباتات المتواجدة في بيئة ما إلى مجموعة من الأسباب أهمها تغيير استخدامات الأراضي، وأنماط المعيشة

والاستهلاك، والتلوث، والاستغلال غير الرشيد وغير المستدام للموارد الطبيعية، بالإضافة إلى الحروب والكوارث الطبيعية (٢٨/٦).

وسياسة قيام المحميات الطبيعية التي إتبعها الشيخ زايد -رحمه الله- قد جاءت من حرصه الشديد على المحافظة على الطبيعة ومواردها الحية، وصون السلالات الحيوانية والنباتية المهددة بالزوال، وتوفير أقصى درجات الحماية للطيور المقيمة والمهاجرة، وهي السياسة التي حظيت باحترام العالم وإعجابه. ومن خلال هذه السياسة شهدت الإمارات في العقود الثلاث الماضية إنشاء العديد من المحميات الطبيعية. وإذا ما تجولت اليوم في السيوح والصحاري المحيطة بمدينة العين، وسويحان، والمناطق القريبة من مدينة أبوظبي والمنطقة الغربية سوف ترى العديد من المحميات الطبيعية التي تشغل مساحة آلاف الهكتارات من الصحراء تمتد لعشرات الكيلومترات والتي تمثل بيئة طبيعية لآلاف الحيوانات البرية بعدما تدهورت في السابق بسبب الجفاف والصيد الجائر.

صورة ٦/٢٠. الغزال العربي يسرح في إحدى المحميات المنتشرة في صحاري الإمارات.

صورة ٦/٢١. طائر النعام أحد الطيور التي تأقلمت وتكاثرت في المحميات الطبيعية.

الفصل السابع

عبقرية زايد
في جزيرة صير بني ياس

(جزيرة صير بني ياس كما رأيتها!)

٧-١ ليس الرائي كالسامع!

٧-٢ خدمات لا نظير لها

٧-٣ للجزيرة تاريخ قديم

٧-٤ التنوع النباتي في الجزيرة

٧-٥ التنوع الحيواني في الجزيرة

٧-٦ تنوع الطيور

٧-٧ صور أخرى من عبقرية زايد في الجزيرة

٧-١ ليس الرائي كالسامع !

عندما قرر الشيخ زايد -رحمه الله- أن يجعل من جزيرة صير بني ياس محمية طبيعية، أظهر العديد تحفظاتهم حول هذا القرار، مؤكدين أنه استثمار فاشل. ولقد تبين لا حقاً أنهم كانوا على خطأ في ذلك الظن. فاليوم تعتبر جزيرة صير بني ياس مشروعاً هاماً لحماية الحياة البرية، كما أنها مركز هام للأبحاث البيئية والزراعية.

ولأنني قد قررت أن أكتب عن الشيخ زايد، في جانب من جوانب حياته وهو إنجازاته الخضراء في مسيرة قهر الصحراء والتي شُبهت بالمعجزة، كان لزاماً عَليَّ أن أزور جزيرة صير بني ياس. وانطلقت من مدينة العين، وهي في أقصى الشرق من إمارة أبوظبي، إلى تلك الجزيرة الواقعة في مياه الخليج باتجاه المنطقة الغربية من الإمارة، لأشاهدها على الواقع، وأطابق ما قرأته وما سمعته عنها بما أشاهده عليها، فليس الرائي كالسامع. كان ذلك هو القصد الأول من الرحلة، وهو قصد هام حتى أسهم ولو بالقدر اليسير في نقل صورة أخرى في موقع آخر يحمل مشهداً مختلفاً من مشاهد ملحمة قهر الصحراء التي قادها بطلنا زايد على أرض الإمارات. أما السبب الثاني فإن تلك الجزيرة تعد مثالاً جيداً لمناقشة عبقرية زايد في إعمار الجزر وحماية الحياة البرية، لأنه وببساطة شديدة لم تكن الجزيرة شيئاً يذكر لا على الساحة المحلية ولا الدولية قبل أن يضع زايد يده فيها، أضف إلى ذلك أن تحويل هذه الجزيرة بالكامل إلى محمية طبيعة كانت فكرة من أفكار زايد الإبداعية، فلم يرشده أحد إليها، وبطولة من بطولاته العظيمة في قهر الصحراء والحفاظ على الحياة البرية، فهو الذي تخيلها ثم رسم لوحتها ثم بيده زرع شجرها وجلب حيوانها وطيرها فأصبحت جزيرة خضراء بعدما كانت غبراء.

وتقع مدينة العين عاصمة المنطقة الشرقية لإمارة أبوظبي بعيداً عن ساحل الخليج العربي، فهي تقبع في داخل المنطقة الصحراوية التي تمثل امتداداً طبيعياً لصحراء الربع الخالي في شبه الجزيرة العربية، وتبعد مسافة ١٦٧ كيلومتراً عن العاصمة. أما جزيرة صير بني ياس فتقع غربي مدينة أبوظبي على بعد ٢٥٠ كيلومتراً، وبالتحديد على خط العرض ٢٤-٣٤ شمالاً، وخط الطول ٤٠-٥٢ شرقاً، لذا فإن المسافر من مدينة العين إلى الجزيرة يقطع مسافة نحو ٥٠٠ كيلومتراً بالسيارة سالكاً الطريق البري باتجاه المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي وصولاً إلى شاطئ جبل الظَّنة. وعلى امتداد تلك المسافة كانت أشجار النخيل وأشجار أخرى تُزين ذلك الطريق الطويل، وأعتقد أنه لا يوجد بلد في العالم حفت طرقه الخارجية بالأشجار والأحزمة الخضراء مثلما فعلت دولة الإمارات.

وعلى الرغم من بعد المسافة وطول الطريق من العين إلى الجزيرة، إلا أن المشهد الذي رأيته على الجزيرة كان يستحق العناء، لأنه مشهد لا يخطر على البال بسهولة، ويدل على حجم الجهد المبذول من أجل الحياة الآمنة في الجزيرة، ففي تلك الجزيرة من العجائب ما يجعلها الأكثر بروزاً بين محميات الإمارات وجزرها. وليس الرائي كالسامع!.

كانت محمية جزيرة صير بني ياس من أعظم الهدايا التي قدمها الشيخ زايد لشعب الإمارات وبيئتها، بل إنه بعبقريته وإبداعه فيها أصبحت الجزيرة واحدة من أعظم المحميات في العالم، وتستحوذ على اهتمام وسائل الإعلام العالمية حيث أكدت عدة تقارير عنها أنها تُعتبر نموذجاً رائداً للاهتمام بالبيئة والحياة الطبيعية في دولة الإمارات. فقد أكدت صحيفة «لوسوليل» الكندية أن الشيخ زايد بن سلطان قد حقق حلمه بخلق واحة آمنة، ليست فقط لمواطني دولة الإمارات وإنما للزوار الذين ينشدون ملاذاً آمنا وسط محيط من الطبيعة. وقالت ميشيل بارنت الكاتبة الكندية المعروفة في مقالتها لتلك الصحيفة: «أصبحت صير بني ياس منذ أواخر السبعينيات مركزاً لتجربة فريدة لحماية البيئة أطلقها صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان» (١/٧). وتكتب عنها صحيفة «التايمز» اللندنية فتصفها بأنها: «عطر فواح في هواء الصحراء» (٢/٧). وفي الثامن من يوليو ٢٠٠٢ نشرت مجلة «الشرق الأوسط»، الصادرة في لندن، تحقيقاً مصوراً للكاتب حسين شحادة عن جزيرة صير بني ياس تحت عنوان (رؤية رجل واحد) أشارت في مستهله إلى التغييرات الكثيرة التي شهدتها دولة الإمارات منذ إنشائها في ١٩٧١. وقال شحادة: «إن لدى سكان هذا الجزء من العالم العربي الكثير ليفخروا به، وأن لا أحد يمكن أن تكون لديه الرغبة في إعادة عقارب الساعة للوراء. فما كان يوماً مستوطنات صحراوية تَحوَّل اليوم إلى دولة تزخر بالحيوية والنشاط». ويضيف الكاتب مشيراً إلى ما وصل

إليه مواطنوا دولة الإمارات اليوم، قائلاً: «والذين أصبحوا من بين أكثر الناس حظوة في العالم يستمتعون بجني ثمار ثروات بلادهم النفطية في كافة مناحي الحياة» (٣/٧). كما وصفت صحيفة «لوموند» الفرنسية واسعة الانتشار جزيرة صير ني ياس بأنها معجزة حقيقية تشبه جنة عدن على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة. وقالت الصحيفة في تحقيق لأحد صحفييها ويدعى ميشيل باول ريشار الذي زار الجزيرة مع وفد صحفي فرنسي: «إن الجزيرة نتاج عمل جبار لصاحب السمو الشيخ زايد، رئيس دولة الإمارات استغرق ثلاثة عقود من الزمن» (٤/٧).

وتنافس الكتاب في وصفها، فذكرها الكاتب البريطاني مارك جريفيتس بأنها «الحديقة الغناء»، ويصفها آخر بـ «الجزيرة الخضراء»، وآخرون «بسفينة نوح» لما تضمه من خير عظيم للمعمورة أجمع باحتوائها على أزواج مختلفة من الطيور والحيوانات المهددة بالانقراض.

كانت الجزيرة أحد المشاريع البيئية التي بهرت الباحثين والعلماء والمختصين والمؤسسات العالمية المعنية بمجال الزراعة والبيئة فتسابق الجميع في تسجيل إعجابهم ودهشتهم بما قد حدث على هذه الجزيرة، وبما تملكه من ثروة بيئية عظمى فكانت أحد المشاريع الرائدة التي دعت المؤسسات والهيئات العالمية المختلفة لمنح صانعها شهادات التكريم والجوائز البيئية المختلفة كان آخرها «جائزة بطل الأرض»، حقاً إنه وصف منصف، وجائزة جديرة بصاحبها الذي أسهم في إعمار الأرض بكل إخلاص وتفانٍ، حتى أقام حضارة خضراء في أرض صحراء، في وقت كان آخرون يهدمون نتاج حضارتهم ويخربون الأرض.

ولسوف يكون أسلوب حديثي عن هذه الجزيرة أسلوب زائر سائح يكتب مذكراته ومشاهداته بحيادية تامة، وبأسلوب يغلب عليه السرد القصصي لرجل رأى وتلمس ذلك الإنجاز فكتب بقلمه ما شاهدته عيناه، وليس الرائي كالسامع!.

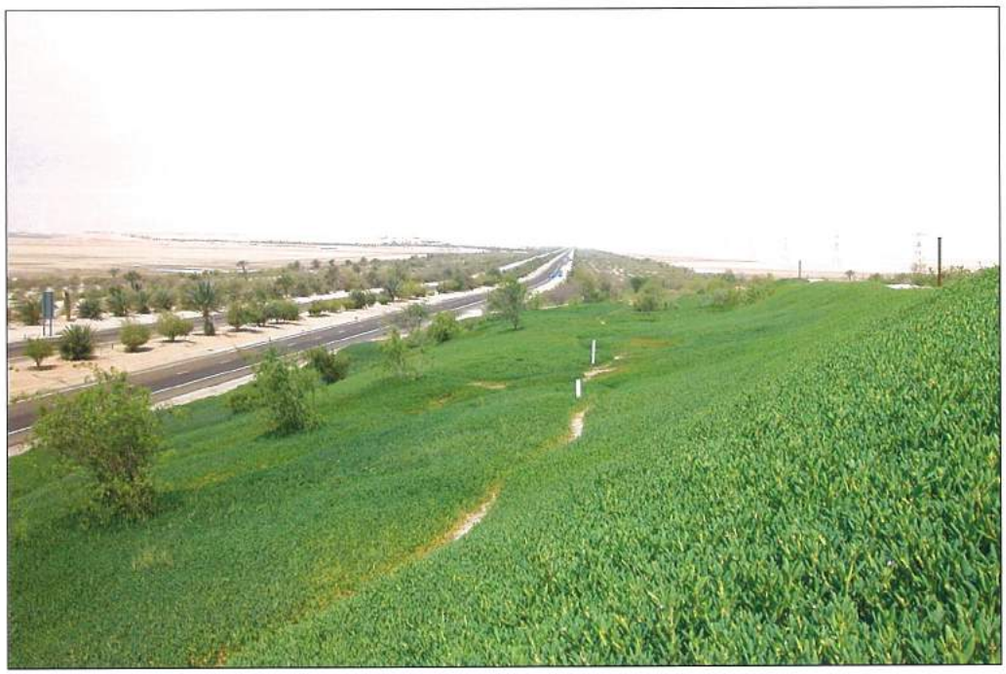

صورة ٢/٧. طريق أبوظبي- المنطقة الغربية. عند السفر من مدينة العين متجهاً إلى المنطقة الغربية من الإمارة قاصداً جزيرة صير بني ياس فإن ناظريك طوال هذه الرحلة تُبصِر شريطاً متصلاً من الأشجار والخضرة يزين ذلك الطريق الصحراوي، وهذا المشهد تميزت به دولة الإمارات عن غيرها من دول المناطق الجافة.

صورة ٣/٧. موقع جزيرة صير بني ياس على خارطة دولة الإمارات (حوالي ٢٥٠ كيلومتراً غربي مدينة أبوظبي، ونحو ٨ كيلومترات من البر المحاذي لها إلى الشمال مباشرة من جبل الظنة) (٦/٧).

صورة ٤/٧ (أ، ب). جزيرة صير بني ياس بين الأمس واليوم.

٧-٢ خدمات لا نظير لها

عند وصولي إلى المنطقة الساحلية، والتي منها أنطلق إلى الجزيرة، قَدِمْتُ إلى ميناء مغرَّق (معدية دَلْمَا) ويقع في منطقة جبل الظنة القريبة من الجزيرة، فقال لي أحد المسؤولين في ذلك الموقع إن هذا الميناء لم يعد ينقل الزوار إلى الجزيرة، فهناك ميناء آخر جديد قد افتتح حديثاً يجب أن تتحرك إليه إذا أردت الجزيرة. فأدرت سيارتي متجها إلى ذلك الميناء وأقول في نفسي لا بد أن هذا المشروع الجديد من الأفكار الخاصة للشيخ زايد، ولابد أنه هو الذي خططه وعين موقعه، وإنه لمصلحة كبرى أجهلها الآن.

ولدى وصولي الميناء الجديد، وجدته ميناءً في غاية النظافة والجمال، مرصوف الشوارع، به مواقف كثيرة معدة لسيارات زوار الجزيرة. وما شد نظري أن هذا الميناء قد امتد في وسط البحر كلسان مسافة طويلة بنحو ٢ كيلومتراً، حيث تَوَسَّدت أرض البحر حجارة جبلية ضخمة رتبت بعضها فوق البعض كالبنيان المرصوص، وتلك الحجارة عادةً يؤتى بها من مناطق الإمارات الشمالية، وتعتبر الدولة ذات خبرة واسعة في استخدامها في دفن مياه البحار وعمل كواسر للأمواج، وكان أول من استخدمها في مثل تلك الأغراض هو الشيخ زايد -رحمه الله- في مشاريع كواسر الأمواج في شواطيء العاصمة في السبعينيات. وما لفت انتباهي أيضا وسيلة النقل المنظمة والمنتظمة إلى الجزيرة، فما أن وصلت مرسى الميناء وجدت الطراد (وهو إحدى وسائل النقل المستخدمة لنقل الزوار) جاهزاً لنقلهم إلى الجزيرة ومن دون تأخير، وعلمت أنه يعمل بشكل دوري من الساعة السابعة وحتى الخامسة مساءً ودون توقف، وهذه الخدمة مجانية.

انطلق الطراد السريع نحو الجزيرة والتي تبعد حوالي ٦ كيلومترات عن مرسى اليابسة إلى مرسى الجزيرة، وما هي إلا دقائق حتى بدت الجزيرة وكأنها وردة خضراء تظهر رويداً رويداً من بين أمواج بحر الخليج الواسع. وكلما اقتربنا بدت ألوانها تزهو وتزداد رونقاً وجمالاً وتتباين في أشكالها. وحقا كانت تبدو كالمعجزة في وسط بحر الخليج، وشعرت كأنني قد انتقلت إلى جزيرة خارج الإمارات، جزيرة بدأت تظهر بألوان خضراء وحمراء، تزين حوافها أشجار النخيل وأشجار جوز الهند، وشجيرات وأشجار الزينة ذات الألوان المختلفة. وبدأت هنا أتمتم «رحمك الله يا زايد.. لقد أعمرت الواحات والصحاري والجبال.. وها أنا ذا اليوم أركب البحر لأرى كيف أعمرت جزرها.. فرحمك الله وأسكنك جناته».

قبل الاقتراب من مرسى الجزيرة الجميل بدأ السائق باتصال لا سلكي يخاطب المسؤولين في الجزيرة مخبراً عن اسمي، ويقول إننا الآن نقترب من الوصول ويذكر له المرسى الذي سننزل فيه، وعلمت حينها أن هناك أكثر من مرسى في الجزيرة لأكثر من هدف، وعلمت أن الهدف من إخبار المسؤولين في الجزيرة هو لأجراء الاستقبال اللائق للزائر، وهذه تدابير تقدم لأي زائر أو سائح يقصد الجزيرة.

وعند الوصول إلى ميناء الجزيرة وجدت في الاستقبال اثنين من المسؤولين هما السيد علي عبيد المزروعي، وهو مساعد مسؤول الجزيرة العام، ومعه الدكتور ناجي سالم، وهو طبيب بيطري مكلف بالإشراف على حيوانات الجزيرة، فرحبا بي أحر ترحيب، وعلمت أن كلاهما أو أحدهما سيكون مرشداً مرافقاً لي في جولتي للجزيرة، فتلك عادة متبعة لأي زائر والهدف منها التعريف بالجزيرة قدر المستطاع. شكرتهما على حسن الاستقبال وعلى الخدمات المقدمة للزائر ومنذ وصوله إلى اليابسة التي منها ينطلق إلى الجزيرة، وهنا ذكرت لهما إعجابي بذلك الميناء الجديد، فقالوا لي: «إن ذلك الميناء قد أمر به الشيخ زايد -رحمه الله- وهو من أفكاره وتوجيهاته، وهو الذي عين موقعه ورسم شكله، واستغرق العمل فيه قرابة عامين، وقد افتتح في بداية ٢٠٠٥». ويضيف المسؤول: «ولا تعلم كم وَفَّر هذا المشروع على الجزيرة، فلقد حل هذا الميناء مشكلة كبيرة في المواصلات، فكنا قبل افتتاحه نستخدم الميناء القديم في منطقة جبل الظنة، فكنا نأخذ وقتاً يستغرق حوالي أربعين دقيقة للوصول إلى الجزيرة، بينما اليوم نأخذ وقتاً أقل من عشر دقائق، فقد وَفَّر الميناء الجديد للجزيرة سرعة نقل المواد والمعدات والسيارات من وإلى المدينة، فكان أمر الشيخ زايد في إقامة ذلك المشروع أمراً صائباً». ويقاطعه الآخر قائلاً: «ولكن للأسف الشديد لم يكتب للشيخ زايد أن يشهد افتتاحه وتشغيله وإلا كان سيفرح به كثيراً». وبعدما سمعت منهما قصة الميناء تيقنت من صحة ظني وحدسي عندما توقعت أن فكرة الميناء الجديد هي من أفكار زايد، فهو صاحب مثل هذه الأفكار الإبداعية، وحقيقة الأمر أنني لم أجتهد

كثيراً في ذلك، ولم يكن ذلك بالتقدير الصعب لأنني وأنا أتتبع سيرته في مشواره الزراعي والبيئي وجدت أن غالبية تلك المشاريع قامت بمبادراته الشخصية. وبنظرة لم يكن أحد يصل إليها، فقد عَوَّدَنا الشيخ زايد أنه خلف كل مشروع جميل في أرضنا، وعودنا أنه يقف على أدق التفاصيل والتي منها يمكن أن يحقق نتيجة تنموية أو بيئية، فبصيرته دائماً كانت ثاقبة، ورؤيته دائماً كانت واسعة.

انطلقنا بالسيارة، ومنذ البداية فَسَّرت لهما الهدف من الزيارة وهو الكتابة بقدر ما يمكن عن الجزيرة وعن الأعمال والجهود التي قدمها الشيخ زايد فيها حتى أصبحت من أعظم محميات العالم، وسألتهم المعذرة في كثرة الأسئلة الصادرة مني والتي سوف تتواصل طيلة مكوثي بينهم لأنني أريد أن أعرف الكثير والكثير عن تلك الجزيرة.

لما انتهى الشيخ زايد -رحمه الله- من تجهيز الجزيرة كما أرادها أن تكون، وكما تخيلها، أعطى أوامره بفتح أبوابها للسائحين سواءً المقيمين على أرض الإمارات أو خارجها، وأمر بتوفير كل الخدمات والتسهيلات التي يمكن أن تيسر للسائح زيارة الجزيرة والتمتع بمشاهدة بيئتها الجميلة، فكانت تلك التسهيلات، لا نظير لها، والتي تعكس سخاءه وكرمه الكبير. وهنا دعونا نتكلم عن ذلك الجانب بشيء من التفصيل: أولاً، تم توفير وسائل النقل للوصول إلى الجزيرة وخُصِّصَ لذلك ثلاث طرق مختلفة يمكن للسائح أن يختار إحداها. فالطريقة الأولى عن طريق البحر، حيث يمكن للسائح أن يركب البحر من شواطيء مدينة أبوظبي إلى الجزيرة في رحلة بحرية تستغرق حوالي ثلاثة ساعات، وتوفرت لذلك مراكب واسعة ومريحة. أما الطريقة الثانية فعن طريق البر إلى ميناء مغرق ومنها إلى الجزيرة بواسطة مركب سياحي وتستغرق أقل من عشر دقائق، وخاصة بعد افتتاح الميناء الجديد. والطريقة الثالثة عن طريق الطائرات إذ أمر -رحمه الله- بإقامة مطار داخل الجزيرة ذي مدرج بطول ٣ كيلومترات بالإضافة إلى ثلاثة مهابط للطائرات العمودية (الهليكوبتر)، ولا تستغرق رحلة السائح القادم من مدينة أبوظبي إلى جزيرة صير بني ياس جواً بواسطة طائرة ثابتة الجناح أكثر من نصف ساعة، وهي رحلة مريحة بلا شك إلا أنها تحرم الزائر فرصة الاستمتاع بالمناظر التي تفصله عن الوجهة التي يقصدها. أما عند استخدام الطائرة العمودية في الرحلة فالمتعة أكثر، فرغم أن الرحلة تستغرق وقتاً أطول نسبياً من استخدام طائرة ثابتة الجناح لكنها تمتاز بكونها أكثر متعة باعتبار أن الطائرة تحلق على ارتفاع منخفض يسمح لركابها بمشاهدة المسطحات المائية الضحلة بلونها الأزرق الضارب إلى الخضرة والذي يأسر الألباب بجماله. كما تُعْطِ أيضاً فرصة مشاهدة الشواطيء الرملية الممتدة، والجزر الصغيرة المتناثرة، وسلاسل الصخور القريبة من سطح الماء والتي تُعرَف بـ «الحِد البحري». أضف إلى ذلك حجم التشجير الواسع وأشجار القرم (المنجروف) المزروعة على سواحل الجزيرة. وتمتاز كل واحدة من تلك الطرق بمزايا خاصة تؤثر تأثيراً عميقاً على الانطباعات الأولية للإنسان عن الجزيرة والطريق المؤدية إليها، وتلك كلها تتوفر بالمجان (٥/٧).

ومن الخدمات الأخرى التي أمر بتوفيرها -رحمه الله- هي الإقامة المجانية لزوار الجزيرة، فأقيمت استراحة لكبار الزوار واستراحة أخرى تتسع لـ ٨٠ سريراً يقيم فيها السائح مع توفر الوجبات، ومن دون أن يدفع شيئاً. كما توفرت السيارات السياحية بأنواع وأحجام مختلفة تتناسب مع الحياة الطبيعية بالجزيرة وذلك لتنقل السواح من منطقة لأخرى داخل الجزيرة، إضافة إلى مركبات كبيرة سعة ٣٥ شخصاً. كما توجد أيضاً مراكب سياحية وطرادات سريعة للنزهة في المياه المحيطة بالجزيرة. كذلك يوجد مرشدين سياحيين لمرافقة الزوار أثناء تجوالهم في الجزيرة يقدمون لهم الشرح والمعلومات الأساسية حول المناطق التي يزورونها. ورأيت المسؤول عن الجزيرة والذي رافقني في تلك الجولات لا يهدأ هاتفه النقال أبداً حرصاً على تزويد الزائرين بكل ما يحتاجونه من استقبال وتوفير الوجبات والسكن.

ولنقف هنا ونقارن بما يجري في مناطق سياحية أخرى من العالم حيث السائح وفي سبيل المعرفة والإطلاع يجب عليه أن يدفع ثمن ذلك، بينما في جزيرة زايد (صير بني ياس) يحصل السائح على كل الخدمات والتسهيلات السياحية بالمجان، بل يخرج من الجزيرة غانماً ورابحاً الكثير ومغموراً بكرم الضيافة، وأقول هنا لا عجب من ذلك فهذه إحدى عبقريات زايد في دعم البيئة والتشجيع على نشر المعرفة.

وأثناء إقامتي في الجزيرة، رأيت زواراً كُثر، ومن جنسيات مختلفة تهوي إليها وهم ينقسمون إلى زوار محليون من داخل الدولة وهم

المواطنون والمقيمون على أرضها، وزوار من خارج الدولة وهم يتزايدون سنة تلو الأخرى. ولقد زارها في السابق شخصيات عالمية كدوق أدنبره الأمير فيليب، والدكتور كلود مارتن، المدير العام للصندوق العالمي للمحافظة على الحياة البرية، وكثير من رؤساء الدول العربية والأجنبية. وعلمت من المسؤول أن هناك قوائم بأسماء لزائرين جدد سوف يأتون قريباً إلى الجزيرة وأخرى تنتظر دورها. وتشير إحصاءات الجزيرة إلى أن عدد السواح في تزايد مستمر عاماً بعد عام، وفي عام ٢٠٠٣ بلغ عدد السواح ١٤ ألفاً من جميع الجنسيات. ومن الأشياء الرائعة التي رأيتها في فترة الزيارة ظهور الهيكل الأساسي لفندق كبير في طرف الجزيرة حيث يجرى الآن بناؤه وهو من فئة خمس نجوم، وذلك للإقامة الطويلة للزوار للاستمتاع ببيئة الجزيرة مدة أطول.

ومن المشاريع الخدمية التي زُودت بها الجزيرة وسائل النقل البحرية (البارجة)، وهي سفينة عسكرية مهمتها نقل السيارات والمركبات الكبيرة، والمعدات المختلفة، والأعلاف، ومواد أخرى من وإلى الجزيرة. كما توجد اللنجات وهي مركبات لنقل الموظفين والعمال. كما زُودت الجزيرة بمحطة لتوليد الكهرباء، ويوجد أيضا كيبل بحري من خارج الجزيرة، وذلك لتوفير الطاقة الكهربائية لها. وفي الآونة الأخيرة أدخلت تقنية حديثة لإنتاج الطاقة باستخدام قوة الرياح، وهذه من أحدث التقنيات في منطقة الشرق الأوسط.

صورة ٥/٧ (أ، ب). جزيرة صير بني ياس كيف تبدو من الخارج، ٢٠٠٥.

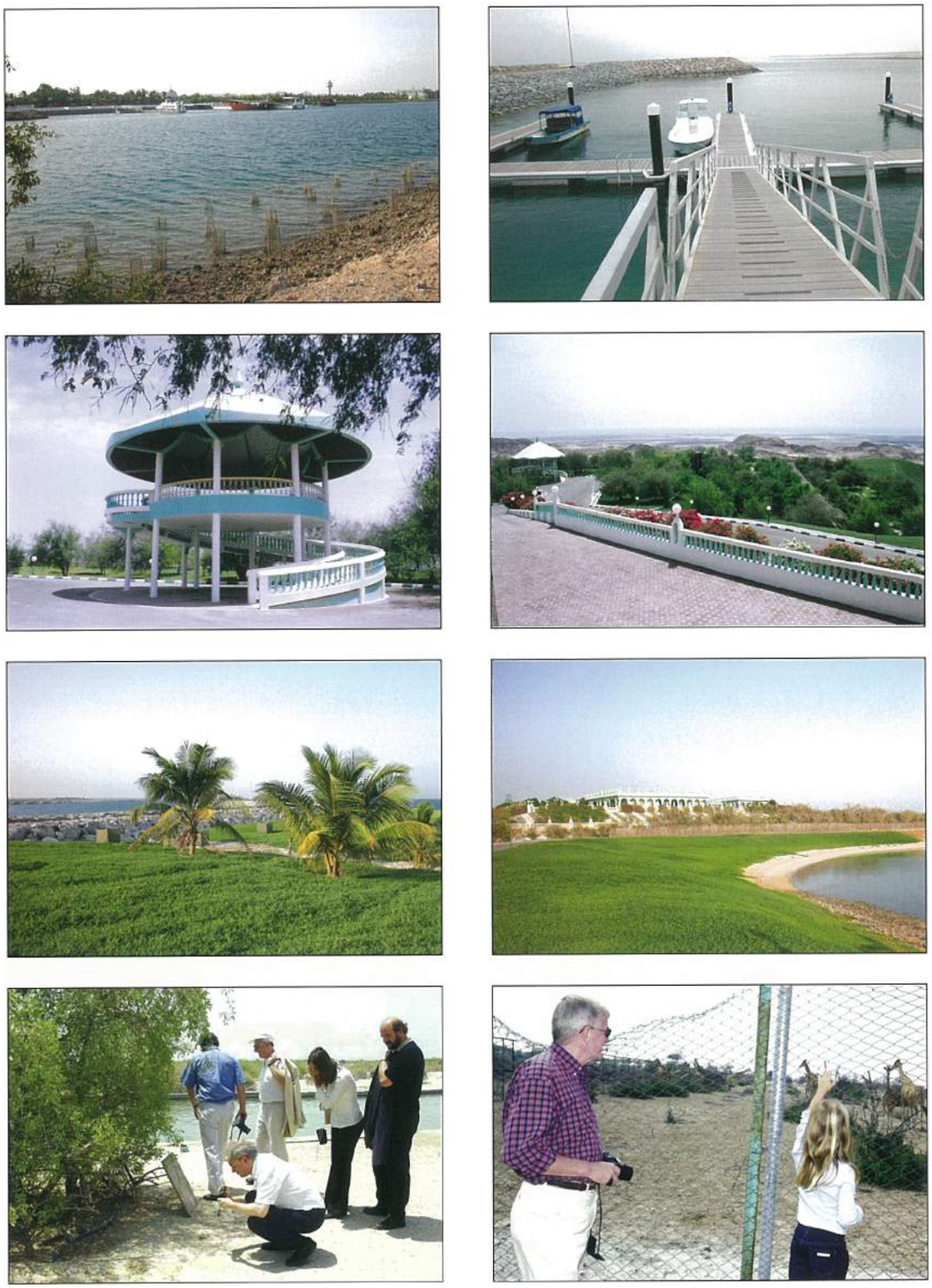

صورة ٦/٧. جزيرة صير بني ياس أصبحت مقصداً للسواح وللباحثين في شؤون البيئة أيضاً.

٧-٣ للجزيرة تاريخ قديم

ظهرت أول إشارة في المصادر التاريخية لجزيرة صير بني ياس في العام ١٥٨٠ في مذكرات جاسبارو بالبي (Gasparo Balbi)، وهو تاجر مجوهرات إيطالي (٦/٧). وجاء ذكر الجزيرة ضمن قائمة بأسماء المناطق الواقعة على ساحل الخليج العربي بين شبه جزيرة قطر ورأس الخيمة. وقال بالبي بعد جولة بالمنطقة إن جزيرة صير بني ياس كانت واحدة من مصادر اللؤلؤ الشهيرة بالمنطقة. ثم في عام ١٨٢٢ ظهرت أول خارطة للجزيرة والتي أعدها الملازمان الأولان بسلاح البحرية البريطانية (J.M. Guy) و (Rober Cogan) وأشارا أنها تعرف بصير بني ياس (٦/٧).

وتشير المصادر التي تتحدث عن الجزيرة أن تجار اللؤلؤ كانوا يستخدمونها في رحلات الغوص للاستراحة، حيث اعتاد صيادو اللؤلؤ في الماضي أن يأتوا إلى الجزيرة لفترات محددة في مواسم الغوص، ثم يتركوها بقية السنة. ويذكر الرحالة الإيطالي جاسبارو بالبي أن قرى قديمة قد قامت في الجزيرة قبل حوالي ٣٠٠ سنة، وهي ثلاث قرى بقيت بعض آثارها إلى يومنا هذا. عموماً تاريخ الجزيرة يعود إلى عهد أقدم من ذلك التاريخ بكثير، حيث تشير بعض الآثار والموجودات المتحصل عليها في التسعينيات لعصور قديمة، بما يعني أن الجزيرة كانت مأهولة منذ ما لا يقل عن خمسة آلاف سنة. كما تشير الدراسات البحثية والاستكشافات الأثرية أن الجزيرة كانت مأهولة خلال فترات متقطعة من الزمن، وأنه قد استؤنف الاستيطان فيها خلال عهد ما قبل الإسلام (٧/٧). وأدت الحفريات الأثرية في منطقة الخور إلى الكشف عن دير يعود إلى الآشوريين. وفي العصر الإسلامي شكلت الجزيرة مصدراً للملح والكبريت وكحل الأثمد، إضافة إلى أن موقعها كان مكاناً مثالياً لصيد اللؤلو. وفي جولتي في الجزيرة شاهدت ثلاث مقابر صغيرة قديمة، إحداها قريبة من منطقة تعرف بـ «النخيل القديم»، أما المقبرتين الأخريين فكانتا في مواقع أخرى بعيدة عن تلك المنطقة، وهذا دليل على أن الجزيرة كانت مأهولة بالسكان.

صورة ٧/٧. إحدى المقابر القديمة الموجودة على أرض جزيرة صير بني ياس.

صورة ٨/٧ (أ، ب). منطقة النخيل القديم، ومازال الجدار القديم المبني من حجارة الجزيرة باقٍ حتى الآن (ب).

وكلمة «صير» تحمل معاني عديدة، فهي الرقعة التي يملكها شخص ما بالإرث، وتعني الموطن الأصلي، وتعني أيضاً المكان الصخري العالي أو المكان الذي يوجد فيه الماء. لكن عندما قدم إليها الشيخ زايد ليعمرها لم يكن بها مصدر من مصادر المياه العذبة، باستثناء بئر قديم في منطقة «النخيل القديم» قد جف ماؤه، وكانت مياه البحار المالحة تحيط بها من كل جانب.

وعلى أي حال أعطى الشيخ زايد -رحمه الله- في عام ١٩٧٠ إشارة البدء في اعمار الجزيرة، وهذا ما تشير إليه أغلب المراجع وكذلك المسؤولون عن الجزيرة (٥/٧)، وبهذا التاريخ بدأت حملته على جزيرة صير بني ياس وكان ذلك إيذاناً باقتحام الجزر وتغيير طبيعتها. كانت الجزيرة آنذاك صحراء جرداء قاحلة تنعدم فيها الأشجار والأعشاب البرية مثلها مثل باقي الجزر التابعة لإمارة أبوظبي، إذ لم يكن على أرض الجزيرة مياه جارية أو عيون أو أي مصدر من مصادر المياه الصالحة للشرب. كما أنه لم يكن على الجزيرة أي مظهر من مظاهر الزراعة أو الحياة البرية سوى عشرة أشجار من النخيل تسمى «النخيل القديم» وهي موجودة في منطقة وادي النخيل، وبالقرب منها المقبرة الصغيرة التي أشرت إليها آنفا. لكن حب الشيخ زايد للحياة البرية والطبيعة قد قاده إلى فكرة تحويل تلك الجزيرة إلى محمية طبيعية للحيوانات العربية المهددة بالانقراض، مثل المها العربي، والغزال العربي. عاش الشيخ زايد ذلك الحلم فتخيل الجزيرة في عقله أولاً، ورسم لها صورة جميلة في مخيلته، وكعادته لم يكن عند الشيخ زايد أي حرج أن يبدأ باستشارة ذوي الاختصاص، فأتى بالعلماء والخبراء وطرح عليهم إمكانية زراعة هذه الجزيرة وجعلها محمية، كما فعل في مواقع أخرى، فقالوا له هذه الجزيرة لا تلائم الزراعة، ولا تصلح كمحمية. وكعادته أيضا لم ييأس ولم يلق لكلماتهم بالاً ولم يكن يتأثر بما يقول الآخرون، وإنما كان يفعل بما يؤمن به وحده.

وتعتبر جزيرة صير بني ياس ثالث أكبر جزيرة في إمارة أبوظبي، وتبلغ مساحتها حوالي ١٧٠ كيلومتراً مربعاً. وبأوامر من الشيخ زايد أضيفت إليها جزيرة صناعية سميت «الجزيرة الخضراء» تبلغ مساحتها عشرة كيلومترات مربعة لتكون -بناء على توجيهاته- قاعدة للتجارب الزراعية.

ولقد سُئل الشيخ زايد -رحمه الله- عن سر اختياره لتلك الجزيرة بالذات لكي تكون المحمية الكبرى على أرض الإمارات، فكان جوابه: «صير بني ياس جزيرة آبائي وأجدادي، وأحب أن يكون لي فيها مستقر، وموئل للريم والمها والحبارى والنعام، وما يمكن إنقاذه من حيوانات الصحراء المهددة بالانقراض» (٧/٧)، كما أنها اشتهرت ومنذ القدم بأنها جزيرة تابعة لقبائل بني ياس وكانوا يترددون عليها وخاصة في مواسم ممارسة حرفة صيد اللؤلؤ التي كانت تشكل لهم أحد مصادر الدخل قبل اكتشاف النفط.

ونتيجة الرعاية والاهتمام الكبير الذي بذله الشيخ زايد على أرضها تحولت الجزيرة إلى محمية كبرى تعيش فيها الحيوانات والطيور والأشجار المثمرة جنباً إلى جنب. واليوم تعتبر الجزيرة أكبر محمية في الشرق الأوسط، وتضم أنواعاً نادرة من الحيوانات والطيور كانت مهددة بالانقراض. وكانت تلك الجزيرة قبل ثلاثة عقود من الزمان منطقة صحراوية جرداء قاحلة. وتتميز طبيعة الجزيرة بالتربة الرملية والجبال البركانية. ويمكن تقسيم أرض الجزيرة إلى ثلاث مناطق رئيسية هي:

- مناطق ساحلية تكثر فيها الخلجان الصغيرة وتغطيها غابات أشجار القرم.
- سلسلة جبلية بركانية، وهي جبال جرداء يصل ارتفاعها حوالي ١٥٠ متراً وتشكل حوالي ١٥٪ من مساحة الجزيرة.
- المساحات الخضراء، وتغطي أكثر من نصف مساحة الجزيرة، تم زراعتها بأشجار الغابات المختلفة بقصد توفير الغذاء والمكان الظليل للأعداد الكبيرة من الحيوانات البرية، وملاذ ومسكن آمنين للعديد من أنواع الطيور المستوطنة والمهاجرة (٥/٧).

كما تُقسم الجزيرة من ناحية التوزيع الأحيائي إلى ثلاث مناطق رئيسية هي منطقة تقام فيها حظائر الحيوانات، ومناطق مخصصة لسكنى البشر، ثم بقية الجزيرة التي تعتبر منطقة حرة تتجول فيها الحيوانات بحرية تامة.

صورة ٩/٧. صورة من الفضاء لجزيرة صير بني ياس، وتبدو المنطقة الجبلية متمركزة في وسط الجزيرة، كما تبدو المساحة الجديدة للجزيرة (الدفان) واضحة في الجهة اليسرى للصورة.

٧-٤ التنوع النباتي في الجزيرة

إن الأعمال الزراعية والبيئية الكبيرة التي قام بها الشيخ زايد -رحمه الله- على جزيرة صير بني ياس هي جزء من برامج قهر الصحراء ونشر الرقعة الخضراء التي أطلقها في أنحاء مختلفة من أرض الإمارات. وبفضل عزيمة الشيخ زايد ورؤيته الواضحة أصبحت جزيرة صير بني ياس ذات الطبيعة الصخرية الجرداء حديقة خضراء تغطي المساحات الزراعية فيها أكثر من نصف مساحتها بعدما كانت معدومة الغطاء النباتي إلا من بعض الأشجار والشجيرات البرية البسيطة المتناثرة في الوديان والسهول. ومشاريع التشجير الضخمة التي بدأها الشيخ زايد على الجزيرة ومنذ عام ١٩٧٠ نُفذَت في البداية كهدف أساسي هام، وهو توفير الغذاء والظل للحيوانات البرية التي أراد أن يحافظ عليها في تلك الجزيرة، وكذلك لتكون تلك الأشجار ملاذاً آمناً للعديد من الطيور المستوطنة والمهاجرة. وبالفعل فإن تلك المشاريع الضخمة قد وفرت المتطلبات الأساسية للأعداد الضخمة من الحيوانات مما أهل الجزيرة لأن تكون أكبر المحميات الطبيعية في الشرق الأوسط.

لقد تنوعت مشاريع التخضير على أرض الجزيرة تنوعاً كبيراً فتنوعت بذلك بيئاتها، واحتوت على تشكيلة واسعة من مشاريع الغابات بنوعيها المفتوحة والمسيجة، ومشاريع زراعة محاصيل الأعلاف المختلفة، وهذان النوعان من المشاريع قد نفذا لخدمة حيوانات وطيور الجزيرة. ثم يأتي من ناحية الحجم مشاريع زراعة الفاكهة بهدف تجربة أنواع مختلفة من أشجار الفاكهة على أرض الجزيرة، وكان أهمها أشجار الزيتون، ثم مشاريع زراعة محاصيل الخضار، وذلك بقصد إنتاج محاصيل الخضار المختلفة لتوفيرها للقاطنين على الجزيرة بالدرجة الأولى. ولقد امتدت تلك المشاريع على مساحة واسعة من أرض الجزيرة تجاوزت ١٠٠ ألف دونم (٨/٧).

وفي جزيرة صير بني ياس اليوم أعداد كبيرة من الأشجار البيئية التي يربو عددها على المليوني شجرة ملائمة لظروف الصحراء مثل السدر، والغاف، والغويف، والسمر البلدي، والنيم، والأكاسيا، والسلم، والطلح، والأراك تنتشر في نحو ٢٥٠ غابة ويتم زيادتها باضطراد. وفي الجزيرة أيضاً ٢٦٠ غابة مسيجة تضم نحو ثلاثة ملايين من الأشجار الحرجية المحلية التي تتحمل الحرارة والعطش (٥/٧)، كما توجد ٦٠ غابة مفتوحة (٨/٧) وفي الجزيرة ٢٧ مزرعة أعلاف بمساحة ١٠٠ هتكار، ترعى فيها الحيوانات.

أما مشاريع زراعة الفاكهة فيوجد في الجزيرة نحو ٣٥٠ ألف شجرة فاكهة، وزيتون، وخروب، وتمر هندي. ولقد أنشأ الشيخ زايد -رحمه الله- لاحقاً بمحاذاة الجزيرة منطقة جديدة عبارة عن جزيرة صناعية تبلغ مساحتها عشرة كيلومترات مربعة ضُمت للجزيرة لتكون قاعدة للتجارب الزراعية، وقد سماها «الجزيرة الخضراء»، وفيها تم إنشاء ٣٢ مزرعة لزراعة وتجربة العديد من أشجار الفاكهة المختلفة بلغ عددها أكثر من ٤٠ ألف شجرة أهمها: المانجو، والباباي، والأناناس، والشيكو، والتين، والرمان، والجوافة، والتوت، والعنب، والخروب، والموز، والتفاح، والكمثرى (الإجاص)، والبرقوق، والخوخ (الدراق)، والسفرجل الهندي (القشمة)، والبن. ونجحت أيضاً على أرض الجزيرة زراعة العديد من أشجار الحمضيات كالليمون البلدي، والأضاليا، والجريب فروت، والبرتقال، والسنترا (٨/٧).

ومن أهم أشجار الفاكهة التي ازدهرت زراعتها في جزيرة صير بني ياس بفضل أساليب الزراعة المتطورة وإرادة التحدي والإصرار أشجار الزيتون. ففي بداية عام ١٩٨٤ تم تجربة زراعة حوالي ٢٠٠ شتلة من أشجار الزيتون، تم إحضارها من الأردن والمغرب، وفي مطلع عام ١٩٩٠ أعطت الأشجار ثمارها فكان إنتاجها وفيراً وعالي الجودة، بعدها قرر الشيخ زايد -رحمه الله- التوسع في زراعة أشجار الزيتون فهيأ لها مناطق خاصة على أرض الجزيرة، فحققت زراعة الزيتون نجاحاً باهراً على أرض الجزيرة لم يناظره نجاح في بقية أراضي دولة الإمارات (٨/٧). وفي عام ٢٠٠١ أنتجت أشجار الزيتون بالجزيرة ما مقداره ١٦ ألف طن. ثم بدأ التوسع في زراعة الزيتون يتزايد سنة بعد الأخرى حتى بلغ عدد أشجارها أكثر من ١٥ ألف شجرة بعدما كانت لا تتجاوز المئتي شجرة في تاريخ بدأ التجربة في عام ١٩٨٤.

أما أشجار النخيل فيبلغ عددها أكثر من ١٤ ألفاً، ولم يكن على الجزيرة في السابق سوى ١٠ نخلات، واليوم تتعدد أصناف النخيل

في الجزيرة وأهمها: الخلاص، والبرحي، واللولو، وبومعان، والخنيزي، والنفال، والفرض، والجبري، والخضراوي، والبريمي، والقنطار، وغيرها.

أما مشاريع زراعة محاصيل الخضار، فيوجد على أرض الجزيرة أيضاً مزارع مخصصة لزراعة تلك المحاصيل تقدر مساحتها بحوالي ٢٠ هكتاراً، تنتج مختلف محاصيل الخضار أهمها الطماطم، والخيار، والكوسا، والفلفل، والملفوف، والبطيخ، والشمام، والفراولة، والبصل، وغيرها، وذلك بقصد تزويد القاطنين على الجزيرة من عمال ومسؤولين وسائحين باحتياجاتهم اليومية من الخضار وعلى مدار السنة حيث يتوفر عدد كبير من البيوت المحمية لهذا القصد.

وأخيراً فإن من أهم الأشجار التي انتشرت زراعتها على أرض الجزيرة ولم تكن على أرضها من قبل نبات القرم *(Avicennia marina)*. لقد لاقت هذه الأشجار اهتماماً بالغاً من قبل الشيخ زايد -رحمه الله- على الرغم من أنها ظلت مهملة ومنبوذة في مناطق أخرى من العالم، وعانت كثيراً بسبب التطور، إلا أن الشيخ زايد وبفكره البيئي المتطور قد عرف الأهمية البيئية لهذه الشجرة فعمل على إكثارها وإعادة غرسها في مناطقها القديمة من الإمارة، بل نشر زراعتها في مختلف شواطيء الدولة. وفي جزيرة صير بني ياس تحقق إنجاز كبير من زراعة أشجار القرم فأصبحت من أهم الأشجار البيئية التي انتشرت زراعتها في الجزيرة. ويقول المسؤول عن الجزيرة، السيد راشد محمد بن حرمش المنصوري، الوكيل المساعد بالدائرة الخاصة لرئيس الدولة المشرفة على الجزيرة،:

«لم يكن في السابق أشجار قرم في الجزيرة واليوم القرم يتواصل مع الغابات. لقد اهتم الشيخ زايد -رحمه الله- بزراعة ملايين الشتلات من هذه الأشجار لمعرفته بفوائدها وخصائصها البيئية العديدة»، فبجانب أن لهذه النباتات القدرة على تحمل الملوحة العالية والتي تصل إلى ٧٠ ألف جزء في المليون فإنها لا تحتاج إلى رعاية كبيرة مثل باقي الأشجار. ولتلك الأشجار فوائد عدة أهمها:

- تثبيت التربة الشاطئية وحمايتها من الانجراف والتآكل، بسبب جذورها الكثيرة التي تمتد أفقياً ورأسياً تحت الشجرة.
- تعتبر البيئة الساحلية الغنية بأشجار القرم من أنسب المناطق لتكاثر وحضانة أنواع الأسماك والربيان والقشريات الأخرى، وأنواع الحياة البحرية المختلفة.
- تسهم في الحفاظ على أنواع الحياة البرية والبحرية، وعلى حياة أنواع مختلفة من الطيور، وتعمل كمناطق تناسب حياتها ومورداً لغذائها، وتوفر لها سبل الحماية.
- لها دور كبير في تلطيف البيئة التي تتواجد فيها، وخاصة في فصل الصيف الحار، وبالتالي تأوي إليها الكائنات والطيور.
- تجميل الشواطيء البحرية الجرداء، وكساؤها باللون الأخضر.
- تعد أشجار القرم في مناطق مختلفة من العالم مورداً للأخشاب، كما تستخدم أوراقها كعلف للحيوان.
- تزود أشجار القرم المياه المحيطة بها بكمية كبيرة من المواد العضوية التي تسهم في إثراء البيئة المائية حولها، وزيادة الغذاء لأنواع الحياة البحرية، من خلال تساقط أوراق تلك الأشجار في البيئة المائية وتحللها لمركباتها الأصلية (٩/٧).

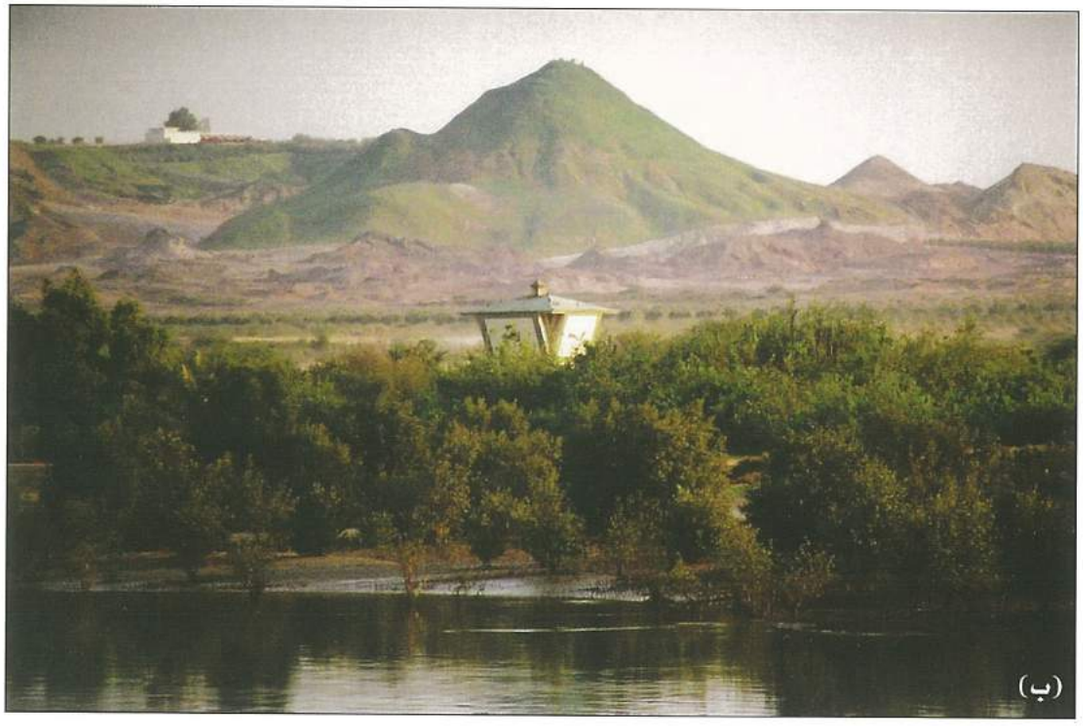

صـــــورة ٧/١٠(أ، ب). زراعة أشجار القرم على شواطيء الجزيرة أحد المشاريع البيئية الكبيرة التي نشرها الشيخ زايد على أرضها. أ. عمال يقومون بزراعة شتلات جديدة من أشجار القرم. ب. أشجار قرم كبيرة على الجزيرة شكلت بيئة ملائمة لتكاثر كثير من الكائنات الحية.

صورة ٧/١١ (أ، ب). زراعة نباتات صباح الخير على شواطيء الجزيرة والذي يسقى بماء البحر.

صورة ١٢/٧ (أ، ب). مشاتل كبيرة أُعدت على أرض الجزيرة لإنتاج مختلف الأشجار الحرجية ونباتات الزينة لتغطية متطلبات الجزيرة من تلك الأشجار.

صورة ١٣/٧ (أ، ب). جبالها الحمراء صبغها زايد باللون الأخضر.

صورة ٧/١٤. صور مختلفة تعكس حجم التغيير الذي حدث على أرض الجزيرة.

صورة ١٥/٧. تنوعت أشجار الفاكهة النامية بنجاح على أرض الجزيرة.

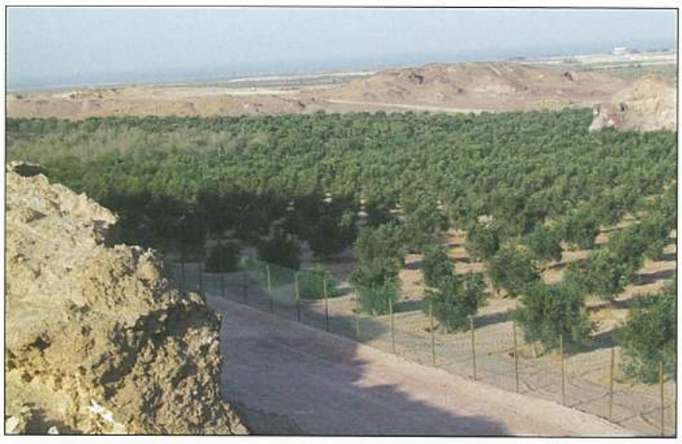

صورة ١٦/٧. نجحت زراعة أشجار الزيتون في جزيرة صير بني ياس وأنتجت ثماراً وافرة، وهذا ما ميَّز الجزيرة عن باقي مناطق الدولة، عام ٢٠٠٥.

صورة ١٧/٧. أصناف مختلفة من أشجار النخيل المحلية والمستوردة زُرعت على أرض الجزيرة.

صورة ١٨/٧ (أ، ب). شجرة الجميز، شجرة فاكهة مباركة أهديت للشيخ زايد من أرض فلسطين فاهتم بها ونشر زراعتها في جزيرة صير بني ياس ودلما (أ، ب)، وهي شجرة ثمارها تشبه التين (أ)، وتظل طيلة سبعة أشهر من السنة تعطي أكلها.

صورة ١٩/٧. تَميّز ووفرة في إنتاج مختلف محاصيل الخضار والفاكهة على أرض الجزيرة، ٢٠٠٥.

٧-٥ التنوع الحيواني في الجزيرة

لا يَخفى على أحد الجهود التي بذلها الشيخ زايد -رحمه الله- في مجال البيئة والحفاظ على الحياة البرية وفي شتى المناطق في البلاد، لكن تميزت تلك الجهود على جزيرة صير بني ياس وبرزت نتائجها وإنجازاتها ليس فقط على المستوى الإقليمي بل على المستوى العالمي. وما ذاك إلا لحبه الشديد للبيئة وشغفه في إعادة الحياة البرية لما كانت عليه في سابق عهدها. لقد أراد الشيخ زايد أن تكون جزيرة صير بني ياس محمية طبيعية للكثير من الحيوانات البرية المهددة بالانقراض أو التي انقرض الكثير منها في موطنها الأصلي. وبالفعل نجح -رحمه الله- في تحقيق ذلك فأصبحت الجزيرة وبسبب الاهتمام والرعاية المباشرة له من أكبر المحميات الطبيعية في العالم، وتُعد في الوقت نفسه أكبر محمية طبيعية في الشرق الأوسط، يجري على تربتها أكثر من ٦٠ ألف حيوان من الحيوانات البرية من أصل ٢٣ نوعاً مختلفاً من بينها بعض الأنواع المهددة بالانقراض، كما تضم الجزيرة أعداداً ضخمة من الطيور النادرة المستوطنة والمهاجرة (٥/٧).

ومن أهم الحيوانات البرية التي تعيش بتأقلم في الجزيرة، ويتكاثر أعدادها بعدما كانت مهددة بالانقراض المها العربي (ويسمى أيضاً الوضيحي)، وموطنه الأصلي الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية. ولقد كان للشيخ زايد -رحمه الله- الدور الكبير في إنقاذ ذلك الحيوان من الانقراض، ففي عام ١٩٧٨ تم جلب أربعة أزواج من المها العربي إلى الجزيرة، وقد أحضرت من قطيع صغير تمت تربيته بأمر الشيخ زايد -رحمه الله- في مدينة العين.

ومن الحيوانات المحلية الهامة أيضاً التي تأقلمت وتكاثرت أعدادها في الجزيرة الغزال العربي (غزال الجبل) والمعروف لدى سكان الإمارات باسم «الظبي»، والذي سميت إمارة أبوظبي نسبة له، وهذا أيضاً كان من الحيوانات المهددة بالانقراض بسبب قلة المراعي ومظاهر الجفاف السائدة في المنطقة. ومن الحيوانات الهامة أيضاً غزال الريم (ويسمى أيضاً غزال الرمل) الذي يستوطن شبه الجزيرة العربية ويتميز عن أنواع الغزلان الأُخرى بصغر حجمه ولونه الضارب إلى لون الرمال، وعدم وجود خطوط بارزة في خاصرته، وهذا يتوافر بأعداد كبيرة في الجزيرة نتيجة توفر أفضل الظروف الصحية والغذائية له.

ولم تقتصر تربية الحيوانات في الجزيرة على الأنواع الموجودة في شبه الجزيرة العربية، فقد تم استقدام أنواع مختلفة من مناطق متعددة في العالم، منها على سبيل المثال لا الحصر فصائل عدة من الغزلان أهمها الغزال الهندي، وغزال طومسون، وغزال دوركاس، وغزال جرانت (الذي يعود أصله إلى شرقي أفريقيا)، وغزال الماء أو ظبي الماء الذي يعيش قريباً من مصادر المياه ويمكن إيجاده بسهولة في الجزيرة قرب الشواطيء، وظبي ايليترا (وموطنه جنوب أفريقيا)، والظبي الهندي (أو ما يعرف بالبلاك باك).

ومن أهم الحيوانات الأخرى التي تتجول بأعداد كبيرة في أنحاء الجزيرة المختلفة، أو في داخل الحظائر الضخمة الظبي الأسود، والعلند الشائع، وغزال المها، والمها الأقرن الأحدب، والمها الإفريقي (المها أبو حراب، وموطنه الأصلي جنوب أفريقيا)، وأبو عدس، ومها الجمزبوكة (من الهند)، وأيلند أفريقي، والآيل الأرقط، وأمبالا، والايبكس، وهوك دير، وأوريال، وكبش آروى. ويعيش أيضاً في الجزيرة، القنفذ الأثيوبي، والأنتلوب الأسود (وموطنه الهند)، واللاما (أو الجمل الأمريكي) القادم من جنوب أمريكا، والزراف، وأغنام الجبل، والبقر الوحشي، والطهر العربي (تيس الجبل).

وهكذا تعددت الحيوانات البرية في جزيرة صير بن ياس وكثرت أعدادها بعدما تأقلمت في هذا الموطن الجديد الذي توفرت فيه كل احتياجات تلك الحيوانات فأصبحت تعيش وكأنها في موطنها الأصلي. ومثال على ذلك حيوان المها العربي الذي تم إنقاذه من حافة الانقراض قبل بضعة عقود ونراها اليوم تتجول بحرية تامة لعدة كيلومترات على أرض الجزيرة، كما أن سلوكها يؤكد أنها تشعر بالألفة في موطنها الجديد. وكذلك الزرافة، وهي حيوان أفريقي وكانت لها بيئتها المختلفة، نراها أيضا على هذه الجزيرة وقد تكيفت مع الطبيعة والمكان الجديد فكان يبدو عليها الرضا والانبساط وهي تتجول بين أشجار الغابات بهدوء وارتياح تام، وبلغ عددها ٤٤ زرافة بعدما كانت ٥ زرافات في عام ١٩٨٦. وهنا تجدر الإشارة إلى أن جميع الحيوانات على الجزيرة أصبحت تشعر بالأمان والتآلف مع المسؤولين المقيمين وحتى الزوار، إذ أنها قد تعودت على جميع العاملين في الجزيرة وأدركت أنهم يعملون لأجلها

ويقدمون لها كل الرعاية والخدمات اللازمة فأصبحت لا تخاف من البشر. وكنا نشاهد قطعان الغزلان والحيوانات الأُخرى تتجول بحرية من دون الشعور بالخوف أو الهرب من القادمين نحوها.

ولا شك أن هذا التنوع الحيواني يقف دليلاً وشاهداً على الاهتمام الذي كان يبذله الشيخ زايد رحمه الله، وحرصه الشخصي على حماية الحياة البرية، والتي تتمثل بصورة رائعة في المها العربي (الوضيحي) والأصناف الأخرى من الغزلان وغيرها. ولا شك أن تكاثر تلك الحيوانات كان وراءه أيضاً وفرة الخدمات والمتطلبات والاحتياجات الأساسية من الماء العذب النظيف، والأعلاف المختلفة، والبيئة الملائمة، والأطباء البيطريين المتخصصين، وكل ذلك أدى إلى تكاثر الحيوانات بصورة كبيرة وأصبحت تعيش على أرض الجزيرة إما طليقة تتجول بحرية تامة في مناطق الجزيرة المختلفة وترعى من الحدائق والغابات المفتوحة، أو داخل غابات مسيجة واسعة. وتمثل الجزيرة اليوم فرصة ذهبية للدارسين والباحثين في علوم الحيوان، إذ يمكن مراقبة سلوك الحيوان عن قرب ومعرفة طبيعة حياته.

صورة ٧/٢٠ (أ، ب، ج). الغزال الهندي (أ)، والغزال العربي «الريم» (ب، ج).

صورة ٢١/٧ (أ، ب، ج). الغزال الإفريقي المنقط (أ)، البقر الإفريقي (ب)، وأبو عدس (ج).

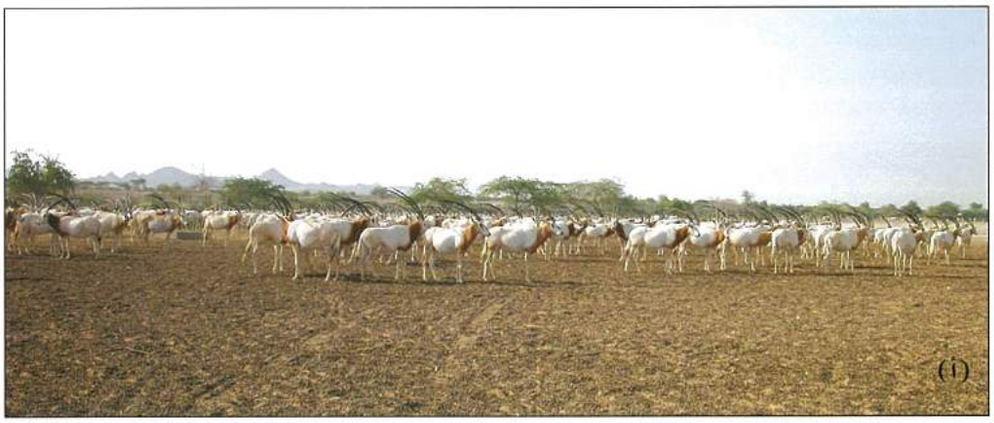

صورة ٢٢/٧ (أ، ب، ج). حيوان المها، (أ، ب) المها الإفريقي، (ج) المها العربي.

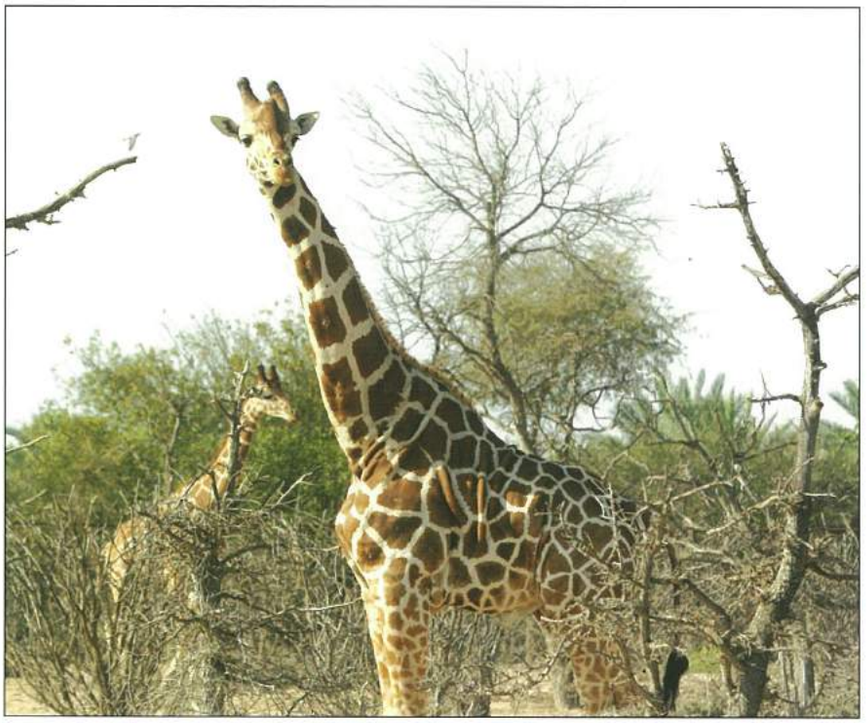

صورة ٧/٢٣. الزرافة إحدى الحيوانات التي تأقلمت وأولدت على أرض الجزيرة.

صورة ٧/٢٤. طائر النعام أحد الطيور التي تكاثرت في الجزيرة.

٧-٦ تنوع الطيور

يعيش في جزيرة صير بني ياس أعداد كبيرة من الطيور النادرة، وتتزايد أعدادها باستمرار وذلك لتوافر الأجواء الملائمة للحياة والتكاثر على الجزيرة، إذ تشكل أشجار الفاكهة، والغابات، وأشجار القرم المتواجدة على السواحل توافر الغذاء والظل والمأوى لتلك الطيور، كما تشكل أحواض المياه العذبة المنتشرة هنا وهناك، وبرامج الغذاء المقدمة للحيوانات البرية عوامل جذب أخرى للطيور المهاجرة التي تمر بالمنطقة أثناء هجراتها. ومن الأجواء الملائمة الأخرى للتكاثر في الجزيرة العناية الطبية وخاصة للطيور المرباة والتي تسمى بالمستديمة. أضف لذلك تواجد أجهزة ومعدات مختلفة الأحجام والأنواع تستخدم في حضانة بيض الطيور المختلفة وهذه قد أسهمت في زيادة أعداد الطيور بالجزيرة بصورة ملحوظة.

وتشير إحصاءات الدائرة الخاصة لوجود حوالي ٨٦ نوعاً من الطيور المختلفة معظمها من الطيور المهاجرة(٧/٥، ٧/٨) وتختلف الأعداد باختلاف الأنواع، فبعضها يعد بالآلاف والآخر يصعب حصره نظراً للزيادة المضطردة في تكاثره ونموه، حيث أن الظروف البيئية والعناية البيطرية المقدمة تساعد على تضاعف تلك الأعداد.

وفي الجزيرة نوعان من الطيور وهما المستديمة، والمهاجرة. فأما المستديمة فقد تمت تربية أنواع مختلفة منها، خاصة الطيور المهددة بالانقراض بعد استجلابها من مناطق مختلفة من العالم. ومن أهم أنواع الطيور المستديمة طائر الحبارى الذي كاد يصبح نادراً في بيئة الإمارات لولا هذه المحميات، ويتم تربيتها في الجزيرة في منطقة بالقرب من الساحل، وهي منطقة يحظر على الزائرين ارتيادها بسبب حاجة تلك الطيور إلى الخلوة والخصوصية حتى تتوفر لها الفرصة والظروف الملائمة للتوالد بنجاح في الأسر. ويعتبر ذلك الطائر من أهم الطيور لدى سكان الإمارات كونه كان جزءً هاماً من تراث الصيد بالصقور الذي مارسه أبناء المنطقة في الماضي، لذا فإنه قد حظي باهتمام خاص من قبل الشيخ زايد رحمه الله.

ومن الطيور المستديمة الهامة الأخرى المتواجدة على الجزيرة طائر النعام الإفريقي، الذي يمت بصلة قرابة للنعامة العربية التي انقرضت للأسف من البرية.

كما تضم الجزيرة النعام الصومالي، والكيني، وطائر «الأمو» الأسترالي الذي يشبه النعامة لكنه أصغر حجماً منها، وطائر الرية الذي يعيش في جنوب أمريكا، وحجل شوكار، وذيال، والبلابل، والطاووس، ودجاج الوادي، والحمام بري، والسمان، إضافة إلى أنواع مختلفة من البط الذي يعيش في ثلاثة أحواض كبيرة للمياه العذبة متوسط طول الحوض ألف متر تقريباً، والإوز المصري، وطائر الدراج الرمادي والأسود، وطائر الحجل، والصقور، وجميع تلك الطيور يتم الآن تكاثرها بنجاح في الجزيرة.

أما الطيور المهاجرة المتواجدة في الجزيرة فهي كثيرة وتتوالد بنجاح على أرضها، وتشكل النسبة الأعلى من أنواع الطيور في الجزيرة، ولعل أبرزها طائر الفلامنجو (ويسمى أيضاً بالفنتير)، ويتجمع في أعداد كبيرة في بحيرات اصطناعية وفي البرك الضحلة التي تحميها أشجار القرم من تيارات المد والجزر. ومن أبرزها أيضا طيور الرهو، وطيور النورس، وطيور الزينة، والبلبل ذو الخد الأبيض، وكروان كرين (طائر الكاركي) التي استقرت في الجزيرة لتوفر الظروف الملائمة لها. وعند زيارة الجزيرة يمكن مشاهدة الأنواع المختلفة من الطيور وهي تعيش بأمان في المنطقة لتشكل صورة من صور الجمال المتكررة في الجزيرة.

كما تحتوي الجزيرة أيضاً على مزرعة دواجن لإنتاج اللحوم البيضاء، والبيض، ومزرعة لأنواع مختلفة من طيور الفري والتي تزيد أعدادها في الوقت الحاضر عن خمسة وعشرين ألف طائر. وعندما تتجول في تلك الغابات تسمع غناء وأهازيج الطيور المختلفة معطية للزائر انطباعاً حول مدى تنوعها على تلك الجزيرة، منها شقشقة العصافير، وغناء البلابل، وهديل مختلف أنواع الحمام البري، وصفير الدراج الأسود، ودمدمة الغرغر (الدجاج الحبشي).

٧-٧ صور أخرى من عبقرية زايد في الجزيرة

بل تُتْرَك تربتها دون مساس

عندما قرر الشيخ زايد -رحمه الله- صنع «الجزيرة الخضراء» لتكون قاعدة للتجارب الزراعية تلحق بجزيرة صير بني ياس، كان المقترح السهل لعمليات رَدْم البحر أن يجلب رمل «الدفان» من تربة هضاب وجبال جزيرة صير بني ياس إلا أنه أبى ذلك حفاظاً على تربتها وقال: «بل ينقل رمل الدفان من خارج الجزيرة وتترك تربتها دون مساس». وبالفعل تمت عمليات الرَدْم كلها من تربة جلبت من اليابسة، وبمساحة كبيرة قدرها ١٠ كيلومترات مربعة ضمت ٣٢ مزرعة زرعت بمختلف أشجار الفاكهة. وبهذه الطريقة صنع زايد الجزيرة الخضراء من تربة جديدة أحضرها من خارج الجزيرة، وترك تربة الصير محافظ عليها دون نقص. وهذا في حد ذاته عبقرية من عبقريات زايد في تحدي الصعاب، فكان -رحمه الله- إذا أراد شيئاً فعله، وسهل الله له كل شيء من حوله.

صورة ٢٥/٧. الأرض الجديدة التي صنعها الشيخ زايد وألحقها بأرض الجزيرة لتكون قاعدة للتجارب الزراعية، وقد نقلت تربتها بالكامل من اليابسة للمحافظة على تربة الجزيرة من أي نقص.

الحيوانات على الجزيرة تسرح وتمرح في سلام و اطمئنان

بطبيعة الحيوانات البرية أنها تخاف من الإنسان، وخاصة إذا اقترب منها أحد، ولكني رأيتها على أرض تلك الجزيرة قد خفت حدة تلك الخاصية في بعض الحيوانات وفي البعض الآخر تلاشت تماماً.

وفي تجوالي في الجزيرة، وكان يرافقني اثنان من المسؤولين وقبطان البارجة البحرية المقدم البحري سالم راشد، وكان هو من يقود السيارة وكنت أجلس إلى جانبه ونحن نسير في طرقات الجزيرة، رأيت غزالاً صغيراً يمشي بهدوء واطمئنان بالقرب من أحد الشوارع فقلت للقبطان توقف لآخذ صورة له، فاقتربت منه بقدر كبير وأخذت له عدة صور وهو ينظر إليَّ ثم لا يُلْق بالاً ويستمر في الأكل والمشي، فتساءلت لماذا لم يهرب هذا الغزال عندما اقتربت منه للتصوير، فقال لي وهو يبتسم: «هذا الغزال ما يخافك، ويقول لك أتحداك أن تلمسني، أنا في حماية بو خليفة». وهنا بدأ المسؤولون الحديث عن حجم تلك الحماية التي وفرها الشيخ زايد لتلك الحيوانات على أرض الجزيرة، ومنها سَنّ القوانين والنظم التي تخدم جميع حيوانات وطيور الجزيرة وتوفر لها سبل الراحة والهدوء والسلامة والاطمئنان. ومثال على ذلك عدم تجاوز السيارات سرعة ٣٠ كيلومتراً في الساعة على شوارع الإسفلت، وأقل من ذلك في الشوارع الترابية. وعند الاقتراب من الحيوانات يجب الإبطاء وتخفيض السرعة أقصى ما يمكن. وعند رؤية أي حيوان قريب من الشارع أو يريد أن يقطع الشارع يجب الوقوف تماماً حتى يقطع الشارع أو يبتعد عنه لأن الأولوية للحيوانات على هذه الجزيرة. ومن بين القوانين السائدة في الجزيرة منع الصيد أو أي ضرر يلحق بحيوان أو طير أو نبات ولو بطريق الخطأ. ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة والغرامة. وكانت تلك القوانين من الشيخ زايد قد خلقت ألفة غير طبيعية في أوساط الحيوانات، وهذه نابعة من حب زايد للحيوان، ولهذا شعر ذلك الغزال أن كل من يعمل في هذه الجزيرة إنما يعمل لخدمته ورعايته وبأوامر من الشيخ زايد فاطمأن.

لقد لمست من ذلك المشهد أن الحيوانات البرية على أرض الجزيرة قد فهمت بالفعل القوانين التي أمر بها الشيخ زايد جيداً فاطمأنت على نفسها، وأدركت أنه لا أحد يجرؤ أن يؤذيها بشيء،

صورة ٢٦/٧. الغزال العربي (الريم) يسرح بسكينة في طرقات الجزيرة.

فوَجَدَت السكينة والاطمئنان. وهكذا فإن سياسة الشيخ زايد لم تهدف إلى حماية تلك الحيوانات والمحافظة عليها من الانقراض فحسب، بل توفير السكون والهدوء لها في الجزيرة.

والجدير بالذكر أن الحماية التي وفرها الشيخ زايد للكائنات الحية في تلك المحمية شملت أيضاً الكائنات التي تعيش في المياه القريبة من الجزيرة، فمن القوانين التي أمر بها -رحمه الله- حظر صيد الأسماك في مياه البحر القريبة من شاطيء الجزيرة، وحددت المسافة الممنوع فيها الصيد بـ ٨ ميل بحري من سواحلها. وهذه إشارة إلى أن هناك محميات بحرية حول الجزيرة ينبغي أن لا تلمس.

ويقول الكاتب البريطاني مارك جريفيتس الذي زار الجزيرة ونشر عنها مقالة في «التايمز» اللندنية في ٢٢ مايو ٢٠٠٤: «ترعى الحيوانات بأمان في جزيرة في الخليج العربي، وذلك بفضل رجل يتمتع بالبصيرة وبعد النظر، حيث أنه قبل ثلاثين عاماً كانت بعض هذه الحيوانات مثل المها العربي، والغزال الجبلي في قائمة الحيوانات المهددة بالانقراض مثلها مثل حيوان الباندا والحوت الأزرق حسب قوائم الحركات المهتمة بالمحافظة على الحيوانات، وكان هناك عدد قليل جداً من هذه الحيوانات على قيد الحياة». ويضيف: «إن هذه الحيوانات توجد اليوم بالآلاف في هذه الجزيرة ترعى وتمرح بين الغابات الكثيفة» (٢/٧).

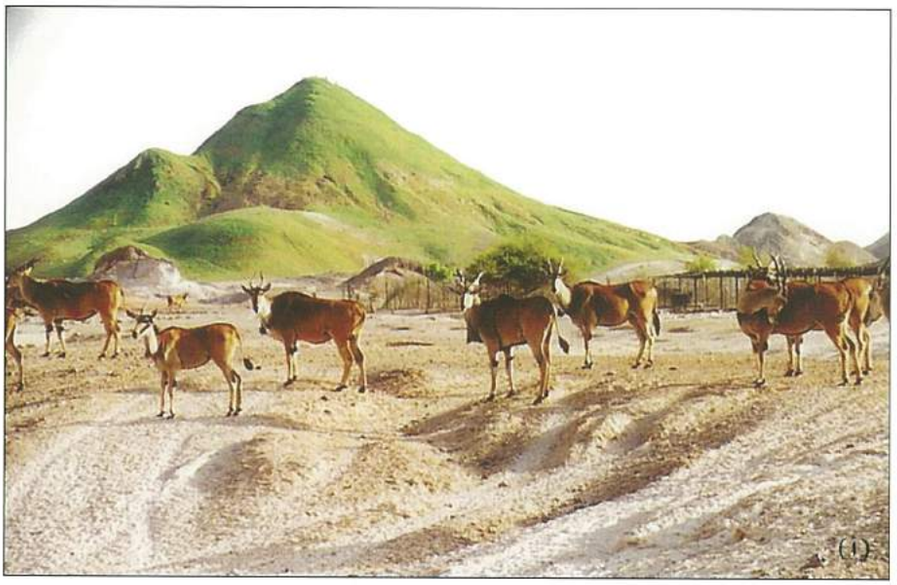

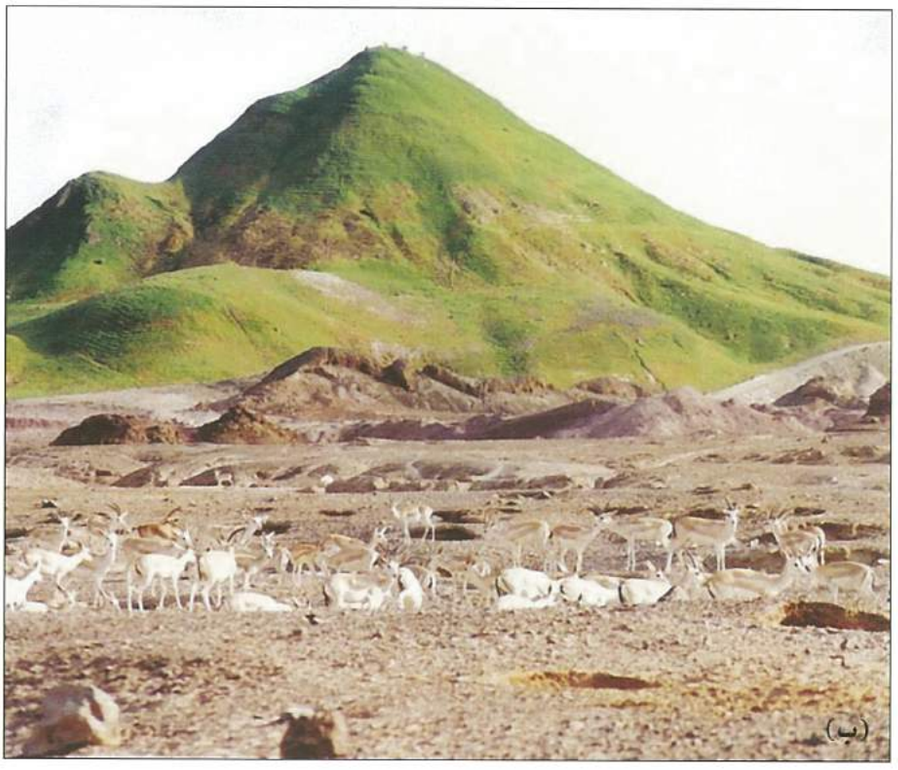

صورة ٢٧/٧ (أ، ب). الحيوانات البرية تتمتع ببيئة جميلة وسليمة في جزيرة صير بني ياس، وتتنقل في مناطقها المختلفة في أمن وسلام.

«حد يطرد ضيوفه»

وعلى جزيرة صير بني ياس استطاع الشيخ زايد بعبقريته أن يجذب أعداداً كبيرة من الطيور المهاجرة حتى أصبحت تشكل النسبة الأعلى من الأنواع الموجودة فيها والتي تقدر بحوالي ٨٦ نوعاً. والأعجب من ذلك أن كثيراً من تلك الطيور المهاجرة استقرت في الجزيرة ولم تغادرها بعدما رأت الخير فيها.

ومن أشهر الطيور المهاجرة التي استقرت في الجزيرة وأصبحت تتكاثر بمعدلات كبيرة طائر الفلامنجو المعروف محلياً بطائر الفانتير. ومن بين ما قدم أيضاً واستقر طائر الحمام الزاجل، والتي تكاثرت بمعدلات كبيرة فكثر زلقها وأصبح ظاهرة غير مرحب بها. وفي يوم من الأيام قالوا للشيخ زايد، وكان في ذلك اليوم صافي البال ويمكن أن يطرح عليه مثل تلك الشكوى ضد الحيوان، قالوا: «يا طويل العمر، خَيَّسْتْنا هاذي الحمام»، وكأنهم يشيرون عليه بالتخلص منها أو طردها من أرض الجزيرة، فرد عليهم بكلمة بسيطة فيها معان كثيرة، قائلاً: «حد يطرد ضيوفه»، فأمر بعمل بيوت خاصة لها في مختلف مناطق الجزيرة.

صورة ٢٨/٧ (أ، ب).
بيوت خاصة للحمام أمر الشيخ زايد بتوفيرها في مناطق مختلفة على أرض الجزيرة.

عامل لا يجيد العمل على الجزيرة

في يوم من الأيام كان الشيخ زايد يتفقد بسيارته المشاريع الزراعية على أرض الجزيرة، فرأى عاملاً لا يجيد الحراثة ولا استخدام الشيول، فوقف -رحمه الله- وأخذ يشرح له نظرياً كيف يجب أن تكون الحراثة، وكيف يجب أن يمسك بالشيول، وأخذ العامل يجرب ما يقوله الشيخ زايد فلم يستطع أن يجيد ذلك. بعدها نزل الشيخ زايد من سيارته وأخذ يشرح للعامل عملياً، ويقول له يجب أولاً أن تمسك الشيول بالطريقة هذه ثم تفعل كذا وكذا. وفي هذه القصة معان ودروس عظيمة من هذا القائد.

ولمزيد من القصص والمواقف ذات المعاني والدروس العظيمة، والتي تظهر عبقرية الشيخ زايد في الزراعة والبيئة فإني أدعو القارىء الكريم الرجوع إلى فصل (صور أخرى من عبقرية زايد).

الفصل الثامن

المحافظة على الموروث الزراعي

٨-١ حب زايد واهتمامه بواحات العين بقي في قلبه حتى النهاية

٨-٢ أبناؤه يحافظون عليها

٨-٣ واحات العين ودورها الاجتماعي

٨-١ حب زايد واهتمامه بواحات العين بقي في قلبه حتى النهاية

لقد تحدثنا في فصل سابق، وبالتحديد عند مناقشة (عبقرية زايد الزراعية في مدينة العين)، عن الدور الكبير الذي لعبه الشيخ زايد -رحمه الله- في تطوير واحات العين وأفلاجها في فترة حكمه للمنطقة الشرقية والتي امتدت من عام ١٩٤٦-١٩٦٦ حتى أصبحت ممتدة الخضرة، وافرة الإنتاج، الأمر الذي أسهم في تحسن أوضاع السكان واقتصاد المدينة. وفي هذا الفصل سوف نناقش مظهراً آخراً من مظاهر عبقرية الشيخ زايد الخضراء، عنوانه المحافظة على الموروث الزراعي.

إن اهتمام الشيخ زايد بواحات العين وحبه لها لم يكن يقتصر على تلك الفترة الحرجة من تاريخ الإمارة أي عندما كانت تلك الواحات تشكل مصدر الدخل الرئيس لسكان المدينة وقُراها، بل ظل اهتمامه وعشقه لتلك الواحات وأفلاجها مستمراً حتى توفي رحمه الله، وهذا ما يتميز به ذلك القائد عن غيره من الزعماء، وهذا ما سوف نراه من قراءتنا لهذا الموضوع في هذا الفصل.

لم تكن المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقه كرئيس للدولة وحاكماً للإمارة تنسيه واحات العين السبع، ولم تكن مشاريع التنمية والتعمير المتسارعة بالأمر الذي يغريه بالتخلي عن تلك الأراضي واستثمارها في مشاريع جديدة تدر أموالاً طائلة كونها تقع في قلب المدينة، يحيط بها العمران من كل صوب. ولو كان قد فعل ذلك فالأمر طبيعي، ولن يعتب عليه أحد، لأنه سوف يستثمر تلك الأراضي في مشاريع تنموية أخرى، كما أنه لن يكون الزعيم الوحيد في المنطقة الذي يخطو تلك الخطوة بل سبقه إليها آخرون. فهناك واحات عديدة في مدن كثيرة في منطقتنا العربية وقد بُدّلت أراضيها واستثمرت في مشاريع مختلفة. لكن زايد زعيم ذو فكر مغاير تماماً عن الآخرين، وينظر للأمور بعين مختلفة، لا تغريه الأموال، ولم يوصف كأحد أبطال الأرض إلا لأنه كان ينظر للأرض نظرة مغايرة عن المألوف. ويفاجيء زايد الجميع: هذه الواحات يجب أن تبقى، ويجب أن يحافظ عليها من أي تدهور، أو إهمال، أو نقص في مساحاتها، أو استثمار لأراضيها لأي أمر كان غير الزراعة. وبهذا ضرب الشيخ زايد درساً عظيماً آخراً للشعوب في كيفية المحافظة على تراثها ومقدراتها التاريخية. بل أكثر من ذلك فقد وجه -رحمه الله- بالمحافظة على الواحات من كل سوء، والعناية بها وبنخيلها وبأفلاجها. لذلك فقد وجه بلدية العين بإنشاء قسم خاص بالأفلاج سُمي (قسم الأفلاج) لكي يشرف على واحات العين وأفلاجها، وعين لذلك القسم رئيساً من ذوي الاختصاص هو السيد عبدالله بن هلال الكويتي رحمه الله، وكان ذلك مع نهاية الستينيات من القرن الماضي، كما يروي السيد سلطان بن أحمد الكويتي رئيس القسم في الوقت الحالي (١/٨). ولقد تم تعيين لجنة في هذا القسم سميت بـ (لجنة الأفلاج) بها أناس من ذوي الاختصاص والخبرة في شؤون الأفلاج. ومهمة تلك اللجنة الإشراف على واحات العين كاملة وعلى أفلاجها، ومتابعة ما تتطلبه هذه الواحات والأفلاج من صيانة وخدمات. وتم أيضاً تعيين مراقبين وعمال للقيام بري مزارع النخيل وتنظيف الأفلاج على نفقة الشيخ زايد -رحمه الله-، حتى أصبح المواطن المالك لحيازة زراعية في تلك الواحات لا يتحمل أي عناء أو مال للصرف على مزرعته إكراماً لتاريخها وعطاءها في الماضي.

كما وجه -رحمه الله- بتسويق تمور الواحات، وكان لهذا الأمر صداه الكبير بين المواطنين الذين زاد تمسكهم بها، وتعلقت قلوب أبنائهم أيضاً بها، فزاد اهتمامهم بمزارعهم وبأشجار النخيل، فأصبحوا يغرسون في مزارعهم أصنافاً جديدة منها، وكل ذلك يرجع لحكمة الشيخ زايد في المحافظة على واحات العين من الضياع، وبهذه السياسة حافظ الشيخ زايد على الموروث الزراعي في الدولة، وأعطى هذا القائد الفذ صورة أخرى عظيمة من صور عبقرياته الخضراء.

صورة ٢/٨. مشاهد مختلفة لواحة نخيل العين، ٢٠٠٥.

صورة ٨/٣ (أ، ب). مازالت أفلاجها، التي رعاها الشيخ زايد في العهد القديم، تتدفق بالمياه العذبة لتروي واحات العين السبع وتمدها بالحياة.

صورة ٨/٤. أحد العمال المكلفين من قبل بلدية العين لخدمة الواحات، وهنا يقوم العامل بسقي البستان بماء الفلج.

صورة ٨/٥. مازالت أشجار نخيل واحات العين تنتج أصنافاً مختلفة من التمور.

٨-٢ أبناؤه يحافظون عليها

لقد غرس الشيخ زايد -رحمه الله- ثقافة المحافظة على الموروث الزراعي في مجتمع الإمارات وذلك بدعوته للمحافظة على واحات العين والمواقع التاريخية في المدينة. ولقد نهل من هذا الفكر الراقي أبناؤه الكرام، وتأصل فيهم، وهذا ما سوف نراه في توجيهاتهم وقراراتهم التي من شأنها الحفاظ على تلك الواحات من الاندثار وحماية نخيلها وبساتينها القديمة من الضياع، والتي من شأنها أيضاً حماية أراضيها ووقف الزحف العمراني عليها والعمل على إبراز معالمها وإظهارها بشكل يحفظ لمدينة العين طابعها التراثي المميز.

خليفة بن زايد يصدر أوامره بتطوير واحات النخيل في العين

في منتصف التسعينيات من القرن العشرين أعطى صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان -حفظه الله- أوامره بتطوير واحات مدينة العين كلها بهدف تجميلها وتحسين مستواها والمحافظة عليها من أي إهمال، وذلك اعترافاً بفضل تلك الواحات على أهل العين عبر أجيال سابقة حيث أمدتهم بالظل والغذاء.

ولقد تضمن مشروع تطوير واحات العين إقامة أسوار جميلة وأبواب خشبية على الطراز القديم لكل مزرعة في الواحة، وممرات واسعة مرصوفة بالأحجار الصناعية تربط أجزاء الواحة بعضها ببعض. وتضمن المشروع أيضاً إنشاء مظلات وأماكن للجلوس، واستراحة متكاملة الخدمات ومزودة بكل وسائل الراحة للزائرين والسائحين الذين يفدون إلى تلك الواحات. وروعي في هذا المشروع أن تكون كل عناصر الواحة، وموادها وأشكالها متناغمة ومنسجمة لوناً وشكلاً وتصميماً مع طابع الواحة القديم. وهكذا فإن وحدة الطابع المعماري التراثي تفرض نفسها في كل منشآت ذلك المشروع ومبانيه. وبهذا المشروع أصبحت واحات العين تحفها أسوار جميلة موحدة، بعدما كانت تحفها جدران قديمة من طين قد تهدم جزء كبير منها فاستبدله الملاك بأشكال مختلفة من البناء كانت غير منسجمة مع بعضها البعض وبارتفاعات غير متناظرة لا تليق بالواحة. كما أن بعض من ملاك الواحات قد تركوا بساتينهم بدون أسوار بعدما تهدمت جدران مزارعهم بسبب القدم. وأقام البعض منهم أسواراً من سعف النخيل مما سبب حرائق في بعض الأحيان كما يروي ذلك السيد علي سيف الناصري، الوكيل المساعد السابق في دائرة بلدية العين. ومن نتائج ذلك المشروع الجميل أيضاً أن الطرقات في واحات العين كلها قد أصبحت واسعة ومرصوفة بأحجار صناعية (الباسكو) الجميل بعدما كانت ضيقة للغاية، وكانت طينية يتطاير منها الغبار عند مرور السيارات عليها، مما يؤذي المارة ويصيب أشجار النخيل بالضعف وخاصة المحاذية للممرات. أما الآن فيمكن للمزارع أو السائح أن يدخل بسيارته إذا أراد، أو يمشي على هذه الطرق النظيفة دون ضير. كما أصبحت

صورة ٨/٦. صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة.

سيارات البلدية الثقيلة تدخل الواحات بكل سهولة لتقوم بتقديم الخدمات الزراعية المناطة بها. كذلك فقد أعاد المشروع بناء قنوات الأفلاج، فأصبحت أفلاجاً قوية ومغطاة في بعض من أجزائها وتروي النخيل بكفاءة عالية بعدما كانت تتعرض للانهيار المتكرر بسبب ضعف أسقفها.

ويعكس هذا المشروع رقي الفكر عند إنسان هذه الأرض، الذي أثبت وفي مواقع مختلفة أنه لا يتخلى عن تاريخه وموروث حضارته التي صنعها أجداده من قبل، بل يسعى لصونها والمحافظة عليها مهما تكن التكلفة، لأنها تشكل لجيله وأبنائه معانٍ كثيرةٍ أهمها إبقاء تراث الأجداد وكفاحهم لأبنائهم ينهلون منه الدروس والعبر. ولذا فان هذا المشروع الذي جرى في واحات نخيل العين قد روعي فيه أن يكون له الملامح المعمارية القديمة للعين ذاتها، ويستمد مظهره من أسوار قلاعها ومبانيها القديمة. وأصبح السور الجميل حاضناً لنخيل العين القديمة وحامياً لها من زحف الإعمار ومشاريع التطوير في المدينة. وفي الواقع فإنه يحمي معها قطعة عزيزة ونادرة من التاريخ على أهل العين، وثروة غالية من تراث الآباء والأجداد.

صورة ٨/٧(أ، ب). ممرات مرصوفة واسعة تربط أجزاء الواحة بعضها ببعض، وأسوار جميلة وأبواب خشبية على الطراز القديم لكل مزرعة.

محمد بن زايد يصدر قراراً للحفاظ على واحات النخيل في العين

وفي ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٥، وبناءً على توجيهات صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة حفظه الله، أصدر الفريق أول سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، رئيس المجلس التنفيذي -حفظه الله- قراراً منظماً وشاملاً للمحافظة على واحات النخيل بمدينة العين.

وحددت المادة الأولى من القرار واحات نخيل العين القديمة وهي: واحة نخيل العين الرئيسية، وواحات نخيل القطارة، والجيمي، وهيلي، والمعترض، وتعتبر حدودها وحرمها كما هي موضحة بالمخططات والخرائط المصدقة من سمو ولي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، رئيس المجلس التنفيذي، والملحقة بالقرار، وعلى دائرة البلديات والزراعة-بلديةالعين وضع الإجراءات والضوابط والمعايير التخطيطية والتطويرية التي من شأنها الحفاظ على تلك الواحات من الاندثار ووقف الزحف العمراني عليها والعمل على إبراز معالمها وإظهارها بشكل يحفظ لمدينة العين طابعها التراثي المميز كمدينة حاضنة للواحات القديمة.

ونص القرار على أنه لا يجوز بأي حال تغيير استعمال أراضي النخيل بالواحات، ولا يسمح بإقامة أي مبان أو منشآت جديدة داخل أراضي النخيل أو في حدود الواحات إلا بأوامر سامية وبشروط محددة، ولا يسمح بتأجير أي منشآت أو مبان قائمة داخل حدود الواحات أو استخدامها لأي غرض لا يخدم الواحات.

وحظر القرار المساس بالمعالم التراثية أو المباني والمنشآت القائمة داخل حدود الواحات أو المتاخمة لها، أو إجراء أي تغييرات أو صيانة لها قبل الحصول على رخصة بذلك من دائرة البلديات والزراعة - بلدية العين - شريطة أن تكون هذه المباني والمنشآت ضرورية لخدمة النخيل ومستوفية للشروط التخطيطية والهندسية والمعايير المحددة للواحات من قبل دائرة البلديات والزراعة - بلدية العين، وهيئة أبوظبي للثقافة والتراث، وهيئة أبوظبي للسياحة. وكلف القرار دائرة البلديات والزراعة - بلدية العين بحصر جميع المنشآت والمباني القائمة داخل حدود الواحات أو المتاخمة لها وتقييم آثارها السلبية على الواحات ووضع خطة لمعالجة هذا الأمر

صورة ٨/٨. الفريق أول سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة.

ورفع التوصيات المناسبة بشأنها.

وبموجب القرار يمنع منعاً باتاً إزالة أي صنف من أنواع النخيل القائمة داخل حدود الواحات إلا بعد موافقة الجهات الرسمية بقسم الأفلاج بدائرة البلديات والزراعة - بلدية العين، كما يمنع زراعة أي أشجار دخيلة على الواحات ضماناً للحفاظ النوعي للواحات واستمراريتها وتأكيد طابعها الأصلي (٢/٨).

وتضمن القرار أنه يجب على أصحاب النخيل داخل الواحات الاهتمام بنظافة وصحة نخيلهم والعناية بها، وإبلاغ دائرة البلديات والزراعة - بلدية العين فوراً عند ملاحظة إصابة نخيلهم بأية آفة أو مرض، كما يجب عليهم تجميع ووضع مخلفات بساتينهم في الأماكن المخصصة لذلك من قبل بلدية العين، ويمنع منعاً باتاً حرق المخلفات داخل حدود الواحات أو في المساحات المتاخمة لها،

ويجب على بلدية العين توفير إجراءات الوقاية والحراسة اللازمة (٨/٢).

كما كلف القرار بلدية العين بمسؤولية تنظيم ومراقبة وإدارة وسقي النخيل بالواحات وفق الأسس المتعارف عليها في تقسيم وتوزيع مياه الأفلاج وجداول المياه والجدران، ورصف الممرات وطرق الخدمة العامة داخل الواحات، وعلى المراقبين بدائرة البلديات والزراعة - بلدية العين متابعة تنفيذ هذا القرار.

ووفقا للقرار يجوز لهيئة أبوظبي للسياحة ضمن خطتها الترويجية لمدينة العين استثمار واحات النخيل من الناحية السياحية، كما يجوز دراسة وتقديم مقترحات لتطوير المساحات الفضاء الداخلية أو المحيطة بها بالتنسيق مع دائرة البلديات والزراعة - بلدية العين مع المحافظة على حقوق الملاك وبما لا يتعارض مع مواد القرار (٨/٣).

وبهذه القرارات الحكيمة التي أصدرها أبناء زايد -رحمه الله-، أصبحت واحات العين في الوقت الحالي منطقة سياحية تتميز بها مدينة العين عن بقية مدن الدولة، وأصبحت مقصداً للسواح من مختلف الدول. وأصبحت الواحات الآن تحيط بها البنايات ومشاريع التنمية من كل صوب دون أن ينقص منها شيء، معززة مكرمة، ومحفوظة ومصانة على الدوام، بسبب السياسة الحكيمة لقيادة هذه البلاد.

صورة ٨/٩. أصبحت واحات العين وجهه سياحية جميلة تميزت بها المدينة عن غيرها من مدن الخليج العربي.

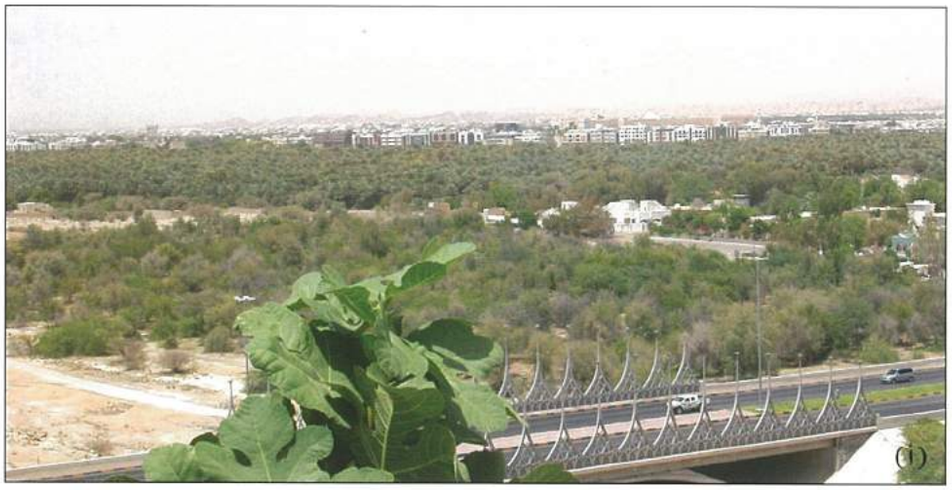

صورة ٨/١٠(أ، ب، ج). مشاهد من الأعلى لواحة نخيل العين تظهر أثر قرارات القيادة السياسية في دولة الإمارات في المحافظة على الواحات من الزحف العمراني.

٨-٣ واحات العين ودورها الإجتماعي

في الحقيقة، لم يكن الاهتمام الزائد بواحات العين من قبل الشيخ زايد -رحمه الله- وأبنائه الكرام -حفظهم الله- بالشيء المستغرب. فَلِواحات العين أهمية كبيرة ومكانة خاصة في نفس الشيخ زايد وأبنائه وأهالي العين وجميع أبناء الإمارات، وذلك لما قدمته تلك الواحات في الماضي من خير وعطاء لإنسان هذه الأرض. كانت واحات العين في فترات سابقة من حياة مجتمعنا أهم مصادر العيش والإيواء، فكانت توفر مكاناً يتقي به السكان حر الصيف، نظراً لاعتدال جوها وطيب هوائها، ونقاء وبرودة ماءها، لذلك كان سكان مدن الساحل أيضاً، وخاصة أهل أبوظبي الذين يمتلك أغلبهم منازل في العين، يتوافدون عليها في فصل الصيف للاستمتاع بجوها اللطيف تحت ظلال نخيلها المثمر ومياهها الصافية.

كما أن تلك الواحات في ذلك العصر قد لعبت دوراً بارزاً، وكانت مركزاً للتزاور والالتقاء بين الأقارب والمعارف، فكانت تفتح أذرعها لسكان الإمارات وتضمهم بأحضانها لتمدهم بثمرها ومائها وظلها في فصل الصيف، عندما تشتد الحرارة والرطوبة عليهم في مناطقهم. فكان أهل العين يستضيفون أقاربهم ومعارفهم من سكان المدن الساحلية الأخرى كأبوظبي، ودبي، والشارقة في بيوت خاصة كانوا يعدونها لاستقبالهم في الواحات، حتى إذا ما حل الشتاء غادروا العين إلى مدنهم على الساحل وهكذا كانت هذه الواحات مظلة الصيف لأبناء الإمارات، وسلة الغذاء الذي اعتاد أهلها أن يمدوا أهل الساحل بما تنتجه من فواكه وخضار وحبوب.

ويذكر الأجداد عن حياة الماضي في تلك الواحات أنه إذا أقبل الصيف وطابت الثمار التي تنتجها تلك الواحات، وأهمها التمور، والليمون، ومحاصيل الحبوب وفي مقدمتها القمح والشعير، قام أهالي العين بجمع هذه المحاصيل من مزارعهم في الواحات، بعدها يتم توزيع عشر المحصول على المحتاجين والفقراء وإهداء بعضه للجيران والأقارب، فكانت تلك العادة صورة رائعة للتراحم والتعاون والتكافل الاجتماعي الذي هو سمة عظيمة من سمات الدين الإسلامي العظيم. أما بقية المحصول والذي يزيد عن حاجاتهم فكانوا يتاجرون به في أسواق سواحل الإمارات حيث يحملونه على ظهور الإبل إلى تلك الأسواق وهناك يقومون ببيعه ويشترون بثمنه سلعاً أخرى كالقهوة والرز والثياب (٤/٨). ويذكر السيد سلطان بن أحمد الكويتي أن سكان مدينة العين في الماضي كانوا يقومون بتحميل التمور والليمون والسفرجل وغيرها من أنواع الفواكه على ظهور الإبل، ويذهبون بها إلى أبوظبي، ودبي حيث يقومون ببيعها هناك، ويشترون في المقابل الطحين والقهوة والأرز والثياب (٤/٨).

من هنا كان الوفاء من الشيخ زايد وأبنائه لتلك الواحات راسخاً ومتأصلاً، وهو نوع من رد الجميل الذي صنعته الواحات للآباء والأجداد. كان من فكره -رحمه الله- أن تبقى هذه الواحات عامرة وصامدة، محافظ عليها كتراث غالٍ من تاريخ هذه المدينة. وهذا كان فكر زايد، وهذا كان فعله في المحافظة على الموروث الزراعي، فأروني ماذا فعل الآخرون بواحاتهم التاريخية، وفي بلدان كثيرة، كيف أضاعوا تلك الواحات فأضاعوا بذلك تاريخهم وتراثهم وموروثهم الزراعي. لقد انتهت تلك الواحات واختفت من الوجود إما إهمالاً أو طمعاً في مصلحة ما.

وأريد أن أذكر للقارىء مشهداً عايشته بنفسي لمعرفة مدى أهمية المحافظة على تلك الواحات، كونها تشكل تاريخ وموروث إنسان المنطقة. ففي سبتمبر ٢٠٠٥، زارني في مدينة العين صديق عزيز من المملكة العربية السعودية، وهو أستاذ في جامعة المدينة المنورة، ومن بين برنامج الزيارة المعد له زيارة لواحات العين، فأخذته بسيارتي إلى واحة العين، وما إن عبرنا بوابتها الجميلة قال لي توقف من فضلك أريد أن أتجول في الواحة على قدمي. فأوقفت السيارة وأخذنا نمشي على أقدامنا في طرقاتها الظليلة، ثم دخلنا أحد بساتينها وكان العمال فيها يجنون ثمار النخيل، وكانت المياه تجري في أفلاجها. فوقف ذلك الرجل مندهشاً ومسروراً بما يرى، وقال: «والله لقد كانت زيارتي لهذه الواحات خير برنامج.. والله إنك لذكرتني بهذه الزيارة بواحات المدينة المنورة القديمة.. واحات طيبة شرفها الله والتي للأسف لم تعد موجودة الآن بسبب زحف الإعمار على أراضيها.. ذكرتني بأيام طفولتي عندما كنت صغيراً أدخل وأخرج من طرقاتها وأنا ذاهب إلى المدرسة.. يا الله كم كانت تلك الواحات جميلة.. يا للأسف لم تبقَ واحات طيبة القديمة ولم يحافظ عليها». لقد رأيت ذلك الرجل يتكلم بحرقة وأسف شديد على ضياع الموروث الزراعي في طيبة شرفها الله. ثم بدأ يترحم على الشيخ زايد ويقول: «رحمك الله يا زايد.. كم كنت عظيماً في حبك

للزراعة.. وكم كنت عظيماً في محافظتك على هذه الواحات من الضياع». هذا ما كان من قصة ذلك الأستاذ المثقف الذي يُقيِّم الأعمال ويقدرها. ولقد أمضيت معه قرابة الساعة نمشي في تلك الواحة بدلاً من عشرين دقيقة كانت الوقت المخصص لزيارتها.

لم تكن تلك القصة الوحيدة التي شهدتها بنفسي، والتي تعكس أهمية تلك الواحات ليس فقط لأهالي العين والإمارات وإنما لشعوب العالم، فمن قبلها وبالتحديد في ربيع عام ٢٠٠٢ زارني أستاذي الدكتور شارلز إينزوورث من كلية الإمبيريال- جامعة لندن في المملكة المتحدة، فأخذته لتلك الواحات فأعجب بها كثيراً وأخذ يتأمل طويلاً في بساتينها وأفلاجها، ويلتقط الصور لها. لقد سُرَّ هذا الأستاذ أيضاً كثيراً بما شاهده من جمال ونظافة في تلك الواحات. كما أُعجب بفكر الشيخ زايد في المحافظة على هذه الواحات من الضياع.

تلك كانت عبقرية الشيخ زايد في المحافظة على واحات العين التاريخية، وبهذا فهو يحافظ على موروث زراعي عظيم، سيظل حلقة وصل بين أجيال الإمارات وتاريخ آبائهم وأجدادهم القديم. ومازالت واحات العين سخية العطاء، وافرة الظلال، نقية الهواء، تضم في بساتينها أكثر من ٣٧٤ ألف نخلة تنتشر على مساحة زراعية قدرها ٥ مليون متر مربع (جدول ١٥)، (٥/٨). فرحمك الله يا زايد.. كما رَحِمْت واحات العين من الهلاك، وجعلتها عامرة ودائمة العطاء.

جدول ١٥. واحات العين ومساحتها وعدد أشجار النخيل المزروعة بها (٥/٨).

الموقع	المساحة (م٢)	الفلج الذي يغذيها	عدد أشجار النخيل
واحة نخيل العين	١٣٠٨٥٧٨	العيني	٧٩٩٢٠
		الداوودي	٦٧٢٠٠
واحة نخيل المعترض	٥٠٧٠٨٩	المعترض	٤٠٨٦٠
واحة نخيل المويجعي	٣٠٤٤٤٧	المويجعي	٢٠٩٥٠
واحة نخيل الجيمي	١٠٥٣٩٣٧	الجيمي	٧٠٧٤٠
واحة نخيل القطارة	٧٠٤٤٩٥	القطارة	٤٠٨٨٠
واحة نخيل هيلي	١١٢٣٤٥٧	هيلي	٥٤١٤٥
المجموع	٥,٠٠٢,٠٠٣	٧	٣٧٤,٦٩٥

إن العمل الذي نؤديه لوطننا في هذه الدنيا هو خير ما
نذهب به إلى الدار الآخرة.

زايد بن سلطان آل نهيان

الفصل التاسع

المبـــزّرة الخضـــراء

٩-١ في وسط الجبال

٩-٢ فرحة لا توصف

٩-٣ حملة خضراء يقودها زايد

٩-٤ أجمل الأسماء

٩-١ في وسط الجبال

من يرى صورة لـ «المبزرة الخضراء» في مجلة أو جريدة، أو في موقع من مواقع السياحة لن يتخيل على الإطلاق أن تلك صورة لبقعة في دولة الإمارات العربية المتحدة، بل سيذهب به عقله بعيداً لتلك البقاع الموجودة في المناطق الباردة كأوروبا، أو سيتجه به شرقاً لتلك البقاع الاستوائية المطيرة في شرقي آسيا. وتلك صورة أخرى من صور عبقريات زايد الخضراء، لكنها هذه المرة في وسط الجبال. فبعدما اقتحم الصحاري والجزر، وزرع سهولها ورمالها بدأ حملته في تخضير الجبال الغبراء. وفعلاً كانت تلك الجبال المجاورة لجبل حفيت قبل أن يضع زايد يده فيها جبالاً عارية تماماً من اللون الأخضر، وتنعدم فيها الحياة البرية، وتلك صورة متكررة في مناطق جبال العين. لقد كانت تلك المنطقة في السابق أرضاً جرداء تكثر بها الصخور وتحيط بها الجبال الصماء من كل جانب، وليس فيها من الشجر سوى بعض الشجيرات منتشرة هنا وهناك أغلبها من السمر وقد نحلت أغصانها وذهب لونها. وكانت تلك المنطقة يزهد في زيارتها الطير، ناهيك عن البشر إلا لمرورٍ في طريقٍ قريب منها قاصدين الصعود لجبل حفيت، في طريق شقه الشيخ زايد باتجاه قمة الجبل للتمتع برؤية المدينة من عَلٍ.

ولم ييأس الشيخ زايد في البحث عن المياه في تلك المنطقة بالرغم أن محاولاته المتكررة في السابق قد جاءت بنتائج سلبية. فكانت حملاته في تخضيرها تقف دون حراك لانعدام شريان الحياة. لكنه لم ينساها أبداً، ولم تَغِبْ عن باله أبداً. وعلى الرغم من أنه قد وجد ما يعوضه عنها فقد ظلت دائماً حاضرة في ذهنه. وكيف يمكن له أن ينساها وهي تحمل شيئاً من ذكريات الماضي البعيد، ذكريات الطفولة والشباب، ذكريات الفروسية ورياضة الصيد، عندما كان زايد يخرج هو ورفاقه لتلك المنطقة للصيد، فيصعد جبالها، ويمشي في سهولها ووديانها متتبعاً صيده. وكيف ينساها وهي تشكل له عبق التراث القديم. وقد اهتم بها ومنذ زمن بعيد، فيروي السيد بلال خميس بن مبارك الدرمكي أن: «الشيخ زايد ومنذ القدم يولي المبزرة عنايته، وفي عام ١٩٦٤ بنى لها سداً من طابوق وحصى لجمع المياه المنحدرة من الجبل، وعلى ما أذكر قد جاءنا بنّاء بارع من أبوظبي خصيصاً لبناء هذا السد ونحن عملنا معه» (١/٩).

لذا فقد عاود الشيخ زايد في منتصف التسعينيات بحثه عن الماء في تلك المنطقة، ووجه إلى حفر عددٍ من الآبار الاستكشافية في وديانها وبالقرب من سفوح جبالها، وهي مواقع لا تخطر على البال، فاستقدمت لذلك الحفارات العملاقة المتخصصة لمثل تلك المناطق القاسية، والتي لها القدرة أيضاً على الوصول للأعماق البعيدة من طبقات الأرض.

٩-٢ فرحة لا توصف

وبدأ عمل تلك الحفارات، وبدأ زايد يترقب الأخبار السارة تأتيه من تلك المنطقة. وفي يوم من الأيام الجميلة على نفس زايد، أطلت بشائر الخير من ذلك المكان فتفجرت ينابيع المياه من باطن الأرض في شكل نافورة بيضاء، تبشر بخير وفير، ومخزون من الماء كبير، وفي وادٍ غير ذي زرع. ووصل الخبر إلى الشيخ زايد بأن نتائج المسح الجيولوجي في المنطقة تشير على وجود المياه بعمق يتراوح من (٣٢٠-٦٠٠) قدم تحت سطح الأرض وبكميات ضخ ٢٥ ألف جالون في الساعة وتتفاوت درجة العذوبة من (١٨٠٠-٦٠٠٠) جزء في المليون (٢/٩). فكانت فرحته لا توصف، وتهلل وجهه، فتوجه بنفسه لتلك البقعة (في ٤ يوليو ١٩٩٥) ليرى المعجزة (٣/٩)، وليرى كرامة ربه عليه، وليرى نصر الله له وقد آن أوانه، وأن الله قد استجاب لجهوده المخلصة ولنيته الصادقة في تعمير الأرض، ونشر الرقعة الخضراء، في كل مكان ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وهو لاشك عمل يرضي الله ورسوله والخلائق أجمع، فكيف لا يوفقه الله لذلك؟.

وفي يوم تفجر الماء من جبال حفيت، سُر الشيخ زايد كثيراً بذلك الماء، كما سُر أهالي مدينة العين وشعب الإمارات جميعاً به، فكان الخبر ساراً لزايد لأنه عاشق الزراعة والتشجير، وتشكل المياه له الأهمية القصوى في سبيل تحقيق أحلامه فيهما. ولقد حلم الشيخ زايد في السابق في إعمار تلك المنطقة، لكن عدم وجود الماء فيها حال بينه وبين تحقيق حلمه ذاك، واليوم زال ذلك العائق، وأصبح الماء وفيراً تحت جبال حفيت الشامخة، وبات الحلم في تخضير تلك المنطقة الغالية عليه قريباً. أما عن فرحة الشعب فمردها أولاً إلى أن مثل تلك الأخبار تسر قائدهم ورئيسهم زايد، أمير الأفلاج

وعاشق الماء، والأمر الثاني أن الشيخ زايد بالنسبة لهم رجل الزراعة الأول، ورجل البيئة الأول، وراعي النهضة الزراعية في دولة الإمارات، فيوقنون حق اليقين أنه سوف يستثمر تلك المياه في نشر الزراعة والتخضير، وفي قهر الصحراء، وأنه سوف يقدم لهم في تلك البقعة من الأرض لوحة جمالية وبيئية جاذبة بعدما كانت بيئة طاردة، فبالأمس أقام المشاريع الخضراء على الجزر الجرداء بعد أن حلى مياه البحر لها، فكيف هو اليوم وقد وجد ماءً عذباً وافراً وفي منطقة لا زرع فيها؟ لا شك أنه سيقيم شيئاً خيالياً في تلك البقعة من الأرض.

صورة ٢/٩ (أ، ب، ج، د). الشيخ زايد يعاين تدفق المياه من الآبار بمنطقة جبل حفيت (يوليو ١٩٩٥). كانت فرحته بظهور الماء في المنطقة كبيرة، الأمر الذي جعله يتوجه بنفسه لرؤية تدفقه في شعابها.

٩-٣ حملة خضراء يقودها زايد

وبدأ الشيخ زايد حملته بالمنطقة مع بداية ظهور الماء الصالح للزراعة. وكما ذكرنا سابقاً، توجه لمعاينة الماء والمنطقة بنفسه، وعلى الفور أمر بمد الخدمات إليها، وأمر بلدية العين بأن تكون في أتم الاستعداد للشروع في تنفيذ الأفكار التي سوف يطرحها عليها، وبالطبع لابد أن يكون التنفيذ بالسرعة القصوى.

ورجع الشيخ زايد في ذلك اليوم إلي بيته مبتهج النفس، وعقله مشغول يخطط لذلك المكان، ويتخيل ويرسم صورة خضراء لا يتخيلها ولا يدركها من حوله. لم يكن في ذهن الشيخ زايد مجرد أن يقيم أحواضاً يجمع فيها المياه للاستحمام بالماء الحار، أو استراحة صغيرة لزائري المنطقة، بل كان في ذهنه شيء أكبر بكثير مما كان يتخيله الشعب. وباختصار كان يريد أن يحول تلك المنطقة إلى أشهر وجهة سياحية يقصدها البعيد والقريب، تتوفر لهم فيها مختلف التسهيلات والمرافق التي تجعلها تنضم بقوة إلى قائمة وجهات العين ومعالمها العديدة التي أهلتها للتربع على قمة المدن السياحية في الدولة والمنطقة بأسرها وأن تكون مضرب المثل في الإرادة والتحدي وقهر الصحراء.

وعاد الشيخ زايد إلى ذلك المكان ونصب خيمته ليشرف بنفسه على رسم الصورة التي تخيلها للمنطقة، فابتدأت قصة عبقرية أخرى من عبقريات «بطل الأرض»، لكنها هذه المرة في منطقة تكثر بها الجبال والشعاب والوديان.

وبدأت أعمال الشيخ زايد الخضراء تظهر شيئاً فشيئاً أمام أعين الناس الذين كانوا يترددون على المنطقة لمشاهدة المياه الكبريتية وهي تخرج من باطن الأرض وتتجمع في حوض كبير أمر به الشيخ زايد. كانوا فرحين بذلك المنظر، وما كان يزيدهم فرحاً وبهجة وجود الشيخ زايد في ذلك الموقع وهو يخطط ويشرف على الأعمال. وكان -رحمه الله- أحياناً كثيرة يفتح لهم خيمته لاستقبالهم. ويذكرنا هذا المشهد بتاريخ العين القديم، في الأربعينيات، عندما كان الشيخ زايد يشرف ويشارك الشعب في حفر الأفلاج وتطوير الواحات. وفي هذا المشهد الجديد صورة جديدة من صور عبقريات زايد. وما بين الأمس واليوم تاريخ طويل مليء بالبذل والعطاء. وبدا أن وراء ذلك المشهد الذي نراه اليوم رسالة واضحة جلية من هذا القائد للشعب، تقول في معناها إن مشواري القيادي بدأ بالنزول إلى الميدان، والإشراف والمشاركة في الأعمال، وها أنا اليوم وفي السنوات الأخيرة من العمر ترونني في الميدان أُشرف وأشارك في الأعمال مثلما بدأت، وما ذاك إلا لإعمار الأرض. فرحم الله الشيخ زايد، الذي عاد في السنين الأخيرة من عمره ليثبت للشعب أنه ما تعب وما استكان من ذلك العمل، وأنه سوف يختم به عمره، وكل ذلك حُباً للشعب والأرض التي يعيش عليها.

وبدأت المرافق والمشاريع التجميلية تظهر الواحدة تلو الأخرى، وبدأت المنطقة تتزين بتلك المشاريع ويتغير لونها بالتدريج إلى اللون الأخضر. وأول المشاريع ظهوراً بحيرة كبرى رئيسية أسفل منابع الآبار باتجاه الغرب، تبعد مسافة بضع كيلومترات عن آخر بئر باتجاه الشرق والقريب من جبل حفيت الكبير. ويصب في تلك البحيرة مياه الآبار عن طريق قنوات واسعة منحدرة من أعلى عن طريق أفلاج شبيهه بأفلاج واحات العين القديمة، وتظهر من أعلى المشروع. وكأن الشيخ زايد قد أراد هنا أن يرسم صورة من الماضي في تلك المنطقة ولكن بمشهد جديد. وزينت البحيرة بنافورة كبيرة في وسطها، وزودت بقوارب سياحية، كما أُدخل فيها الأسماك التي تكاثرت أعدادها دليلاً على البيئة السليمة في تلك البحيرة وقنواتها الواسعة.

ثم أمر الشيخ زايد بعد ذلك بإقامة بحيرات أخرى صغيرة (برك) يستخدمها الزوار للسباحة والاستمتاع بالمياه الكبريتية الحارة. ثم أقيمت الحدائق والمسطحات الخضراء، وزودت بألعاب الأطفال، وقطار، ووسائل التسلية المختلفة. وفي فترة لاحقة أمر -رحمه الله- بعمل مسابح خاصة للرجال وأخرى للنساء لإعطاء السواح السمة الخصوصية في التمتع بتلك المياه. ثم أُقيم في المنطقة الطرق المرصوفة الجميلة تحفها أشجار النخيل والزينة، كما أقيمت الدوارات لتوزيع تلك الطرق إلى مناطق مختلفة في المشروع، وصُممت مواقف لسيارات الزائرين، واستراحة، وكافتيريا.

وفي فترة لاحقة أمر بزراعة أعداد كبيرة من أشجار النخيل بالمنطقة، ثم كان العمل الكبير من الشيخ زايد -رحمه الله- في التوجيه بزراعة الجبال المحيطة بالمنطقة وكساءها باللون الأخضر، وتطلب ذلك الأمر فكراً وجهداً ومالاً كثيراً، لكن الشيخ زايد لم يكن يقف أمامه شيء إذا أراد أن يفعل شيئاً مهما يكلف

الأمر من جهد ومال. ولقد تطلب زراعة تلك الجبال الصماء أولاً وضع طبقة ترابية عليها، ونقلت لذلك أطنان كثيرة من تراب الكثبان الرملية من مناطق بعيدة في العين. وبعد ذلك تم توصيل شبكات الري عاليا في تلك المرتفعات، وتزويدها بنوافير الري الضخمة التي يمكن أن تغطي مساحات كبيرة، ثم تم اختيار النباتات الملائمة لذلك فكان «صباح الخير» النبات الأكثر ملاءمة، فنجحت تلك الطريقة، وأصبحت جبال حفيت الغبراء خضراء وكأنها في أرض مطيرة، والذي زادها جمالاً وروعة شلالات المياه المنحدرة من قمم جبالها التي اكتست باللون الأخضر.

وبلغ إجمالي مساحة المسطحات الخضراء المنتشرة في مواقع مختلفة من المشروع حوالي ٦٠٠ ألف و٦٤٤ متراً مربعاً، وإجمالي مساحة مغطيات التربة ١٠٣ آلاف و٨٤٥ متراً مربعاً، كما بلغت أعداد الأشجار المختلفة المزروعة فيها عدد ٥٥ ألفاً و٣٤٧ شجرة، وعدد أشجار النخيل ٣٢ ألفاً و٥٥٦ شجرة (٣/٩). وتروى كل تلك الأشجار والمسطحات الخضراء ومغطيات التربة من آبار المنطقة التي مجموعها ٣٣ بئراً.

وبعدما كثر زوار المبزرة الخضراء وجه الشيخ زايد -رحمه الله- إلى إقامة عدد كبير من الشاليهات الجميلة المجهزة بمتطلبات السكن النظيف بلغ عددها (حتى عام ٢٠٠٦) ٢٠٠ مسكن. وذلك لتوفير المتعة والراحة لزوار المبزرة الخضراء، وخاصة القادمين من خارج مدينة العين.

وأخذ الشيخ زايد -رحمه الله- يتردد على المبزرة الخضراء وفي كل مرة كان يأمر بالتوسع في نشر الرقعة الخضراء وتوفير مزيد من المرافق والخدمات السياحية. وكان من آخر الأعمال السياحية الكبيرة في المنطقة إنشاء حديقة عامة على مساحة قدرها ٧ آلاف دونم بتكلفة إجمالية قدرها ٧ ملايين درهم، وهي الحديقة الثالثة والستون التي تضاف إلى قائمة الحدائق العامة التي تشتهر بها مدينة العين (٤/٩). وتمتاز تلك الحديقة بموقعها الاستراتيجي، حيث تحيط بها من الجانب الشرقي سلسلة جبل حفيت، ومن الجانب الغربي تطل على مجموعة من مزارع النخيل أمر بها الشيخ زايد -رحمه الله- في الآونة الأخيرة، ومن الناحية الشمالية يمكن للسائح أن يرى بحيرة مبزرة الخضراء الكبيرة ونافورتها الضخمة والتي يمكن للزائر مشاهدتها من مسافات بعيدة. وفي يوم التشجير الرابع والعشرون، والذي حمل في ذلك العام شعار (الزراعة حياة وحضارة) وأقيم في الفترة من ٢٨ فبراير وحتى ٣ مارس ٢٠٠٤، قام رئيس هيئة أبوظبي للسياحة الشيخ سلطان بن طحنون آل نهيان بافتتاح حديقة مبزرة الخضراء، وغرس في تلك المناسبة نخلة قرب مدخل الحديقة لتأكيد أهمية هذا اليوم ومدى اهتمام مدينة العين بالتشجير (٤/٩).

صورة ٩/٣. الشيخ زايد في جولة تفقدية لمنطقة جبل حفيت - المبزرة الخضراء (يوليو ١٩٩٥).

صورة ٩/٤. نصب خيمته ليشرف على المشروع من قريب. وكان المواطنون يَفِدون للسلام عليه.

صورة ٩/٥. في بضع سنين تغير وجه المنطقة تماماً، وبدت المبزرة كأنها قطعة من دولة مطيرة.

صورة ٦/٩. أصناف مختلفة من أشجار النخيل زرعت في منطقة المبزرة الخضراء.

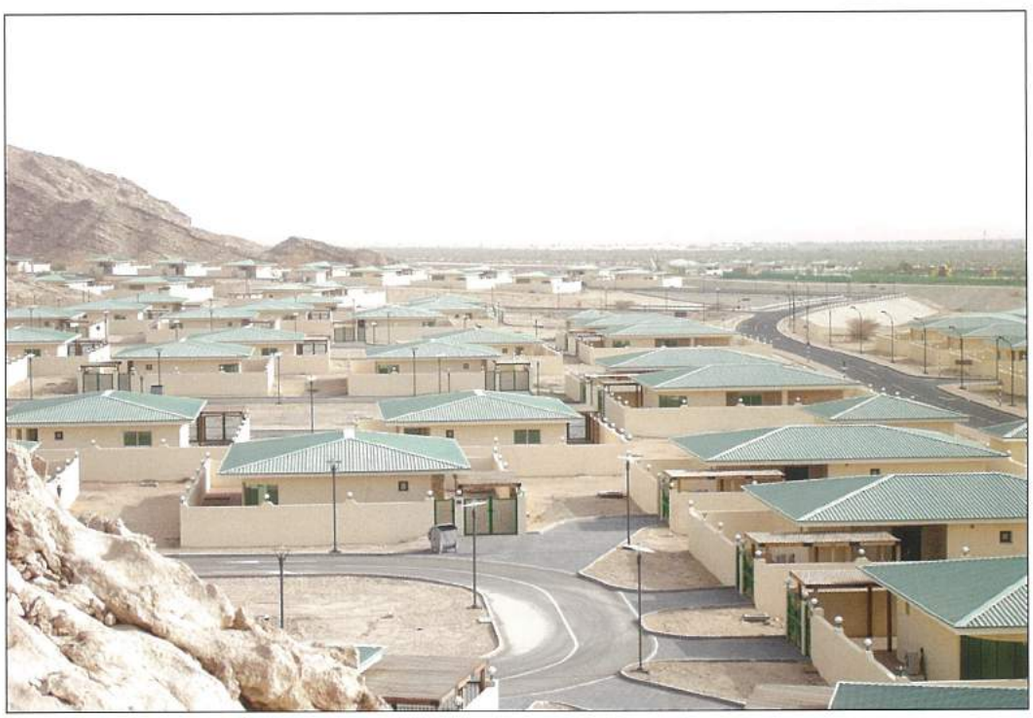

صورة ٧/٩. مساكن جميلة مجهزة بكامل احتياجات السائح.

صورة ٨/٩(أ، ب، ج، د، هـ). بحيرة كبيرة أُنشئت أسفل المنطقة تتدفق فيها مياه الآبار المنحدرة من عَلٍ عبر أفلاج أمر بصناعتها الشيخ زايد.

٩-٤ أجمل الأسماء

ولقد أحب الشيخ زايد تلك المنطقة فسماها «المبزرة الخضراء»، التي أصبحت من أهم المعالم السياحية بالعين، وأصبح اسمها من أجمل الأسماء التي يعشقها سكانها، لأنهم شهدوا ذلك التحول الكبير في تلك المنطقة، وشهدوا عبقرية قائدهم تتجلى أمام أعينهم، كما شهدوا الوضع من أوله، وكيف كان؟ وكيف أصبح؟، شهدوا زايد وهو يقف فوق الصخور الجرداء، ثم شهدوه وقد تحولت الطبيعة من حوله إلى اللون الأخضر. وهكذا كان هو دائماً، كما يشهد له أحد الذين عملوا بالقرب منه، وكان يرافقه في جولاته، وهو السيد خلفان بن مطر الرميثي رئيس الحرس الأميري سابقاً إذ قال: «كنا نرى الشيخ زايد يقف في الصحراء وتحت الشمس الحارة ونتساءل ماذا يصنع زايد في هذه الظروف، ثم نرى بعد فترة من الزمن أن المكان الذي كان يقف عليه قد تبدل إلى اللون الأخضر» (٩/٥). هذه عبقرية زايد في قهر الصحراء، ومن يزور منطقة مبزرة الخضراء يلمس الإنجاز العظيم الذي قام به «بطل الأرض» لهذه الأرض.

أحب الشيخ زايد المبزرة الخضراء، فكانت محل اهتمامه ورعايته الدائمة، وكان يحرص على زيارتها باستمرار في السنوات الأخيرة من عمره ليشرف على عمليات تطويرها بنفسه. وحتى عندما عاد من رحلة العلاج في الخارج كانت المبزرة الخضراء أول المحطات التي زارها. كانت فرحته بها كبيرة، وتزداد سعادته عندما كان يرى الزائرين فيها وهم يتمتعون بمناظرها وخدماتها، فكان يُزود زوارها الذين يصادف وجودهم أثناء زيارته بوجبات الطعام فيزدادون متعة وفرحة برؤية الشيخ زايد وكرمه.

صورة ٩/٩(أ، ب، ج، د). أحب الشيخ زايد المبزرة الخضراء، فتكررت زياراته لها، وكانت محل اهتمامه ورعايته بقية عمره، ج. عام ٢٠٠١، د. ديسمبر ٢٠٠٢.

صورة ٩/١٠. مشاهد مختلفة من المبزرة الخضراء.

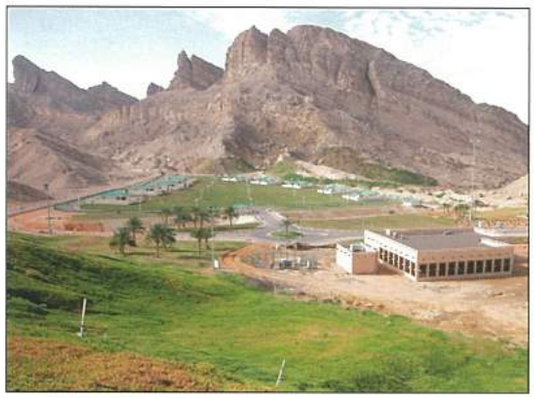

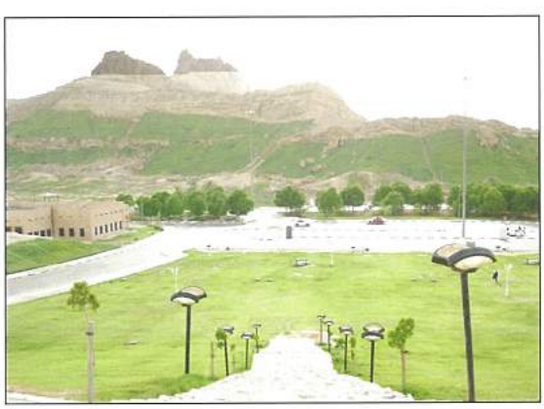

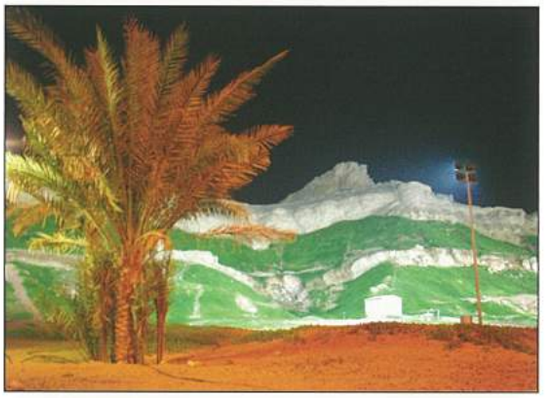

صورة ٩/١١.
المبزرة الخضراء كما تبدو ليلاً.

الفصل العاشر

إن كل شيء عملناه في هذا البلد أو غيره فهو قوة للعرب والمسلمين

زايد بن سلطان آل نهيان

عبقرية زايد في مأرب

(سد مأرب.. هدية زايد لشعب اليمن)

١٠-١ زايد يعمر الأرض

١٠-٢ اليمن حضارة وتاريخ بعيد

١٠-٣ مملكة سبأ

١٠-٤ سد مأرب

١٠-٥ انهيار سد مأرب كان سبباً في انهيار حضارة

١٠-٦ سبق الملوك والسلاطين

١٠-٧ كيف بدأت مبادرة زايد التاريخية؟

١٠-٨ السد الجديد

١٠-٩ أهمية السد الجديد لمحافظة مأرب

١٠-١٠ ما الذي دفع زايد ليفكر في هذه المبادرة؟

١٠-١ زايد يُعمر الأرض

إذا كانت الإنجازات الزراعية والبيئية التي صنعها الشيخ زايد على أرض بلاده تضعه في مقدمة قائمة الشخصيات التاريخية ذات الدور الحاسم في إقامة دُولها وتطوير مكانتها على مستوى العالم، فإنها لا تقل أثراً وتأثيراً عن دوره على الصعيد العربي والعالمي. فقد آمن الشيخ زايد -رحمه الله-، ومنذ بداية مشواره السياسي، بأن يدفع بالخير، وأن يقدم يد العون لكل شقيق ومحتاج، وكان يؤكد على ذلك المبدأ ويقول: «إننا نؤمن أن خير الثروة التي حبانا بها الله عز وجل يجب أن يعم أشقاءنا وأصدقاءنا»، وهو دور كشف عن ملامحه القومية الأصيلة عندما يمد يد العون ويتحمل نفقات مشاريع ضخمة في بلدان عربية وأجنبية لم يتوفر لها المال فظلت حبيسة الأدراج، وتخاذل عن نجدتها المجتمع الدولي والمؤسسات العالمية المعنية بخدمة البشرية وإزالة الفقر والحرمان عن شعوب العالم.

ولقد أسهم الشيخ زايد في مشاريع كبرى عديدة ومن ماله الخاص، وبمبادراته الذاتية دون طلب من أحد، بل لإحساس داخلي نابع من حبه لعمل الخير وإعمار الأرض. وكيف لا وهو الرئيس الذي نال جائزة «بطل الأرض»، ووصف بأنه أحد أبطالها القلائل الذين قدموا لشعوبهم وللعالم جهودهم وتفانيهم في إعمارها، قدموا لتلك الشعوب الرقعة الخضراء والبيئة السليمة لتستمتع بها البشرية فضربوا من خلالها أمثلة لغيرهم في العالم ليحذوا حذوهم في سبيل نشر الزراعة، والتشجير، وحماية البيئة والأنواع المعرضة للانقراض.

كانت المشاريع الحيوية الضخمة التي أسهم فيها الشيخ زايد خارج وطنه لصالح الإنسان الشقيق والصديق عديدة ومكلفة في الوقت نفسه، لكنه وبكرم كبير أقدم عليها ومن غير تردد، ثم أهداها لتلك الشعوب بسخاء ومن دون منة تذكر.

وقبل الدخول في مناقشة (عبقرية زايد في مأرب)، الذي هو عنوان هذا الفصل، دعونا نعرج سريعاً في ذكر دور الشيخ زايد في التنمية الزراعية والبيئية في بعض تلك البلدان. فعلى سبيل المثال لو تحدثنا قليلاً في موضوع نقل الخبرات والتجارب إلى تلك البلدان، سنرى أن الشيخ زايد نقل وزود كثيراً من الدول العربية والإسلامية بخبرات وتجارب دولة الإمارات في مجال البيئة. منها خبرة مشاريع الغابات والمحميات الطبيعية نقلها الشيخ زايد إلى العديد من الدول، ومثال على ذلك غابة الشيخ زايد في الكويت، وغابة الشيخ زايد في ليبيا وغيرها. وكان -رحمه الله- يجهز تلك الغابات من الألف إلى الياء، بدءً من تجهيز أراضيها وحفر آبارها، ثم مدها بشبكات الري، ثم زراعتها بالشتلات الحرجية المناسبة المنقولة من الإمارات، ثم تزويدها بالمهندسين والفنيين المشرفين، وكذلك تزويد تلك الغابات بالحيوانات البرية مثل المها العربي، والغزال العربي، وغيرها. وكان -رحمه الله- يتابع تلك المشاريع، ويسأل عنها وعن الحيوانات التي بداخلها، ومدى تأقلمها، وتكاثرها في بيئتها الجديدة. ولم تكن تلك المشاريع بالصغيرة، وكانت تتطلب الجهد والمال الكبيرين، فهي تحتاج إلى معدات وآليات ضخمة نقل كثيرٌ منها من الإمارات إلى تلك البلدان. أضف لذلك عمليات نقل الأعداد الهائلة من شتلات أشجار الغابات من مشاتل الإمارات إلى تلك المناطق البعيدة.

ولقد زودت دولة الإمارات العربية المتحدة عدة دول عربية بشتلات القرم وبذورها، وكان أهمها مملكة البحرين، والكويت، وذلك لزراعتها في مناطقها الساحلية وشواطيء جزرها وذلك بسبب النجاحات الكبيرة التي حققتها زراعة تلك الأشجار في الإمارات (١٠/١).

ومن أعظم الأعمال البيئية التي قدمها الشيخ زايد للجماهيرية العربية الليبية هديته لها حيوان المها الأفريقي (نوع أبو حراب). ولهذا قصة قديمة حدثت في الستينيات من القرن الماضي نذكرها كمثال على عبقرية الشيخ زايد وجهوده في المحافظة على الحيوانات البرية المهددة بالانقراض. مُختصر القصة أن الشيخ زايد -رحمه الله- قام في ذلك الوقت بزيارة إلى شمال أفريقيا، وقد عَلِمَ هناك أن المها الأفريقي، ذلك الحيوان الجميل، مهدد بالانقراض من مواطنه الطبيعية نتيجة لعمليات صيد مفرطة حدثت في ذلك الوقت يقوم بها صيادون كثر يمتلكون سيارات وأسلحة متطورة وقد ظهروا في المنطقة بظهور شركات البترول الأجنبية المنقبة عن النفط. وعَلِمَ الشيخ زايد هناك أن هذا الحيوان قد انقرض في بلدان كثيرة من بينها ليبيا. ولقد تأثر -رحمه الله- لسماعه ذلك، وبما شاهده من تناقص في أعداد حيوان المها في قفار شمال أفريقيا. ولأنه المحب للطبيعة وما تضمه من كائنات،

والعارف والمدرك لما حدث للمها العربي في شبه الجزيرة العربية حيث اختفت قطعانه بسبب الجفاف وعمليات الصيد الجائر، فقد رأى ببصيرته الفطرية أن مصير المها الأفريقي في شمال أفريقيا سيكون كمصير المها العربي إذا لم يتدخل أحد. فقرر -رحمه الله- أن يستقدم عدداً منها إلى أبوظبي ليكاثرها تحت الحماية، فَوفِّق ونجح في ذلك. ثم بعد ذلك أراد أن يعيد جزءً من تلك الحيوانات إلى طبيعتها الأصلية، فكانت ليبيا أول من استجاب لرغبة الشيخ زايد فنقل لهم عشرة رؤوس من حيوان المها لتعيش في مواطنها الأصلية (٢/١٠). وبهذه الطريقة حافظ الشيخ زايد -رحمه الله- على ذلك الحيوان من الانقراض، وأعاد عدداً منه إلى بيئته الأصلية، لإيمانه بمبدأ بيئي عظيم هو أن ما يؤخذ من الطبيعة يجب أن يعود إلى الطبيعة.

وفي باكستان، أمر الشيخ زايد بإطلاق مئات من الظباء النادرة (شينكارا)، وذلك لإعادة توطينها في صحراء جولستان لتتكاثر من جديد في بيئتها الأصلية. وقال مدير إدارة البيئة البرية بحكومة البنجاب، ساجد شتا: «البرامج التي يرعاها الشيخ زايد وخاصة إطلاق ٣٠٠ غزال اليوم يسجل حدثاً كبيراً في باكستان في المجال البيئي» (٣/١٠).

وفي مصر، كان للشيخ زايد -رحمه الله- مواقف عدة لا تقل روعة عن مواقفه التاريخية إبان حرب أكتوبر (١٩٧٣) والمتمثلة في الموقف السياسي من تلك القضية، ومنع تصدير البترول، والمساهمة المالية في الحرب وإعمار البلاد بعد ذلك، ومثال عليها منطقة القناة حيث بادر الشيخ زايد بوضع اللبنة الأساسية في تعمير مدينة السويس بتحمله لتكاليف بناء «حي الشيخ زايد»، الأمر الذي أسهم بشكل كبير في تعمير المنطقة وفقاً لأحدث نظم التخطيط العمراني (٤/١٠).

وفي أكتوبر ١٩٧٦ افتتح الشيخ زايد «مدينة الشيخ زايد» في محافظة الإسماعيلية، وفي تلك المناسبة تسلم مفتاح المدينة ودرع المحافظة هدية تذكارية من محافظها السيد محمود زكي عبد اللطيف. وبلغت تكلفتها ١٠٠ مليون دولار ومساحتها ٢٥٠ فداناً ليسكنها ٢٤ ألف مواطن، ويومها احتشدت جماهير الإسماعيلية في الشوارع حاملة أعلام الإمارات ومصر، كما هتفت بحياة الشيخ زايد رحمه الله (٥/١٠).

وتوالت بعدها مساهمات الشيخ زايد لمشاريع التنمية في مصر حيث أقام -رحمه الله- العديد من المشاريع السكنية والصحية والتعليمية ومن ماله الخاص، وكلها كانت لصالح الشعب المصري ولإعمار أرضه. كما وَجَّهَ -رحمه الله- صندوق أبوظبي للتنمية، الذي أنشيء في يوليو ١٩٧١، ليدعم مختلف مشاريع التنمية في مصر. وفي هذا الصدد كان الشيخ زايد يقول: «إننا مع كل ما تطرحه مصر من مشروعات، فمصر شعبها كبير وحاجاتها كثيرة، وكل شيء تقوم به الدولة ويهدف لتلبية حاجات المصريين لا بد أن نساهم ونشارك فيه». وبالفعل قام الصندوق بدور كبير في دعم وتمويل الكثير من مشاريع التنمية في مصر. ولأننا في هذا الكتاب نناقش جهود الشيخ زايد -رحمه الله- في مجال إعمار الأرض ونشر الرقعة الخضراء فإنه سوف أقتصر على ذكر مساهمات الصندوق في هذا المجال.

كان أول استفادة لمصر منه في تمويل مشروع استصلاح الأراضي في النوبارية قرب الإسكندرية في عام ١٩٩١، حيث تم استصلاح ٦٥ ألف فدان قابلة للزراعة. ويقول السيد محمود أبو زيد وزير الري آنذاك: «إن الصندوق قدم ٧٥ مليون دولار لتمويل المشروع» (٥/١٠). وأسهم الصندوق في تمويل مشروع استصلاح ١٥٥ ألف فدان بغرب النوبارية والساحل الشمالي الغربي بقيمة ١٠٥ ملايين دولار، ومشروع الصندوق الاجتماعي للتنمية بقيمة ٥٠ مليون دولار أمريكي، وتمويل مشروع امتداد ترعة الحمام لاستصلاح وري ١٤٨ ألف فدان بالساحل الشمالي الغربي بتكلفة ٨٥ مليون دولار أمريكي على امتداد ٥٧ كيلومتراً حيث تعتبر امتداداً لترعة النصر، ويقام عليها خمس محطات لدفع المياه بغرب النوبارية (٦/١٠).

كما أسهم الصندوق في تمويل ترعة الشيخ زايد الواقعة في سيناء شرقي قناة السويس بقيمة ٦٢ مليون دولار أمريكي والتي تمتد إلى مسافة ٨٥ كيلومتراً تبدأ من الإسماعيلية وتتجه جنوباً إلى السويس لاستصلاح وزراعة ١٤٠ ألف فدان سيتم توزيعها على أكثر من ٨ آلاف شاب من خريجي الجامعات والمعاهد (٧/١٠). كما أسهم أيضاً في مشروع مساكن الفلاحين بالخطارة بمحافظة الشرقية بتكلفة قدرها ٥٢١ مليون درهم إماراتي، وكذلك في استصلاح منطقتين في جنوب الوادي، الأولى بوادي النقرة ومساحتها ٥٦ ألف فدان وتقع على بعد ٣٠ كيلومتراً شمالي أسوان، والثانية مشروع إنشاء قناة الشيخ زايد بتوشكى والتي ستساعد في استصلاح حوالي

نصف مليون فدان وتوفر الآلاف من فرص العمل (٦/١٠).

لقد كان لتلك المشاريع الزراعية التي أقيمت على أرض الكنانة أهمية اقتصادية واجتماعية وبيئية كبرى لشعب مصر. فلو أخذنا - على سبيل المثال- نواتج مشروع غرب الدلتا ومشروع الساحل الغربي وكما يقول نائب وزير الزراعة المصري ومنسق عام المشروعات الزراعية بالأراضي الجديدة بمصر السيد أحمد فؤاد هدب، في لقاء مع بعثة وكالة أنباء الإمارات في أبريل ٢٠٠٤، فإنه: «سيتم توزيع ٣٠ ألف فدان من هذه المشاريع على أكثر من ستة آلاف من الشباب خريجي الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة بحيث يتملك كل واحد منهم خمسة أفدنة ومسكن ملائم في القرى التي ستقام وعددها ١٦ قرية، كما سيتم تخصيص ١٠ آلاف فدان لأبناء دولة الإمارات، وسيتم توزيع المساحات المتبقية من هذه المشاريع على المصريين العاملين في الخارج بالإضافة إلى بعض المستثمرين». ويضيف نائب وزير الزراعة: «ولسوف يستفيد من الأراضي الزراعية من مشروع ترعة الشيخ زايد الواقعة شرقي قناة السويس أكثر من ٨ آلاف شاب خريج» (٨/١٠).

لقد تحولت المناطق التي أقيمت عليها تلك المشاريع إلى مناطق عامرة مليئة بالحياة والاقتصاد. فعلى سبيل المثال تغيرت منطقة توشكى تماماً بعد قيام قناة الشيخ زايد والتي تعرف أيضاً بترعة الشيخ زايد. وقبل ظهور القناة كانت تلك المنطقة أرضاً بوراً خالية من التنوع البيولوجي، ولم يكن عليها أي مشروع زراعي، وكانت خالية من السكان والإعمار. وبعد قيامها باتت تعني بالنسبة للمصريين إنشاء وادٍ جديد مواز لوادي النيل، وتحولت تلك الصحراء القاحلة إلى بساتين خضراء، منتجة لمختلف المحاصيل الزراعية، وعلى مساحة أكثر من نصف مليون فدان. ولقد أمَّنَ ذلك المشروع أيضاً آلاف الوظائف للشعب المصري، وخاصة الخريجين الجدد، إضافة إلى إنعاش مختلف أنماط الاقتصاد في تلك المنطقة، وظهور مجتمع صناعي جديد يقوم على المنتجات الزراعية، ويسهم في رفع دخول المزارعين.

ولقد ثَمَّن المصريون مساهمات دولة الإمارات العربية المتحدة في تلك المشاريع الزراعية وأثنوا عليها. فقد أشاد الرئيس المصري محمد حسني مبارك، بدور الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في تمويل عدد من مشروعات التنمية الزراعية والري في مصر، وقال عند افتتاحه ترعة الشيخ زايد: «إن صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، قد أسهم في هذه القناة لإيمانه بأهمية الزراعة، ولأن سموه يسعد بالزراعة والخضرة»، وقال إن صاحب السمو يسهم في أربع قنوات لمياه الري في مصر» (٨/١٠).

ووفاءً لمواقف الشيخ زايد النبيلة تجاه مصر وشعبها فقد تم إطلاق اسم الشيخ زايد على الميدان الكبير بمدينة الإسماعيلية، وفيه أقيم النصب التذكاري واللوحة التذكارية التي تحمل صورته، وذلك من منطلق العرفان والتقدير للدور الكبير الذي قام به -رحمه الله- في تعمير منطقة القناة بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣. ولقد صرح اللواء فؤاد سعد الدين، محافظ الإسماعيلية آنذاك، في هذه المناسبة قائلاً: «إن إقامة اللوحة لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان هو تعبير عن الحب والتقدير من الشعب المصري عامة، ومن مواطني الإسماعيلية خاصة لمساهماته الكبيرة في إعادة إعمار المدينة عقب عودة المهجرين». وقال المحافظ: «إن اللوحة تعبر عما قدمه الشيخ زايد لمصر من إسهامات في مجالات عديدة سوف تترك ذكرى للأجيال القادمة في أهم ميدان بمدينة الإسماعيلية» (٤/١٠).

وفي اليمن كان هناك موقف تاريخي آخر للشيخ زايد لم يسبقه إليه أحد، وهو إعادة بناء سد مأرب، أعظم سد تاريخي عند العرب، والذي سوف نتحدث عنه بالتفصيل في هذا الفصل لأهمية المشروع لأهل اليمن ولتاريخ الإنسان العربي. ولم يكن ذلك هو المشروع الأوحد الذي قدمه الشيخ زايد هدية لأهل اليمن، فقبل تدشين سد مأرب الجديد بسنوات أمر -رحمه الله- بتعبيد طريق صنعاء-مأرب الذي يبلغ طوله ١٧٢ كيلومتراً على نفقته الخاصة، وتكلف المشروع ٥٧٠ مليون درهم، وأصبح الطريق الذي يربط العاصمة صنعاء بمأرب سهل وسالك، ولا تستغرق الرحلة من خلاله أكثر من ساعتين بالسيارة بعدما كان يستغرق أياماً لوعورته.

وأسهم -رحمه الله- أيضاً في تمويل مشاريع سكنية وزراعية أخرى في مناطق مختلفة من اليمن نذكر منها -على سبيل المثال- المساهمة في بناء وحدات سكنية ومرافق جديدة في المناطق التي تضررت بالزلزال الذي ضرب مدينة ذمار في ١٣ ديسمبر ١٩٨٢، بتكلفة بلغت ٤٠ مليون درهم (٩/١٠)، والمساهمة في مشروع

إسكان المنصورة في عدن بهدف تحسين الأوضاع المعيشية للسكان عن طريق توفير المسكن الصحي المناسب لهم مع توفير الخدمات الضرورية للمشروع (مياه، وكهرباء، وطرق، ومجاري)، والذي أكتمل في عام ١٩٨٥ بتكلفة بلغت ٦٧ مليون درهم(٩/١٠).

كما وَجَّهَ -رحمه الله- صندوق أبوظبي للتنمية في تمويل كثير من مشاريع التنمية في اليمن نذكر منها المساهمة في مشروع تنمية المرتفعات الجنوبية في مرحلتيه الأولى والثانية. ففي الأولى أسهم الصندوق بتنفيذ الأعمال المدنية والخدمات البيطرية، وخدمات الإرشاد الزراعي، ونظام التمويل الائتماني الزراعي، وتدريب العاملين، وتنفيذ الأعمال اللازمة للتنمية الزراعية على مساحة ٥٠ ألف هكتار في محافظة إب و١٥ ألف هكتار في تعز، ورفع مستوى المعيشة لنحو ٢٠ ألف أسرة. وقد بلغت مساهمة الصندوق ٤٠ مليون درهم من التكلفة المقدرة بحوالي ٩٢ مليون درهم. وفي المرحلة الثانية أسهم الصندوق في توفير الخدمات الزراعية لمساحة ٢٨٠ ألف هكتار في محافظتي إب وتعز، وإقامة ١٠٠ مشروع مياه وتوفير الائتمان الزراعي للمزارعين إضافة إلى توفير الخدمات البيطرية والإرشاد الزراعي، وبلغت قيمة المساهمة ٣٧,٥ مليون درهم من تكاليف المشروع الإجمالية البالغة ٢١٤ مليون درهم.

كما أسهم صندوق أبوظبي للتنمية بمشروع مياه صنعاء، الذي هدف إلى توفير مياه الشرب للعاصمة، ويتضمن حفر مجموعة من الآبار وإعدادها وتزويدها بمضخات تعمل بالطاقة الكهربائية، وإنشاء محطة لتوليد الطاقة الكهربائية وشبكة كابلات لإمداد مضخات الآبار بالكهرباء، وكذلك إنشاء شبكة أنابيب شريانية من الخزان إلى المستهلكين متضمنة محطة ضخ للمياه لرفع الضغط إلى المعدلات المناسبة، وتبلغ تكاليف المشروع نحو ٢٦ مليون درهم، أسهم فيها الصندوق بمبلغ ٤ ملايين درهم.

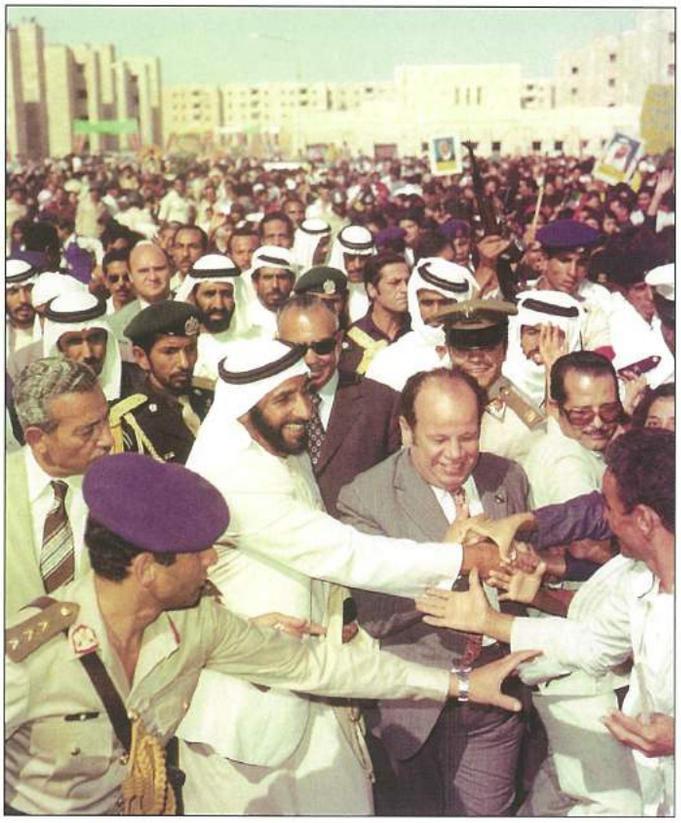

صورة ٢/١٠. الشيخ زايد في السبعينيات من القرن الماضي (بعد حرب أكتوبر) يقوم بزيارة لمحافظة الإسماعيلية بجمهورية مصر العربية لمشاركة الشعب المصري أفراحه بمشاريع إعادة الإعمار التي أسهم فيها.

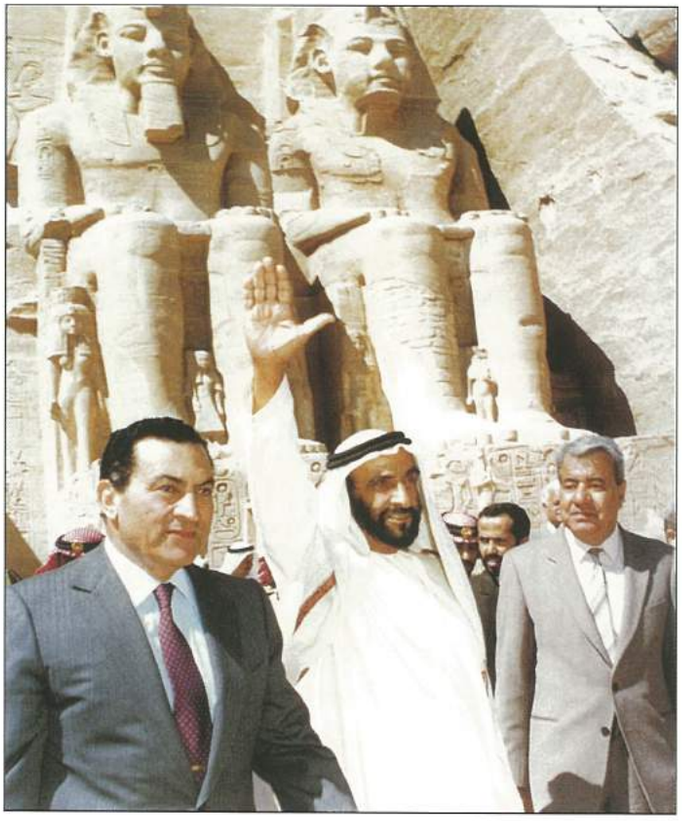

صورة ٣/١٠. الشيخ زايد يُحَيي الجمهور الذي احتشد لتحيته في أبو سمبل في فبراير ١٩٩٠.

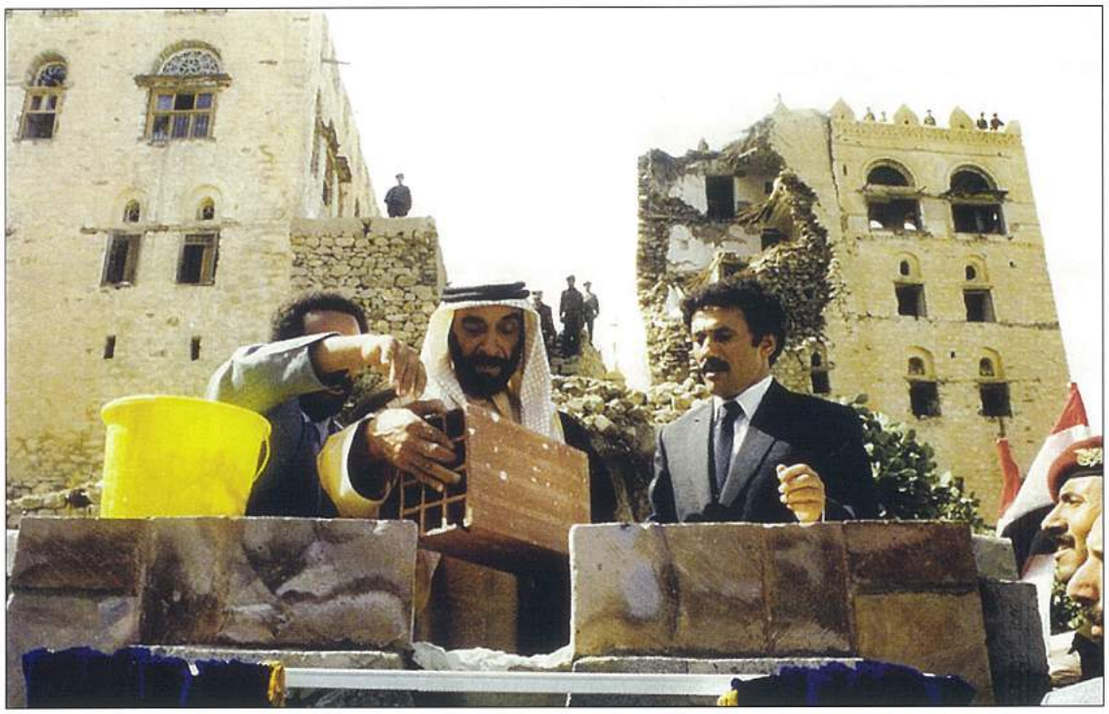

صورة ١٠/٤. الشيخ زايد يضع حجر الأساس لمشروع إعادة بناء ما هدمه الزلزال الذي ضرب مدينة ذمار اليمنية في عام ١٩٨٢.

وفي المغرب أقام الشيخ زايد -رحمه الله- الكثير من المشاريع الزراعية المشابهة والتي تسهم في دعم إنتاجية المزارعين وتحسين ظروفهم. وامتدت تلك المشاريع إلى السودان، وباكستان وغيرها من الدول العربية والإسلامية، وحتى الدول الأوربية نالت من الشيخ زايد ما هو جميل ورائع ويدخل البهجة في شعوبها، مثال على ذلك حديقة الشيخ زايد الصحراوية في قلب أوربا في مدينة هامبورج الألمانية التي افتتحت رسميا في ٢٠ يونيو ٢٠٠٥ على مساحة تصل حوالي ٢٨٠٠ متر مربع (١٠/١٠). وتعتبر تلك الحديقة من أجمل حدائق النباتات في ألمانيا، وتضم أشجار التفاح والأجاص، ونباتات طبية تنبت في مدينة العين، إضافة إلى أعشاب كثيرة ومتنوعة. ولقد قالت إدارة الحديقة كلمات جميلة في بيان أصدرته عقب الافتتاح أشارت فيه إلى أن تلك الحديقة هدية من المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله- إلى شعب ألمانيا، وأن هذه الهدية القيمة تعتبر فخراً لمدينة هامبورج وشعبها (١٠/١٠).

وقبل حديقة الشيخ زايد في ألمانيا كانت هناك حديقة الشيخ زايد في لندن ذات الطابع الإسلامي والتي فازت بالميدالية الذهبية في مشاركتها في معرض تشلسي للزهور ببريطانيا في ٢٣ مايو ٢٠٠٥، وكانت الحديقة قد حصلت أيضاً على الميدالية الذهبية خلال مشاركتها في معرض ٢٠٠٤، كما حصلت على جائزة أفضل حديقة. ولقد زار الحديقة الأمير آندرو الذي افتتح المعرض، والأمير مايكل وعدد من كبار زوار المعرض وذلك قبل يوم من افتتاحه، وكان في استقبالهم السيد محمد عبدالله السيد الهاشمي، المشرف على الجناح والوفد المرافق (١١/١٠).

وهكذا فقد أسهم الشيخ زايد في إعمار الأرض، وأعطى دون مقابل وبلا حساب، ولم ينتظر الشكر أو رد الجميل من أحد، وشهدت العديد من دول العالم بأن الشيخ زايد قد بنى فيها مدناً كاملة مثل مدينة الشيخ زايد في كل من فلسطين، والبحرين، ومصر، وغيرها من دول العالم، هذا عدا المستشفيات والمدارس والمساجد، مما يعكس كم كان الشيخ زايد عظيماً، ففي كل مكان وزمان ترى لزايد موقفاً وتاريخاً، وفي كل مكان ترى لزايد بصمة بارزة، وفي كل بقعة من بقاع المعمورة تجد لزايد صيتاً جميلاً! ويقول -رحمه الله- في هذا: «إنه من السهل أن يرعى الإنسان أسرة أو أقرباء له، ولكن تحمل مسؤولية رعاية الشعوب أمر صعب وقد فضل الله سبحانه وتعالى الإنسان على جميع المخلوقات، وسخر له ما في الأرض وما في البحار، لهذا يجب علينا أن نعمل لخدمة الإنسان وإسعاده.. وإذا كان

الله قد فضل بعضنا على بعض، وأنعم عليه بالثروة فيجب أن يفكر الإنسان في أن هذه الثروة ليست ملكاً له ولكن الله سخرها لخدمة عباده»، ويقول أيضاً كلماته الرائعة الأخرى: «إننا نؤمن أن خير الثروة التي حبانا بها الله عز وجل يجب أن تعم أشقاءنا وأصدقاءنا».

١٠-٢ اليمن حضارة وتاريخ بعيد

إن من يقرأ التاريخ يعرف أن نسب العرب وحسبهم كله يعود إلى اليمن، فمنه خرجت الهجرات إلى كل بقاع العرب، وبالأخص إلى الخليج الشرقي، ذلك ما قاله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في أحد أحاديثه عن اليمن وتاريخها العظيم. وأعجبتني أيضا كلمة قالها توماس إدوارد لورنس، (الشهير بلورنس العرب)، وهو ضابط بريطاني اشتهر بدوره في قيادة القوات العربية خلال الثورة العربية عام ١٩١٦ ضد الإمبراطورية العثمانية وانخرط في حياة العرب الثوار، في هذا الصدد: «اليمن مصنع العرب»، وقال مستشرق آخر: «إن اليمن وحده هو الذي يستطيع أن يطالب التاريخ بلقب مهد العروبة» (١٠/١٢).

وأجد نفسي هنا، وقبل الحديث عن سد مأرب وتاريخه العظيم، ملزماً بالحديث أولاً ولو بالقدر اليسير والمختصر عن الحضارة التي شهدتها أرض اليمن وأفرزت مثل ذلك الصرح العظيم في ذلك التاريخ القديم. فالتاريخ يشهد أن أرض اليمن كانت أرض الحضارات ومهدها، وكانت النبع الأول للحضارات الأخرى التي ظهرت في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية، كما أن تاريخ اليمن مليء بمجموعة كبيرة وعظيمة من المنجزات الحضارية والتي أسهمت إسهاماً فاعلاً في تطور الحياة الإنسانية منذ القدم، مما أبرزها كأحد مراكز الحضارات الإنسانية القديمة. فهم الذين شيدوا القصور، وبنوا السدود والمصانع «البرك» والأحواض والطرق والأنفاق في كل منعرج وواد، وذُكرت أعمالهم في كتاب الله ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (١٠/١٣). وقد بلغت الحضارات اليمنية القديمة درجة كبيرة من الرقي والازدهار جعلت الشعوب الأخرى تسمي اليمن في ذلك التاريخ بـ «اليمن السعيد».

وظهرت على أرض اليمن أمم كثيرة شكلت حضارات تاريخية على الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية، وصفها التاريخ بالقوة والبأس الشديد، وامتدت آثارها إلى يومنا هذا. ومن بين تلك الأمم «العمالقة» و«عاد الأولى والثانية» والتي صنفها المؤرخون بالعرب البائدة. وتذكر كتب التاريخ عن العمالقة أنهم قوم أقوياء سكنوا اليمن في التاريخ القديم، ومنهم من هاجر إلى العراق وإيران والشام وإفريقيا الشرقية ومنها إلى إفريقيا الشمالية (١٠/١٢). كما أن «عاد الأولى» هم الذين بنوا «إرم ذات العماد» على أرض اليمن في صحراء «الأحقاف» شمالي حضرموت، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (١٠/١٤). ووصفها المؤرخون: أنها كانت ذات قوة بشرية واقتصادية، وأن الله استخلفهم بعد نوح، وأرسل إليهم النبي هوداً، والذي لا يزال قبره إلى اليوم في حضرموت التي انتقل إليها بعد ذلك ومات فيها. كما ذكر الله في كتابه الكريم أيضاً قوم ثمود ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾(١٠/١٥)، ويقال إن منازلهم الأولى كانت في الجنوب الشرقي من اليمن ما بين عسير وحضرموت، ثم تحولوا إلى الشمال ونزلوا وادي القرى أو مدائن صالح واتخذوا منها موطناً جديداً لا تزال آثاره قائمة إلى اليوم. ثم ظهرت بعد ذلك «مملكة سبأ» وكانت من أعظم الحضارات على أرض اليمن، وورد ذكرها وما وصلت إليه من تقدم وازدهار في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى. ولأن سد مأرب قد ارتبط تاريخياً بالحضارة السبئية فسوف نتحدث عن تلك الحضارة بشيء من التفصيل في هذا الفصل.

وفي التاريخ القريب يذكر المؤرخون أن الأمم التي قامت في شمال الجزيرة العربية، وأقامت دولاً ذات تاريخ عريق كدولة المناذرة في بلاد الرافدين، والغساسنة في بلاد الشام ما هي إلا هجرات عربية يمنية سكنت تلك المناطق وأقامت فيها تلك الكيانات التاريخية.

ولقد برع أهل اليمن ومنذ القدم بالتصوير (النقش) والكتابة، وكانوا يستخدمونها لحفظ تاريخهم وتراثهم الحضاري. ويؤكد المستشرقون أن بلاد اليمن كانت أكثر سرعة في الانتقال بالكتابة بالحروف بدلا من الصور (١٠/١٢). كما كان لليمنيين الفضل في اختراع الحروف «الحرف المسند» الذي يشكل بداية اللغة المكتوبة في شبه الجزيرة العربية، والذي فكت رموزه بسرعة من قبل

الدارسين الغربيين منذ القرن التاسع عشر، حيث تم ذلك على يد المستشرقة وولستيد (١٢/١٠). وتهتم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (اليسكو) بجمع تلك النقوش لأهميتها التاريخية والثقافية لتكون دليلاً يعتمد الباحثون عليه في إعادة كتاباتهم لتاريخ اليمن والجزيرة العربية (١٢/١٠).

١٠-٣ مملكة سبـأ

تعتبر مملكة سبأ من أشهر الحضارات الإنسانية في التاريخ القديم والتي قامت في جنوب جزيرة العرب في القرن العاشر قبل الميلاد على أقل تقدير. ودولة سبأ أكبر وأهم تكوين سياسي ظهر على أرض اليمن في العصر القديم، وما تلك الدول التي تذكر معها سوى تكوينات سياسية كانت تدور في فلكها، ترتبط بها حيناً وتنفصل عنها حيناً آخراً، مثل دولة معين وقتبان وحضرموت، أو تندمج فيها لتكون دولة واحدة مثل دولة حمير، والتي لقب ملوكها بملوك سبأ (١٦/١٠).

وشهدت مأرب، التي كانت عاصمة لدولة سبأ، تاريخاً مجيداً لم تشهده بعدها دولة يمنية، وتميزت ببناء حضاري راق على الصعد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمعمارية. وبلغ التقدم الحضاري في تلك الفترة شأناً عظيماً، وقد شهدت مأرب نشاطاً معمارياً واسعاً، تجلى في المدن والقصور والعديد من المعابد ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ (١٧/١٠).

ولقد اشتهر السبئيون بعبادتهم للنجوم والكواكب من دون الله، وكان أشهرها وأعظمها معبد (برأن) وآثاره باقية إلى اليوم، ويعرف أيضاً بـ «عرش بلقيس» والذي يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة مأرب القديمة ويبعد عنها نحو ٤ كيلومترات، وهو أحد أهم معابد مملكة سبأ التي بنيت للإله (المقة) أو إله القمر، والمعبد الآخر هو معبد (أوام) أو محرم بلقيس، وهو بناء كبير وضخم أيضاً ويقع على الضفة الجنوبية لوادي أذنة على بعد نحو ٣ كيلومترات إلى الشرق من عرش بلقيس، وآثاره مازالت باقية إلى اليوم، ووصفه البروفيسور الكندي بيل جلانزمان بأنه قد يصبح أعجوبة الدنيا الثامنة.

كما اشتهرت الحضارة السبئية بالزراعة، والخبرة في إقامة السدود العظيمة، وإنشاء قنوات الري الضخمة فظهرت على إثر ذلك العديد من السدود التاريخية أهمها وأعظمها سد مأرب الذي أنعش الزراعة في مأرب وقامت حوله الجنتان العظيمتان التي ورد ذكرهما في القرآن الكريم، حيث قال الله في كتابه العزيز واصفاً تلك الحضارة وما وصلت إليه من قوة وتقدم ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (١٧/١٠).

وذاعت شهرة دولة سبأ في الآفاق وسمع عن حضارتها وازدهارها ملوك وسلاطين ذلك الزمان، وتشهد قصة ملكة سبأ بلقيس مع النبي سليمان عليه السلام على تلك الحضارة العظيمة وما وصلت إليه من تطور وازدهار، فلقد بلغت الدولة السبئية أوجها في عهد الملكة بلقيس التي وصفت بأنها أشهر الملوك السبئيين، وقد أكّد القرآن الكريم في سورة النّمل تلك الحضارة وذلك الثّراء الذي شهدته على لسان طائر الهدهد فَقَالَ ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (١٨/١٠). كما أن لزيارة ملكة سبأ للنبي سليمان عليه السّلام وهي تحمل هداياها من الطيب واللبان والتوابل لشاهد آخر على التطوّر الاقتصادي و الثّراء المادي الذي وصلت إليه مملكة سبأ.

وإن من الأشياء الجميلة في تلك الحضارة، والتي نستشفها من تلك القصة، مستوى الديمقراطية التي وصلت إليها الدولة السبئية ومنذ آلاف السنين، وكأن وراء ظهور تلك الحضارة وتطورها فكر سام هو الديمقراطية، فعندما أرسل إليها سيدنا سليمان لتأتيه مسلمة ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾(١٩/١٠). ترددت ولم تنزل عند طلبه، وأرسلت إليه بهدايا كثيرة وقيمة أهمها الذهب والفضة والحجارة الكريمة والطيب لعلها تكشف حقيقة مقصده، وهل هو فعلاً نبي مرسل أم مجرد طامع في مملكة سبأ التي كانت تعيش أزهى مراحل تقدمها ورقيها، وعندما علمت أن سيدنا سليمان غني عن هديتها ومالها جمعت قومها لتستشيرهم ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٢٠/١٠). فتخبرنا الآية أن ملكة سبأ وفي ذلك التاريخ القديم كانت تحكم قومها بالشورى ومبدأ الديمقراطية، وأنها لم تقطع في أمر قط إلا بعد مشاورة قومها فيه.

وحتى هذا اليوم تؤكد أراضي مأرب وآثارها التاريخية صورة

مجسدة لعظمة الحضارة اليمنية القديمة وجذورها الضاربة في أعماق التاريخ، وأهمها ما أفرزته تلك الحضارة. فإلى جانب سد مأرب التاريخي الذي نحن بصدد تناوله هنا بإسهاب لارتباط تاريخه العظيم ببطلنا زايد، تحتضن محافظة مأرب معالم أثرية قديمة أهمها مدينة مأرب القديمة التي تقع على بعد ١٧٣ كيلومتراً شرقي العاصمة اليمنية صنعاء، ويحدها من الشمال محافظة الجوف وصحراء الربع الخالي، ومن الغرب محافظة صنعاء، ومن الجنوب محافظتا البيضاء وشبوة، ومن الشرق محافظة شبوة وصحراء الربع الخالي. وتقع مدينة مأرب التاريخية عند مصبات وادي أذنة على الضفة الشمالية للوادي. وكانت تلك المدينة العاصمة الإدارية لدولة سبأ، ولعبت دوراً كبيراً في نشوء وارتقاء الحضارة السبئية. وترجع تسميتها بذلك الاسم إلى عهد قديم جداً يعود إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد. فقد ظهر في نقوش من القرن الثامن قبل الميلاد باللفظ (م ر ي ب)، وفي بعض النقوش المتأخرة اسمها باللفظ (م ر ب). وكانت تشتمل على سور يحيط بها يضم في داخله منشآتها المختلفة مثل المعابد، والأسواق، والمنازل وغيرها. والسور اليوم يكاد أن يكون مطموس المعالم من حيث شكله لكن استطاع الباحثون من تحديده بدقة بواسطة التصوير الجوي للمدينة القديمة. وأهم ما يميز المدينة القديمة داخل السور مرتفعات مختلفة أكثرها ارتفاعاً التل الأثري الموجود قرب الجانب الشرقي للسور، إذ يبلغ ارتفاعه عن مجرى وادي أذنة حوالي ٣٠ متراً، وهو الذي تقع عليه المدينة، وكذلك الجزء الذي كانت تشرف عليه المدينة في جانبيها الشرقي والجنوبي. وظلت هذه المدينة عاصمة لدولة سبأ من القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، أي ما يقارب ألف عام. تلك كانت حضارة سبأ، وتلك قصتها في التاريخ، وإن كان من أعظم إنجازاتها سد مأرب العظيم.

١٠-٤ سد مأرب

يعد سد مأرب أشهر آثار أرض اليمن، وأعظم بناء هندسي شُيد في شبه الجزيرة العربية في العالم القديم. كما يعتبر معلماً من معالم الحضارة السبئية يعكس عظمة السبئيين في ذلك التاريخ. ويعود تاريخ بناؤه إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد كأدنى تاريخ معروف، وأن الملك «سمه علي ينوف» هو الذي بناه، وأن ابنه يثعمر قد أكمل البناء. ويُجمِع النسبة الأكبر من المؤرخين على هذه الرواية بناءً على وجود نقشٍ لاسم الملك «سمه علي ينوف» أحد ملوك القرن السابع قبل الميلاد مثبت على مبنى المصرف الجنوبي للسد. ويشير كتاب «رحلة في بلاد العرب السعيدة» لنزيه العظم أن «يثعمر بن سمة علي ينوف» قد اشترك في بنائه. وتشير روايات أخرى إلى أن السد قد بُني في وقت أقدم من ذلك التاريخ، وأن ما قام به «سمه علي ينوف» وغيره ممن جاءوا بعده ما هو إلا نوع من الترميم أو الإضافات البسيطة (٢١/١٠). فهناك رواية تشير إلى أن السد قد تم بناؤه في بدايات مملكة سبأ، وأن سبأ هو الذي بناه، بينما تشير أخرى إلى أن سبأ قد بدأ بناء السد وأكمله ولده حمير، وثالثة تقول إن باني السد هو شمس بن وائل المعروف بـ «سبأ الثاني» والذي كان من معاصري النبي إبراهيم عليه السلام، والملك العراقي حمورابي الشهير بوضع القوانين الأرضية. وثمة من يقول أن الملكة بلقيس هي التي بنت سد مأرب. وعموماً فإن المؤرخين والباحثين وإن اختلفوا في تحديد التاريخ الدقيق لبناء السد، فلم يختلفوا إطلاقاً على الأهمية التي شكلها بناؤه لأهل اليمن.

ويقع سد مأرب غربي مدينة مأرب عاصمة مملكة سبأ بمسافة نحو ٨ كيلومترات، على أعظم أودية اليمن المعروف بـ «وادي أذنة» والذي تصب فيه السيول من مساقط المياه في المرتفعات على امتداد مساحة شاسعة من ذمار، ورداع، ومراد، وخولان، التي تهطل عليها الأمطار من إبريل حتى أغسطس. ويقع السد بين جبلين، هما البلق الشمالي، والبلق الجنوبي اللذان يشكلان الحاجز الأخير لسلسلة الجبال والمرتفعات الشرقية قبل أن تلتقي بصحراء صيهد والتي يطلق عليها حالياً اسم رملة (السبعتين)، وهي الصحراء الممتدة ما بين مأرب وشبوة، وتصب فيها معظم أودية الشرق.

وتدل طريقة بناء السد على عظمة تلك الحضارة والفكر الهندسي المتطور التي وصلت إليه، إذ بنى السبئيون السد في أضيق منطقة بين البلق الشمالي والبلق الجنوبي على وادي أذنة، حيث رأوا في تلك المنطقة موقعاً طبيعياً يصلح لإقامة السد حيث تتسع منطقة التجمع في أعلى المضيق وتبدو كحوض كبير مثالي لاحتواء مياه السيول. ويبلغ طول جسم السد ٧٢٠ متراً، وارتفاعه حوالي ١٥ متراً، أما السمك فيبلغ ٦٠ متراً عند القاعدة، وشيدت أساساته من الأحجار

الضخمة وفوقها جدار ترابي مغطى بالحجارة والحصى من الجانبين. وعند طرفي السد يوجد مصرفان «صدفان» يتدفق منهما الماء إلى قناتين رئيسيتين، فكانوا إذا أرادوا سقي مزارعهم فتحوا من ذلك بقدر حاجتهم بأبواب محكمة فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه (٢٢/١٠). ولقد تفاوتت التقديرات عن السعة التخزينية للسد القديم، ولكنها تتفق تقريباً على أنها كانت تتراوح بين ٥٠-١٠٠ مليون متر مكعب من الماء، وذلك ما أشار إليه المؤرخ عبدالله علي الكميم في كتابه (هذا هو تاريخ اليمن) (٢١/١٠).

وكان الهدف من إقامة السد ليس صون المناطق الآهلة بالسكان من خطر السيول وإيقاف الأضرار التي تلحقها بالناس فحسب وإنما للتحكم في المياه التي تسيل في وادي أذنة الكبير واستثمارها في الزراعة التي كانت عماد الدولة السبئية وأحد مقومات حضارتهم. لقد استخدم السبئيون السد لتخزين المياه الجارية في ذلك الوادي وتصريفها لتسقي أراضي مأرب الخصبة، وهي الأراضي التي عرفت باسم (أرض الجنتين) والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة سبأ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (١٧/١٠).

ولقد اختلفت تقديرات المؤرخين في تحديد حجم الجنتين، فمنهم من قَدَّرَها ببضع مئات من الأميال المربعة، ويذهب مع هذا القول المؤرخ جورجي زيدان صاحب كتاب «العرب قبل الإسلام»، فيقول: «إن بين المضيق والمدينة متسع من الأرض تبلغ مساحة ما يحيط به من سفوح الجبال بحوالي ٣٠٠ ميل مربع كانت قاحلة وجرداء فأصبحت بعد تدبير المياه بالسد بساتين على سفحي الجبلين، وهي المعبر عنها بالجنتين بالشمال واليمين» (٢٣/١٠). واعتبرها البعض الآخر أكبر من ذلك بكثير، وقَدَّروها بأنها تبلغ مسافة أيام وليالي حيث تصل إلى حضرموت في الجنوب الشرقي والى نجران في الشمال الغربي، ويعتبر اليمنيون هذا القول أقرب إلى الحقيقة معتمدين على نص الآية الكريمة ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (٢٤/١٠).

لقد عظم شأن السد لدى أهل اليمن، وشكل أهمية كبرى في ازدهار النشاط الزراعي الذي شهدته مملكة سبأ فكان أحد رموز الحضارة اليمنية في ذلك التاريخ. ولقد كان الكم الهائل من المياه التي اختزنها السد بين الجبلين سبباً في تعمير وادي مأرب وتحويله إلى جنتين كبيرتين عن يمين الوادي وشماله، وكل من الجنتين يضم مجموعة من البساتين المتصلة ببعضها دون انقطاع منتجة مختلف محاصيل الحبوب والخضار وأطيب ثمار الفاكهة وأحلاها. ومن كثرة الثمار وطيبها ونضجها كانت تتساقط وحدها من فوق الأشجار. ويُروى أن المرأة السبئية كانت إذا ما أرادت أن تجمع ثمار الفاكهة كان يكفي عليها أن تحمل السلة فوق رأسها ثم تسير في بستانها تحت أشجار تلك الفاكهة لتخرج من بستانها وقد امتلأت سلتها بأطيب الثمار، ودون أن تتكلف جهد القطف. وكانت البساتين التي قامت في الجنتين بفضل سد مأرب آية في النعمة والجمال، بحيث أصبحت تلك البقعة جنة على الأرض. ولقد وصفها الله في كتابه بقوله: ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ (١٧/١٠). كما تدل النقوش السبئيّة القديمة على أنّ التقدم الحضاري قد بلغ في تلك الفترة شأناً عظيماً، إذ استقرّت عاصمة الدّولة السبئية، وأطلق عليها اسم «اليمن السعيد».

١٠-٥ انهيار سد مأرب كان سبباً في انهيار حضارة

كان سد مأرب خلال عمره الطويل يتصدع بين الحين والآخر لأسباب كثيرة أهمها تلك التي تدخل في عموم الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات التي تسببها السيول الكبيرة الناتجة عن الأمطار الغزيرة. ولكن ولأهمية السد لأهالي اليمن فقد قام السبئيون بعدة إصلاحات وترميمات لسد مأرب وهو ما دلت عليه بعض الكتابات المحفورة على جدران السد بالمسند عبر أوقات مختلفة قبل الميلاد وبعده. وتشير كتب التاريخ إلى أن أهالي اليمن أعادوا ترميم السد أربع مرات: الأولى في سنة ١٠٠ قبل الميلاد في عهد ياسر يهنعم، والثانية في سنة ٣٠٠ بعد الميلاد، والثالثة في سنة ٤٥٠ بعد الميلاد على يد شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد. أما الترميم الرابع للسد فقد تم في سنة ٥٥٧ بعد الميلاد وكان على يد القائد الحبشي أبرهة الأشرم (١٢/١٠).

وظل السد العظيم شامخاً في أرض مأرب، صامداً مئات السنين، يغذي الحضارة السبئية ويجدد حياتها حتى النصف الثاني من

القرن السادس الميلادي حيث وقع الانهيار الكبير للسد العظيم. ففي إحدى الأعوام الواقعة ما بين (٥٧٥-٥٨٠ ميلادية) كما تشير أغلب المراجع تَهَدَّم السد التاريخي الذي بنته أعظم حضارة قامت في الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية، وكان يشكل أحد أركان دولتها واقتصادها. كان تفجر السد غير عادي، بل كان خارقاً للعادة، وكارثة كبرى أتت على معظم بنيان السد، وألحقت أضراراً لا حصر لها في المنطقة الجنوبية، فقد جرف معظم منشآت الجنتين، وأغرق الحرث والبساتين، فتحطمت الأشجار والزروع والثمار، وشل نظام الري بأجمعه، ثم جفت الأرض والأنهار وتبدلت صورة الحياة في تلك الأرض تماماً، وتحول الوادى الخصيب إلى صحراء تناثرت فيها الأشجار البرية الخشنة، والثمار المرة التي لا تؤكل، أو الأشجار الصحراوية قليلة الثمار، كثيرة الأشواك كالسدر، وكالأراك، وما شابهها من النباتات الصحراوية فبعد الزروع الناضرة، والأشجار المثمرة، والثمار الناضجة، والظلال الوارفة، والمناظر البهيجة، تبدل الحال في مأرب فتغيرت ظروف الحياة رأساً على عقب.

وبانهياره كان الانهيار الكبير للحضارة الزراعية التي شهدتها أرض مأرب في ذلك التاريخ. وكان انهياره سبباً في هجرة أعداد كبيرة من قبائل المنطقة باتجاه شمال وجنوب الجزيرة العربية لتسكن الحجاز، والشام، والعراق، وعُمان، وغيرها حتى قيل عن ذلك (تفرقوا أيدي سبأ).

ولم يبق من آثار ذلك السد العظيم سوى بعض معالم لجداره، ومباني المصرفين الكبيرين اللذين كانت تخرج بواسطتهما المياه من جانبي السد أو الصدفين الشمالي والجنوبي، إضافة إلى القناتين الرئيسيتين اللتين كانتا تربطا المصرفين بالجنتين، ومقاسم المياه في الجنتين، وهي سدود تحويلية صغيرة تقسم المياه التي تصلها من القناتين الرئيسيتين. وقد روى القرآن الكريم ذلك الحدث وأسباب حدوثه، فقال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (٢٥/١٠).

صورة ١٠/٥. من آثار سد مأرب القديم الباقية حتى هذا التاريخ.

١٠-٦ سَبَق المُلوك والسلاطين

تقول مخطوطة (كتاب تاريخ صنعاء اليمن) التي قام بتحقيقها المؤرخ الإمام أحمد بن عبدالله بن محمد المعروف بالرازي، في النسخة المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريس والتي أعيد نسخها أكثر من مرة، في الصفحة ١٠٢ ما يلي: «وأخبرنا عبد الرزاق عن أبيه، قال: سمعت وهبا يقول: لا تنقضي الليالي والأيام حتى يُبنى على جدة مكة سور، ولا تنقضي الليالي والأيام حتى يَرِد سد مأرب رجل من العرب، ولا تنقضي الليالي والأيام حتى يرى أهل الطواف أهل المسعى» (١٠/٢٦).

لقد تنبأت تلك المخطوطة بإعادة سد مأرب على يد رجل من العرب، ومر زمن طويل حتى جاء من يتبنى إعادته. فمنذ انهيار سد مأرب لم تشهد مأرب أية محاولة لإعادة بناء سدها العظيم بالرغم من ظهور عدة دول قوية ومتعاقبة في الجزيرة العربية، والوطن العربي والإسلامي منذ ذلك التاريخ. فلو تتبعنا الدول التي قامت في تاريخ الجزيرة العربية فنجد أنه بعد الخلافة الإسلامية قامت الدولة الأموية، وهي من أعظم الدول التي ظهرت في الجزيرة العربية واتسعت حدودها إلى الأندلس وأسهمت في إعمارها وتطويرها، وظلت شامخة قوية زهاء قرن إلا قليلاً. ثم جاءت الدولة العباسية ولم تكن بأقل شأناً وقوة، وظلت قائمة زهاء خمسة قرون، ثم جاءت الدولة العثمانية، وكل تلك الدول التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي قد توفر لديها الثراء العظيم، والجيوش الكبيرة، والرجال المفكرون والمبدعون. كما تربع على قمة تلك الدول الكثير من الملوك والسلاطين الأقوياء والعظماء، وشهد لهم التاريخ بالحنكة والسياسة والإنجاز العظيم في أمتهم، لكن لم يتجه أحد منهم نحو أرض مأرب فيهتدي إلى إعادة بناء سدها العظيم فيعيد بذلك جزءً من تاريخها المجيد، وحضارتها الزراعية التي كانت زاهرة في عهد الدولة السبئية.

وفي التاريخ الحديث ظهرت دول عربية وإسلامية قد أنعم الله عليها بالثروة والإمكانيات التي تمكنها من بناء السد، لكن لم يلتفت منها أحد نحو مأرب ليقوم بتلك المبادرة. كما أن بإمكان كثير من دول العالم الأخرى أو زعمائها طرح تلك المبادرة، أو حتى

المساهمة الجزئية في عودة الحياة للسد، لكن أمراً كهذا لم يحدث. وحتى المؤسسات الدولية المهتمة بتاريخ الحضارات الإنسانية كان ينبغي عليها التدخل لأن السد يشكل أيضاً تراثاً إنسانياً عظيماً، وجزءً من تاريخ الإنسان القديم، لكن ظلت النتيجة واحدة، وظل ذلك السد باقياً في صفحات التاريخ سنين طويلة وكأنه حقبة زمنية انتهت ولن تعود. ولكن الله قد كتب للسد تاريخاً جديداً لعودته للحياة مرة أخرى، وكأنه فقط ينتظر الرجل الذي قد كَتب الله على يديه ذلك التاريخ. فقد آن لذلك الرجل أن يظهر، فالسد قد مضى على تهدمه زمن طويل، وأهل مأرب متشوقون لعودة الحياة لسدهم ولأراضيهم العطشى، بعد أن صبروا طويلاً.

وفي سنوات العقد الثامن من القرن العشرين، وبعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً على انهيار سد مأرب يأتي الفرج من الله لأهل مأرب، فيخرج الرجل الموعود فيطرح مبادرته في بناء السد، فيسمع به أهل اليمن، فيعلمون أنه رجل من رجالات الجزيرة العربية العظام، فيحمدون الله على ذلك، ويعلمون أنه رجل ذو فكر وحدوي ويحب أمته، فبالأمس القريب وَحَّدَ سبع إمارات تحت قيادة وراية واحدة، فيسرون لذلك، ويستنتجون مباشرة أن مبادرة بناء السد ما هي إلا مشروع وحدوي آخر بين شعبه وشعب اليمن فيحمدون الله على ذلك.

وصدقت النبوءة، وجاء رجل من العرب هو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رجل المواقف والشجاعة والكرم، ذو النظرة الثاقبة التي دائماً يسبق بها الآخرين، لا ينظر تحت قدميه أو في محيطه، بل تمتد نظرته لأبعد من ذلك، لذا فإن من الطبيعي أن يسبق الملوك والسلاطين فيؤكد أن سد مأرب يجب أن يعود مرة أخرى، ويؤكد أنه مستعد لإعادة بنائه ومن ماله الخاص ومهما كلف الأمر.

١٠-٧ كيف بدأت مبادرة زايد التاريخية؟

متى بدأ زايد يفكر ويخطط لمبادرته التاريخية الضخمة في إعادة بناء سد مأرب؟ سؤال طبيعي يمكن أن يطرحه أي سامع أو قارىء عن تاريخ سد مأرب، ولكن الإجابة سوف تكون غير طبيعية على آذان السائل، ولسوف يطلب السامع من الراوي تكرار ما سمعه، وسوف يعيد القارىء مرة أخرى ما قرأه، وسيقف ليتأمل تلك المبادرة في ذلك التاريخ. لقد كانت مبادرة الشيخ زايد نحو اليمن مبكرة جداً وهذا ما يثير الاستغراب والتعجب في مبادرات ذلك القائد الذي دائماً ما يطرح مبادرات مبكرة يسبق بها التاريخ. هل تعلم أيها القارىء الكريم أن الشيخ زايد بدأ يفكر في سد مأرب وما يحتاجه اليمن من عون ودعم بعد سنة واحدة فقط من قيام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٧١؟ ولنتأمل معاً في ذلك الحديث الذي أدلى به الشيخ زايد -رحمه الله- للإذاعة اليمنية في صنعاء في ٢٩ مارس ١٩٧٢ والذي قال فيه: «إن العلاقات بين اليمن ودولة الإمارات ستزدهر وتنمو أكثر مما هي عليه الآن، وسيشهد المستقبل القريب إن شاء الله انفتاحاً كاملاً بين اليمن ودولة الاتحاد في كافة المجالات لمصلحة الشعبين الشقيقين في اليمن والخليج» (٢٧/١٠). أطلق الشيخ زايد ذلك التصريح بعد عام من قيام دولة الإمارات. فكيف يمكن لرئيس دولة جديد، يقود اتحاداً حديثاً وتنتظره مسؤوليات جسام هو أكثر الناس معرفة بها ليس فقط في السنوات القادمة من قيام الاتحاد بل في العقود التالية نحو بناء وإرساء قواعد وأسس تلك الدولة الفتية ضعيفة البُنى التحتية، ولديه أيضاً طموح كبير لرفع مستوى شعبه المحروم في السابق من كل شيء، وفي الوقت نفسه يفكر خارج حدود وطنه في تلك السنوات الأولى من توليه الرئاسة، ولكننا نقول: سَجِّل يا قلم واحفظ يا تاريخ.

كان وطن الشيخ زايد الأمة العربية أجمع، ولم يكن ينظر أسفل قدميه، بل كانت نظرته أوسع من ذلك وأشمل، وكان هناك متسع في فكره تجاه إخوته في الوطن العربي، ولم تصرفه متطلبات الدولة الحديثة من جهد ومال عن التفكير في إخوانه في شتى أنحاء الوطن العربي والإسلامي. وهكذا فقد عكس ذلك التصريح المبكر فكر الشيخ زايد نحو اليمن وكيف أنه ينظر إلى ذلك القطر من الوطن العربي نظرة مختلفة وليس فقط مجرد شعارات يرددها زعيم أو رئيس تنشر في وسائل الإعلام ومن ثم تُنسى. فزايد إذا قال شيئاً فاعلم أولاً أنه صادق فيما يقول، وأن قوله ينطلق من الإخلاص والنية الحسنة، ثم اعلم بعد ذلك وتيقن أن زايد سوف يفعل ذلك الشيء ما استطاع إليه سبيلاً، وليس قوله مجرد شعارات أو للاستهلاك السياسي.

نعم، لقد انبثق من ذلك التصريح مبادرة ضخمة للشيخ زايد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، لأنها متعلقة بأعظم سد في تاريخ

العرب، ولأنها مبادرة لم يلتفت إليها أحد من قبله، وسبق بها أقرانه من الزعماء، وقد هداه ربه إليها لصدقه وحسن نواياه نحو سعادة الإنسان وإعمار الأرض. لقد قرر الشيخ زايد أن يعيد بناء سد مأرب العظيم وعلى نفقته الخاصة ومهما كلف من مال.

وأعدت الحكومة اليمنية دراسة علمية وافية لمبادرة الشيخ زايد في إعادة بناء سد مأرب. وفي شهر مايو ١٩٧٤، قامت شركة (بيولنج) بتسليم دراسة شاملة في هذا الصدد إلى حكومة الجمهورية العربية اليمنية، وبعد عامين (١٩٧٦) وقع صندوق أبوظبي للتنمية وشركة (إلكتروات) السويسرية على اتفاقية لدراسة الجدوى الاقتصادية للسد الجديد. وفي عام ١٩٧٨ تسلمت حكومة الجمهورية العربية اليمنية، دراسة مشتركة قدمتها شركة (إلكتروات) السويسرية، وشركة (هنتنج للخدمات التقنية) تضمنت الأطر الفنية الاقتصادية للمشروع الضخم. وبعد ذلك بثلاث أعوام وقعت صنعاء على اتفاقية مع شركة (دغوش) التركية لبناء السد الجديد بقيمة ٩٠ مليون دولار أمريكي (نحو ٣٣٠,٣ مليون درهم) تَكَفَّل بها الشيخ زايد -رحمه الله- من ماله الخاص (١٢/١٠).

وفي يوليو ١٩٨٤ أعلن رسمياً عن بدء إعادة بناء سد مأرب، وكان هذا الإعلان مفاجأة لكثير من الناس في داخل اليمن وخارجه. وفي الثاني من أكتوبر ١٩٨٤ قام الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بزيارة لليمن لمشاركة أخيه العقيد علي عبد الله صالح، رئيس الجمهورية العربية اليمنية في وضع حجر الأساس للسد الجديد، وبهذا سجل التاريخ بطولة عظيمة وعبقرية أخرى لزايد سبق بها غيره من ملوك وسلاطين وأمراء ورؤساء العرب والمسلمين على امتداد التاريخ العربي والإسلامي بماضيه وحاضره، بطولة تمثلت في قيام الشيخ زايد بإعادة سد مأرب في موقعه الجغرافي الأصلي. وبذا يعيد زايد تراثاً عظيماً من حضارة اليمن القديمة، وهي مهد الحضارات، وأصل العرب. وسيظل التاريخ يحتفظ بهذا العمل على مر الأزمان والعصور، وسيظل اليمنيون يذكرونه أبد الدهر.

وفي ديسمبر ١٩٨٦، بعد مضي عامين على وضع حجر الأساس لسد مأرب الجديد، قام الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، بزيارة للجمهورية العربية اليمنية ووصل إلى صنعاء، من أجل مشاركة الشعب اليمني أفراحه بافتتاح السد الجديد، وهذا ما أكده في البيان الصحفي الذي أدلى به بعد دقائق من وصوله إلى صنعاء وقال فيه: «إنه مما يزيد من سعادتنا أن ألتقي بأهلي وعشيرتي أشقائنا في الجمهورية العربية اليمنية الذين تربطنا بهم أوثق روابط الماضي والحاضر والمستقبل، ولمشاركة الشعب اليمني فرحته بافتتاح سد مأرب التاريخي، هذا السد الذي يرمز إلى تاريخ اليمن العظيم، والذي يعتبر تاريخ العرب جميعاً، كما أننا نعتبره رمزاً لكل ما يربط البلدين، والشعبين الشقيقين من محبة وأخوة». وأضاف -رحمه الله- في ذلك البيان الصحفي: «وابتهل إلى الله عز وجل أن يبارك للشعب اليمني في هذا السد التاريخي الذي مرت قرون فقدت اليمن بعد تصدعه السعادة الكبرى التي عاش فيها الشعب اليمني سنوات طوال. ونحمد الله الذي أعاد لهذا الشعب الشقيق، ولهذه الأرض الغالية تلك السعادة من جديد» (٢٨/١٠).

وللتاريخ، فقد وجد الشيخ زايد الحب متبادلاً من الشعب اليمني، فطيلة الأيام الثلاثة التي أمضاها في اليمن لمشاركة الشعب اليمني فرحته بتلك المناسبة التاريخية حظي القائد المبدع، القائد العبقري، باستقبال حاشد من الشعب اليمني قل أن شهده رئيس أو حاكم عربي أو أجنبي سبق أن زار تلك البلاد. وكان الشعب طيلة تلك الأيام يخرج لاستقبال الشيخ زايد في كل موقع يزوره، ويرحب به ترحيب الأبطال الفاتحين.

وفي حفل افتتاح السد (ديسمبر ١٩٨٦) حضر تلك المناسبة عدد من الزعماء العرب ومسؤولون وممثلون لمعظم الدول العربية والإسلامية، كما احتشد جمهور كبير من الشعب اليمني ليشاهدوا القائدين العربيين الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، والعقيد علي عبد الله صالح، رئيس الجمهورية العربية اليمنية، وهم يشغلان جهاز التحكم في تصريف المياه إيذاناً بتدشين السد رسمياً، وليشهدوا بذلك اللحظات التاريخية المهيبة لعودة سد مأرب للحياة مرة أخرى بعد موت استمر أكثر من أربعة عشر قرناً على أقل تقدير. فلأول مرة يعود سد مأرب منذ أن تهدم بفعل ما عرف بسيل العرم الذي شهدته تلك المنطقة في عصور قديمة سبقت ظهور الدعوة الإسلامية.

وقد قال العقيد علي عبد الله صالح في يوم افتتاح السد بعد أن رحب بالشيخ زايد وكبار مرافقيه في كلمته لهذه المناسبة التاريخية: «في هذا اليوم التاريخي العظيم الذي نفتتح فيه سد

مأرب العظيم، مجد العرب وتاريخهم التليد، لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل باسم شعبنا اليمني لأخينا الأكبر القائد العربي المناضل سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي قدم هذه المساعدة رمزاً للأخوة، ورمزاً للعروبة، ورمزاً للوحدة». وأضاف الرئيس اليمني أيضاً: «إن إنشاء سد مأرب العظيم التاريخي على نفقة سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة، الأخ الذي قدم هذه المساعدة السخية لوطنه الثاني، اليمن، هو إنجاز عظيم للشعب اليمني، وباسم شعبنا نقدم الشكر والتقدير لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان».

ومن جانبه قال العبقري زايد في تلك المناسبة: «أهنيء نفسي أولاً، وأهنيء أخي فخامة الرئيس علي عبد الله صالح، وأهني الشعب اليمني على ما تحقق.. والعون الذي حصل من الله سبحانه وتعالى، ووجهنا الله إلى أن نعمل بطاقتنا وبجهدنا، وذلك بإرادة الله، ثم وجدنا الآن أن كل ما عملناه هو في مصلحة الشعب اليمني، إخواننا وأهلنا وأرضنا، وكل قوة وكل شيء يوجد في هذا البلد أو بلدان أخرى، يعتبر دعما لنا، فهو قوة وطاقة إضافية وزائدة لإخواننا وأمتنا العربية في كل محل وفي كل بلد وفي كل ارض، سواءً كانت قريبة أو بعيدة». وقال الشيخ زايد أيضاً: «وكل ما عملنا للشعب اليمني كان بأمر الله تعالى وفي محله مع إخوة مستحقين ولهم الحق الأكبر والأوفر.. أنا أعمل وإخواني الباقون يعملون لأن إخواني اليمنيين عاشوا في زمن قاس أكثر من غيرهم من إخوانهم». وشدد الشيخ زايد -رحمه الله- على التآزر والتعاضد في كلمته قائلاً: «يجب أن تتآزر قوتنا وهمتنا للأخذ بأيدي هذا الشعب الشقيق، الشعب الشريف، الذي هو يستحق العون من كل أخ عربي مخلص، ونعمل مع بعضنا البعض، حتى نصبح كلنا في قدرة لائقة لبلدنا ولحفظ وطننا جميعاً» (١٠/٢٩).

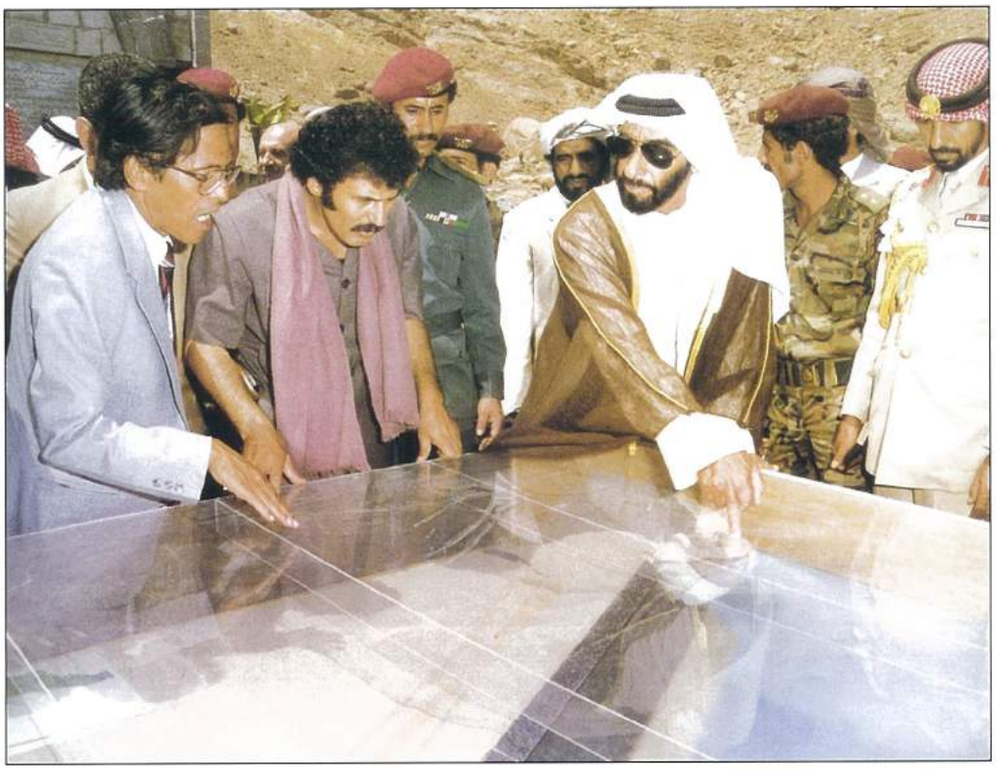

صورة ١٠/٦. الشيخ زايد أثناء زيارته لموقع سد مأرب لمشاركة أخيه العقيد علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية العربية اليمنية في وضع حجر الأساس للسد الجديد (أكتوبر ١٩٨٤).

صورة ١٠/٧. حجر الأساس لسد مأرب الجديد (أكتوبر ١٩٨٤).

صورة ١٠/٨. استقبال حار وحفاوة كبيرة تلقاها الشيخ زايد من الشعب اليمني أثناء زيارته لليمن في ديسمبر ١٩٨٦ بمناسبة افتتاح سد مأرب.

صورة ١٠/٩. الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والرئيس اليمني يتفقدان منشآت سد مأرب الجديد، ديسمبر ١٩٨٦.

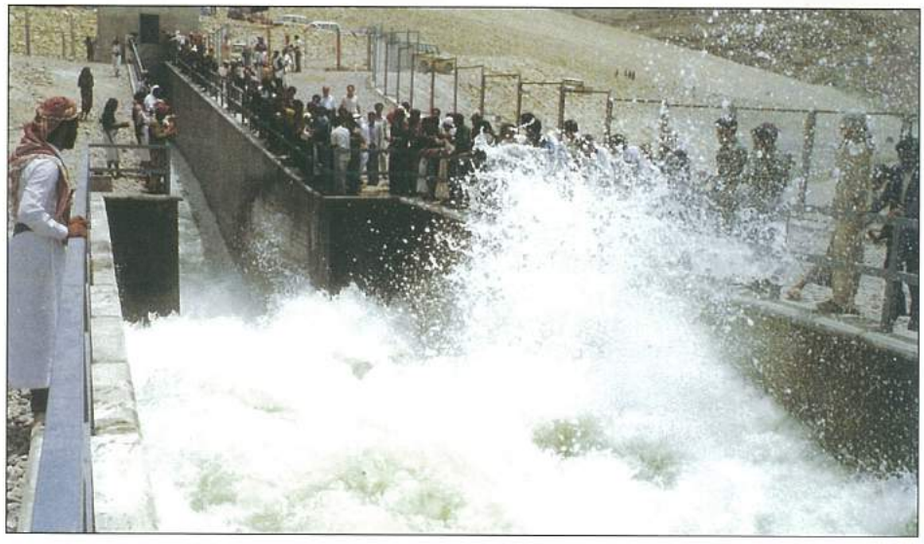

صورة ١٠/١٠. تدفق الماء من مصرف سد مأرب الجديد.

صورة ١٠/١١. الشيخ زايد في احتفال افتتاح سد مأرب (ديسمبر ١٩٨٦).

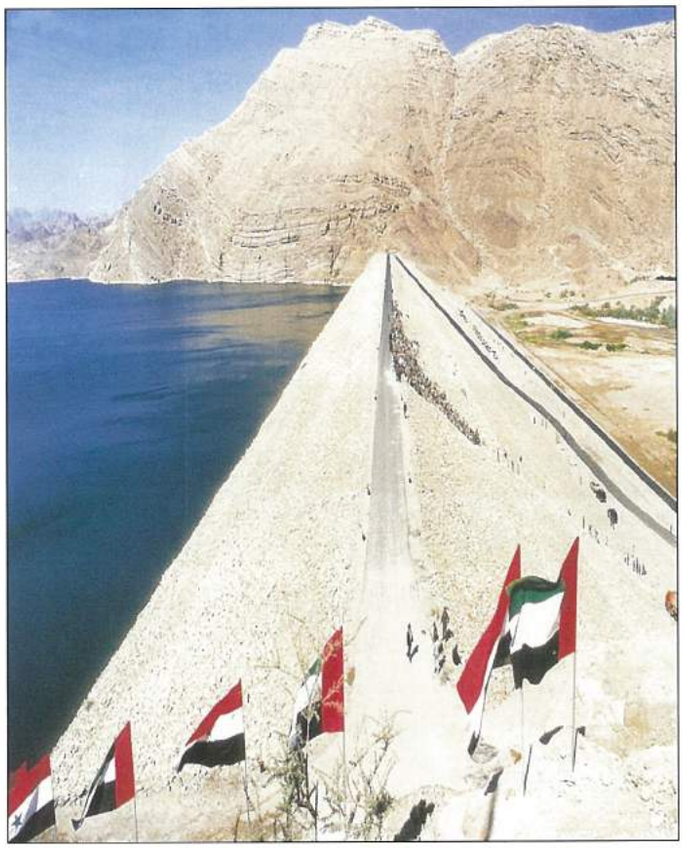

صورة ١٠/١٢. أعلام دولة الإمارات ترفرف على سد مأرب بمناسبة افتتاحه (ديسمبر ١٩٨٦).

١٠-٨ السد الجديد

يقع السد الجديد في الموقع الجغرافي نفسه للسد القديم في مجرى وادي أذنة على بعد ثلاثة كيلومترات إلى الغرب من السد القديم والتي لا تزال بقاياه شاخصة للعيان إلى يومنا هذا. ويبلغ عرض المضيق في موقع السد الجديد حوالي ٦٠٠ متراً، وقد قُدِّرَت مساحة سطح الخزان بحوالي ٣,٥ كيلومتراً مربعاً، وطول السد ٧٦٠ متراً وارتفاعه ٤٠ متراً، ويمكنه أن يختزن ٣٩٠ مليون متر مكعب من المياه، أي نحو ثلاثة أضعاف السعة التخزينية للسد القديم على أقل تقدير (١٠/١٢). ويوجد للسد فتحة واحدة، بعكس ما كان عليه السد القديم الذي كان له مصرفان على جانبيه، وتقع تلك الفتحة في الطرف الأيمن من السد بقطر ٢,٥ متر وبسعة تصريفية ٣٥ متراً مكعباً في الثانية. وتتدفق المياه من هذه الفتحة على الدوام عبر قناة توصيل عرضها ٢٠ متراً، تتجه المياه منها إلى مجرى الوادي باتجاه المساحة الزراعية على الضفتين. ويتألف جسم السد من أحجار ومواد بناء مختلفة تبلغ ثلاثة ملايين متر مكعب، ويبلغ عرضه من الأسفل ١٩٥ متراً وعرضه من الأعلى ٦ أمتار (١٠/١٢).

١٠-٩ أهمية السد لمحافظة مأرب

تتميز محافظة مأرب بخصوبة أرضها واتساع رقعتها الزراعية لكنها كانت تفتقر إلى المياه اللازمة للزراعة، ولذلك فقد استبشر سكان المحافظة خيراً بإعادة بناء سد مأرب التاريخي وتوقعوا أن يحقق هذا المشروع آثاراً ايجابية كبيرة على التنمية الزراعية، وأن يحدث نهضة في إنتاج المحاصيل الزراعية وزيادة المساحة المزروعة الواقعة خلف حاجز السد.

بعد افتتاح السد، حدث تحول كبير في حياة سكان المنطقة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية فقد شجعت كميات المياه الوفيرة المحتجزة في حوض السد الجديد، والتي تقدر بحوالي ٤٠٠ مليون متر مكعب، المزارعين على استصلاح أكثر من ٢٠ ألف هكتار في حين أن المُستغل منها قبل إعادة بناء السد لا يزيد على مئات من الهكتارات، وأدى ذلك إلى ارتفاع ملحوظ في إنتاج المحاصيل الزراعية المختلفة. ويؤكد تقرير صادر عن الهيئة العامة لتطوير المناطق الشرقية أن نسبة إنتاج محافظة مأرب من الحبوب ارتفعت من ٣٠ بالمائة عند افتتاح السد عام ١٩٨٦ إلى أكثر من ٦٠ بالمائة في العام ٢٠٠٦، ويشير إلى الزيادة الكبيرة في إنتاج المحاصيل الحقلية وزراعة محاصيل لم تكن موجودة قبل إعادة بناء السد مثل الخضار والفواكه التي تمتلىء بها الأسواق اليمنية (١٠/٣٠).

وعن أثر هذا المشروع في الجانب الاجتماعي فإن السد الجديد ساهم في تحقيق الاستقرار المعيشي لأبناء المنطقة من خلال توجه نسبة كبيرة من السكان نحو الزراعة وإنتاج المحاصيل ذات المردود الاقتصادي العالي الأمر الذي ساعد في رفع مستوى الدخل والاستقرار للسكان بعدما كانوا في السابق يغلب على حياتهم طابع التنقل والترحال بحثاً عن المياه والمرعى.

ويقول أهالي محافظة مأرب عن هذا المشروع أنهم عادوا لممارسة نشاطهم الزراعي من جديد وفي مساحات واسعة بعد إعادة بناء السد وأدخلوا العديد من المحاصيل الزراعية بدلاً من زراعة الحبوب فقط، ويشيرون إلى أن مزارعهم أصبحت تنتج جميع أنواع الخضار والفواكه وأنهم يقومون الآن بتسويق منتجاتهم من تلك المحاصيل إلى جميع المحافظات اليمنية (١٠/٣٠).

ولقد ساعد السد الجديد في إحياء مشروعات ضخمة أخرى في منطقة بنائه، خصوصاً إحياء العاصمة القديمة لمملكة سبأ (مدينة مأرب القديمة) كما هيأ فرصاً وظيفية كثيرة لأبناء المنطقة بسبب حركة التنمية الزراعية التي دبت في منطقة السد إثر إعادة بنائه.

لاشك أن السد الجديد سيبقى يلعب دوراً كبيراً في التنمية الزراعية لمحافظة مأرب التي يقطنها حوالي ربع مليون نسمة يتوزعون على أكثر من ٥٠٠ قرية. ولاشك أيضاً أنه سيظل يلعب دوراً كبيراً في تغذية المياه الجوفية وبالتالي زيادة استغلال الأراضي الزراعية في محافظة مأرب.

١٠-١٠ ما الذي دفع زايد ليفكر في هذه المبادرة؟

ولماذا سد مأرب؟ وما علاقة زايد بذلك؟ أسئلة يطرحها الإنسان العربي والمراقب الأجنبي لمعرفة الدوافع الحقيقية من وراء مبادرة الشيخ زايد التاريخية لإعادة بناء سد مأرب. ولأن المبادرة كانت

عظيمة، ولأن إتمام بناء السد وافتتاحه كان يوماً تاريخياً، فإن تلك الأسئلة وغيرها كانت تطرحها وسائل الإعلام العربية والعالمية على الشيخ زايد -رحمه الله- لمعرفة حقيقة أمر ذلك المشروع العظيم، فكان -رحمه الله- يجيبهم قائلاً: «إن الذي جعلني أفكر في بناء سد مأرب ثلاثة أمور رئيسية مهمة: أولها، إن السد هو الذي كان يحمي اليمن بأكمله، وهو الذي تطور اليمن بوجوده. ثانيها، إن اليمن قد خرج لتوه من حروب طاحنة ابتلى بها من الداخل ومن الخارج، واستطالت هذه الحروب وأزمنت وطال وقتها، وأصبح الشعب اليمني مشتتاً وأصبحت الدولة اليمنية شبه ممزقة، وأمسى واضحاً للعيان أن التخلف فيها أكثر من أي دولة عربية أخرى. ثالثها، إن من يقرأ التاريخ يعرف أن نسب العرب وحسبهم كله يعود إلى اليمن، فمنه خرجت الهجرات إلى كل بقاع العرب، وبالأخص إلى الخليج الشرقي. ومن هذا المنطلق رأينا أن من واجبنا أن نأخذ بيد اليمن حتى يكون رافداً للأمة العربية في الحاضر والمستقبل، فلم أجد عندئذ أعز أو أغلى لليمني من بناء سد مأرب، فعزمت على بنائه من جديد والحمد لله على ذلك» (٣١/١٠). وفي موقف آخر أجاب بقوله: «لأن اليمن جناح الخليج.. فكيف نساعد إخواننا في كل مكان ولا نساعد الذين مرت بهم الحروب وطحنتهم، والقضية بعد ذلك واجب لا بد منه، لأن كل دولة عربية تقوى وتنهض هي سند وقوة للأمة العربية أجمع. وكل دولة تضعف تعتبر عضواً في إنسان مشلول، لذا لم أتوان ولم أتأخر في تلبية طلب الإخوة، وحرصت على أن يكون هذا العمل سعادة لحاضرهم وقوة ومنعة لمستقبلهم، وكما كان وجود السد القديم يسبغ على اليمن اسم اليمن السعيد، فإنني أردت أن يجعل السد الجديد اليمن يمناً سعيداً بعون الله وتوفيقه» (٣١/١٠).

ويقول -رحمه الله- عن تلك المبادرة الكريمة: «لقد فكرت في إعادة بناء سد مأرب، لأن هذا السد كان مصدر حياة لليمن كله، ولمساعدة هذا البلد الذي أرهقته الحروب وأصبح يصارع التخلف». ويقول كذلك: «لقد رأيت أن من واجبي أن نأخذ بيد الشعب اليمني الذي خرجت منه الهجرات إلى كل البقاع العربية، وبالأخص إلى الخليج الشرقي، وليصبح رافداً للأمة العربية في الحاضر والمستقبل» (٣١/١٠).

وحقيقة الأمر فإننا لا نحتاج إلى وقت كبير للتفكير لمعرفة السر من وراء ذلك، فإننا لو تأملنا في جوهر كلمات الشيخ زايد لبدت لنا الحقيقة واضحة، فزايد كان أوضح الرجال إذا تحدث وأصدقهم قولاً، وإن المتتبع البسيط ليفهم كلماته البسيطة وبسهولة. فزايد يريد من هذا العمل صلة الرحم، ونستشف ذلك في قوله: «أن نسب العرب وحسبهم كله يعود إلى اليمن، فمنه خرجت الهجرات إلى كل بقاع العرب، وبالأخص إلى الخليج الشرقي، ومن هذا المنطلق رأينا أن من واجبنا أن نأخذ بيد اليمن» (٣١/١٠). وهنا نتعلم من الشيخ زايد حق الرحم.

ولقد أراد الشيخ زايد من بناء السد أيضاً مساعدة الشعوب العربية، وتقوية تلك الأمصار من الأمة العربية، وهذا ما لمسناه من حديثه حين قال: «إن كل شيء عملناه في هذا البلد أو غيره فهو قوة للعرب والمسلمين». فعندما يُقام مثل ذلك المشروع الضخم في الوطن العربي فلا شك أنه سوف يلعب دوراً هاماً في التنمية الزراعية في ذلك الوطن وبالتالي يسهم في تحسين اقتصاد تلك البقعة من الوطن العربي، ومن ثم فهو قوة للعرب والمسلمين. كما أننا نستشعر من قيام ذلك المشروع المائي الضخم حس الشيخ زايد بخصوص الأمن المائي العربي، فبناء سد مأرب العظيم لا شك أنه يصب وبقوة في هذا الخصوص. لقد كان الشيخ زايد -رحمه الله- رجلاً ينشد سلاماً وازدهاراً حقيقياً لهذه الأمة، وبهذا فإنه يحقق أرقى صور الانتماء إلى أمته وتكريم تاريخها والتعامل معها بالروح الحية والعقل المسؤول.

ومن الأشياء الجميلة في شخصية ذلك القائد الفذ أنه لم يكن -رحمه الله- يسند الأعمال العظيمة التي ينجزها إلى ذاته، وإنما كان يردها إلى توفيق الله. وعن مبادرته العظيمة بإعادة سد مأرب كان يردد: «كل ما عملناه هو بأمر من الله تعالى لمساعدة إخواننا اليمنيين».

صورة ١٠/١٣. سد مأرب الجديد عاد مرة أخرى، وبعد سنين طويلة، ليحجز كميات كبيرة من مياه السيول في وادي أذنة بمحافظة مأرب التاريخية.

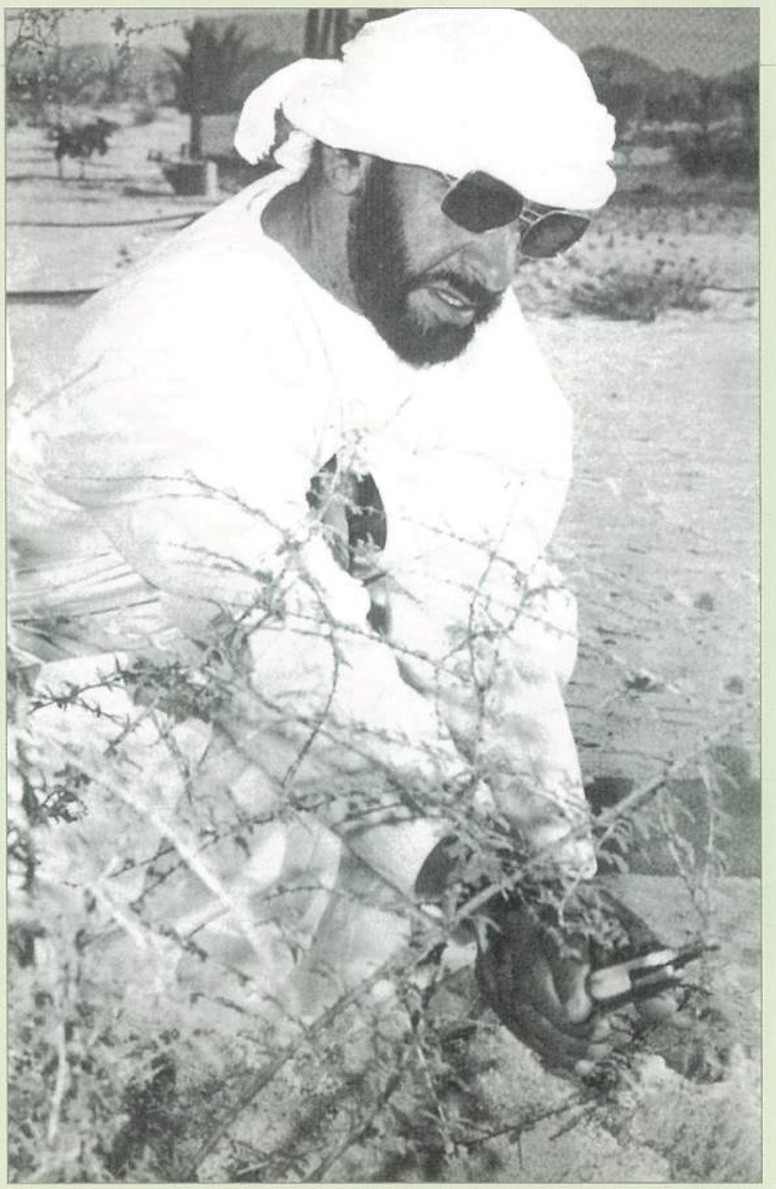

الفصل الحادي عشر

صُوَرٌ أخرى من العبقرية

١١-١ العبقري زايد

١١-٢ قصص ومواقف مختلفة يرويها رجال عملوا بالقرب من الشيخ زايد

١١-١ العبقري زايد

من أهم مصادر المعلومات التي اعتمدت عليها في جمع مادة هذا الكتاب أولئك الرجال الذين تشرفوا بالعمل بالقرب من الشيخ زايد -رحمه الله- إدراكاً أن كثيراً من المعلومات عن سيرة القائد موجودة في ذاكرة أولئك الرجال، وأن كثيراً منها حبيس أدمغتهم ولم يسمع بها الآخرون، حتى أبناؤهم أو أحفادهم، ناهيك عن أبناء الإمارات عامة، وأن من ذاكرة أولئك الرجال يمكن أن نستخرج مواقف العبقرية الرائعة والجميلة عن الشيخ زايد والتي لم تكتب عنها صحافة، ولم ترصدها كتب من قبل. فرأيت أن أقترب منهم، وأكتب عنهم شهاداتهم عن زايد -والتي كانوا هم أحد أطرافها- في فصل مستقل بهدف جمع مزيد من صور عبقريته وخبراته لتبقى دروساً لنا ولأجيالنا من بعدنا.

يحدثني أحد الذين التقيت بهم، وهو السيد راشد محمد بن حرمش المنصوري، وهو أحد أولئك الرجال الذين عملوا بالقرب من الشيخ زايد لأكثر من ثلاثة عقود، عن مدى الإطلاع والمعرفة التي كان الشيخ زايد -رحمه الله- يتميز بها في شتى العلوم فيقول: «إن الشيخ زايد إذا تكلم في أي موضوع وجدته أنه أعلم الناس به، فإذا تكلم في الزراعة قلت إن الشيخ زايد ليس له اهتمام إلا بالزراعة، وإذا تكلم في الخيل قلت إن الشيخ زايد ليس له اهتمام إلا بالخيل، وإذا تكلم في طير وجدته أخبر الناس وأعلمهم بعلم الطيور (أنواع الصقور) والصيد بها، وفي الشعر والأدب هو كذلك. ومن المعلومات التي يجهلها كثير من الناس أن الشيخ زايد -رحمه الله- كان رساماً بارعاً» (١/١١).

ويروي السيد علي بن سالم الكعبي، وهو من الذين تشرفوا بالعمل مع الشيخ زايد، وكان مديراً لمكتب صاحب السمو رئيس الدولة، فكان قريباً منه في آخر سبع سنوات من عمره، عن إطلاع الشيخ زايد وثقافته فيقول: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- خير قدوة، وكان مدرسة في كل شيء، ولقد تعلمنا من مجلسه الكثير، الذي كان فيه الشعر والأدب والسياسة والعادات والتقاليد والمعاني العربية الأصيلة والثقافة، وكل من يجلس في مجلسه لا بد أن يخرج بدرس يستفيد منه فكيف نحن الذين عاشرناه ونعتبر أنفسنا محظوظين جداً بهذه الخدمة لأن زايد جزء من تاريخ هذه الدولة وهو مؤسسها

صورة ٢/١١. الشيخ زايد يستخدم كاميرة فيديو لالتقاط صور لمناطق مختلفة من الصحراء، عام ١٩٧٢.

وباني نهضتها» (٢/١١). وعن علم الشيخ زايد وإطلاعه في الشعر والأدب يقول الكعبي: «إن الشيخ زايد -رحمه الله- كان يحفظ الكثير من أشعار المتنبي ويعتبره شاعره المفضل، لأنه كان يجد في أشعاره أدباً قوياً وحِكَماً كثيرةً. ويذكر موقفاً في هذا فيقول: «في جلسة من جلسات الأدب كنت أقرأ بعض القصائد للمتنبي وكان -رحمه الله- يصحح لي نطق بعض الكلمات من أبيات الشعر، كما كان يسأل من حوله عن معاني الكلمات الصعبة فإذا لم يجيبوه كان يشرح لهم معناها» (١/١١)، تأمل أيها القارىء أي أديب كان الشيخ زايد، وهو الذي لم ينل فرصة التعليم في كلية أو جامعة.

ولقد اكتشفت من شهادات أولئك الرجال العديد من القصص الجميلة والرائعة لمواقف كانوا أحد أطرافها أو كانوا شهوداً عليها، وهي كلها في عمل الخير والعطاء، وفي صالح الإنسان والطير والحيوان والشجر، وفي إعمار الأرض وبناء الحضارة. تلك القصص تصف وتلخص عبقريته الفذة في جوانب الحياة المختلفة، وإنسانيته العظيمة. ولأن موضوع الكتاب يناقش عبقرية زايد في الزراعة والبيئة وما يدور حولهما فسوف أقتصر على ذكر تلك القصص المتعلقة بذلك المجال، وسوف نرى من تلك المواقف كم كان الشيخ زايد -رحمه الله- يحمل عقلاً وفكراً وطبيعةً لا يجاريه فيها في زمانه أحد. ولقد استمتعت بتلك القصص والمواقف كثيراً وازداد إعجابي بهذا القائد العظيم، وهنا أدعو القارىء الكريم ليتأمل في جوهرها، ويتبصر في معانيها ليدرك أي قائد كان زايد.

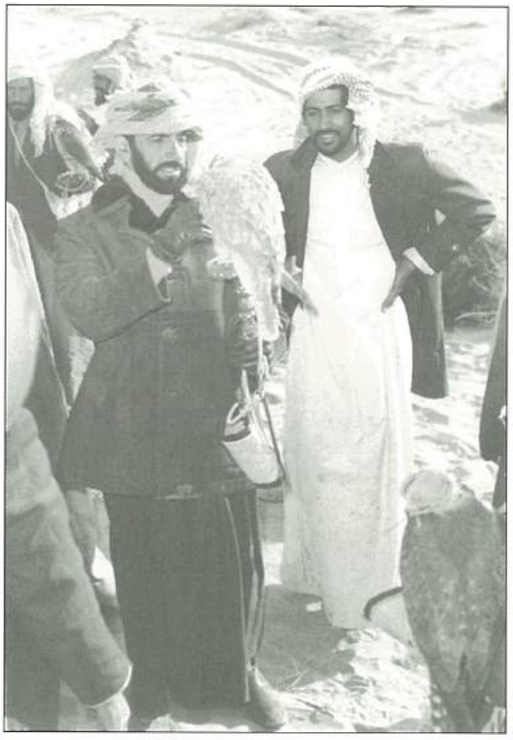

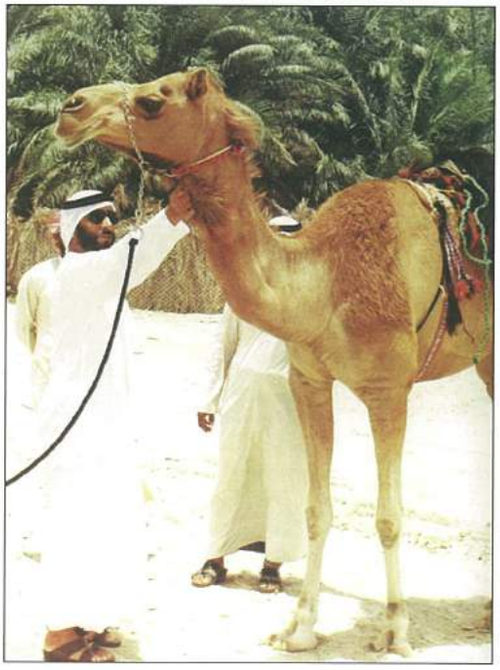

صورة ٣/١١. الشيخ زايد كان أخبر الناس بالصقور والصيد بها، وبالخيل والإبل وركوبها، وبالصحراء وما تضمه من حياة برية.

صورة ١١/٤. وكان ضليعاً في شؤون الزراعة وعلوم البيئة، واستفاد منه كبار الخبراء والمختصين.

١١-٢ قصص ومواقف مختلفة يرويها رجال عملوا بالقرب من الشيخ زايد

شديد الشفقة بالناس

كانت الجوانب الإنسانية في شخصية الشيخ زايد عظيمة، وشفقته بالناس بلا حدود، وكان قائداً وأباً ذي قلب نظيف، وقمة سعادته أن يرى الناس حوله سعداء. وكان يحرص على هذا الجانب ويوليه اهتمامه الكبير، وذلك ما كان يشهد به رجالٌ عملوا بالقرب منه رحمه الله. وهنا سوف أبدأ بذكر موقفين مختلفين، في تاريخين مختلفين، والزمن بينهما طويل جداً. الموقف الأول يرويه رجل عمل مع الشيخ زايد في بداية مشواره القيادي عندما كان ممثلاً للحاكم في مدينة العين والمنطقة الشرقية وهو السيد علي بن عزيز بن مكتوم الشريفي. والقصة التي سوف نذكرها تعود لحقبة السبعينيات. أما الموقف الآخر فيرويه رجل عمل بالقرب من الشيخ زايد في السنوات الأخيرة من حياته، وهو السيد علي بن سالم الكعبي الذي شغل وظيفة مدير مكتب رئيس الدولة. والقصة إذاً حديثة العهد، ولقد قصدت في ذكر هاتين الروايتين لتوضيح أن الرحمة التي جعلها الله في قلب الشيخ زايد لم تتغير إطلاقاً طيلة مشواره السياسي، ولم يؤثر فيها شيء، وهي بلا حدود.

يحدثني السيد علي بن عزيز فيقول: «كان الشيخ زايد شديد الرحمة بالناس، وأذكر لك قصة بسيطة، في السبعينيات، شهدتها بنفسي وعجبت فيها من شفقة الشيخ زايد -رحمه الله- بالناس. ففي يوم من الأيام كنا مع الشيخ زايد نقلم الأشجار في منطقة العين الفايضة، وفي حدود الساعة التاسعة صباحاً جاءت امرأة في تاكسي (سيارة أجرة) ومعها طفلين أعمارهم دون العاشرة وهم ليسوا مواطنين، ثم اقترب الطفلان من الشيخ زايد فقالا له: «نريد أن ندخل المدرسة ونتعلم، وقد مُنِعنا». ويقول بن عزيز: «ولقد شارفت المدارس في ذلك الوقت على الانتهاء. فتفاجأ الشيخ زايد من ذلك الحال، وغضب غضباً شديداً وتأثر كثيراً من فواتهم التعليم، فقال رحمه الله: «حسبي الله على من حسدهم» وأخذ يرددها ثلاثاً. ثم أعطى أوامره لابن محمود، وكان يعمل آنذاك سكرتيراً له، أن يكتب لهم كتاباً لتسجيلهم في المدرسة، ثم أعطاهم مالاً» (٣/١١).

ويروي السيد علي بن سالم الكعبي في هذا الصدد فيقول: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- رحيماً وعطوفاً على الناس، وكان يمتاز بقلب أبيض صافٍ محبٍ للخير متواضع لأبعد الحدود، وكان يغضب عندما يشاهد الحرس يبعدون الجماهير والمواطنين عنه ويقول لنا: «لا تقفوا بيني وبين شعبي، إنني أحبهم وهم يحبونني اتركوهم. و إذا رأى الشيخ زايد أحداً من الحرس يتعامل بشيء من القسوة مع الناس يلومه على ذلك ويقول له اتركوا أبناء الشعب يقتربوا فليس بيني وبينهم حجاب، هؤلاء أتوا من محبتهم لنا». ويضيف، «وكان -رحمه الله- خلال جولاته الميدانية إذا شاهد شخصاً ما واقفاً على جانب الطريق يأمر بطلبه ويسأله عن حاجته ثم يلبيها. وفي إحدى الجولات شاهد رجلاً واقفاً على جانب الطريق وفي نفسه شيءٌ فَرَقَّ له ثم أمر بطلبه، ثم سأله: في خاطرك شيء، فأجاب الرجل لا، إلا أنه -رحمه الله- كرر عليه السؤال ثم أمر له بمبلغ من المال». ويضيف أيضاً: «إن الرحمة في قلب الشيخ زايد كبيرة، وبلغت أنه لا يأكل وجبته إلا بعد أن يتأكد أن الحرس ومرافقوه وكل من في القصر قد تناولوا طعامهم، وكان يرفض أن يأكل أي طبق مميز على مائدته إلا ما يأكله الناس حوله» (١/١١).

ويحدثني السيد سلطان هلال بن دري القبيسي، والذي عمل بالقرب من الشيخ زايد مدة أربعة عشر عاماً وشغل منصب وكيل الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، عن تلك الخصلة فيقول: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- رحيماً بالناس ومهتماً بأحوالهم. ونحن الذين كنا نعمل معه لمسنا ذلك بأنفسنا وشعرنا بتلك الرحمة التي أودعها الله في قلبه، فكان مهتماً بنا وبجميع أحوالنا، حتى في صحتنا كان الشيخ زايد يعلمنا ما ينفعنا، ومثال على ذلك إذا أصبنا بالزكام (برد) أمرنا بالزنجبيل والزعتر، وكان ينصحنا بتناول الحلُول كل أسبوع لما له من فوائد معوية». ويضيف بن دري: «كان الشيخ زايد يرفق بالأفراد (الحرس) الذين يعملون معه، ويشدد على توفير الظروف الملائمة لهم، وعلى سبيل المثال إذا زاد البرد أمر بصرف «الجاكيتات» لكل فرد، سواءً كنا في الدولة أو خارجها» (٤/١١).

ويحدثني السيد خميس هاشم عبد الله بن بدوة الدرمكي، أحد الأفراد الذين عملوا بالحرس الخاص للشيخ زايد عن قصة أخرى تظهر كم كان ذلك القائد رحيماً برعيته فيقول: «في يوم من الأيام

كنت مناوباً في استراحة الشرفة في منطقة حزام الغابات، وكنت حينها مكلفاً بحراسة غرفة الشيخ زايد. وكانت تلك الليلة إحدى ليالي الشتاء الباردة، وفي منتصف الليل تقريباً أتفاجأ أن أحداً يفتح الباب من تلك الغرفة، فإذا هو الشيخ زايد -رحمه الله- يخرج منها وفي يده دلة، فنادى علي فأسرعت إليه وعندما اقتربت منه قال لي: هل أنت بردان؟ فقلت: لا «يا طويل العمر»، فابتسم وقال: بل أنت بردان، وخذ هذه الدلة فيها حليب ساخن اشرب منه فسوف يدفيك. فأخذت منه الحليب وشكرته ثم إذا به يخرج لي مبلغاً من المال». ويقول السيد خميس الدرمكي: «لقد كان ذلك الموقف من الشيخ زايد ذي وقع كبير على نفسي كيف أنه تذكرني وأنا فرد بسيط أقوم بأداء عملي. لقد كانت تلك الليلة من أجمل ليالي العمل في حياتي، وفيها عجبت من شفقة الشيخ زايد بأفراد حرسه» (٥/١١).

تأمل معي أيها القارىء الكريم المعاني الكثيرة من تلك القصة وأهمها أن ذلك القائد ومع أنه كان ينام في غرفته الدافئة إلا أنه كان يشعر بتلك الليلة الباردة فيرق قلبه على رجل من رعيته يقوم بأداء واجبه، فيخرج إليه بنفسه وفي ساعة متأخرة من الليل ليخفف عنه شدة ذلك البرد، وليرفع من معنوياته فيجعل من ليلته تلك أجمل ليالي العمل عنده.

ولا شك أن المواقف التي تظهر شفقة الشيخ زايد بالإنسان والحيوان والأشجار كثيرة، ويصعب حصرها في هذا الموضع، ولو تتبعناها لأخرجنا منها كتاباً آخر. كان -رحمه الله- يؤمن بتلك الصفة ويعتبرها من تعاليم دينه الحنيف، بل كان يحث عليها ويتضح ذلك جلياً في الكلمة التي قالها للعلماء والمختصين الذين شاركوا في المؤتمر العالمي للنباتات التي تتحمل الملوحة في الأراضي القاحلة، المنعقد في دولة الإمارات في ١٤ ديسمبر ١٩٩٠، حيث كان يقول: «إن التعاون بين البشر يؤدي إلى التراحم الذي حث عليه الخالق سبحانه وتعالى، فالإنسان يجب أن يكون رحيماً على أخيه الإنسان، وعلى الحيوان، وعلى النبات، فالله عز وجل يرحم من يرحم» (٦/١١). ونحن نقول رحمك الله يا زايد كما رحمت الإنسان والحيوان والنبات.

صورة ١١/٥. الشيخ زايد في إحدى جولاته التفقدية للشعب، إمارة أم القيوين، عام ١٩٧٤.

صورة ١١/٦. الشيخ زايد يلتقي المواطنين في أي مكان زاره، وكان يمنع الحرس من حجبهم عنه (١٩٨٠).

صورة ١١/٧. كان -رحمه الله- يستمع لكبيرهم ولصغيرهم بشفقة وإنصات تام، فكانت تلك الصفة تشعر المواطنين بالارتياح والاطمئنان وتشجعهم على سؤاله.

صورة ١١/٨. الشيخ زايد يصغي لأحد المواطنين بعناية كبيرة، المنطقة الغربية (غياثي، ١٩٧٩).

صورة ١١/٩. الشيخ زايد يجالس الأطفال الذين كانوا يتشوقون لمجالسته والحديث معه (عام ١٩٨٠).

شديد الرفق بالطير والحيوان

لم تقتصر الرحمة التي استودعها الله في قلب الشيخ زايد على الإنسان، بل غمرت الطير والحيوان والشجر، وبدرجة لا يتصورها أحد. هذا ما عرفناه عن زايد، وهذا ما يرويه المقربون منه.

ففي هذا الموضوع يحدثني السيد علي بن سالم الكعبي، فيقول: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- عندما يرى حيواناً أو طيراً خلال تفقده للمشاريع التنموية بالدولة يأمر الحرس أن يصنعوا صناديقاً ليستظل بها الطير، كما يأمرهم بوضع الأكل لها» (٢/١١). وهناك قصة أخرى أشد عجباً يرويها الكعبي أيضاً فيقول: «في إحدى السفريات إلى جنيف، وأثناء تناول الغداء في أحد المطاعم كانت الطيور والسناجب تقترب من حولنا لتأكل بقايا الطعام التي يمكن أن تسقط في هذا المكان، فلما رأى الشيخ زايد ذلك المشهد رق حاله لتلك الكائنات، عندها أمرني -رحمه الله- بأن أتوجه إلى صاحب المطعم وأتعاقد معه لتقديم الحبوب في كل صباح ومساء لتلك الطيور والحيوانات ولمدة عام كامل. وبالفعل وقَّعت عقداً مع صاحب المطعم ودفعت له المبلغ المطلوب مقدماً، فكان ذلك المشهد محل دهشة واستغراب من صاحب المطعم» (٢/١١).

ولقد رأينا عند مناقشة فصل (عبقرية زايد في جزيرة صير بني ياس) كيف كان الشيخ زايد -رحمه الله- مهتماً برعاية الكائنات البرية على تلك المحمية، فبجانب المأوى والغذاء وفر لها أيضاً الأمن والأمان. ولقد تكلمنا سابقاً عن القوانين التي وضعها لحماية تلك الكائنات، ومنها أوامره بخفض سرعة السيارات على أرض الجزيرة، وجعل الأولوية لسكانها من الطير والحيوان، وكان يغضب كثيراً إذا رأى أي خرق لتلك القوانين، وكان ينزعج كثيراً عندما يسمع أن حيواناً أو طيراً قد أصيب بأذى أو قلة عناية. وهنا أنقل قصة في هذا الموضوع سمعتها من المسؤولين أثناء زيارتي لجزيرة صير بني ياس، وهي تظهر كم كان الشيخ زايد -رحمه الله- يتأثر ويغضب لو حدث مكروه لكائن ما، فتقول الرواية: في يوم من الأيام وصل خبر للشيخ زايد أن أرنباً على أرض الجزيرة قد دهسته سيارة فمات، فغضب -رحمه الله- من ذلك الخبر وأمر أن يؤتى بالرجل المتسبب في قتل ذلك الأرنب، وعندما حضر الرجل قال له الشيخ زايد وبشدة: «لِمَ دَهَسْت الأرنب بسيارتك»؟، فقال الرجل وبلهجته العامية: ما شفته يا طويل العمر، فرد عليه زايد بغضب وبصوت أعلى قائلاً له وبما معناه: «لو وُضِعَتْ رأسك تحت سيارة ودهست فكيف يكون حالك؟»، فخاف الرجل كثيراً، وبدء يعتذر للشيخ زايد ويطلب الصفح ويتعهد أن لا يكررها مرة ثانية. عندها رد عليه الشيخ زايد -رحمه الله- بكلمة عظيمة يريد منها أن تكون درساً له وللآخرين وبلهجته العامية: «ما هان عليك راسك وهان عليك راس الأرنب!!»، فصفح عنه. وكانت تلك القصة تتناقل بين المسؤولين والعاملين على الجزيرة لأخذ الحيطة والحذر من أي خطأ يمكن أن يضر بأي حيوان مهما كان نوعه أو حجمه. ومن بعد تلك القصة أمر الشيخ زايد المسؤولين أن يفرضوا (غرامة) على أي شخص يقتل طيراً أو حيواناً حتى ولو بالخطأ. وأتساءل هنا كم أرنباً موجوداً على أرض الجزيرة؟ إنها كثيرة جداً يصعب حصرها، ولكن يبقى للحيوان مكانة عند الشيخ زايد رحمه الله.

فرحمك الله يا زايد كما رحمت تلك الكائنات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لا يَرْحَم لا يُرحَم» (٧/١١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء» (٨/١١).

وعن مدى الرحمة التي استودعها الله في قلب الشيخ زايد أذكر أيضاً هذا الموقف، وهو موقف شاهدته على جزيرة صير بني ياس أثناء زيارتي لها. كانت زيارتي في الصيف، وكثير من أشجار الفاكهة قد طاب ثمارها، وخاصة أصناف النخيل. ومن كثرة الطيور التي تعيش على أرض الجزيرة لاحظت أن نسبة كبيرة من تلك الثمار قد تَلَفَت وفقدت جودتها. فسألت المسؤولين هناك لماذا لا تُكَيِّسون عذوق النخيل لحمايتها من ضرر الطير. فقالوا إن الشيخ زايد قد منع ذلك، فهو يريد الطيور أن تأكل ما تشاء على أرض الجزيرة، ولا تحرم من أي شيء شاءته. فعجبت من تلك الإجابة التي لم أكن أتوقعها على الإطلاق، فيا له من موقف يدل على عمق الرحمة وسعتها في قلب ذلك القائد.

شديد الشفقة بالشجر

يحدثني السيد علي بن عزيز قصة غريبة، وهي أيضاً تكشف كم كان الشيخ زايد -رحمه الله- يحب الأشجار ويشفق عليها ويرعاها

منذ عهد بعيد، فيقول: «عندما كان الشيخ زايد ممثلاً للحاكم في مدينة العين والمنطقة الشرقية كان يَقْدِم على أبوظبي إما لزيارة أخيه حاكم الإمارة الشيخ شخبوط بن سلطان، أو لإنابته أثناء سفره للخارج. وكانت أبوظبي في ذلك التاريخ صحراء خالية من الأشجار تسودها الرمال البيضاء والسبخات. وأذكر أنه في منتصف الجزيرة (الآن منطقة المرور) كانت هناك شجرة غاف وكان الشيخ زايد يزورها كلما قدم إلى أبوظبي حاملاً لها الماء في أواني كبيرة (توانكي سعة ٤ غالون) يحملها في سيارته، ليسقي تلك الغافة» (٣/١١).

وهناك شهادة أخرى في شفقة الشيخ زايد -رحمه الله- للأشجار والنباتات يحدثني بها الدكتور عبدالله بن حم عن أبيه الشيخ سالم بن حم العامري الذي يقول في شهادته: «كنا نشاهد الشيخ زايد -رحمه الله- أثناء جولاته في الصحراء أو رحلات الصيد سواء داخل الدولة أو خارجها إذا أراد الوضوء لا يتوضأ إلا بقرب شجرة أو نبتة حتى تستفيد هذه الشجرة أو النبتة من الماء الساقط من عملية الوضوء، وكان إذا فرغ من وضوئه سكب بقية الماء عليها، فكنا نعجب من هذا العمل للشيخ زايد».

وليس تلك الشفقة على الأشجار بالأمر الغريب على الشيخ زايد، فهو رجل يملأ الإيمان قلبه، ونتلمس ذلك واضحاً في تلك الكلمات التي كان -رحمه الله- يقولها في هذا الشأن: «الإنسان يجب أن يكون رحيماً على أخيه الإنسان وعلى الحيوان وعلى النبات فالله عز وجل يرحم من يرحم» (٦/١١).

كان غضبه علي خيراً وبركة

أما هذه القصة والتي يحدثني بها السيد علي بن عزيز بن مكتوم تُظهر كم كان الشيخ زايد ذي نظرة ثاقبة، وكيف أن نظرته لم يكن أحد يستوعبها في ذلك التاريخ البعيد (في الستينيات من القرن الماضي)، كما أنها تُظهر كم كان الشيخ زايد مصدر خير وبركة على شعبه حتى عندما كان يغضب عليهم، فيقول: «في الستينيات، كان الشيخ زايد -رحمه الله- يشجعنا على الزراعة، ويحثنا على إنشاء المزارع، وكنا لا ندرك أهميتها لأننا كنا نعيش حياة البداوة. وفي يوم من الأيام أمرني الشيخ زايد مباشرة بعمل مزرعة لي قائلاً: يا علي اعمل لك مزرعة، فلم آخذ لكلمته بالاً لعدم اقتناعي بها، ومرت الأيام وبعد وقت أتفاجأ أن الشيخ زايد يسألني عن الموضوع نفسه: هل عملت مزرعة يا علي؟، فقلت له إن شاء الله يا زايد، ولم أفعل. ومرت الأيام، وبعد وقت أتفاجأ أن زايد يسألني مرة أخرى هل عملت مزرعة يا علي؟، فقلت له لا، فغضب -رحمه الله- عليَّ غضباً شديداً وقال لي: ما تسمع كلامي يا علي. بعدها مباشرة ذهبت فأخذت أرضاً في منطقة القطارة وأنشأت عليها مزرعة وأخبرت الشيخ زايد عن ذلك، فَسُرَّ -رحمه الله- وأعطاني ٢٥ فسيلة نخل كما أعطاني مضخة. فتعلقت بتلك المزرعة واعتنيت بها. ولقد استفدت منها كثيراً بعدما حكم الشيخ زايد إمارة أبوظبي وبدأ تشجيعه للزراعة

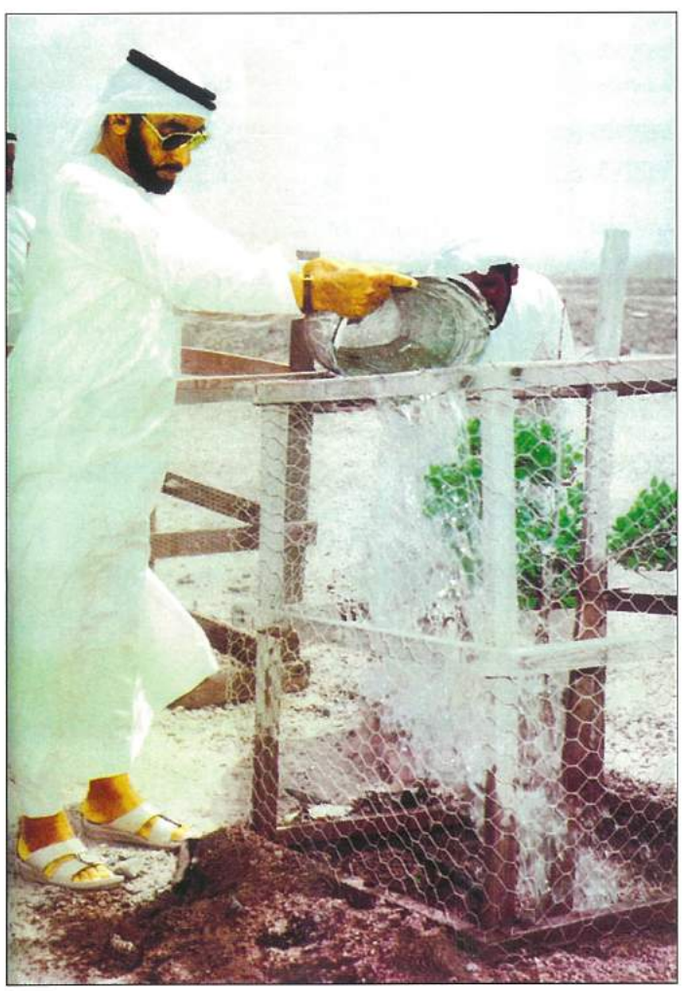

صورة ١٠/١١. الشيخ زايد يحمل الماء ويسقي شجرة زرعها بنفسه.

يزداد. وبعد مرور السنين وامتداد مشاريع التنمية والعمران في مدينة العين جاءتني الحكومة راغبةً في استخدام أرض المزرعة لإقامة مشروع رياضي كبير عليها وعوضتني عنها بخمسة ملايين درهماً، وهي لم تكلفني أكثر من عشرة آلاف درهماً، فتذكرت أن غضب الشيخ زايد كان عَلَيَّ خيراً وبركة، وأيقنت مرة أخرى أنه ما نصحنا بشيء -رحمه الله- إلا كانت نصيحته علينا خيراً وبركة. ولقد أقيم على أرض تلك المزرعة ستاد «نادي العين بالقطارة» (٣/١١).

فلما رأى الماء في ذلك البئر فرح كثيراً

ويروي السيد علي بن عزيز قصة جميلة أخرى، شهدها بنفسه في الستينيات من القرن الماضي، تظهر كم كان الشيخ زايد -رحمه الله- يحب الزراعة، وكم كان يشجع الشعب عليها ويُسَرّ أن يقوموا بها، فيقول: «كان طموح الشيخ زايد في الزراعة كبيراً، وكان يريدها أن تنهض وتنتشر بسرعة على أرضه، وأعطي مثالاً، كان لي جار يملك أرضاً زراعية قريبة من مزرعتي يدعى السبيعي، وقد حفر بئراً فوجد فيها ماءً وفيراً، فبلغ ذلك الخبر إلى الشيخ زايد. وفي يوم من الأيام وأنا مقيم في بيت الطين الذي بنيته في مزرعتي التي أمرني بإنشائها الشيخ زايد أتفاجأ بقدومه -رحمه الله- ومعه عدد من المرافقين، وكان ذلك في حدود الساعة الثامنة ليلاً، فقال: يا علي لقد سمعت أن رجلاً أرضه قريبة من أرضك قد حفر بئراً وقد وجد فيها ماءً، فقم معي لنرى مزرعته. قال فركبت بجانبه في السيارة وانطلقنا مباشرة إلى تلك المزرعة، فلما رأى زايد صِدق الخبر، ورأى وفرة الماء فرح كثيراً بهذا العمل من المواطن، وقال لي: يا علي أخبر صاحب المزرعة أن يأتيني في الصباح. وأخبرت صاحب المزرعة بالقصة وذهب إلى الشيخ زايد في اليوم الثاني وكان معه بعضاً من عائلته فلما رآهم زايد شكرهم على ذلك العمل وشجعهم عليه وأعطاهم مضخة، ولا أذكر ربما أعطاهم مالاً أيضاً. ويضيف بن عزيز: «وأذكر مرة أنني جالس في مجلس الشيخ زايد عندما كان حاكماً للعين، فقلت له أن مضخة مزرعتي قد اختربت «عطبت»، وكان حينها قلة في الأيدي الفنية «الميكانيكية»، فأمر أحد المسؤولين أن يرسل من يصلحها». ويقسم بن عزيز أنه لم يكن يعرف في الزراعة شيئاً والذي علمهم إياها الشيخ زايد رحمه الله (٣/١١).

هكذا نريد الإنتاج

يحدثني السيد ناصر سيف خميس الذهلي عن موقف قديم شهده بنفسه للشيخ زايد يظهر كم كان -رحمه الله- مهتماً بالزراعة، وحريصاً على تشجيع المزارعين على ذلك، فيقول: «كوني كنت أحد موظفي دائرة الزراعة والثروة الحيوانية فقد شاركت في المعرض الزراعي الأول في عام ١٩٧١ والذي رعاه وافتتحه الشيخ زايد بنفسه. وأذكر جيداً كم كان الشيخ زايد -رحمه الله- مسروراً ومبتهجاً في ذلك اليوم، فكان يتجول في المعرض وهو في قمة السعادة والفرح وهو يتفقد ما يعرضه المواطنون من إنتاج مزارعهم». ويضيف الذهلي: «وأذكر جيداً، وكأنني أراه الآن، موقفاً أُعجب به الجميع من الشيخ زايد عندما توقف فجأة أمام ثمرة مَلفوف كبيرة ثم حملها بيديه وتأملها ثم رفعها لأعلى وأخذ يلتفت

صورة ١١/١١. الشيخ زايد يتجول في أحد المعارض الزراعية التي كان يوجه المؤسسات الزراعية على إقامتها ويشجع المواطنين على المشاركة فيها، ٥ مارس ١٩٧٧.

إلى الناس ويقول هذه من مزرعة من، فقالوا له اسم صاحب المزرعة، فسر به كثيراً وشكره وقال: «هكذا نريد الإنتاج، وهذا الذي نريد أن ندعمه» (٩/١١).

يشعر بعدم ارتياح إذا شاهد أرضاً قاحلة

يروي السيد عبد الله عبد الجليل، وهو أحد الرجال الذين عملوا بالقرب من الشيخ زايد وصحبوه في كثير من جولاته فيقول: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- يحب الزراعة بشكل كبير، ويوليها اهتماماً غير عادي، وكان يشعر بعدم ارتياح عندما يشاهد أرضاً قاحلة لا يوجد فيها أي نبته أو شجرة. وفي إحدى المرات كان -رحمه الله- يقوم بجولة في جزيرة أبو كشيشة وكان مقرراً أن تكون الجولة في حدود النصف ساعة. وعندما شاهد الشيخ زايد أرض الجزيرة قاحلة بدا منزعجاً وغير مرتاحاً لحبه الشديد للون الأخضر، فقرر -رحمه الله- عندها البقاء في الجزيرة حتى تتم زراعتها، وكان يقوم يومياً ومن الصباح الباكر ليشرف بنفسه على العمليات الزراعية، فكان هو من يوجه المهندسين والمختصين في زراعة الأشجار المختلفة والشتلات وإنشاء المزارع». ويضيف: «وأذكر أنه استمر تواجدنا في تلك الجزيرة مدة سبعة أيام، بدلاً من نصف ساعة كان الوقت المحدد للجولة، حتى انتهى رحمه الله من تشجيرها. ويشاهد الزائر على الجزيرة اليوم مزارع وغابات متنوعة وهذا بفضل الله سبحانه وتعالى ثم لاهتمام الشيخ زايد بالزراعة» (١٠/١١).

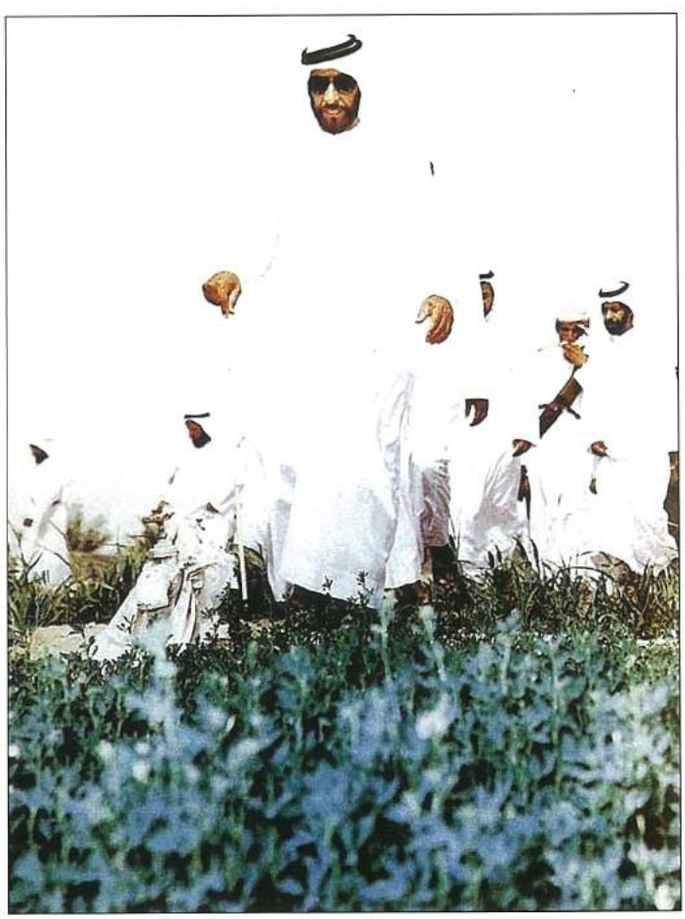

صورة ١٢/١١. يشعر بعدم ارتياح إذا رأى أرضاً قاحلة، لذا فالأرض التي يطأها يخضرها (عام ١٩٩٢).

يقف في الشمس وفي أشهر الصيف

يقول السيد خلفان بن مطر الرميثي، الذي كان يشغل منصب رئيس الحرس الأميري عن مشاهداته لجولات الشيخ زايد الزراعية: «عندما كنا نراه ينزل في الصحراء، و يقف أمام المعدات في أشهر الصيف كنا نتساءل ونقول في أنفسنا شو جالس الشيخ زايد يسوي في هذا الحر؟»، ويضيف: «ما ندري إلا بعد فترة من الزمن أن ذلك المكان الذي كان يقف عليه زايد قد تحول إلى جنة خضراء» (١١/١١).

ويقول السيد محمد بن سلطان الدرمكي -رحمه الله- وهو أحد الرجال الذين كلفهم الشيخ زايد مسؤولية دائرة الزراعة بالعين، في السياق نفسه: «كان الشيخ زايد يشرف بنفسه على زراعة الشجر، وكان يتابعها شجرة شجرة، وكنا نشاهده يخرج تحت الشمس، ويتحمل مشقة الحرارة والغبار ليشرف بنفسه على عملية التشجير مما أوجد لدينا حافزاً وعزماً قوياً للسير على خطاه».

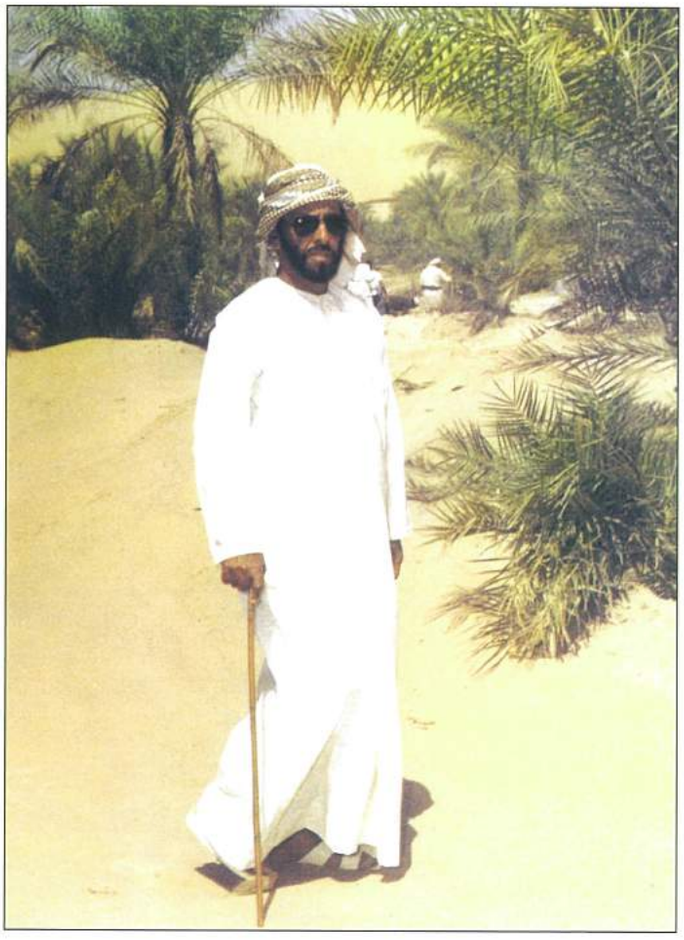

صورة ١٣/١١. الشيخ زايد واقفاً تحت وطأة الشمس يوجه ويشرف على مشاريع التنمية ليغير من وجه الصحراء، وإن هذه الصور لأبلغ من الكلمات (عام ١٩٧٩).

العرق صحة.. والفصول خلقها الله لحكمة

يحدثني السيد سلطان هلال بن دري القبيسي عن خصال القائد، فيقول: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- لا يرده شيء إذا أراد أن يصل إلى شيء. وعندما كان يريد أن يصل إلى بقعة معينة في الصحراء، أو يريد أن يعاين منطقة لاستصلاحها في عمل مشاريع زراعية أو بيئية، لم يكن يبالي قط بحرارة شمس أو بوعورة صحراء لوجود كثبان رملية يصعب اجتيازها بالسيارة. وشهدت معه مواقف عديدة غرزت فيها سيارته في رمال الصحراء، ولم يكن يزعل أبداً -رحمه الله- من تلك الظروف» (١١/٤).

وعن جولاته التفقدية يقول سلطان بن دري: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- لا يتردد إطلاقاً في القيام بجولات تفقدية للمشاريع الزراعية في الصحراء، وفي أشهر الصيف الحارة، وكان أحياناً كثيرة يعرق من شدة الحر فلم يكن يمتعض أو يتأفف من قساوة المناخ، بل كان حاله عكس ذلك، ومعنوياته بتلك الجولات عالية، وكان يقول لنا: «العرق صحة.. وإن الفصول خلقها الله لحكمة» (١١/٤).

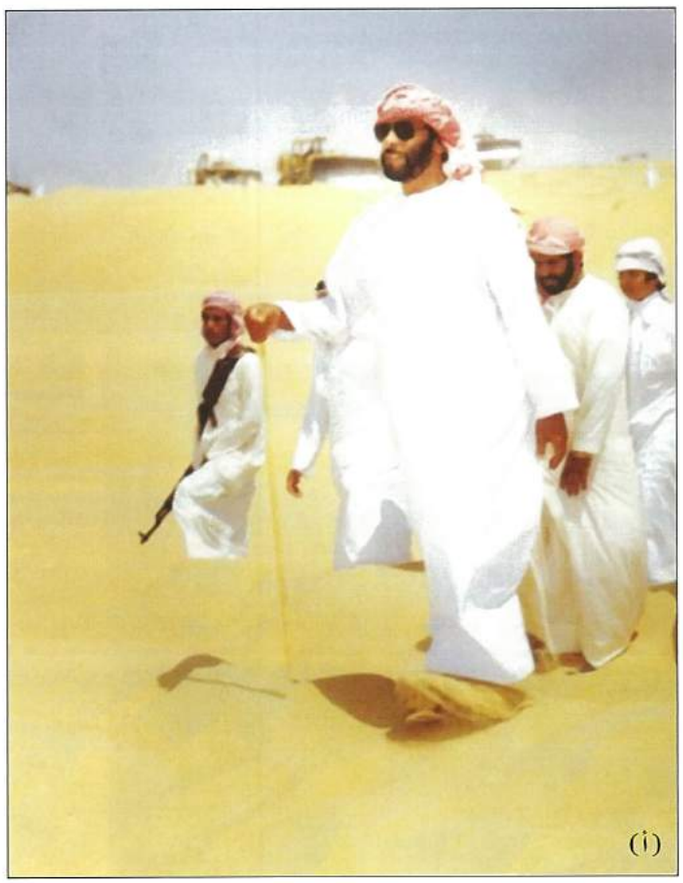
(أ)

(ب)

(ج)

صورة ١١/١٤(أ، ب، ج). لم يكن يأبه بأجواء الصحراء في سبيل مكافحة التصحر، (جولات ميدانية في عام ١٩٧٩).

في عز الصيف وكنا صيام

وهذه قصة أخرى تظهر كيف كان الشيخ زايد يحرص على جولاته التفقدية، وحتى في أصعب الأوقات، وكيف كان يحمي الأشجار ويرعاها، وكيف كان يكره أن يراها قد سقطت أو تضررت حتى لو كانت أشجاراً برية في الصحراء. ويروي هذه القصة السيد راشد محمد بن حرمش المنصوري الذي شهد أحداثها بنفسه، فيقول: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- إذا سقطت شجرة أوقفها وسندها ولا يرضى أن يرى شجرة قد سقطت أو ماتت. وفي يوم من أيام الصيف الحارة، وفي شهر رمضان، كان الشيخ زايد في جولة تفقدية في منطقة الخزنة فرأيت من بعيد شجرة غافة وقد سقطت فأخبرته عنها ظناً مني أنه سوف يكلف رجالاً يذهبون ليعدلونها، أو يأمرنا بالاتصال بالبلدية، فتفاجأت أنه لم يكن من ذلك الظن شيئاً وأنه يقول لنا دعونا نذهب إليها ونعدلها، وكانت تلك الشجرة في موقع به كثبان رملية. وبالفعل توجهنا مع الشيخ زايد، وفي الطريق غرزت سيارته -رحمه الله-، فنزلنا جميعاً لنحفر عن السيارة وأمضينا فترة طويلة حتى أخرجناها، وكنا صياماً فتعبنا وعطشنا عطشاً كبيراً، فلامني صحبي وكانوا يقولون لماذا أخبرت الشيخ زايد بها؟ لقد تعب وتعبنا جميعاً، فأجبتهم أنني لم أكن أتخيل مطلقاً أن الشيخ زايد في هذا الصيف الحار وهو صائم يذهب بنفسه لفعل هذا» (١/١١).

سيارة الشيخ زايد تحوي الأدوات الزراعية

قد لا يصدق المرء أن سيارة رئيس دولة تحوي أدوات ومعدات زراعية مختلفة، ولكن هذا ما يرويه الذين عملوا بالقرب من الشيخ زايد، وهذا أيضاً ما تكشفه الصور الفوتغرافية المتعددة.

يروي السيد علي بن سالم الكعبي: «إن سيارة الشيخ زايد التي كان يستقلها -رحمه الله- في جولاته الميدانية كانت لا تَخلُ دائماً من الأدوات الزراعية. فتجد فيها مقصاً لتقليم الأشجار، وتجد فيها المنشار، والفأس، والحبل، وذلك من حبه الشديد للزراعة، وعلاقته القوية بالأشجار، فإذا رأى شجرة بحاجة إلى تقليم أو تثبيت أو نوع آخر من الخدمة فإنه مباشرة يقف، فإن كانت بحاجة إلى تقليم نزل

صورة ١٥/١١. الشيخ زايد يقود سيارته في جولة صحراوية للإشراف على المشاريع الزراعية.

ليري حرسه أو من كان معه موضع التقليم في تلك الشجرة، ويحدد لهم المكان بالدقة. وكم رأيناه هو بنفسه يمسك المقص ويقوم بعملية التقليم ويعلمنا الطريقة والكيفية الصحيحة. وإذا ما رأى شجرة مائلة أو معوجة أو بحاجة إلى تثبيت فإنه أيضاً يأمر حرسه بردها لوضعها الطبيعي وتثبيتها، ثم يضع لها ما يسندها من الخشب، وبعد ذلك يواصل سَيره. لقد كان حبه للشجر لا يوصف، لذا كان دائماً يأمر بالإكثار من غرس الأشجار، ويغضب لموتها أو لإهمالها»، ويضيف الكعبي: «كما كانت سيارته لا تَخْلُ أيضاً من الطعام والتمر والفواكه والحلوى، فإذا رأى أناساً في الطريق وقف وأعطاهم، وكثيراً ما كان يأمر بأن نعطي العمال الطعام عندما نكون في زيارة لتفقد المشاريع» (٢/١١).

ويحدثني السيد راشد محمد بن حرمش المنصوري بنفس ما جاء في حديث السيد علي بن سالم الكعبي ويضيف لتلك المعدات الديسان (جمع داس) والسكاكين، والشيوَل، والكزمة، كما كان فيها مواد غذائية وتموينية. ويقول بن حرمش إن الشيخ زايد كان يقلم الأشجار ويسقيها بنفسه وإذا وضع أحد ما يده ليساعده كان يقول له «العمل كثير، ألا يوجد عمل إلا الذي في يدي؟»، ويقول كان يمسك الهوز (الخرطوم) ويسقي النخل، وعندما كنا نريد أن نأخذه منه لنجزيه ذلك العمل يقول لنا: «اذهبوا وخذوا عمل ثان»، ويقول كلمته

تلك «ألا يوجد عمل إلا الذي في يدي؟». ويقول: «أحيانا كان يقص السعف وفوق النخلة عامل آخر يقوم بتنظيف النخلة من الأعلى فكان يسقط على الشيخ زايد شيء من بقايا الليف والسعف، وكان لا يكترث لذلك بل يستمر في العمل» (١/١١).

ويروي السيد علي بن عزيز بكلام شبيه بذلك فيقول: «كان الشيخ زايد يقلم أشجار الغويف ونحن معه، كل منا يمسك مقصه ويقص الزوائد من أغصان تلك الأشجار» (٣/١١).

ويروي السيد عبدالله عبد الجليل بمثل ما جاء في الروايات السابقة، فيقول: «كانت سيارة الشيخ زايد فيها من كل الأطعمة إلى جانب الأدوات الزراعية، فتجده عندما يمر بأشجار لا يعجبه منظر زراعتها، يقف وينزل بنفسه ويعلمنا كيف ينبغي أن تكون زراعتها» (١٠/١١).

وعن مدى عناية الشيخ زايد -رحمه الله- بالأشجار يقول السيد سلطان بن دري القبيسي: «عندما كان الشيخ زايد يقوم بجولة لتفقد مشاريع الغابات كان يشدد في السؤال عن صحة الغابة، وعن عدد مرات ريها، وكان يقدر ذلك بنفسه، فكان أحياناً كثيرة يدخل الغابة فيقف في مكان ما ثم يأمر المرافقين له في تلك الجولة بالانتشار في مناطق مختلفة من تلك الغابة الكبيرة والتي تقدر مساحتها بآلاف الكيلومترات المربعة للتأكد من مدى تلقيها الماء الكافي. وكان يشدد على ضرورة معاينة المناطق المرتفعة من الغابة للتأكد من وصول الكمية الكافية من الماء لأشجارها. فكنا نقوم بتلك المهمة بالحفر تحت الشجر للتأكد من ذلك» (٤/١١).

ومن درجة عنايته -رحمه الله- بالأشجار كما يروي من كان يعمل معه ويصاحبه في جولاته في المشاريع الزراعية أنه كان إذا قام بجولة بين الغابات كان يقول لأصحابه لا تسرعوا بسياراتكم حتى لا تغبروا الأشجار، حرصاً على تلك الأشجار من الضرر.

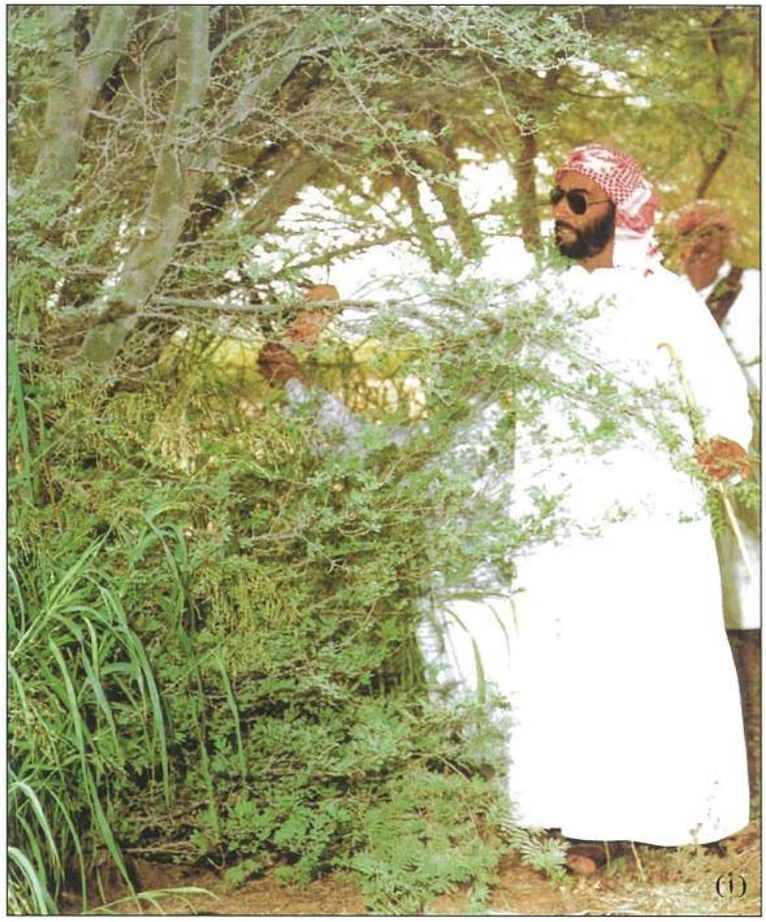

صورة ١١/١٦ (أ، ب). الشيخ زايد يقلم شجرة غاف (أ)، وأخرى شجرة مانجو (ب)، عام ١٩٨٠.

صـــورة ١١/١٧ (أ، ب، ج). صـــور قديمة للشيخ زايد تظهر كيف كان مهتماً بزراعة الأشجار ويحرص على الاعتناء بها.

مشكلة في صغار النعام

يروي لي الدكتور ناجي، الذي أمضى في جزيرة صير بني ياس أكثر من ستة عشر عاماً يعمل كطبيب بيطري، قصة عجيبة تظهر عبقرية الشيخ زايد -رحمه الله- في علم الحيوان فيقول: «في سنة من السنوات واجهتنا في الجزيرة مشكلة كبيرة في صغار النعام لم نعرف أسبابها أبداً، وتتلخص هذه المشكلة في حدوث موت في صغار النعام بعد الفقس بشهر إلى شهر ونصف، وقبل أن تموت كنا نرى رجلها تنكسر، وأحياناً أرجلها الاثنتين فيموت عدد من فراخ النعام، فحيرتنا تلك المشكلة كثيراً ولم نعرف لها سبباً. فمن الناحية الطبية لا نعرف سبباً لهذا المرض، ومن الناحية الغذائية، وبعدما قمنا بتحليل الدم لتلك الفراخ لم نجد في تلك الصغار أي أعراض نقص عناصر، أو سوء تغذية، أو شيء يعرف، وشاركت في هذا الأمر حديقة الحيوان في العين فقالوا لي أنه تظهر عندهم أحياناً تلك المشكلة ولا يعرفون لها سبب».

ويضيف الدكتور ناجي: «وفي يوم من الأيام كان الشيخ زايد في الجزيرة وكعادته -رحمه الله- كان يسأل عن كل شيء فيها ويجب على المسؤولين أن يوافوه بكل التفاصيل والأشياء التي تحدث على الجزيرة، فذكروا له خبر مشكلة صغار النعام. فقال استدعوا لي الدكتور ناجي فذهبت إليه وأنا خائف من هذا الأمر، ولما قدمت عليه بادرته بالسلام ثم جلست بالقرب منه فسألني: «ما هي مشكلة النعام عندك؟» فذكرت له المشكلة، وقلت له يا طويل العمر لم نعرف لهذا المرض أي سبب، ولم نقرأ عنه من قبل، كما أنني استعنت بحديقة الحيوان في العين فقالوا إن هذه المشكلة تحدث عندهم ولا يعرفون لها سبباً. فصمت الشيخ زايد قليلاً ثم قال: «خذ دوى زايد.. خفف عنها الطعام.. أنتم تقولون الخير وايد.. ومال زايد كثير.. ويأمرنا بالعطاء والإنفاق دون حساب.. فتكثرون الطعام لهذه الصغار فيكبر حجمها ويزيد وزنها.. وتنسون أن رجلاها وهي في هذا العمر دقيقتان ورقيقتان لا تستطيع أن تحمل هذا الوزن الزائد فتنكسر.. فخففوا عنها الطعام».

ويضيف الدكتور ناجي واصفاً تشخيص الشيخ زايد وعلاجه لتلك الحالة فيقول: «ثم أخذ الشيخ زايد يشرح لي نوع الطعام الذي أعطيه لتلك الفراخ في هذه السن، وكميته، وأوقاته، كوصفة غذائية يجب أن نلتزم بها مع صغار النعام. وبالفعل ما إن طبقت برنامج الشيخ زايد إلا وقد اختفت تلك المشكلة. ثم أوصيت بها حديقة الحيوان بالعين، وما زلنا نمشي على وصفة الشيخ زايد إلى يومنا هذا» (١٢/١١).

مَنْع الحبارى من الطيران (عملية التجنيح)

ويروي الدكتور ناجي أيضاً قصة أخرى أكثر غرابة، تُظهر أيضاً عبقرية الشيخ زايد وخبرته في علم الطير فيقول: «كنا نربي الحبارى في الأسر طليقة، وكنا نريد أن نمنعها من الطيران العالي خارج حيازتها لكي لا تهرب من الأماكن المخصصة لها، وكانت الطريقة المتبعة في ذلك الوقت (١٩٨٩) لمنع الحبارى من الطيران هي إجراء عملية جراحية يتم فيها قطع الأعصاب. وكان الشيخ زايد يكره تلك الطريقة ولا يحبذها لأن بها أذى للطير، فكان يقول لنا ابحثوا عن طريقة أخرى. فأخذنا نجرب كيف نقطع ريش أجنحتها من أماكن مختلفة فلم ننجح في الوصول لحل. وفي يوم من الأيام والشيخ زايد في جزيرة صير بني ياس سألني عن الموضوع فقلت له لم ننجح في إيجاد طريقة نوقفها عن الطيران غير تلك الطريقة، فقال -رحمه الله- احضر لي طير حبارى، فأحضرت طيراً وأعطيته. فعجبت ذلك اليوم ودهشت كثيراً من العلم الذي استودعه الله في عقل الشيخ زايد. لقد وضع طائر الحبارى في حجره ورفع أحد أجنحتها، ثم أفرده حتى تفرد الريش، فترك الريشة الأولى والثانية ثم نزع الريشة الثالثة، وكانت هذه على مفصل، ثم قال لي جربها وأخبرني بالنتيجة. فلما أطلقناها رأينا أن ارتفاع طيرانها انخفض بدرجة كبيرة ولم يتجاوز المتر إلى المتر ونصف، وكانت تطير مسافة قصيرة ثم تنزل. فرجعنا إلى الشيخ زايد فأخبرته بذلك، فأخذ الحبارى مرة أخرى ووضعها في حجره ونتف الريشة الثالثة في الجناح المقابل وفي الموضع نفسه، وقال لي جربها الآن. فأطلقنا الحبارى فإذا بها لا تطير عالياً تماماً، ونجحت طريقة الشيخ زايد في منع الحبارى من الطيران، وبعد ذلك عممها على إمارة أبوظبي كلها، وكانت تلك القصة في بداية العام ١٩٨٩» (١٢/١١).

أقلمة اللاما.. أريدها أن تعيش حياة طبيعية

كذلك يحدثني الدكتور ناجي عن تجربة الشيخ زايد في أقلمة حيوان اللاما على جزيرة صير بني ياس فيقول: «عندما أحْضِرَت اللاما من دولة بيرو لتربيتها على الجزيرة كنا نواجه في أشهر الصيف مشاكل عديدة لتلك الحيوانات وخاصة في شهري يوليو وأغسطس، وذلك لعدم تحمل هذا الحيوان ارتفاع الحرارة والرطوبة في تلك الأشهر. فرأينا أن الحل لهذه المشاكل أن نضع هذه الحيوانات في غرف مكيفة حتى تنتهي أشهر الصيف الحارة. وعرضنا تلك الفكرة على الشيخ زايد كمقترح يمكن أن يطبق فقط خلال شهرين إلى ثلاث أشهر من السنة، ثم تعود تلك الحيوانات طليقة في الطبيعة بعد ذلك، وبهذا نجنبها تلك المشاكل. وجاء جواب الشيخ زايد رافضاً لتلك الفكرة، وقال أريدها أن تعيش حياة طبيعية، وأصر على ذلك. ثم إقترحنا أن نقص وبرها خلال تلك الأشهر للتخفيف عنها، فرفض هذا المقترح، وقال اتركوها تعيش على طبيعتها. وخذوا مني هذا التوجيه: اعملوا مظلات واسعة، واصنعوا تحتها أحواضاً بطول ٣٠ متراً وعرض ٣ أمتار وعمق ٦٠ سنتيمتراً، واملأوها بالماء العذب، وضعوا حيوانات اللاما في ذلك المكان. فصنعنا ما وجهنا به الشيخ زايد فكانت خطة ناجحة وحلاً ناجعاً لمشاكل تلك الحيوانات في الصيف، وأصبحت اللاما في أشهر الصيف الحارة تجلس تحت تلك المظلات الواسعة وبالقرب من أحواض المياه فتبلل جسمها من مياهها لتخفيف حدة الحرارة، وبهذه الطريقة تجاوزت اللاما مشاكل الصيف، وبمرور السنوات تأقلمت تلك الحيوانات، وخاصة المواليد الجدد للطبيعة الجديدة، وأصبحت تتكاثر بصورة طبيعية، وكل ذلك بخبرة وحكمة الشيخ زايد الذي منعنا من التدخل في التأثير على حياتها، وأراد لتلك الحيوانات أن تتأقلم مع الطبيعة دون التدخل في حياتها، وكان من نتيجة ذلك قدوم أجيال أكثر».

«وعول» خرجن من الغابة

وهذه قصة أخرى يحدثني بها السيد محمد بن حرمش المنصوري وهي تُظهر كيف كان الشيخ زايد يتعامل مع الحيوانات البرية الفارة بذكاء ودراية كبيرة، فيروي قائلاً: «في يوم من الأيام اتصل بي المسؤولون في جزيرة دلما وأخبروني بأن «وعولة» خرجن من الغابة إلى الجبل، والوعولة كلمة تدل على مجموعة أو قطيع من حيوان الوعل، وهو نوع من أنواع الظباء. ويقول بن حرمش: وأنا بدوري بادرت بالاتصال بمرافقي الشيخ زايد لإبلاغه الخبر وسؤاله عما إذا كان يأمرنا فنحاول إرجاعهن إلى الغابة. فأجابنا الشيخ زايد بشيء لم نتوقعه أبداً ويدل على عبقريته الكبيرة في مثل تلك المواقف فقال: «لا.. بل اتركوهن.. واعملوا لهن في المنطقة التي فررن إليها من الجبل مظلات وأحواض ماء». ويضيف بن حرمش: ثم أخذ الشيخ زايد -رحمه الله- يصف لنا مواصفات تلك المظلات والأحواض، ويحدد طولها.. وعرضها.. وعمقها.. وكانت بالسنتيمتر. حتى اتجاهاتها كان يصفها لنا بدقة ويشدد على أن تكون متجهة من الشرق إلى الغرب حتى تبقى الظلة طوال النهار. ثم انتهى -رحمه الله- بقوله: ولا تصنعوها على أرض منخفضة ولا على أرض مطلة. ويعلق بن حرمش قائلاً: فعجبت لجواب الشيخ زايد وعلمه وخبرته بالأمور، فكان لذلك الرد الواضح والسريع أثر في نفسي وإعجاب بعبقريته» (١/١١).

مباديء جميلة كان الشيخ زايد يؤمن بها من زراعة الأشجار

كان للشيخ زايد -رحمه الله- مباديء جميلة، ورؤية حكيمة من زراعة الأشجار، وهنا سوف نتناول شيئاً من تلك المباديء الجميلة التي كان يؤمن بها ويحث عليها. يحدثني السيد راشد محمد بن حرمش المنصوري عندما سألته عن سر اهتمام الشيخ زايد بالتشجير، فيقول: «إن مبدأ وفلسفة الشيخ زايد من زراعة الأشجار وكما سمعناها منه -رحمه الله- أن الأشجار التي سوف تثمر في أرضنا نكون بحاجة لثمارها، والتي لا تثمر فنحن بحاجة لظلها». يا له من مبدأ في غاية الروعة، وصَدَقَ من سماه «برجل البيئة الأول» (١/١١).

وكان من مبادئه أيضاً أن الذي يرزق البشر هو الذي يرزق الشجر، وكان -رحمه الله- يعلن ذلك المبدأ عندما كان يسمع أو يقال له يا صاحب السمو إن الزراعة والتشجير والغابات تحتاج إلى مياه، وأنت

تعرف حال المنطقة، فكان يرد عليهم وبإيمان قوي، بما معناه، إن الله هو الرازق، وإن علينا أن نزرع ونربي والله يرزقنا ويرزقها. فكان بذلك الإيمان أن أعطاه الله ما تمنى، وبارك له بما صنع وأنجز. وكان يؤمن إيماناً كبيراً بأن الله يعين عبده إذا نوى الصدق، ويقول: «نحن نزرع والله يرزق ويبارك»، وهذا ما حدث حيث أن الله بارك له فيما زرع. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النخل والشجر بركة على أهله، وعلى عقبهم بعدهم، إذا كانوا لله شاكرين» (١٣/١١).

ومن المباديء الزراعية التي كان يؤمن بها الشيخ زايد هي زراعة أشجار النخيل حول المشاريع الزراعية، فكان يأمر عادة المؤسسات الزراعية في الدولة بغرس صفين وأحياناً ثلاثة صفوف حول مزارع المواطنين (١٤/١١). ولقد استمد -رحمه الله- ذلك المفهوم من كتاب الله الكريم: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (١٥/١١).

ويحدثني السيد سلطان بن دري القبيسي عن مبدأ جميل من وراء أوامر الشيخ زايد -رحمه الله- بزراعة أشجار النخيل في أواسط الطرق الخارجية والداخلية فيقول: «كان الشيخ زايد يهدف من زراعة أشجار النخيل في أواسط الطرق تحقيق عدة فوائد منها أنه كان يأمل أن تكون ثمار تلك الأشجار صدقة جارية ينتفع بها عند ربه، فهي مصدر غذاء للإنسان (سبيل) والطير والحيوان. والفائدة الأخرى أنها ذات أهمية بيئية، فهي توفر الظل والجمال على طول الطريق، وكانت تلك الفائدة غاية يحرص عليها الشيخ زايد. وهناك أيضاً هدف آخر من زراعتها في أواسط الطرق كنا نعرفه من الشيخ زايد ولا ينتبه إليه كثير من الناس وهو أنه كان يهدف من زراعة تلك الأشجار حماية السائقين في الليل من أشعة إضاءة السيارات القادمة من الطريق المقابل» (٤/١١). فأنظر أخي القاريء كم كان الشيخ زايد -رحمه الله- مهتماً بكل شيء.

تقصير النخيل

أولى الشيخ زايد -رحمه الله- نخلة التمر اهتماماً بالغاً، وكان حريصاً على رعايتها والإكثار منها وتوفير كل احتياجاتها من الخدمات والعمليات الزراعية، ولقد كان له فيها خبرة ودراية كبيرة لا يضاهيه فيها أحد. وهنا سوف نذكر مثالاً على ذلك، وهو تجربته في عملية تقصير النخلة الطويلة مما يكشف عن خبرة زراعية كبيرة كان يتمتع بها رحمه الله. كان من المعروف عن الشيخ زايد أنه يعشق النخلة القصيرة لأن ثمارها تكون في متناول الجميع، ويمكن لأي راغب أو محتاج أن يجنيها بسهولة وهو واقف تحت ظلها. أما النخلة الطويلة عكس ذلك، فالراغب في ثمارها لابد من أن يتسلقها، وهذا أمر فيه جهد ومخاطرة، وهو ليس في مقدور الجميع.

ويحدثني السيد راشد محمد بن حرمش المنصوري (١/١١)، فيقول: «كان للشيخ زايد في موضوع تقصير النخيل تجربة تنم عن خبرة زراعية كبيرة، وكان يعلمنا إياها لتطبيقها في تقصير أشجار النخيل الطويلة حيث كان يرى أن استطالتها كثيراً لا تفيد وتجعلها عرضة للسقوط، وكما يعلم الجميع أنه كان يحب أشجار النخيل ولا يحب سقوطها أو إزالتها بسبب طولها ومهما يكن نوعها فلذا كان يأمرنا بتقصير أشجار النخيل الطويلة وإعادة زراعتها».

وتتلخص طريقة الشيخ زايد في تقصير النخيل، والتي رواها لي بن حرمش المنصوري وآخرون في التالي: يُلف جذع النخلة المراد تقصيرها على بعد متر ونصف المتر من الرأس بقطعة من الخيش تحتوي على طبقة من الرمل وبعض المواد العضوية مثل ليف أشجار النخل ومادة البيتموس، وتربط جيداً. وأحياناً توضع طبقة أخرى وتلف بالخيش وتربط على الأولى. ثم تندى تلك الطبقة بالماء على فترات لمدة أربعين يوماً. حيث يبدأ خلالها تكون الجذور حول الجذع في تلك المنطقة المرتفعة. وبعد انقضاء تلك المدة يقول لهم الشيخ زايد: «امسكوا أعلاها جيداً، واقطعوا أسفل من منطقة التجذير، وازرعوا رأسها في التربة مباشرة، وتعهدوها بالماء يومياً مدة لا تقل عن عشرة أيام». ويقول الراوي: لقد جُربت طريقة الشيخ زايد في تقصير النخيل في أصناف عديدة فحققت نسبة نجاح عالية.

ولنتأمل كيف كان الشيخ زايد يتعامل مع المشاكل الزراعية بخبرة عالية، وكل ذلك للمحافظة على تلك الثروة وتنميتها، ولم يكن يستجيب للأقوال أو الطروحات السلبية التي من شأنها التأثير في مواصلة التنمية في ذلك القطاع، بل كان يبتكر الخيارات والحلول للمشاكل الزراعية. وهنا أذكر مثالاً، عندما بدأ الشيخ زايد مشواره التنموي يذكر أنه استقدم أحد الخبراء من أجل الاستعانة بخبرته في تخطيط مدينة العين، فكان أن أشار ذلك الخبير بقوله: اقطعوا النخيل واقلعوه من أراضيكم، فهو يستهلك كمية هائلة من الماء ومردوده الاقتصادي هزيل، فضلاً عن اجتذابه الذباب والدبابير والعقارب، وعرقلته لتوسع المدينة. وكان الخبير يشير في طرحه ذلك إلى نخيل الواحات. فماذا كان رد الشيخ زايد؟، بالتأكيد فقد فعل العكس، بل وضع برنامجاً يقضي بزراعة المزيد من أشجار النخيل. وقد أثبتت الأيام صحة قرار الشيخ زايد وفشل طروحات الخبير.

صورة ١٨/١١. الشيخ زايد في حقل نخيل.

مواصفات الصرم المشترى

يحدثني المهندس سعيد سالم الهاملي، وهو أحد المهندسين الذين عملوا في الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، عن تجربة شهدها أثناء عمله تعكس كم كان الشيخ زايد فاهماً وخبيراً في شؤون الزراعة، فيقول: «في سنة من السنوات، وبناءً على توجيهات الشيخ زايد -رحمه الله-، أرادت الدائرة أن تشتري عدداً كبيراً من فسائل النخيل من المملكة العربية السعودية، فبدأ المسؤولين يضعون شروط الشراء ومواصفات الفسائل (الصروم) في عقد الشراء، ثم بعدها قرروا أن يستشيروا الشيخ زايد في مواصفات الفسائل التي يريدها. فكان جوابه -رحمه الله- مختصراً، إلا أنه نابع من خبير ضليع في الزراعة والنخيل، حيث قال: «إن الشروط التي يجب أن تكون عليها هذه الصروم أهمها أنه لا يمكن أن يحملها الرجل الواحد، ويمكن أن يحملها الرجلان، ويجب أن تكون ملفوفة بالخيش، ومقصرة السعف». فدهشنا من إجابة الشيخ زايد التي كانت جامعة لكل شيء» (١٦/١١).

الوقت كان مهماً عند زايد

يروي من كانوا يعملون بالقرب من الشيخ زايد أن الوقت كان مهماً ومقدساً عنده -رحمه الله-، فإذا أصدر أمراً يريد أن يراه وقد نفذ في أسرع ما يمكن، وكان يقدر له الوقت، فالعمل إذا كان يمكن أن ينجز في أسبوع فإنه يريده في ثلاثة أيام، ولا يهمه كم من العمل أو المال يحتاج حتى يُنجَز في تلك المدة، ولسوف يغضب إذا لم يُنجز في الفترة التي يريدها.

ويقول السيد سلطان هلال بن دري القبيسي في هذه الصفة: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- في الخمسة عشر سنة الأخيرة من عمره يتسابق مع الزمن، وكان يريد أن ينجز مشاريع التنمية في أسرع وقت ممكن، وكان يشدد على المسؤولين المكلفين بالإشراف على تلك المشاريع أن ينجزوا أعمالهم في أقصر وقت ممكن مهما كان حجم المشروع أو نوعه. فكان ذلك الأمر يشكل علينا شيئاً من الضغط، إلا أن المشروع كان ينجز كما كان الشيخ زايد يريد ويأمل. والسبب الذي تلمسناه من وراء تسابقه مع الزمن أنه أحس في ذلك الوقت أنه قد كبر في السن، وأن هناك أشياءاً كثيرة مازال يريد أن يقيمها على أرضه، لذا كان -رحمه الله- لا يقبل أي تقصير أو مبررات أو أعذار من أحد». (٤/١١).

صورة ١٩/١١. الشيخ زايد يشرف على عملية قطع فسائل النخيل.

ويحدثني السيد راشد محمد بن حرمش المنصوري عن تلك الخصلة قصة، فيقول: «كان للوقت عند الشيخ زايد أهمية كبرى، ففي يوم من أيام جزيرة صير بني ياس كان الشيخ زايد يزرع القرم فغابت عليه الشمس، فتوقع الجميع أن يؤجل العمل لصباح اليوم الثاني، إلا أنه استمر يزرع شتلات القرم في الليل وهو حافي القدمين، فتقطعت رجلاه رحمه الله، فاستغرب الجميع من ذلك الفعل، وكان يستطيع أن ينتظر إلى الصباح ولكن كان الوقت عنده هاماً» (١/١١).

والله لن تكفيني كل معدات الشركة تعويضاً عن شجرة واحدة تقطعونها

يقول السيد عباس الطرابيلي، (الذي كان يعمل في جريدة الاتحاد الاماراتية، أواخر السبعينيات من القرن الماضي): «لا يمكنني أن أنسى حواراً دار بين الشيخ زايد وبين ممثل الشركة الفرنسية التي كانت مكلفة بحفر قناة ملاحية تصل بالسفن مباشرة من ميناء زايد إلى جزيرة أم النار، وكان ممن شهد هذه الواقعة معالي الشيخ أحمد بن حامد الذي كان وزيراً للإعلام في ذلك الوقت، ومعالي الدكتور مانع سعيد العتيبة الذي كان وزيراً للبترول والصناعة. لقد أشار الشيخ زايد إلى أشجار القرم (المانجروف) التي تحيط بالجزيرة، وقال لممثل الشركة الفرنسية: إياكم وقطع شجرة واحدة من هذه الأشجار.. والله لن تكفيني كل معدات الشركة تعويضاً عن شجرة واحدة تقطعونها.. ورأيت الحزم والجدية على وجه الشيخ زايد العظيم، فقد كان يعني ما يقول» (١٧/١١).

سريع القرار في عمل الخير

كان الشيخ زايد -رحمه الله- لا يتردد ولا يتباطأ في أي عمل خير يُطرح عليه لمصلحة إنسان أو أرض، حتى ولو كان ذلك الطرح في وقت هو مشغول فيه، فهو لا ينساه، وفي هذا يحدثني معالي وزير الزراعة والثروة السمكية السابق السيد سعيد محمد الرقباني، بقصة أتت بخير كثير على المزارعين ولنخلة التمر في دولة الإمارات، فيقول: «في إحدى الأيام كنت في مجلس الشيخ زايد بقصر البحر لتناول وجبة الغداء، وكان في برنامج ذلك اليوم وصول الرئيس الفرنسي جاك شيراك إلى البلاد، وأن الشيخ زايد سيكون على رأس مستقبليه. وأثناء الغداء، وكعادته -رحمه الله- سألني عن الزراعة وأحوالها وعن المزارعين، فقلت: «يا صاحب السمو الآن المزارعين لم يعودوا يهتموا بنخيلهم لأن إنتاج العام الماضي من التمور مازال موجوداً في مخازنهم، والمَزارِع في هذه الأيام أصبحت مكلفة». فقال رحمه الله: «هل عندكم رأي؟». فقلت: «الرأي عند سموكم يا طويل العمر»، ولم أزد عن ذلك القول، ولم يرد علي بشيء في وقتها، وظننت أن الأمر كان عادياً بالنسبة له، أو أن طَرْح مثل ذلك الموضوع في ذلك اليوم الذي هو مشغول فيه باستقبال شخصية كبيرة كان طرحاً غير مناسب. بعدها تحركنا إلى المطار مع الشيوخ لاستقبال الرئيس الفرنسي، وبينما كنا في المطار، جاءني شخص فأخبرني أن الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان (ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية) يَسأل عني. وعندما إلتقيته قال لي أن الشيخ زايد قد أمره بمناقشة أمر تسويق تمور المزارعين، وأنه مهتم بالموضوع ومهتم بتشجيع المواطنين على زراعة النخيل، فَدَعنا نجتمع لمناقشة ذلك الأمر في أسرع وقت. وبالفعل اجتمعنا مع الشيخ طحنون في اليوم التالي في مدينة العين وبعدها بفترة قصيرة يتفاجأ المزارعون في دولة الإمارات بصدور قرار من الشيخ زايد -رحمه الله- بتسويق تمور نخيلهم، وبأسعار مجزية وخاصة الأصناف الممتازة، بقصد تشجيع المزارعين على الاهتمام بأشجار النخيل لتطوير هذه الثروة (١٨/١١).

إن ما أدهشني في تلك القصة أن الشيخ زايد -رحمه الله- وبالرغم من أن برنامجه كان مزحوماً إلا أنه أولاً لم يترك سؤاله المعهود للمسؤولين عن الزراعة وأحوالها، ثم أنه لم ينسَ أو يؤجل مرحلة التعاطي مع ذلك الموضوع الذي طرحه معالي وزير الزراعة لوقت آخر بسبب وصول شخصية كبيرة إلى البلاد بل كان قراره سريعاً، ففي نفس اليوم أمر سمو الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية بمتابعة الموضوع مع وزير الزراعة في الدولة، وهذا أبلغ دليل على حبه للزراعة، وحرصه على تطوير ثروة النخيل في دولة الإمارات العربية المتحدة.

رأى الوادي فأمر بإقامة سد

وثمة قصة أخرى يرويها معالي وزير الزراعة والثروة السمكية السابق السيد سعيد محمد الرقباني، تُظهر مرة أخرى كم كان الشيخ زايد -رحمه الله- سريع القرار في عمل الخير ومهما كانت كلفة المشروع، فيقول: «في عام ١٩٧٩ كان الشيخ زايد في زيارة إلى الإمارات الشمالية، والتقيت به في منطقة الخوانيج في دبي، وفي صباح اليوم التالي توجه -رحمه الله- إلى منطقة بالشمال بين حدود الفجيرة ورأس الخيمة، وكان في تلك المنطقة وادٍ كبير يسمى وادي الطويين، وبالقرب منه قرى الطويين، وتوجد مساحة يمكن

استغلالها للزراعة أمام الوادي. فلما رآه قال هذا وادٍ كبير، فأعطى أوامره مباشرة للوزارة لعمل دراسة لإقامة سد في ذلك الوادي».

ويحدثني معالي الوزير بموقف آخر للشيخ زايد -رحمه الله- في هذا الشأن أكبر مما سبق ويعكس كم كان مهتماً وحريصاً على تنمية الموارد المائية في البلاد ومهما كانت تكلفتها، فيقول معالي الوزير: «من منطلق توجيهات الشيخ زايد لوزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً) في ضرورة وضع الدراسات والمقترحات التي من شأنها المساهمة في تنمية الموارد المائية في الدولة قامت الوزارة بوضع دراسات لإنشاء عدة سدود في مناطق مختلفة من الإمارات الشمالية. ونتيجة لعدم إمكانية الوزارة في تغطية تكلفة إنشاء تلك السدود قمت بطرح الموضوع على الشيخ زايد وكان ذلك قبل سفره للخارج لتلقي العلاج. وبعد أن أجرى عمليته الجراحية أتفاجأ بمدير مكتبه السيد علي بن سالم الكعبي يتصل بي من الولايات المتحدة ويسألني عن دراسات تلك السدود التي قد طَرَحتُها على الشيخ زايد وهل هي جاهزة للتنفيذ؟ فأكدت له جاهزية تلك الدراسات، بعدها تشكلت لجنة من الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة ووزارة الزراعة والثروة السمكية لتنفيذ تلك المشاريع الضخمة ومن خلالها تم تنفيذ ٦٧ سداً كلها على نفقة الشيخ زايد طيب الله ثراه» (١١/١٨).

ولسوف نرى في الفصل التالي عند مناقشة مشاكل المياه في دولة الإمارات كيف جعل الشيخ زايد من بناء السدود أحد الحلول للتغلب على مشكلة نقص المياه لمواصلة المسيرة الخضراء. ولقد رأينا في فصل سابق أن تلك العبقرية قد تكررت على أرض اليمن عندما بنى سدها التاريخي العظيم «سد مأرب»، ولم يتردد في فعل ذلك الخير وتمويله من ماله الخاص. ويروي لي معالي وزير الزراعة والثروة السمكية السيد سعيد محمد الرقباني مشاهداته في هذا الموضوع فيقول: «في السبعينيات كُلفت أن أمثل الدولة لحضور احتفالات جمهورية اليمن العربية بعيدها الوطني، وفي تلك المناسبة التقيت بالرئيس اليمني علي عبدالله صالح وفيها كلفني بنقل سلامه وتحياته لأخيه الشيخ زايد وأيضاً تَطَلّع اليمنيين إلى مكرمته ببناء سد مأرب. وفي تلك المناسبة أيضاً ذهبت لمعاينة منطقة السد القديم، فإذا بالمنطقة صحراء قاحلة لم يكن بها مزارع. وعندما عدت إلى الإمارات نقلت رسالة فخامة الرئيس اليمني للشيخ زايد فأمرني -رحمه الله- بمتابعة موضوع السد مع صندوق أبوظبي للتنمية». ويضيف معالي الوزير: «وبعد الانتهاء من بناء السد رافقت الشيخ زايد مع وفد إلى اليمن ليشهد افتتاحه، فرأينا تلك المنطقة القاحلة قد تبدلت إلى منطقة خضراء تنتشر فيها المزارع، ورأينا السد مليئاً بالمياه، والناس تعمها الفرحة والابتهاج» (١١/١٨).

أخبر المزارعين بحفر جور ثم تردم بالرمل

هذه قصة يرويها معالي وزير الزراعة والثروة السمكية السابق السيد سعيد محمد الرقباني تُظهر كم كان الشيخ زايد خبيراً ضليعاً في أمور الزراعة وفي كل المناطق، فيقول: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- يتابع أحوال الزراعة ويستفسر عن كل شيء بدقة، وكان يفرح كثيراً إذا سمع بأي نتيجة إيجابية في الزراعة، ويغضب إذا سمع عكس ذلك. وعندما كنت أراه كان دائم السؤال عن أحوال المزارعين والصيادين، وأنا طيلة عملي كوزير للزراعة استفدت من خبراته وتوجيهاته ونصائحه كثيراً، إذ كانت المعلومات التي تخرج من الشيخ زايد تنبع عن فكر زراعي كبير، وأذكر منها أنه في يوم من الأيام قد طرح موضوع أن الأراضي الجبلية يبطؤ فيها نمو النخيل، وكنت أقصد أراضي المناطق الشمالية، فوجدت عند الشيخ زايد لذلك الأمر جواباً، فقال: أخبر المزارعين أنهم قبل أن يزرعوا الفسيلة أو النخلة في تلك الأراضي الجبلية أن يقوموا أولاً بحفر جورة عميقة وواسعة ثم تطمر بالرمل مع وضع قليل من السماد ثم بعد ذلك يغرسوا نخيلهم فهذا أفضل لتلك المناطق. وبالفعل قمنا بتجربة ذلك فكانت النتيجة سرعة نمو ملحوظة في أشجار النخيل والفواكه الأخرى» (١١/١٨).

كان مجرباً وملاحظاً دقيقاً

ومن الأشياء التي تظهر عبقرية الشيخ زايد وفطنته في الزراعة أنه كان رجل تجريب وملاحظة، يستنتج من مشاهداته وتجاربه الكثير من الخبرات الزراعية ثم يأمر بتعميمها. ولقد ذكرنا كثيراً من القصص في هذا الكتاب والتي تدل على ذلك. وفي هذا الموضع زودني السيد سلطان بن دري القبيسي بمثال آخر، وهو إدراك الشيخ

زايد المبكر لأهمية استخدام بقايا النباتات العشبية ومخلفات الأشجار من أوراق وأغصان كسماد في الزراعة فيقول: «حدثنا الشيخ زايد أنه من ملاحظاته المبكرة للحياة البرية في الصحراء أنه رأى الأعشاب النامية تحت أشجار الغاف بعد سقوط المطر أطول وأكثر نضارة من الأعشاب النامية في مكان آخر. فاستنتج من هذه المشاهدة أن ما يميز هذا المكان عن غيره هو وجود الظل ووجود بقايا أوراق أشجار الغاف وثمارها المتساقطة على الأرض. فقام -رحمه الله- بعمل تجربة في قصر البحر لإثبات ما توصل إليه من استنتاج. فأمر بزراعة نباتات تحت ظل الغاف وأمدها بمواد عضوية ناتجة من تحلل بقايا الأوراق والمخلفات النباتية فرأى أن نمو تلك النباتات كان ممتازاً فاستنتج أن الذرى (الظل) وتلك المواد العضوية عنصران هامان في الزراعة. كما استنتج أن المخلفات النباتية مادة عضوية جيدة يمكن استخدامها في تسميد النباتات والأشجار المختلفة. وبناءً على تلك التجارب والاستنتاجات أمر -رحمه الله- بعمل حفرة كبيرة في كل غابة يرمى فيها المخلفات النباتية من أوراق وأغصان وبعد مدة يمكن أن تستخدم المادة العضوية المتكونة في تلك الحفرة كسماد عضوي وطبيعي للنباتات والأشجار (١١/٤).

سألته متى أزرع العُقَل فرد علي بسؤال أتعبني ستة أشهر!

يحدثني المهندس محمد عيادة الهاملي، وهو الرجل المسؤول عن الزراعة في منطقة روضة الريف، قصة مليئة بالدروس والعبر كانت بينه وبين الشيخ زايد فيقول: «كان الشيخ زايد -رحمه الله- كثير التردد على منطقة الريف، وكان اهتمامه كبيراً وواضحاً بعمليات التشجير وإقامة الغابات في تلك المنطقة. وفي يوم من الأيام أحضرت للشيخ زايد مجموعة من عقل الرمان والتين كهدية من الخارج، وكان حينها في روضة الريف، فأمر باستدعاء المهندس المسؤول عن المنطقة، فلما قدمت إليه قال لي خذ هذه العقل وازرعها في المشتل، وعلى الفور فعلت ما أمرني به، وأعطيت ذلك الموضوع اهتماماً كبيراً وحرصاً زائداً إدراكاً مني أنه لا بد وأن يسألني عن تلك العقل في يوم من الأيام. وبعد حوالي ثلاثة أسابيع جاء الشيخ زايد -رحمه الله- إلى المنطقة فطلبت مقابلته لإخباره عن تلك العقل. وعندما دخلت عليه في غرفته الخاصة قلت له يا طويل العمر إن العُقل التي أمرتني بزراعتها قد أورقت والحمد لله، وأريد أن أستأذنك في زراعتها في المنطقة المستديمة أو أي توجيهات أخرى. فتفاجأت أن الشيخ زايد يوجه لي سؤالاً مغايراً عن الموضوع تماماً وقد تملكه شيء من الغضب، قائلاً لي: كم زرعت من أشجار الغابات في هذه السنة؟ ويقصد هنا كم زرعت من أشجار السدر، والسلم، والطلح المغربي، والسمر، والراك، والمرخ في منطقة الريف في هذه السنة؟ فأجبته أنني زرعت ما يقارب ثمانين ألف شتلة خلال السنة، فرد علي بصوت غاضب: كيف تزرع ثمانين ألف وغيرك زرع ثلاثمائة ألف؟ وكان يقصد عدد شتلات أشجار الغابات التي زرعت في منطقة حزام الغابات. فقلت يا طويل العمر هذا حسب امكانياتنا في هذه المنطقة. وكنت أقصد أن منطقة الريف كانت منطقة جبلية، وأن زراعة شتلة واحدة تحتاج إلى وقت أطول من المعتاد لطبيعة الأرض، حيث كنا نعمل جورة حجمها ١ متر طول وعرضها وعمقها كذلك، ثم نستخرج الحصى من تلك الحفرة ونضع فيها رملاً زراعياً جديداً، ومن ثم نقوم بتوصيل شبكة الري وزراعة الشتلة، لهذا لم يكن العمل سهلاً علينا في تلك المنطقة، ولهذا كان أقصى ما يمكن أن ننجزه من عدد هو زراعة ثمانين ألف شتلة في السنة.

لكن تلك الظروف لم تكن لتقنع الشيخ زايد، ولما حدثته عنها غضب عَليَّ كثيراً وقال لي إذا كنت لا تقدر على الإنجاز فاترك العمل. فاستأذنت منه، وكان ذلك اليوم من أصعب الأيام في حياتي لأن الشيخ زايد غضب فيه كثيراً. وفي اليوم التالي جاءني مدير مكتبه السيد خميس بطي الرميثي وأبلغني أن توجيهات الشيخ زايد أن أزرع في منطقة الريف ٤٠٠ ألف شتلة من أشجار الغابات، وفي غضون ٤ أشهر، أي بمعدل ١٠٠ ألف شجرة في الشهر. بعدما تلقيت هذا الأمر قمت باتصال بمدير أعمال رئيس الدولة، السيد عبدالله الهاشمي، وأوضحت له الأمر، وأن هذا التوجه يحتاج إلى معدات كثيرة وعمال إضافيين كثر، كما أوضحت ذلك الطلب في كتاب رسمي، ووصل ذلك الطلب إلى الشيخ زايد وكان رده يجب عليه أن يزرع بالمعدات والعمال الموجودين دون استئجار أي معدات أخرى أو عمال إضافيين. فدخلت في حيرة أكبر، ثم اقترحت على السيد

عبدالله الهاشمي أن نجمع المعدات المتوفرة بمناطق الدائرة في منطقة روضة الريف، وأن تمتد ساعات العمل إلى ٢٠ ساعة في اليوم عن طريق فريقين، فريق يعمل من الساعة السادسة صباحاً إلى الساعة السادسة مساءً، والفريق الآخر يبدأ من الساعة السادسة مساءً إلى الخامسة فجراً، فأقرني على ذلك. واستمر العمل بذلك البرنامج دون أي خلل، وعلمنا لاحقاً أن الشيخ زايد كان يبعث بمن يُطَمئنه على سير العمل دون أن نشعر بهم. وبعد مضي فترة قريبة من الأربعة الأشهر طلبنا مزيداً من الوقت فوافق الشيخ زايد على التمديد شهرين آخرين، فأُنجز ذلك المشروع الكبير خلال ٦ أشهر من العمل الدؤوب المتواصل، وحسب الطريقة المذكورة سابقاً. وفي نهاية المشروع جاء الشيخ زايد -رحمه الله- إلى المنطقة، وأخذ جولة بسيارته في المشروع بعدها أوقف السيارة ونزل منها وهو يصفق بيديه ويقول: «بيض الله وجوهكم»، بعدها فرحت كثيراً لفرح الشيخ زايد رحمه الله» (١٩/١١).

فتأمل معي أيها القارىء كم من الدروس يمكن أن نأخذها من تلك القصة.

أكثر من ساعتين وهو يعلمنا كيفية الزراعة

يحدثني المهندس محمد عيادة الهاملي قصة أخرى تُظهر كم كان الشيخ زايد -رحمه الله- مهتماً بالزراعة، خبيراً بأصولها، فيقول: «في بداية تعييني بالدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة وكان ذلك في عام ١٩٩٤، أمر الشيخ زايد بتشكيل لجنة لمتابعة المشاريع الزراعية مكونة من المهندسين المواطنين، وكنت أنا أحد أعضائها. بعدها قمنا بجولة في المناطق الزراعية، ومنها منطقة حزام الغابات (الجرف)، ومن حظنا أنه في ذلك اليوم كان الشيخ زايد موجوداً في تلك المنطقة، وبالتحديد استراحة الشرفة. وبالتنسيق مع المسؤول في المنطقة طلبنا مقابلته للسلام عليه وتعريفه بأعضاء اللجنة التي أمر بها، فتم لنا ما أردنا. وبعدما عَرَّفناه بأنفسنا، وشربنا القهوة، أخذ الشيخ زايد يتحدث في الزراعة ويذكر خبراته فيها، ثم بدأ يشرح لنا طرق الزراعة المختلفة، ومسافات الزراعة للنباتات المختلفة، وعمليات الري والتسميد وكيف يمكن أن تطبق في أرضنا. واستمر ذلك الدرس لأكثر من ساعتين تحدث فيها الشيخ زايد في علوم زراعية مختلفة، وكان الأعضاء يسألون، وكنت أنا أدون خبرات الشيخ زايد وتجاربه وتوصياته التي يطرحها حتى جاء وقت الغداء فأردنا أن ننصرف فقال -رحمه الله- تغدوا أولا ثم انصرفوا، فتغدينا مع الشيخ زايد، ثم شربنا القهوة ثم استأذناه بالانصراف. وفي اليوم التالي قمت بطباعة تلك التعليمات والتوصيات الهامة، وتم توزيعها على جميع مناطق الدائرة الخاصة، وذلك للإستفادة منها وتنفيذها (١٩/١١).

ويقول المهندس: «إن الصفات التي لمستها في الشيخ زايد أثناء عملي بالقرب منه كانت عظيمة، فهو أولاً وقبل كل شيء إنسان بمعنى الكلمة، إنسان بفطرته، كريم النفس، متواضع، لا يفرق بين الناس ولا يقلل من شأنهم، ويحب الخير لهم» (١٩/١١).

تموركم غير رويانة.. اخرج ورقة وقلم واكتب ما أقول

وعن إلمام الشيخ زايد بعلوم الزراعة وخبرته فيها، أذكر قصة أخرى حدثني بها شخص كان أحد أطرافها، وهو السيد مسلم بالخالص العامري، الذي كان يعمل مديراً لمصنع تمور الإمارات بالساد فيقول: «في يوم من الأيام كنت في مجلس الشيخ زايد -رحمه الله- فناداني فاقتربت منه، ثم قال لي: التمر الذي يأتي من المصنع جاف. فكيف تسقون النخل؟». ويقول العامري: «علمت حينها أن الشيخ زايد يريد مني معرفة الأسباب من وراء جفاف التمور التي ينتجها المصنع، وكنت يومها مديراً لذلك المصنع والمسؤول الأول عنه، فكان سؤالاً صعباً». ويقول: «وكنت أعرف يومها أن جزءً من المشكلة لا يتحملها المصنع، بل مصدر تلك التمور، وأقصد هنا المزارع وكذلك مكتب الإرشاد التابع لدائرة الزراعة والذي كان يطلب من المزارعين أن يسلموه التمور جافة. لكن رأيت أن أجيب الشيخ زايد بحكمة ولا أشتت فكره أبعد عن مسؤولية المصنع حتى لا تتشعب المشكلة. فأجبته قائلاً: «نحن يا طويل العمر نسقي النخيل كما يوصي به الخبراء والكتب المختصة في هذا المجال». ويقول العامري: «وحسبت نفسي أنني قد أجبت الشيخ زايد وباختصار، وأن الأمر قد انتهى، لكنه لم يقتنع بذلك فأجابني بانتقاد شديد أنت ما

تعرف تسقي. وهنا أدركت أن المسألة قد تصعب علي، وأن غضب الشيخ زايد قد يزيد وخاصة أنه كان حازماً وممتعضاً في ذلك اليوم، فقدرت الموقف جيداً ورأيت أن آتي بكلام مختلف تماماً لأمتص غضبه فقلت له: «يا طويل العمر.. أنا رجل بدوي بسيط ما أعرف في النخل شيء، ولولا الله ثم جهودك ما وصلت إلى هذا المكان ولا مسكت هذا المصنع». ثم قال السيد مسلم العامري: «فهدأ الشيخ زايد من سماعه ذلك الكلام، وتبدل موقفه إلى موقف المعلم ثم قال لي رحمه الله تعرف ما هو السبب في جفاف تموركم؟ فقلت لا يا طويل العمر فأرشدني ووجهني، قال: «تموركم غير رَوّيَانَة». كل كم أنت تسقي النخل؟ فقلت رقماً، فقال الشيخ زايد من أين جئت بهذه المعلومة، فكررت إجابتي السابقة. عندها قال الشيخ زايد -رحمه الله- اخرج ورقة وقلم وأكتب، فأخذ -رحمه الله- يعلمني ويشرح لي طريقة سقي النخيل وكمياتها، وأذكر من كلامه أنه قال في الصيف تسقي النخلة بمعدل يوم ويوم لا، وفي الشتاء بمعدل مرتين في الأسبوع» (٢٠/١١).

ويروي السيد مسلم العامري أن الشيخ زايد كلما زار مصنع تمور الساد، وهو مشروع قام بفكره ومتابعته، كان يسأل أسئلة دقيقة يتفاجأون بمدى دقتها، وهي تكشف كم كان -رحمه الله- عبقرياً وواسع الفكر في شتى العلوم. ويقول إن حلوى التمر التي يصنعها المصنع والتي لاقت شهرة واسعة وطلباً متزايداً هي من أفكار الشيخ زايد، حيث أمرنا مباشرة بعمل هذه الوصفة في المصنع وإنتاجها في السوق، وهي تتلخص في عمل عجينة من تمور الأصناف الممتازة كصنف الخلاص، ثم يوضع لها كمية مناسبة من زيت الزيتون وتخلط بالخلاطة جيداً. وأحياناً كان يأمرنا بأن نضيف لها القرفة والزنجبيل لاقتناعه بأهميتها لصحة الإنسان (٢٠/١١).

يعرف تربة الإمارات ومواصفاتها كأنه خبير تربة

في منتصف عام ١٩٦٥ استقدم الشيخ زايد أول مهندس زراعي، هو المهندس مجدي شعت، ولهذا الحدث قصة يرويها المهندس نفسه، فيقول: «عندما كان الشيخ زايد في زيارة أخوية لحاكم قطر، الشيخ أحمد بن علي آل ثاني، سأل الشيخ زايد العاشق للزراعة واللون الأخضر عن الشخص المسؤول عن زراعة قصر الرميلة الذي حل به ضيفا آنذاك، فأجابه الشيخ أحمد ذاكراً له اسمي. عندها طلب الشيخ زايد من حاكم قطر الاستعانة بي في زراعة قصر المقام في العين. وعلى الفور وافق حاكم قطر. فرافقت الشيخ زايد لدى عودته إلى أبوظبي عن طريق البر. وفي الطريق أخذ -رحمه الله- يشرح لي الفرق بين الزراعة في العين وقطر، كما أخذ يصف تربة الإمارات وأنواعها وصف الخبير بالشيء» (٢١/١١).

ومن تلك القصة يتضح أن الشيخ زايد كان عارفاً بظروف وبيئات تربة الإمارات، كما تشير أيضاً إلى عشقه للزراعة، وطموحه المبكر في نشرها على أرضه.

رسم دلة على الورق وقال لهم أريد أن تكون هذه الدلة على شكل غابة من الأشجار

الشيخ زايد -رحمه الله- بجانب أنه كان فارساً ماهراً وشاعراً مفوهاً وحكيماً، كان أيضاً رساماً بارعاً. وفي هذا يحدثني السيد راشد محمد بن حرمش المنصوري قائلاً: «إن من المعلومات التي يجهلها الكثير من الناس أن الشيخ زايد -رحمه الله- كان رساماً بارعاً، وكان يرسم الحصان أو الطير ببراعة كبيرة، ورسم لهم في جزيرة صير بني ياس دلة وقال لهم أريد أن تكون على هذه الجزيرة غابة بهذا الشكل، وهي مازالت موجودة إلى الآن على أرض الجزيرة في المنطقة الجبلية». وأثناء زيارتي للجزيرة ذهبت إلى تلك المنطقة وصعدت على أحد جبالها لتتضح لي الصورة وبالفعل رأيت غابة كبيرة على شكل دلة، كما تخيلها الشيخ زايد. ويضيف بن حرمش: «أن شخصاً قد حدثه أن الشيخ زايد في يوم من الأيام قد رسم صورة لحصان عربي، وكانت تلك الصورة في غاية الإتقان» (١/١١).

صورة ١١/٢٠(أ، ب). غابة رسمها الشيخ زايد على شكل دلة، ثم أمر بإنشائها على أرض جزيرة صير بني ياس، ويبدو في الصورة (أ) رأس الدلة واضحاً في منطقة الجبال. وفي الصورة (ب) شكل الدلة من الفضاء.

لعصا زايد عدة مآرب

لا يحسب المرء أن العصا التي كان يحملها الشيخ زايد ولا تكاد تفارقه لا في حله ولا في ترحاله هي مجرد تقليد ورثه زايد عن الآباء والأجداد، إنما كان لعصا زايد عدة مآرب. كانت تلك العصا مقياساً للمسافات والمساحات، كما كانت مقياساً لرطوبة الأرض ومقدار ري البساتين والأشجار، وكان أيضاً يقيس بها المسافات الزراعية بين الأشجار فيستخدمها في التأكد من أن المسافة بين الشجرة والأخرى هي كما أوصى. وكانت تلك العصا أداة توجيه وتأشير وتخطيط يستخدمها كثيراً أثناء تخطيط المشاريع والإشراف عليها ميدانياً. ولقد ذكرنا آنفا عند الحديث عن سيرة الشيخ زايد في العين كيف كان كثيراً ما يشاهد يمد عصاه، ويرسم على الرمال خطوطاً، وعندما يسأله أحد مرافقيه «ماذا تفعل؟ يجيبه: «إنني أحاول تصور شبكة الطرق اللازمة لربط ضواحي العين». وفي أوقات كانت تلك العصا تستخدم في العقاب والتوبيخ لمن يسيء في العمل أو الأدب.

وفي هذا الشأن يقول معالي علي بن سالم الكعبي: «إن العصا التي كان يحملها الشيخ زايد -رحمه الله- كان طولها متراً بالتمام والكمال، لا تنقص سنتيمتراً واحداً، ويحتفظ بها دائماً في سيارته، وعندما نكون في أحد المشاريع العمرانية أو مشاريع «الدفان» يطلب منا أن نقوم بالتأكد من القياسات باستخدام العصا» (٢/١١).

ويحدثني الدكتور محمد عبد المحسن، وقد عمل فترة من الزمن في قصر الشيخ زايد بالمقام كمهندس مشرف على الزراعة، فيقول: «لقد كان الشيخ زايد يستخدم عصاه في التأكد من رطوبة أرض البستان، وبالتالي معرفة مقدار الري الذي نالته أشجار ذلك البستان. وعندما يخرج في الصباح الباكر متفقداً بساتين القصر يغرس العصا في تربة البستان ثم يرفعها ويرى مقدار الرطوبة الذي سرى في العصا، ومنه يحدد الشيخ زايد هل تلك الأشجار أخذت الماء بالأمس أو قبل أمس ومدى كفايته. وهكذا كان يستخدم زايد عصاه كمقياس للري» (٢٢/١١).

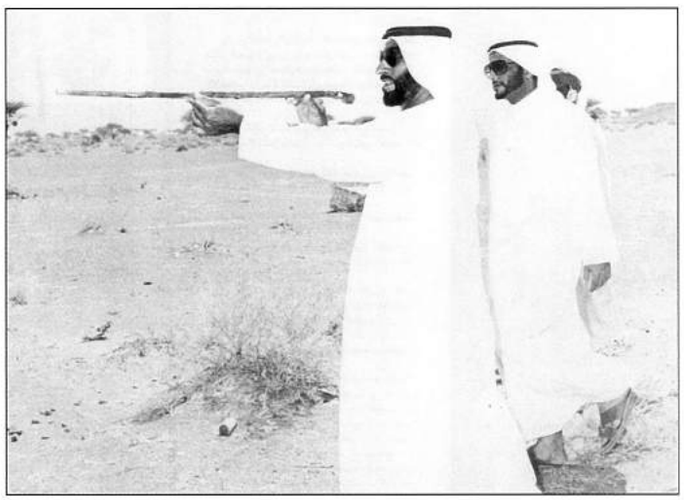

صورة ٢١/١١. الشيخ زايد يوجه مستخدماً عصاه.

ما أراه اليوم فعلاً إنجاز

إن ما تحقق من إنجاز زراعي وبيئي على أرض الإمارات قد أبهر العالم وشخصياته ذات الاختصاص. وهنا أعطي مثالاً لقصة سمعتها من معالي وزير الزراعة والثروة السمكية الأسبق في دولة الإمارات العربية المتحدة السيد سعيد محمد الرقباني والتي قال فيها: «عندما قدم مدير عام منظمة الأغذية والزراعة (الفاو)، السيد جاك ضيوف، إلى دولة الإمارات أخذته في جولة لرؤية مشاريع الزراعة في الدولة. وبعد الانتهاء من تلك الجولة رأيت الرجل قد سُرَّ كثيراً بما شاهده من إنجازات زراعية وبيئية على صحراء الإمارات. وعندها طرحت عليه سؤالاً لمعرفة انطباعه عن تجربة دولة الإمارات في ذلك المجال، فقلت للضيف: «أنت رئيس منظمة زراعية كبرى، وتصب عليك الخبرات الزراعية من كل مكان، كما أن تقارير المشاكل الزراعية في العالم تمر على مكتبك، وأغلب تلك التقارير تأتيك من دول زراعية يتوفر فيها الماء العذب والتربة الصالحة للزراعة. ولكن ما بالك بأرض صحراء ليس بها أنهار، وقليلة الأمطار، فإذا هي تزرع وتنتج مختلف المحاصيل،

وتقيم مشاريع الغابات والمحميات الطبيعية في عمق الصحراء؟».
فقال السيد جاك ضيوف كلمة هامة تعكس كم كان منبهراً بمشاهداته: «لو شرحت لي ما حققته دولة الإمارات من إنجازات في مجال الزراعة والبيئة وأنا في مكتبي في روما فلن أصدق ولن أقتنع بما تقول، ولكن ما أراه اليوم فعلاً إنجاز» (١٨/١١).

ولقد استقبله الشيخ زايد وأعطاه من وقته الكثير، وهذا دليل على أن الشيخ زايد كان يحترم العلماء والمسؤولين الكبار في الزراعة. ومن كثرة إعجاب رئيس منظمة الأغذية والزراعة بما حققه الشيخ زايد على أرضه الصحراوية من إنجاز زراعي قدم هو بنفسه في نهاية عام ١٩٩٥ لتسليم جائزة المنظمة المخصصة لسموه تقديراً لجهوده في نشر التنمية الزراعية داخل الدولة، وتحويل الصحراء إلى حدائق ومزارع منتجة، ومساهمته في عدد من الدول النامية في هذا المجال. ولم يكن من قبل أن قام مدير المنظمة بالسفر لتسليم أي من الجوائز التي تمنحها للفائزين بها في بلادهم، لكن كان للشيخ زايد تقدير خاص.

وفي هذه المناسبة صرح الدكتور جاك ضيوف، مدير عام المنظمة، لدى زيارته للإمارات ومقابلة الشيخ زايد بهذا التصريح: «تعد تجربة الإمارات في مجال الزراعة والتشجير والحفاظ على البيئة وحمايتها من التجارب الرائدة في العالم، وأن ما قام به صاحب السمو الشيخ زايد خلال مسيرة الاتحاد من سياسات زراعية حكيمة، يسعى حالياً الخبراء في المنظمة إلى تحقيقها على المستوى العالمي».

علمتنا الصحراء أن نصبر طويلاً حتى ينبت الخير، وعلينا أن نصبر
ونواصل مسيرة البناء حتى نحقق الخير للوطن.

زايد بن سلطان آل نهيان

الفصل الثاني عشر

تحديات واجهها زايد لتحقيق حلم الزراعة

١٢-١ رجل التحديات

١٢-٢ أنواع التحديات التي واجهها الشيخ زايد

١٢-٢-١ تحديات متعلقة بضعف الإمكانيات

١٢-٢-٢ تحديات إدارية وسياسية

١٢-٢-٣ تحديات فنية وتقنية

١٢-٢-٤ تدهور البيئة والحياة البرية

١٢-٢-٥ تحديات متعلقة بالعوامل الطبيعية

١٢-٢-٦ مشاكل المياه على أرض الإمارات

١٢-٣ كيف واجه الشيخ زايد ذلك التحدي؟

١٢-١ رجل التحديـات

لم يكن مشواره في مسيرة التنمية الزراعية والمحافظة على البيئة مشواراً سهلاً، بل كان مليئاً بالصعاب والتحديات الجسيمة التي كانت كفيلة بأن تثني الرجال ذوي الهمم العالية عن مواصلة مسيرتهم. وفي هذا المشوار كان الشيخ زايد يقول: «إن نجاحنا في تنفيذ نهضتنا الزراعية، التي نأمل أن تتاح لكم الفرصة لمشاهدتها عن كثب، لم يكن أمراً يسيراً على الإطلاق. فقد واجهتنا خلالها الكثير من التحديات والصعاب التي فرضت علينا البحث عن حلول بديلة» (١٢/١).

وعندما تولى الشيخ زايد مسؤولية الأرض التي يعيش عليها، لم يجدها أرضاً جميلة المناخ والطبيعة كأراضي بلاد الغرب، أو أرضاً تجري من تحتها الأنهار كأرض اليمامة أو الرافدين، بل جاء فوجد أرضه صحراءً قاحلة بكل ما تحمل الكلمة من معنى. كانت أرضاً طاردة ولم تكن أرضاً جاذبة لا للإنسان ولا للحيوان ولا لظهور الزهر والريحان. جاء فوجد جزيرة أبوظبي خالية من الظباء، فهي قد ذهبت ولم تعد منذ سنين، وجدها أرضاً بيضاء معدومة الغطاء النباتي إلا من عدد قليل من أشجار النخيل المتناثرة هنا وهناك. جاء فوجد أمامه كثيراً من الصعاب على الأرض يجب أن يواجهها ويجتازها لو أراد أن يحقق الحلم الكبير.

يقول المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي: «إن التحدي هو الذي يخلق رجل الأحداث، والقادة لا يزدهرون في أسهل الظروف، وإنما بالعكس يزدهرون في الظروف التي تتحداهم أشد التحدي، وكلما ازداد التحدي صاروا أكثر عظمة. والانتصار على الصعاب والعقبات يؤهل رجال الأحداث لتبؤ الزعامة، ذلك أن الشعوب تُعجب بالأعمال قبل الرجال، وإذا ما أعجبت بالأعمال فإنها سرعان ما تمنح الرجال الثقة وتعطيهم زمام القيادة». ذلك ما يقوله المؤرخ البريطاني، ونقول نحن عن الشيخ زايد إنه رجل بدوي عاش على هذه الأرض وعركته حياة الصحراء فعلمته الجَلَد والإصرار لتحقيق هدفه، وفي هذا كان الشيخ زايد يقول: «علمتنا الصحراء أن نصبر طويلاً حتى ينبت الخير، وعلينا أن نصبر ونواصل مسيرة البناء حتى نحقق الخير للوطن» (١٢/٢).

لقد بدأ الشيخ زايد مشواره التنموي بفرضية التغلب على الصعاب والتحديات التي سوف يواجهها ومهما يكن حجمها، وإن كانت تحديات كثيرة ومتنوعة الأنماط في الوقت نفسه، وهي ما بين تحديات متعلقة بقلة الموارد المالية والبشرية، وأخرى سياسية، وأشدها قساوة المناخ غير المواتي، وندرة المياه، وطبيعة الصحراء. وسوف نرى في هذا الفصل كيف استطاع العبقري زايد أن يجتاز تلك التحديات واحدة تلو الأخرى دون يأس أو تراخ أو تهاون في أي مرحلة من مراحل مسيرته الخضراء حتى وصل إلى غايته وحقق حلمه الكبير في الزراعة، بل حقق معجزة قهر الصحراء، وأصبحت الإمارات مثالاً للتنمية الزراعية ومكافحة التصحر، وبات الشيخ زايد يعرف بـ «راعي النهضة الزراعية»، و «رجل الزراعة الأول»، و «رجل البيئة الأول»، ثم «بطل الأرض» وبشهادة من العالم أجمع. وهنا سوف نستعرض ونناقش أهم تلك التحديات التي واجهها البطل بشكل حاسم، وكيف استطاع التغلب عليها بعبقريته الفذة.

١٢-٢ أنواع التحديات التي واجهها الشيخ زايد

١٢-٢-١ تحديات متعلقة بضعف الإمكانيات

تمثلت أولى التحديات التي واجهها الشيخ زايد وكانت عقبة كبيرة في طريقه التنموي ومشواره الزراعي في قلة الإمكانيات المتاحة على أرض الإمارة. ونركز هنا على ثلاثة أنماط من الإمكانيات يمكن تحديدها أيضاً بالموارد الأساسية، وهي الموارد المالية، والموارد البشرية، والموارد الفنية أو التقنية. ففي منتصف الأربعينيات من القرن الماضي، ونذكر التوقيت هنا كونه كان مرتبطاً بتاريخ بطلنا زايد في مشواره القيادي عندما عُين ممثلا للحاكم في العين والمنطقة الشرقية، كانت الموارد المالية والبشرية والفنية على أرض الإمارة ضعيفة جداً، بل تكاد تكون شحيحة، وكانت أبوظبي كغيرها من الإمارات المتصالحة تعيش حياة الفقر والحرمان، والحالة الاقتصادية سيئة لقلة الموارد. ولم يكن الذهب الأسود قد اكتشف بعد.

وعندما تولى الشيخ زايد مسؤولية ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية وقرر ومنذ البداية أن يفعل كل ما بوسعه لتحقيق العيش

الكريم لأبناء بلده الذين ينتظرون منه العون لانتشالهم من حياة الفقر والحرمان التي كانوا يعيشونها، لم يجد من حواليه موارد يمكن استثمارها بقصد تطوير اقتصاد المدينة لتخفيف ولو جزء من معاناة الشعب إلا واحات العين التي كانت تشكل لأبناء المنطقة مصدر الرزق الرئيسي، وكانت الزراعة تمثل العمود الفقري للاقتصاد الوطني للإمارة قبل اكتشاف النفط، خاصة المنطقة الشرقية منها. لذا فقد اتجه الشيخ زايد إلى تلك الواحات فاكتشف أنها كانت تعيش أسوأ أحوالها الزراعية: إنتاجية متدهورة، والمساحة المزروعة منها تتناقص يوماً بعد يوم، نظراً لانخفاض تدفق مياه الأفلاج، والأسباب وراء ذلك معروفة، وقد نوقشت في فصل سابق. أما المجتمع فكان فقيراً، وغالبية الناس لا يملكون المال الذي يمكن أن يوفر حلولاً لتلك المشاكل الزراعية، فوجد الشيخ زايد نفسه في مواجهة مشكلتين كبيرتين الأولى هي نقص الماء الذي لم يعد يكفي لري أراضي واحات العين، والثانية ندرة المال في ذلك المجتمع، وكانتا عقبتين كبيرتين في مسيرة التنمية الزراعية. فكيف واجه الشيخ زايد ذلك التحدي؟.

لم يكن الاستسلام أو الانتظار حتى يأتي العون أو الفرج هو السبيل، لأن تلك الصفتين ليستا من طبعه، ولم يكن لهما مكان في شخصيته. لم يجعل نقص المال يثنيه عن فعل ما يمكن فعله لتطوير الزراعة في المدينة، وهي الأمل الوحيد لرفع مستوى معيشة قومه. نَظرَ إلى تلك الظروف الزراعية الصعبة فرسم لها خططاً فاعلة وجريئة في الوقت نفسه، فكانت أول إشارة لعبقرية زايد الزراعية. لقد كان من نتاج فكره أن توصل إلى أن نقص الماء في أفلاج الواحات يجب أن يواجهه قرار بإصلاح تلك الأفلاج، ذلك أولاً، ثم حفر المزيد من الآبار لتغذية تلك الأفلاج، ثم محاولة حفر أفلاج جديدة للتوسع في الأراضي الزراعية مهما يكلف الأمر. كان ذلك القرار كبيراً، ويكلف جهداً ووقتاً كبيرين وأيضاً مالاً كثيراً، لكن زايد مضى فيه بكل إصرار ولم يتردد أو يتخاذل، ولو فعل ذلك لما لامه شعبه، بل يعذرونه لأن أي مسؤول أو قائد غير مطالب بأن يقوم بأفعال خارجة عن إمكانياته وإمكانيات أرضه. ولقد رأينا في الفصل السابق كيف بدأ الشيخ زايد حلوله لتلك المشاكل أولاً بتشجيع الناس، وشحذ هممهم للمضي نحو ذلك الهدف، ثم رأينا كيف كان يصرف ما يملك من مال وما يأتيه في سبيل ذلك الهدف.

وعندما كانت يداه تخلوان من المال كان في أحياننا كثيرة يقترض ليواصل المسيرة دون توقف أو يأس. وعندما كان التحدي يزداد قسوة على الشعب كان التشجيع من زايد ومشاركته شعبه بالأعمال يزداد، وكان ذلك يحدث وقعاً بالغ الأثر في النفوس من أجل تحقيق الهدف. وبالفعل فإن الخطة التي رسمها الشيخ زايد لمواجهة ذلك التحدي قد نجحت، فتدفق الماء غزيراً من تلك الأفلاج وارتوت الواحات وزاد خيرها وإنتاجها. أما الخطوة الثانية التي قام بها - رحمه الله-، وكانت لا تقل جرأة عن الأولى، هي إصلاح نظام السقاية بعد أن توفر الماء، فاتخذ موقفاً تاريخياً بمنع «تجارة الماء» التي كانت سائدة وكانت تضر بمصالح الشعب وخاصة الفقراء منهم، وجعل الماء مشاعاً للجميع، وكان أول تطبيق لذلك القرار على نفسه وأهله، فتنازلت أسرة آل نهيان عن حقها المتوارث في الماء من أجل المصلحة العامة.

ولا شك أن ذلك التحدي الذي واجهه الشيخ زايد في أول مسيرته الخضراء، وتجاوزه باقتدار ليدل على عبقرية ذلك الرجل وشجاعته في تخطي العقبات التي تقف في طريق التنمية الزراعية. فلم يكن نقص الموارد المادية عثرة في طريقه، ولم يكن رفض الأغنياء إصلاح نظام السقاية ليثنيه عن قراره العادل، وقمة عدله أن بدأ بنفسه وأهله. فهذا الحدث كان من أول مظاهر عبقرية زايد الزراعية، فتلك الأعمال التي قام بها الشيخ زايد كانت حلولاً ناجحةً تخطى فيها تلك العقبات المبكرة.

ونكتشف من تلك المواقف أن الشيخ زايد قد عقد العزم على التغلب على كل التحديات والعوائق التي تقف في سبيل تحقيق حلمه الكبير في التنمية وإعمار الأرض، وهذا ما سوف نلمسه في التحديات المتعاقبة التي واجهها، وكيف كان يتجاوزها واحدة تلو الأخرى.

١٢-٢-٢ تحديات إدارية وسياسية

بعدما نجح الشيخ زايد في حل كثير من المشاكل الزراعية التي كان يعاني منها سكان مدينة العين، تطور حلمه في الزراعة، واتسعت رؤيته في التعمير والتخضير لأرض الإمارة، وخاصة بعد اكتشاف النفط وتصديره للخارج ووصول عائداته إلى أبوظبي. لقد

وجد الشيخ زايد نفسه يواجه عائقاً سياسياً يحد من تطلعاته في إسعاد شعبه وإعمار أرضه، حيث أنه لم يكن بمقدور الشيخ زايد في ذلك الوقت أن يحقق رؤيته في الإصلاح ونشر الرقعة الزراعية في الإمارة لأن وزنه السياسي على أرض الإمارة لم يَتَعدَّ ممثلا للحاكم بالمنطقة الشرقية. وكانت هناك قوى متعددة، تحاول تثبيط عزيمته، وتعطيل مشروعاته، وإحباط آماله وطموحاته الإصلاحية. فكثير من أفكاره كانت تقف دون حراك، إما بسبب فقدانه للصلاحية المالية أو فقدانه للصلاحية الإدارية.

ورأت أسرة آل نهيان والشعب جميعاً أن ذلك الوضع يشكل عائقاً كبيراً لفكر الشيخ زايد التنموي، ويحول بينه وبين ما يتطلع إليه من برامج لتطوير الإمارة والشعب، فرأى الجميع أن الحل السليم هو التغيير السياسي، فطلبوا من الشيخ زايد التدخل والاستجابة لرغبة الشعب ولمصالح البلاد. فكر طويلاً وصبر كثيراً لإعطاء فرصة أكبر للقيادة في السياسية لعل شيئاً ما قد يحدث، فلم يحدث شيء، وعندها قرر -رحمه الله- تلبية رغبة الشعب، ليس حباً في الزعامة أو القيادة، ولكن حباً في وطنه وشعبه، فكان قراره قراراً شجاعاً وتاريخياً، وجرأة سليمة منه أن قبل قيادة الإمارة. وفي هذه التجربة كان الشيخ زايد يقول: «لقد كان إدراكي لمدى الخسائر التي يعاني منها الشعب هو الأمر الذي دفعني إلى قبول هذه المسؤولية، ولكن ليس هناك أي سعادة تعادل الحاكم وهو يرى أبناء بلده ينتقلون في خطى آمنة نحو المستقبل المشرق، ومن حالة العسر إلى حالة مليئة بالخير والتقدم». وأثبت التاريخ أن نية الشيخ زايد كانت صادقة، فما إن تجاوز ذلك التحدي إلا وبدأت حياة مختلفة تماماً تدب على أرض الإمارة، ولمس الشعب ورأى بعينه انطلاق مسيرة إعمار وتخضير واسعة يقودها زايد بنفسه.

١٢-٢-٣ تحديات فنية وتقنية

تشمل البنية الأساسية للقطاع الزراعي بمختلف نشاطاته (النباتية، والحيوانية، والسمكية) كل العوامل المساندة، البشرية وغير البشرية، والتي يجب أن تتوفر قبل الشروع في تنفيذ خطط التنمية، ومن ذلك توفر المباني والمنشآت والمخازن والورش، وتوفر الآليات والمعدات الزراعية، ووسائل النقل والاتصال، ومدى توفر الطرق خاصة المرتبطة بالحقول والطرق الرئيسية، ومدى توفر الكوادر الفنية المختصة والعمالة المدربة.

ولقد واجه الشيخ زايد في بداية مشواره الزراعي نقصاً في كل ما ذكر آنفاً، بل أكثر من ذلك، فعندما تولى مسؤولية ممثل الحاكم في المنطقة الشرقية لم يكن على أرض الإمارة كلها فني زراعي واحد من أي هوية يمكن أن يستعان به، ناهيك عمن يحمل شهادة جامعية في تخصص زراعي. والأسباب في ذلك معروفة، وأهمها الفقر وانتشار الأمية في مجتمع كان ينقصه كل شيء. كانت الخبرة الفنية التي يمكن أن تنصح أو ترشد في تنمية قطاع الزراعة معدومة، وكان الكادر الفني الذي يمكن أن يجري البحوث الزراعية لوضع حلول للمشاكل التي يواجهها القطاع أو ترفع من كفاءته غير متوفرة، فكان الشيخ زايد في تلك الفترة يعتمد على فطنته وخبرته في الزراعة، ولم يكن بالرجل البسيط في ذلك المجال، بل استفاد من تجاربه كبار الخبراء والمختصين.

واستمر الشيخ زايد يبحث عن ذوي الاختصاص هنا وهناك سنين طويلة، وأول مهندس زراعي استعان به كان عام ١٩٦٥، وقد أحضره من دولة قطر، والقصة قد ذكرت آنفاً. وعندما تولى -رحمه الله- قيادة الإمارة عام ١٩٦٦، لم يكن بها موارد فنية، ولا موارد بشرية يمكن أن يحركها نحو هدفه بمجرد أمر يصدره. فعلاوة على نقص الكادر الفني المتخصص في مختلف العلوم الزراعية، سواءً من الكادر الوطني أو الأجنبي، كانت الإمارة تفتقر للمؤسسات الفنية المختصة في هذا الشأن، بالرغم أن أبوظبي في منتصف الستينيات من القرن الماضي قد نعمت بجزء من عائدات البترول.

واجه الشيخ زايد حدة النقص تلك بتحد سريع فبدأ يستقطب الكوادر الفنية المختصة في شتى العلوم، ومنها العلوم الزراعية، وقد ناقشنا ذلك في فصل سابق، كما شرع وبمجرد ما تسلم الحكم في إقامة المؤسسات التي تعنى بالزراعة وأبحاثها، مثل دائرة الزراعة بالعين التي أسسها في السنة الأولى من توليه حكم الإمارة، ثم بدأ في إنشاء المعاهد والكليات المختصة لدعم التنمية الزراعية ولتخريج الكادر الوطني المؤهل لتلك المشاريع، وليسهم في المسيرة. ومنذ ذلك التاريخ لم يتوقف تدفق الخبراء ولا الخبرات الزراعية على دولة الإمارات، وكلهم يتمنى العمل فيها، وقد بلغ الأمر في نهاية المطاف أنهم كانوا يأتون إلى الإمارات ليشهدوا ما تحقق

من إنجازات خضراء، ولأخذ الخبرات من تجربة الشيخ زايد على أرض الصحراء. وهكذا استطاع الشيخ زايد أن يتجاوز ذلك التحدي بعدما كان عقبة تقف أمام مشاريع التنمية الزراعية.

١٢-٢-٤ تدهور البيئة والحياة البرية

في بداية السبعينيات من القرن الماضي اشتدت ظاهرة تدهور البيئة الطبيعية والحياة البرية على أرض الإمارات، وأصبحت بادية للعيان، وتتفاقم بمرور الوقت. والأسباب وراء ذلك عديدة، فمثلاً بالنسبة لانخفاض أعداد الحيوانات والطيور البرية، هو نتيجة لازدياد عمليات الصيد لتطور آلات القنص المختلفة وتنوعها، كما كان لتوفر المركبات لدى الناس والتي كانت تأخذهم لأعماق الصحراء وسفوح الجبال ووديانها وبسرعة أثرٌ داعم أيضاً في ازدياد عمليات الصيد. أما السبب الثاني والذي أسهم في تناقص الحيوانات البرية فهو تدهور بيئتها بسبب تناقص سقوط الأمطار وانخفاض معدلاتها مسببة الجفاف في مناطق دولة الإمارات. أما فيما يتعلق بالغطاء النباتي وتناقص الشجيرات والأشجار البرية فإنه يرجع إلى عمليات قطع الأشجار من البراري لاستخدامها في إعداد ولائم الأعراس والتدفئة، كما أن الرعي الجائر قد أسهم في تدهور الغطاء النباتي، إضافة لتراجع معدلات سقوط الأمطار. وكانت ممارسات التعدي على الحياة البرية بما تحويه من كائنات أمراً شائعاً ومألوفاً في مجتمع الإمارات. فصيد الأرانب الصحراوية والغزلان، والظباء -بجانب كونه هواية وممارسة لرياضة قديمة- كان مصدراً لنوع من الطعام المفضل لدى الناس. كذلك الاحتطاب، وهو أمر سائد منذ القدم، ويفضله الناس أيضاً في طهي طعامهم على غيره من أنواع الوقود. كل تلك الأسباب أسهمت في تدهور البيئة والحياة البرية على أرض الإمارات، فكان لا بد من موقف سياسي قوي وواضح يمكن أن يوقف مثل تلك الممارسات للحفاظ على الحياة البرية، ومنع المزيد من التدهور. فكيف واجه الشيخ زايد تلك المشكلة، وكيف تصرف إزاء ذلك التحدي؟.

لم يتردد الشيخ زايد على الإطلاق في مواجهة ذلك التحدي بموقف حازم وقوي فأصدر مرسوماً بمنع الصيد أيا كان نوع الفرائس، كما أصدر مرسوماً يحظر فيه قطع الأشجار سواءً للاحتطاب أو لسبب آخر كشق الطرق أو البناء أو ما شابه ذلك، ومن يقوم بتلك الممارسة يعرض نفسه للمساءلة والعقوبة. وشكلت الدوائر المختصة في كل منطقة من الإمارة دوريات عدة مهمتها مراقبة الصحاري والسهول، وزودت بسيارات مخصصة لذلك العمل. الأمر الثاني، ولكي يحافظ الشيخ زايد على الحيوانات البرية من التدهور أو الانقراض فقد قام بعمل محميات عديدة وموزعة في أنحاء مختلفة من الدولة لتربية الحيوانات البرية، وخاصة تلك المعرضة للانقراض مثل المها العربي، والغزال العربي، وكان أول تلك الأعمال إنشاء حديقة الحيوان في مدينة العين في عام ١٩٦٨، وهي نموذج للاهتمام بالحياة البرية في فكر الشيخ زايد الذي أدرك بوعيه ورؤيته المستقبلية منذ أكثر من ثلاثة عقود الأخطار التي تواجه الحياة البرية، تم افتتاحها في العام ١٩٧١ وكان من أهدافها الأساسية تنمية الموارد الطبيعية لدولة الإمارات العربية المتحدة وذلك عن طريق، أولاً: تكاثر الأنواع المهددة بالانقراض والتي كانت متواجدة في سهولها وهضابها وجبالها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر الغزلان والظباء. ثانياً: تكاثر الأنواع المهددة بالانقراض في البيئات الأخرى غير بيئة دولة الإمارات، وذلك بتصديرها لبيئات تلك الدول أو بالتبادل العلمي لتجديد وزيادة التنوع الوراثي للثروات الطبيعية. وبهذه القرارات والإجراءات تغلب الشيخ زايد على ذلك التحدي وحفظ مقدرات البيئة وما تحويه من كائنات برية.

١٢-٢-٥ تحديات متعلقة بالعوامل الطبيعية

بعدما انتهى الشيخ زايد من تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة، واطمأن على قيامها وثبات اتحادها، أراد أن يتوسع في الزراعة شرقاً وغرباً، طولاً وعرضاً، وكان حلمه في نشر الرقعة الزراعية والتوسع فيها على أرض الإمارات قد بلغ أوجه، فأراد أن يحقق ذلك الحلم على أسس علمية وفنية، فاستدعى في السبعينيات من القرن الماضي مجموعة من الخبراء والمختصين في ذلك المجال، وعرض عليهم نيته في زراعة الصحراء وتخضير ما أمكن من أراضيها، وعزمه على إنشاء الغابات والمحميات والمزارع للمواطنين والتوسع في زراعة النخيل، وإقامة الحدائق والمتنزهات

التي يغطيها العشب الأخضر، بل يريد أن يجعل الإمارات تحقق اكتفاءً ذاتياً في عدد من المحاصيل الزراعية، وبكلمات مختصرة كان يريد أن يقول لهم: أريد زراعة، أريد أن أحول بلدي إلى أرض خضراء، فكيف تساعدوني على ذلك؟.

وبدأ الخبراء في إعداد دراساتهم وتقييمهم لطبيعة أرض الإمارات ومناخها وعناصر الزراعة الأخرى، ثم عادوا بدراساتهم واستنتاجاتهم إلى الشيخ زايد ووجوههم لا تنم عن بِشْرٍ، مقررين استحالة قيام زراعات بهذا الطموح، وأن ذلك ضرب من الخيال!. استمع الشيخ زايد لطرحهم، ثم أجابهم وباختصار شديد، ولم يزد في قوله عن: «دعونا نجرب». ومن لا يعرف الشيخ زايد سيظن أنه سيستمع لردهم، وسيأخذ برأيهم، ويكتفي بمجرد دراسة الموضوع والتوقف عند ذلك الحد، لكن كان للشيخ زايد نظرة مختلفة، وبصيرة ثاقبة، فاقت نظرة الخبراء والمهندسين. كان يتطلع نحو الدولة العصرية التي تعتمد على نفسها في كل شيء، وبالتأكيد فإن أول ما تتطلع إليه أي دولة هو تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء لشعبها، ولو جزئياً. وكان يتطلع نحو تنويع مصادر الدخل في البلاد بدلاً من الإعتماد كلياً على ثروة النفط فحسب. كذلك كان يتطلع لإيجاد دخل لأسرة كل مواطن، وكان يريد لدولة الإمارات بيئة نظيفة سليمة زاخرة بالحياة. ولا شك أن لتطلعات الشيخ زايد كذلك معان وقيم عظيمة لم يدركها الخبراء، وكان لزايد بعد نظر وخيال أوسع مما كان عليه جميع من شهد ذلك الحدث، وهذا ينم مرة أخرى عن عبقرية هذا القائد، كما ينم عن ثقة عالية بالنفس، وعدم يأس أو استسلام لأي قول ومن أي مصدر كان دون أن يحكم عليه زايد ويجربه بنفسه، فثقته بنفسه كبيرة، وبصيرته أعمق من غيره. ولم يستمع الشيخ زايد لما جاء في ذلك التقرير فعزم أن يمضي قدما نحو هدفه ولسان حاله يقول: لن نتراجع مهما واجهنا من صعوبات وتحديات، ولسوف نجرب كل شيء وسوف نحكم بأنفسنا على كل شيء.

والحقيقة أن من يتأمل في طبيعة أرض الإمارات، ومناخها، وعناصرها الزراعية الأخرى يدرك ويؤمن بأن ما جاء به العلماء والخبراء من حكم حول استحالة قيام زراعات شاسعة في مثل تلك الأراضي الصحراوية القاسية ضعيفة الموارد الطبيعية لم يكن زيفاً، وأنهم لم يبالغوا عندما قالوا إن بلادكم لا تصلح للزراعة. فكما هو معروف فإن العوامل الطبيعية عوامل لا يستطيع الإنسان أن يغير منها كثيراً، فمناخ البلاد حار ومرتفع الرطوبة صيفاً، قليل الأمطار، والأراضي الصالحة للزراعة تشكل النسبة الأدنى من مجموع الأراضي بالدولة، علاوة على ما تعانيه تلك الأراضي من مشاكل الملوحة. يُضاف إلى ذلك مشاكل التصحر، وأن الزراعة لا يمكن أن تقوم إلا بتوفر التربة الصالحة والماء الصالح، وأن حجم ما يمكن استغلاله من أراضي في إقامة المشاريع الزراعية في بلد ما يتوقف على مدى توفر هذين العنصرين الأساسيين، ثم يأتي بعد ذلك مجموعة من العناصر الأخرى كأثر المناخ في الزراعة، والقوى العاملة المتخصصة، ورأس المال.

وفي ما هو قادم من هذا الفصل سوف نناقش تلك العناصر والعوامل الطبيعية السائدة في بيئة دولة الإمارات ونشخصها تشخيصاً دقيقاً لمعرفة حجم التحدي الذي واجهه الشيخ زايد عندما قرر مسيرة التنمية الزراعية ونشر الرقعة الخضراء في صحراء الإمارات.

١- خصائص مناخ دولة الإمارات العربية المتحدة

لوقوعها في المنطقة المدارية الجافة، يسود دولة الإمارات العربية المتحدة مناخ صحراوي مداري (صحراء حارة) يتميز بارتفاع الحرارة وقلة الأمطار. والظروف المناخية السائدة في معظم أنحاء الدولة ظروف جافة، وذات فصلين متميزين، صيف طويل جاف حار بين شهري إبريل ونوفمبر، وشتاء قصير معتدل الحرارة قليل الأمطار بين شهري ديسمبر ومارس. ويبلغ متوسط درجة الحرارة في الصيف ٣٥° سيليزية خلال شهري يوليو وأغسطس، وفي أيام كثيرة من أشهر الصيف تتجاوز فيه درجات الحرارة ٤٥° سيليزية، وتصل الرطوبة النسبية لأكثر من ٩٠٪ في بعض المناطق، وكمية التبخر لأكثر من ٢٠٠٠ ملم/سنة (٣/١٢). ولا يسقط على دولة الإمارات إلا قدر ضئيل من الأمطار، والمتوسط السنوي العام لسقوط الأمطار لجميع أراضي الدولة لا يتجاوز ١٠٠- ١٢٠ ملي متر سنوياً، كما أن هذه الكمية السنوية تتباين تبايناً كبيراً من سنة لأخرى وأحياناً كثيرة تمر سنوات شديدة الجفاف.

وتصل درجة حرارة مياه الخليج خلال الصيف إلى ٤٥ درجة مئوية، وهي بذلك أعلى درجة حرارة في جميع بحار العالم، كما ترتفع درجة الملوحة في مياهه إلى ٤٠ درجة في الألف في المناطق العميقة، ونحو ١٠٠ درجة في الألف في بعض المناطق الضحلة، في الوقت الذي تثبت فيه درجة ملوحة معظم بحار العالم عند مستوى ٣٥ درجة في الألف (٣/١٢).

ولوقوعها بين دائرتي عرض ٢٢°-٢٦° شمالاً، يخترق مدار السرطان (٢٣/٢٧°)، فإن دولة الإمارات تتعرض إلى أشعاع شمسي كبير، يصل أقصى قدر منه في يوم ٢١ يونيو من كل عام عندما تتعامد الشمس فوق الرأس مباشرة بحيث تشكل درجتها زاوية قدرها ٩٠° مع سطح الأرض. ويصل المتوسط السنوي لسطوع الشمس في دولة الإمارات عشر ساعات يومياً، ويصل حده الأقصى (وهو ١١,٥ ساعة يومياً) في شهر مايو، وحده الأدنى (وهو ٨,٤ ساعة يومياً) في شهر ديسمبر. ومن المعتاد أن تكون السماء خالية من السحب تقريباً طوال السنة، وبالإضافة إلى ذلك فإن زيادة طول النهار خلال فصل الصيف، وصفاء السماء يجعل دولة الإمارات ضمن المناطق التي تستقبل أكبر قدر من الإشعاع الشمسي في العالم، وقد وصل متوسط الإشعاع الشمسي في مطار أبوظبي ٦١٥ م وات ساعة/سم٢ عام ١٩٨٩ (٣/١٢). ويؤدي كل هذا إلى تسخين شديد لسطح الأرض مما ينتج عنه درجات حرارة عالية جداً.

صورة ٢/١٢. خارطة دولة الإمارات العربية المتحدة من الفضاء.

٢- خصائص أراضي دولة الإمارات العربية المتحدة

تبلغ مساحة دولة الإمارات العربية المتحدة نحو ٨٣,٦٠٠ كيلومتراً مربعاً، وبذلك تحتل المرتبة الثالثة بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية من حيث المساحة، بعد المملكة العربية السعودية، وسلطنة عُمان. وتقع إمارة أبوظبي على ساحل الخليج العربي، وهي أكبر الإمارات السبع على الإطلاق إذ تبلغ مساحتها حوالي ٦٧,٣٤٠ كيلو متراً مربعاً، وهي تعادل ٨٦,٧٪ من مساحة الدولة بدون الجزر.

وتتكون أراضي دولة الإمارات في معظمها من الصحاري، ولا سيما في المناطق الغربية الداخلية إذ تبلغ حوالي ثلاثة أرباع المساحة (٧٣,٨٪)، وهي عبارة عن أراض صحراوية تتكون من ترب رملية تمتد من رأس الخيمة من الشمال إلى ليوا في أقصى الجنوب (٣/١٢)، وتتميز بكونها رملية سلتية وحصوية في بعض المناطق، وذات محتوى قليل من المادة العضوية، ونسبة عالية من كربونات الكالسيوم ٢٤-٤٠٪. وارتفاع الأس/الرقم الهيدروجيني (pH) للتربة يجعل العديد من العناصر الغذائية في صورة غير صالحة لامتصاص النبات مثل الفسفور والنتروجين ومعظم العناصر الصغرى مما يستدعي إضافة كميات كبيرة من الأسمدة لتعويض هذا النقص.

والأراضي الصالحة للزراعة في دولة الإمارات قليلة، ولا تتعدى ٢٪ من المساحة الكلية. ويمكن تلخيص خصائص أراضي دولة الإمارات في أنها أراضٍ خفيفة القوام صفراء رملية إلى حصوية، كثيرة المسام الهوائية، قليلة الاحتفاظ بالماء لصغر مساحة سطحها النوعي ولانخفاض نسبة السلت (الطين) بها والحبيبات الناعمة. كما أن ترب الإمارات فقيرة في بعض العناصر الغذائية الضرورية لتغذية النبات، وكذلك المادة العضوية ويتحكم في خصوبتها المقدار الذي تحتويه والذي يضاف إليها من الحبيبات الدقيقة والمادة العضوية والعناصر الغذائية. كما تتميز أيضاً بارتفاع نسبة كربونات الكالسيوم من ٢٠-٥٠٪ مع تَكَوُّن قشرة سطحية في بعض المناطق نتيجة التجمعات الكلسية. كما أن ترب الإمارات عرضة للانجراف بواسطة المياه والرياح ولترسب الرمال على سطوحها مما يؤدي إلى التصحر. أضف إلى ذلك زيادة نسب الملوحة في التربة، وقلة المادة العضوية مما يجعل الأراضي الصالحة للزراعة حوالي ٢٪ من المساحة الكلية (٣/١٢).

صورة ٣/١٢ (أ، ب). طبيعة صحراء الإمارات القاسية لم تكن بالعائق الذي يقف أمام الشيخ زايد في مواصلة مكافحة التصحر، (جانب من صحراء المنطقة الشرقية لإمارة أبوظبي، ٢٠٠٥).

صورة ١٢/٤(أ، ب). ارتفاع نسبة الملوحة في كثير من مناطق الدولة لم تكن العائق الذي يثني الشيخ زايد من مواصلة مسيرته الخضراء على تربة الإمارات (طريق أبوظبي- المنطقة الغربية، ٢٠٠٥).

١٢-٢-٦ مشاكل المياه على أرض الإمارات

تنوعت مشاكل المياه، وتعددت صورها على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة، وأهمها وأبرزها مشكلة نقص المياه الصالحة للزراعة والتي تعتبر من المشكلات الرئيسة التي واجهها الشيخ زايد في مسيرته الزراعية. كان شح المياه العذبة، أحد أهم المشكلات التي واجهت سكان أبوظبي قبل النفط، لذا نجد تركزاً للسكان في الواحات التي تتميز بوجود المياه الصالحة للشرب والزراعة، مثل محاضر ليوا، وقرى البريمي. وتبدو مشكلة المياه مشكلة مزمنة عاشها أهالي أبوظبي طوال سنوات الفقر.

وفي تاريخ مسيرة الشيخ زايد في التنمية الزراعية فإنه يمكننا أن نقول أن الشيخ زايد قد واجه مشاكل نقص المياه وتدهورها على مرحلتين، الأولى عندما كان في مدينة العين، وكان الماء أشد ندرة، ويباع بأغلى الأثمان لمن يريد ماءً أكثر لسقي أراضيه، والأسباب وراء ذلك كانت عديدة، وقد ذكرت مفصلة في فصل سابق، ولهذا نوجزها في الآتي: السبب الأول ضعف إنتاجية مياه عدد من الأفلاج، وموت أفلاج أخرى، أي توقفها بسبب إهمال الصيانة أو بسبب الحروب والنزاعات القبلية في المنطقة. السبب الثاني يتمثل في نقص الموارد المالية لدى سكان تلك الواحات بحيث تعذر صيانة وتطوير أفلاج تلك الواحات السبع، وثمة سبب أكثر أهمية، وهو عدم وجود قيادة مبدعة تعشق الماء وتؤمن بأهميته فتخطط وتشحذ همم الناس لحل المشكلة. وقد عرفنا أيضاً في الفصل السابق كيف تحدى الشيخ زايد -رحمه الله- تلك المشكلة بعبقرية فذة، وقدم الحلول الناجعة لها. لقد نظر إلى هذه الظروف الزراعية الصعبة فرسم لها خططاً فاعلة وجريئة في الوقت نفسه، وكانت تلك أول إشارة لعبقرية زايد الزراعية. فكان من نتاج فكره أن توصل إلى أن نقص المياه يمكن أن يعالج بإصلاح الأفلاج وصيانتها، وحفر آبار وأفلاج جديدة مهما كلف الأمر. الأمر الثاني أنه يجب وقف استغلال الأغنياء للماء حيث سادت ظاهرة تجارة الماء في تلك الواحات. وبالفعل فإن الخطة التي وضعها الشيخ زايد قد نجحت فتدفق الماء غزيراً من تلك الأفلاج التي أسهم في حفرها بجهده وماله، وأحياناً كثيرة كان يقترض للمضي في تنفيذ تلك الخطط. والخطوة الثانية

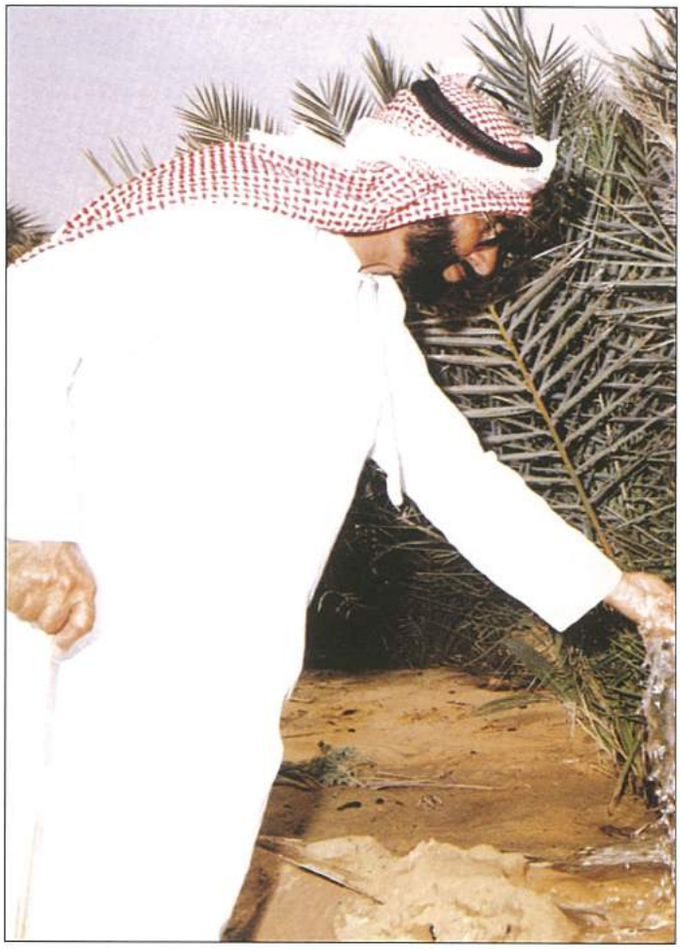

صورة ١٢/٥. الشيخ زايد يتفحص الماء.

قام بإصلاح نظام السقاية بعد توفر الماء، فمنع تجارة الماء وبدأ في تطبيق ذلك على نفسه وأهله، وجعل الماء مشاعاً للجميع بعدما كان يباع بأغلى الأثمان. وتحقق على إثر ذلك العمل العبقري زراعة الأراضي المهملة في الواحات، وكذلك استصلاح أراضٍ أخرى مما زاد الرقعة الزراعية في واحات العين وكثر الإنتاج وتحسن اقتصاد مدينة العين.

ونأخذ من ذلك الموقف العظيم للشيخ زايد أنه رجل عبقري طموح عادل محب للزراعة والتعمير، فلم يكن نقص الموارد المادية عثرة في طريقه ولم يكن رفض الأغنياء التوقف عن بيع الماء ليؤثر في قراره العادل، وقمة عدله أن بدأ بنفسه وأهله. فهذا الحدث كان أول مظاهر عبقرية زايد الزراعية. ولقد كانت تلك الأعمال التي قام بها الشيخ زايد حلولاً ناجحةً تخطى بها تلك العقبات المبكرة.

أما في المرحلة الثانية فقد اختلفت مشاكل المياه، وتعددت صورها وأحجامها، فعندما بدأ الشيخ زايد مسيرته الخضراء واقتحم الصحراء لزراعتها للحد من زحفها أقام فيها العديد من الغابات والمحميات وآلاف المزارع، وأنشأ الحدائق والمتنزهات في المدن، وحف شوارعها الداخلية والخارجية بالأشجار والأزهار، وتَرَتَّبَ على ذلك التوسع الزراعي الكبير بروز مشاكل المياه على أرض الإمارات، فواجه الشيخ زايد من جديد مشكلة ندرة المياه على أرضه.

والحقيقة أن مشكلة نقص المياه تعتبر من أهم التحديات التي واجهها الشيخ زايد في مسيرة التنمية الزراعية على أرض الإمارات، والأسباب وراء ذلك عدة، أولها قلة سقوط الأمطار، لأن أرضاً معدل هطول الأمطار فيها يقل عن ٢٠٠ ملليمتر في السنة، كما هو الحال في دولة الإمارات، يعني أن المياه سلعة نادرة فيها. كذلك، وكما هو معروف، تنعدم المجاري المائية في دولة الإمارات نظراً لقلة الأمطار ولعدم وجود أنهار ممتدة من أراضي بعيدة خارج الإمارات. وقد تجري المياه في بعض الأودية لفترة وجيزة بعد سقوط الأمطار، ولكن سرعان ما تختفي بسبب انحباس المطر، وارتفاع نسبة البخر، وكذلك ضياع كميات كبيرة منها في البحر، حيث تشير الإحصاءات المتوافرة إلى أن كمية التبخر تزيد على ٧٢٪ من مجموع المطر السنوي، بينما يجري على سطح الأرض ١٤٪ فقط من مياه ذلك المطر ويضيع في البحر، والنسبة الباقية وهي ١٤٪ تتسرب تحت السطح لتغذي الطبقات الجوفية وتجدد مخزونها المائي (٣/١٢). كما أن المياه الجوفية محدودة وتعتمد كمياتها على مياه الأمطار والتي غالباً ما يقل هطولها على البلاد، بل أصبح يتناقص سنة بعد أخرى، إذ تشير الأرقام إلى أن كمية المياه الجوفية المستهلكة تزيد على ألف مليون متر مكعب سنوياً، وأن ٧٠٪ منها لا يتجدد. كما تشير الدراسات إلى أن أكثر من ٨٥٪ من المياه الجوفية متملحة طبيعياً بفعل سرعة ذوبان آفاق الملح والجبس التي ترافق التكوينات الجيولوجية (٣/١٢). وقد بدأت خزانات المياه الجوفية في السهول الحصوية وفي رواسب الرباعي في التدهور (خصوصاً حول منطقة العين) بسبب التسرب الرأسي للمياه المختزنة في الخزانات العميقة. ناهيك من توغل مياه البحر في السهول الساحلية بسبب الاستغلال الجائر للمياه الجوفية العذبة (٣/١٢). وبالتالي فقد برزت مشكلة نضوب بعض آبار المياه وتملح مياه الكثير منها.

١٢-٣ كيف واجه الشيخ زايد ذلك التحدي؟

تنبه الشيخ زايد إلى أزمة ندرة المياه في البلاد وأخطار تناقص المياه الجوفية العذبة، لذلك فقد أمر مبكراً بإجراء الدراسات لحصر وتقييم الكميات المتاحة ولاستكشاف موارد مائية جديدة في الطبقات الأعمق. ولقد أمر بعقد المؤتمرات والندوات للتوصل إلى أفضل السبل لتخفيف الضغط على المخزون الجوفي للمياه العذبة وفي الوقت نفسه لتأمين الاحتياجات المتزايدة منها. وهنا سوف نتناول الكيفية التي تعامل بها الشيخ زايد -رحمه الله- مع ذلك التحدي، فحاجته إلى المياه تزداد، ومسيرته في التنمية الزراعية تتعاظم وتتوسع على طول البلاد، وكان يريد ماءً يعينه على مسيرة التنمية الشاملة التي يخوضها، لذا فقد تبنت الدولة الكثير من التدابير والجهود لمواجهة تلك المشكلة ونتج عنها:

١. تبني وتعميم استخدام طرق الري الحديث.
٢. تحلية المياه المالحة.
٣. معالجة مياه الصرف الصحي واستخدامها في الزراعة.
٤. عقد المؤتمرات والندوات وإقامة المراكز البحثية.
٥. إقامة السدود.

أولا: تعميم استخدام طرق الري الحديث

نظراً إلى أن أكثر من ٧٠٪ من المياه الجوفية يستخدم للأغراض الزراعية (٤/١٢)، فقد بذلت الدولة جهوداً كبيرة للمحافظة على موارد المياه الجوفية وتنميتها وترشيد استخدامها. ومن أهم الإستراتيجيات التي تبنتها الدولة في ذلك الصدد تعميم استخدام طرق الري الحديث على جميع المشاريع الزراعية القائمة من غابات، وحدائق، وزراعات تجميل الشوارع، والزراعات الحقلية وغيرها من المشاريع. فمنذ البداية بادرت الدولة بدراسة الطرق البديلة للري، وأجرت كثيراً من الدراسات والأبحاث لمقارنة الطرق

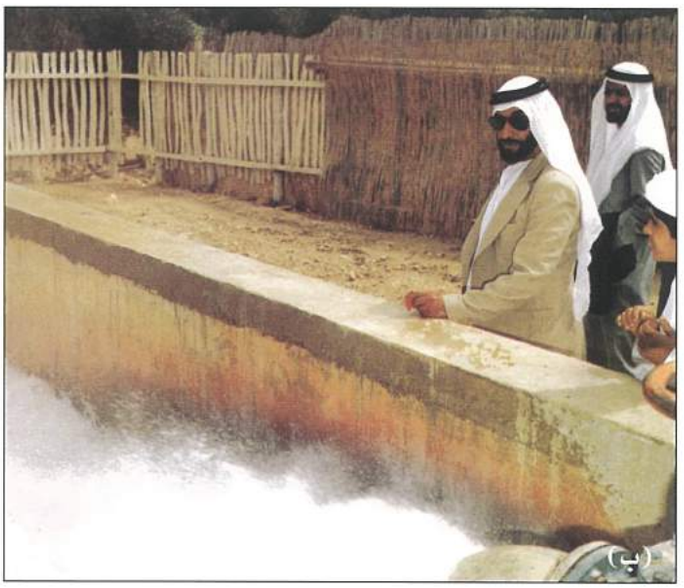

صورة ٦/١٢ (أ، ب). الشيخ زايد يتابع مشاريع توفير المياه.

الحديثة للري بالطرق التقليدية فتوصلت بعد سنوات من البحث والتجريب إلى أن طريقة الري بالتنقيط هي الطريقة المثلى لري محاصيل الخضار والأشجار الحرجية والغابات حيث يمكن باستخدامها توفير ٦٠٪ من المياه التي يستهلكها الري التقليدي. كما أن طريقة الري بالرش هي الأنسب لري الأعلاف والمحاصيل الحقلية والمسطحات الخضراء، وطريقة الري بالفقاعات (الببلر) هي الأفضل لري أشجار النخيل والفاكهة وأشجار وشجيرات الزينة (٤/١٢).

ومن الأعمال الكبيرة التي تبنتها الدولة في سبيل تعميم استخدام الري الحديث أنها كانت تقوم، وقبل أن تصرف المزارع للمواطنين، بتجهيز شبكات الري الحديثة في تلك المزارع، كما كانت تشجع المزارعين على تبنيها والمحافظة عليها. كما قدمت الدعم للمزارعين لنشر تلك الطرق، ولم تعد الطرق التقليدية تستخدم إلا في بعض المزارع القديمة ولري بعض الأعلاف كالبرسيم (الجت) وبهذه الإستراتيجية بلغت المساحات الزراعية التي تطبق أسلوب الري الحديث في الدولة عام ٢٠٠٣ (٨٦٪) من إجمالي المساحات المروية في الدولة (٥/١٢). ولا شك أن تلك الإستراتيجية قد وفرت كثيراً من المياه، ولا زالت البحوث مستمرة لاستخدام التقنيات التي من شأنها زيادة كفاءة طرق الري تلك لترشيد استهلاك المياه في المزارع.

ويقوم قسم التربة والمياه في وزارة البيئة والمياه بدولة الإمارات بعدة خدمات وإجراءات في هذا الجانب، وهو ما يقوم به أيضاً أقسام المياه في بقية المؤسسات الزراعية الأخرى في الدولة وتلك الخدمات هي: إعداد التصاميم لشبكات الري الحديثة، والعمل على زيادة استخدام الري الحديث عن طريق الوسائل الإرشادية وحملات التوعية والمساعدات الفنية، وإعداد وتنفيذ أعمال الصيانة لمزارع الري الحديث بالمناطق الزراعية وذلك بالتنسيق مع الوحدات الإرشادية وأقسام الري بالمناطق، وحصر المعوقات والمشاكل التي تواجه مزارع الري الحديث وإعداد برامج إرشاديه خاصة بذلك، وبرامج الإعلام الزراعي وتشمل إعداد النشرات الإرشادية والكتيبات والملصقات، والبرامج التلفزيونية والإذاعية، وبرامج التدريب وتشمل تنظيم الندوات والدورات التدريبية الخاصة بمهندسي وفنيي الري والتربة، والتجارب والدراسات: دعم برامج التجارب، وإجراء اختبارات لبعض مواد ومعدات الري الجديدة،

وتقييما لدى المزارعين، وعمل دراسات لبعض أنواع مكائن الري والمضخات لدى المزارعين للمساعدة في تقديم المشورة الفنية، والتنسيق مع قسم المياه والسدود في إعداد خرائط وجداول توضح أعماق الآبار وإنتاجيتها في المناطق المختلفة وذلك للمساعدة في الاختيار الدقيق للمضخات، واستكمال دراسات الاحتياجات المائية للمحاصيل المختلفة مع إدخال أجهزة حديثة مساعدة، وإصدار دليل إرشادي للمزارعين (٦/١٢).

ثانيا: تحلية المياه

نظراً لعدم توفر كميات كبيرة ذات جدوى اقتصادية من المياه الجوفية، فإن استغلال عملية تحلية المياه المالحة تشكل المورد الأكبر لموارد المياه في الدولة. ومع تزايد الطلب على المياه العذبة، لم يكن هناك مصدر آخر أمام الدولة يمكن استغلاله سوى تحلية المياه المالحة سواء من البحر أو اليابسة. وكانت تحلية المياه إحدى التقنيات الحديثة التي لم يتردد الشيخ زايد في استخدامها رغم تكاليفها الباهظة، وكان الهدف من تلك المحطات إمداد الناس بالمياه الصالحة للشرب أولاً، ثم توفير مياه السقاية للمزارع والمحميات وخاصة القريبة من البحر أو القائمة في الجزر.

ولقد أشار الشيخ زايد -رحمه الله- إلى استراتيجيته في هذا الصدد فقال في أحد تصريحاته: «العلم وصل إلى مجالات لم تكن في الحسبان، وتفكير الإنسان في التطور لم يقف عند حد منذ خلق الله الأرض ومن عليها، والزراعة تحتاج إلى عنصرين أساسيين، الأرض والماء، وبعد ذلك يأتي دور العمل لشق قنوات الري والصرف وإقامة المنشآت اللازمة، وكل ذلك يحتاج إلى خبرة عملية، ولذلك فنحن الآن نبحث عن الشركات التي لديها الخبرة لتحلية مياه البحر، وتملك المعدات والخبرة لاستصلاح الأراضي القابلة للزراعة، وسنصل إن شاء الله إلى ما نصبوا إليه في تحقيق اكتفاء ذاتي في المنتجات الزراعية» (٧/١٢).

تأمل معي أيها القارىء الكريم في تلك السياسة الجديدة التي تبناها الشيخ زايد ومنذ البدايات، والتي تكشف مرة أخرى عبقرية من عبقرياته المبكرة في المياه وهي استخدام تقنية تحلية المياه، والطموح المتجدد مرة أخرى هو تحقيق حلمه في الزراعة والوصول إلى الاكتفاء الذاتي من المواد الغذائية.

ومنذ عام ١٩٧٤ وأعداد محطات تحلية المياه في تزايد، وتقوم هذه المحطات في معظمها على الساحل أو في الجزر، وعدد ضئيل منها ينشأ داخل البلاد كما في الوقن، والقوع، والبريرات، والمسرة، حيث تحلى المياه الجوفية غير العذبة (٣/١٢). ومع حلول عام ١٩٨٩، بلغت مياه البحر المحلاة أكثر من ٢٠٠ مليون متر مكعب، وهي تشكل ٨٢٪ من مجمل إنتاج المياه في دولة الإمارات العربية المتحدة (٣/١٢). واليوم تعتمد كل المدن الرئيسية في الدولة في سد معظم احتياجاتها أو جزء منها على مياه البحر المحلاة. ويشير جدول (١٦) إلى أهم تلك المحطات والتي بلغ إجمالي ما تنتجه، وحسب إحصاءات وزارة الطاقة لعام ٢٠٠٦، نحو حدود ٩١٩ مليون غالون في اليوم (٨/١٢). ويمكن أن ندرك مدى أهمية تحلية المياه إذا عرفنا أن المياه المنتجة بتلك الطريقة تشكل مورد المياه الوحيد لبعض المدن، مثل مدينة أبوظبي وضواحيها.

جدول ١٦. الطاقة الإنتاجية لأهم محطات التحلية الرئيسية في دولة الإمارات، حتى عام ٢٠٠٦ (٨/١٢).

اسم المحطة	الإنتاجية (مليون أمبريال غالون/ يوم)	موقع المحطة
محطة أم النار	١٦٤	أبوظبي
محطة الطويلة A١	٨٤	أبوظبي
محطة الطويلة A٢	٥٠	أبوظبي
محطة الطويلة (B1، B2)	٩٥	أبوظبي
محطة المرفأ	٣٨	أبوظبي
محطة بينونة	١٥	أبوظبي
محطة الشويهات	١٠٠	أبوظبي
محطة المصفح	١٨	أبوظبي
محطة جبل علي G	٦٨	دبي
محطة جبل عليD	٣٥	دبي
محطة جبل علي K	٦٠	دبي
محطة جبل علي E	٢٤	دبي
محطة الليـة	٣٧,٨	الشارقة
محطة الصجعة	٦,١	الشارقة
محطة الحمرية	١	الشارقة
محطة كلباء	٢,٨	الشارقة
محطة أبو موسى	١	الشارقة
محطة عجمان	٣	عجمان
محطة النخيل	١٦	رأس الخيمة
محطة الفجيرة	١٠٠	الفجيرة
محطة قدفع/ الفجيرة	٢	الفجيرة
المجموع	٩١٩,٧	

ثالثاً: معالجة مياه الصرف الصحي واستخدامها في الزراعة

لقد اهتمت دولة الإمارات العربية المتحدة باستغلال جميع موارد المياه الممكنة، وتعد مياه الصرف الصحي بعد معالجتها من أهم مصادر المياه السطحية التي يمكن استخدامها في أعمال الزراعة. لذا بدأت دولة الإمارات ومنذ السبعينيات في مشاريع محطات الصرف الصحي في المدن الكبرى في الدولة، وهي أنظمة متكاملة لتجميع مياه الصرف الصحي ومياه الأمطار ومعالجتها وفق المواصفات العالمية.

ففي نوفمبر ١٩٧٣ تم تشغيل محطة لمعالجة مياه الصرف الصحي داخل جزيرة أبوظبي، في منطقة شرق ٢٨ بين الكورنيش ومطار البطين، بطاقة تصميمية قدرها ١,٥ مليون غالون في اليوم (٩/١٢). ثم أولت الحكومة مشاريع الصرف الصحي عناية خاصة، وذلك بتشكيل لجنة مشاريع المجاري عام ١٩٧٥ للإشراف على دراسة وتخطيط وتنفيذ مشاريع الصرف الصحي والري لمدينة أبوظبي، وترتبط مباشرة بالمجلس التنفيذي للإمارة لتسهيل الأداء وسرعة الإنجاز (١٠/١٢). وتطورت تلك المشاريع تطوراً كبيراً حتى أصبح عددها في الوقت الراهن ٣٧ محطة في إمارات أبوظبي، ودبي، والشارقة، (جدول١٧)، تبلغ طاقتها التشغيلية الإجمالية حوالي ٦٩٩ ألف ٩٧٣ متر مكعب في اليوم (١١/١٢).

وفي إمارة أبوظبي يوجد ٢٧ محطة، منها ١٣ محطة في مدينة أبوظبي والمنطقة الغربية بطاقة تشغيلية ٢٩٠ ألف و٢٩٨ متر مكعب. وأهم تلك المحطات محطة المفرق التي تصل طاقتها التشغيلية في حدود ٢٦٠ ألف متر مكعب في اليوم. وفي مدينة العين والمنطقة الشرقية يوجد الآن ١٤ محطة بطاقة تشغيلية ٦٣ ألف و٧٠٠ متر مكعب في اليوم، أهمها محطة مدينة العين الرئيسية بطاقة تشغيلية تصل إلى ٥٤ ألف متر مكعب. ويصل إجمالي الطاقة التشغيلية في محطات معالجة مياه الصرف الصحي الثلاث التي أقامتها إمارة دبي ٢٦٣ ألف متر مكعب في اليوم، وأهمها محطة العوير التي يصل إنتاجها إلى ما يقارب ٢٦٠ ألف متر مكعب. وفي إمارة الشارقة يوجد ٧ محطات بطاقة تشغيلية مقدارها ٨٢ ألف ٩٧٥ متر مكعب. وفي رأس الخيمة يقام في الوقت الحالي محطة رئيسية لمعالجة مياه الصرف الصحي سعتها الإنتاجية ٦٠ ألف متر مكعب في اليوم (١١/١٢).

ولقد اتجهت دولة الإمارات للاستفادة من مياه الصرف الصحي المعالجة في ري الحدائق العامة، والزراعات التجميلية، وأشجار التحريج، وزراعات جوانب الطرق، خاصة في المناطق المحيطة بالتجمعات السكنية، وذلك لمواجهة نقص المياه اللازمة للزراعة. كما أن التوسع في معالجة مياه الصرف كفيل بحماية المياه الجوفية ومياه البحار من التلوث الكيميائي والجرثومي، وبتلك الخطوة كانت دولة الإمارات من الدول السباقة والرائدة في المنطقة العربية في هذا الصدد.

جدول ١٧. الطاقة الإنتاجية لمحطات معالجة الصرف الصحي، عام ٢٠٠٦ (٨/١٢).

الإمارة	عدد المحطات	الطاقة الإنتاجية الإجمالية متر مكعب / يوم
إمارة أبوظبي	٢٧	٣٥٣,٩٩٨
إمارة دبي	٣	٢٦٣,٠٠٠
إمارة الشارقة	٧	٨٢,٩٧٥
الإجمالي	٣٧	٦٩٩,٩٧٣

رابعاً: عقد المؤتمرات والندوات وإقامة المراكز البحثية

في العقود الثلاثة الأخيرة، نظمت دولة الإمارات العربية المتحدة العديد من المؤتمرات والندوات العلمية حول قضايا المياه وتحدياتها، وذلك بقصد الاستفادة من أصحاب الخبرة والإطلاع في ذلك المجال. وكان الشيخ زايد -رحمه الله- حريصاً على عقد مثل هذه المؤتمرات، ومن اهتمامه الزائد بهذا الجانب كان في مناسبات عدة يحرص على اللقاء المباشر والشخصي مع تلك الخبرات والعمل قدر المستطاع للاستفادة من تجاربها وأفكارها، وكان يقول في هذا: «إننا مطالبون دائماً بالبحث عن مصادر غير تقليدية للمياه لاستخدامها في تنمية الثروة الزراعية في بلادنا، ونحن في هذا الصدد سنوفر للباحثين كل الإمكانات التي ستساعدهم على تحقيق نتائج إيجابية يمكن الاستفادة منها» (١٢/١٢).

كما اهتمت الدولة بإنشاء المراكز البحثية التي تعنى بدراسة واستنباط أفضل الطرق لإنجاح وديمومة تلك التجربة الرائدة. وقد توصلت دراسات التصحر إلى التعرف على بعض أنواع من النباتات التي يمكن أن تروى بمياه البحر مباشرة إلى جانب تشجيع المزارعين عن طريق الإرشاد الزراعي على زراعة المحاصيل ذات الاستهلاك القليل للمياه والتي تتحمل الملوحة لتفادي مشكلة استنزاف المياه وتملح التربة.

خامساً: إقامة السدود

والاستراتيجية الأخرى التي اتبعها الشيخ زايد -رحمه الله- وأولاها اهتمامه الكبير فيما يتعلق بتنمية الموارد المائية في الدولة إقامة السدود. فكما هو معروف فإن كثيراً من المياه الجارية في الأودية المتكونة بعد سقوط الأمطار ينتهي سريانها إلى البحر، فرأى -رحمه الله- أهمية الاستفادة من تلك المياه بدلاً من ضياعها، فأمر بإنشاء العديد من السدود على بعض الأودية في مناطق متفرقة من الدولة لحجز مياه الأمطار ولتغذية طبقات المخزون الجوفي للمياه التي تعتبر المورد الرئيسي للري الزراعي بتشكيلها ما نسبته حوالي ٧٠٪ من الموارد المائية المستخدمة في الزراعة (٣/١٢). وأقيمت غالبية تلك السدود في المناطق الشمالية والوسطى والشرقية من دولة الإمارات، وكان الهدف العام من إنشائها توفير المياه اللازمة للتوسع الزراعي في تلك المناطق.

ولقد بلغ عدد سدود تغذية المياه الجوفية في الدولة، طبقاً لإحصاءات وزارة البيئة والمياه لعام ٢٠٠٤، ١١٤ سداً وحاجزاً، يبلغ مجموع طاقتها التخزينية نحو ١١٤,٥ مليون متر مكعب (٣/١٢). ولقد أوكلت مهمة إنشاء السدود إلى أكثر من مؤسسة حكومية كان أهمها الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة والتي أنشأت ٥٨ سداً شكلت ما نسبته أكثر من ٥٠٪ من مجموع السدود، ثم تلاها وزارة الزراعة والثروة السمكية (البيئة والمياه حالياً) بعدد ٢١ سداً(١٨٪)، ثم بلديات الدولة والتي أنشأت مجتمعة ٣٥ سداً (١٣/١٢)، جدول (١٨).

ولقد أنفق الشيخ زايد -رحمه الله- من ماله الخاص على ٦٧ سداً من تلك السدود، بتكلفة إجمالية بلغت أكثر من ٧٥٠ مليون درهم (١٤/١٢)، كان أهمها في إمارة الفجيرة: سد وادي حام الرئيسي، والسدر أ، والسدر ب، والحيل، وحام ب، وحام ج، ومربح-قدفع، ودلم، والراكبي، وصفد أ، وصفد ب، وصفد جـ، وثيب، وحمد أ، وحمد ب، ورمث، ومي، والسيجي الرئيسي، والسيجي حاجز ١، والسيجي حاجز ٢، وسد حام ١٦ د، وعين مضب أب، وعين مضب ج د، وسد الحيل، وسد لبن، وسد الحماية لمطار الفجيرة، وسد ضدنا. وفي إمارة رأس الخيمة: سد القور، وسد وادي ممدوح، وسد شعم، وغليلة، وقداعة، وعشواني، وسد شوكة، وشوكة حاجز رقم ١، وبراق، وربقة، وطوى، وحاجز المنيعي، وحاجز اللص، والقصعة، والقشيش، وحاجز الصبط، والمدينة، والمنصب. وفي إمارة عجمان: سد

صورة ٧/١٢. الشيخ زايد يشرف ويوجه المسؤولين على الطبيعة أثناء عمليات إنشاء سد الشويب في المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي، ١٩٨٨، وفي الصورة يظهر الشيخ سعيد بن طحنون آل نهيان وهو يصغي لتعليمات وتوجيهات الشيخ زايد رحمه الله.

الجزير، والمستب، والخروس، والخليبان، وبعيا، وصفصف - حفرة تغذية، ومزيرع. وفي إمارة الشارقة: سد النصاص، وبحيرة فيلي ١، وبحيرة فيلي ٢، وبحيرة فيلي ٣، وبحيرة فيلي ٤، وبحيرة فيلي ٥ (جدول ١٩، ٢٠، ٢١)، (١٣/١٢).

وأما عن أهم السدود التي أنجزتها دولة الإمارات العربية المتحدة في مسيرتها الزراعية التي قادها رئيس دولتها وباني نهضتها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله- فقد اختلفت أنواعها وأحجامها بحسب الهدف المنشود من إقامتها. ومن أهم تلك السدود وأبرزها سد الشويب، وسد جبل حفيت، وسد مزيد، وسد وادي حمدان، وسد أم غافة، وسد القوع، وفي الإمارات الشمالية: سد وادي حام، والبيح، وإذن، وغلفا، والطويين، وحذف، وزكت، والوريعة، والبصيرة، والسيجي، والعصفة، وشوكة، ووادي المدينة، والمنصب، والجزير، والخروص، وحذف، وبراق، وبحيرات الفلي الخمسة، وصفد، ووادي ثيب، ومريح، وقدفع، والخليبان، ووادي القور، وطوي، والمنيعي، واللص، ودلم، والركبي، وقداعة، وشعم. ولمزيد من التفاصيل عن أهم تلك السدود التي ظهرت في عهد الشيخ زايد -رحمه الله- يمكن للقارىء الكريم النظر في (جدول ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢) من هذا الفصل.

ولقد لعبت تلك السدود التي أمر بها الشيخ زايد في أنحاء مختلة من أرض الإمارات، وخاصة مناطقها الشمالية لوجود التضاريس المثالية لإقامتها، دوراً فعالاً في احتجاز كميات كبيرة من مياه الأمطار. ولقد أثبتت بعض تلك السدود فعالية كبيرة في إعادة شحن المياه الجوفية كما يستدل على ذلك من ارتفاع مناسيب المياه في جميع آبار المراقبة التي أنشئت في مواقع تلك السدود (١٥/١٢). وبلغت كمية المياه المتجمعة في تلك السدود في عام ٢٠٠٤ حوالي ٨ مليون متر مكعب، ومجموع ما احتجزته من مياه بدءً من إنشائها

صورة ١٢/٨ (أ، ب). الشيخ زايد يتفقد مياه الأمطار، وهي عادة كان يحرص عليها، أو يرسل من ينوبه فيها.

عام ١٩٨٢ في حدود ١٣٠ مليون متر مكعب. وهذا ما تشير إليه تقارير وإحصاءات إدارة الموارد المائية والسدود في وزارة البيئة والمياه (١٥/١٢). ولقد حققت تلك الإستراتيجية التي تبناها الشيخ زايد وجعلها أحد الحلول للتغلب على مشكلة نقص المياه أهدافها وذلك من خلال:

- زيادة تغذية المخزون الجوفي.
- رفع مستوى المياه الجوفية وإيقاف تسرب مياه البحر إليها.
- توفير مصدر مائي سطحي لري المزروعات.
- المحافظة على التربة الزراعية والمزروعات، ومنع انجرافها بالسيول.
- الحد من الأضرار والخسائر الاقتصادية التي تسببها السيول.
- الاستفادة من المواد الطموية التي تترسب في السدود لتحسين خصائص التربة الزراعية.
- تلبية الاحتياجات المائية للسكان في المناطق الزراعية.

ومن الإجراءات الفاعلة التي اتخذتها دولة الإمارات العربية المتحدة لمواجهة مشاكل المياه المختلفة إنشاء أقسام المياه في جميع المؤسسات الزراعية في الدولة، حيث تقوم تلك الأقسام بشكل عام بمراقبة أوضاع المياه والسدود، ووضع دراسات لتنمية وتطوير مصادر المياه والمحافظة عليها، وترشيد استخدام موارد المياه الجوفية من آبار وأفلاج وعيون، بالإضافة إلى دراسة الأودية وكميات المياه التي تجري فيها، واختيار المواقع المناسبة لإقامة السدود والحواجز عليها، ووضع المواصفات والتصاميم والإشراف على تنفيذها. وهنا سوف نستعرض أهم الأعمال الدورية التي يقوم بها قسم السدود في إدارة الموارد المائية والسدود التابعة لوزارة البيئة والمياه، وهي:

- المراقبة المستمرة لحركة المياه الجوفية في مناطق مختلفة على أرض الإمارات من خلال أكثر من ١٠٤ بئراً.
- رصد التدفقات المائية لنحو ٢٢ وادٍ، وقياس جريان وتدفقات حوالي ٥٠ فلج في الدولة.
- إجراء التحاليل الدورية لعينات المياه والتربة للوقوف على تغيرات نسبة الملوحة في المياه والأرض.
- قياس معدلات الأمطار من خلال ٣٢ محطة رصد، بالإضافة

جدول ١٨. عدد وسعة السدود والحواجز في دولة الإمارات (١٣/١٢).

السدود	العدد	إجمالي السعة التصميمية (متر مكعب)
سدود الدائرة الخاصة المرحلة الأولى	٢٧	٥,٩٧٣,٠٠٠
المرحلة الثانية	٢٨	٧,٠٦١,٨٠٠
المرحلة الثالثة	٢	٣٥٠,٠٠٠
المرحلة الرابعة	١	١٠٠,٠٠٠
سدود وحواجز وزارة البيئة والمياه	٢١	٥٠,٩٠٣,٨٥٠
سدود البلديات*	٣٥	٥٢,٩٠٠,٠٠٠
الإجمالي التقديري لعدد وسعة السدود	١١٤	١١٧,٢٨٨,٦٥٠

* سدود ساهمت في إنشائها بلديات الدولة

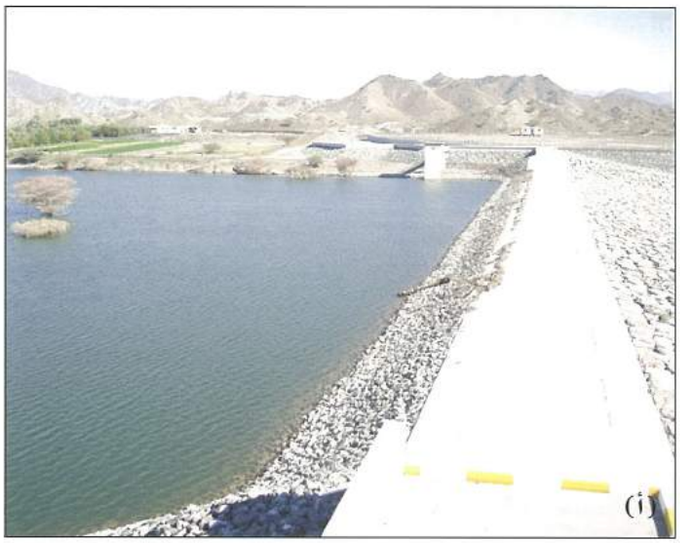

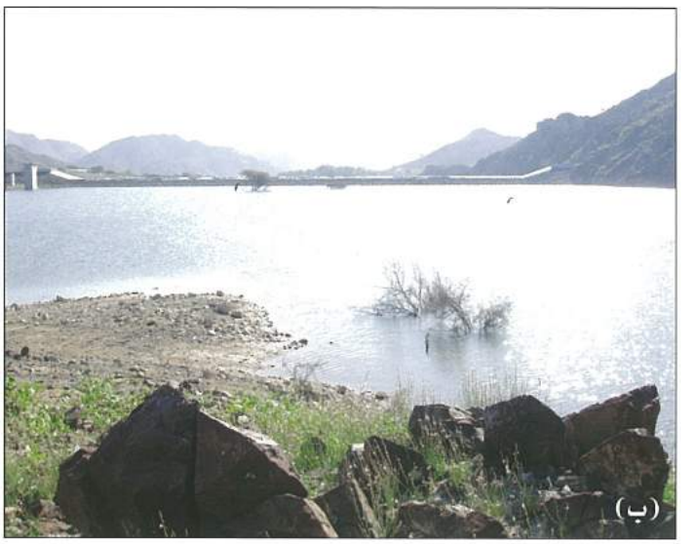

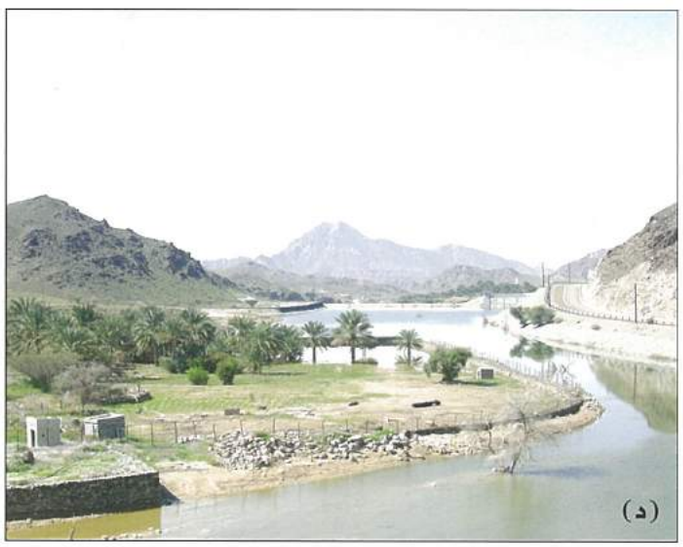

صورة ٩/١٢ (أ،ب، ج، د). لعبت السدود دوراً كبيراً في رفع مستوى المياه الجوفية في مناطق إقامتها باحتجازها كميات كبيرة من مياه الأمطار الساقطة على رؤوس الوديان. أ، ب. سد وادي القور، ج. سد شوكة، د. سد وادي ممدوح.

إلى ١٢ محطة أخرى مزودة بأكثر من ٦٠ جهازاً لقياس حرارة الجو والأرض والماء والرطوبة النسبية، واتجاه سرعة الرياح وكميات الأمطار والتبخر.

- كما أنشأت وزارة البيئة والمياه لجنة عليا لترشيد استخدامات المياه بالدولة برئاسة معالي وزير البيئة والمياه، تضم في عضويتها ٢٢ جهة معنية للحفاظ على الثروة المائية بالدولة.

ولقد فاقت إنجازات الشيخ زايد في قطاع الزراعة كل توقعات الخبراء الأجانب وعلى رأسهم الأمريكان الذين نصحوه بعدم الخوض في التنمية الزراعية بسبب شح المياه وندرتها، لكنه ببصيرته الثاقبة وخبرته الواسعة ببيئة الإمارات لم يستمع لنصحهم، وبعد ثلاثة عقود من عمر الاتحاد يتذكر -رحمه الله- ذلك الموقف القديم، وكيف أن إرادة التحدي كانت هي الغالب، فيقول: «لقد طلبنا من الأمريكيين أن ينقبوا عن المياه لكنهم حذرونا من أن آبار المياه ستجف إذا توسعنا في حفر آبار جديدة، وأبادوا الأمل الذي كان يراودنا، ولكن بالإصرار والعزيمة والإيمان بأنه لا يوجد طريق لرفع مستوى معيشتنا غير الزراعة، حتى لو كانت لدينا ثروة من البترول أو غيره، فكانت لدينا القناعة بأن هذا الشيء لا يُعتمد عليه، ويجب أن نعتمد على الشيء الذي هو أساس الحياة، وهو الزراعة» (١٢/١٦). ويقول أيضاً في هذا الخصوص: «إن كثيراً من الجيولوجيين والمهندسين أشاروا بعدم حفر الآبار خشية فقدان المياه، ولكنا لم نستمع لهم، ورحنا ننقب وحصلنا على المياه التي أصبحت كثيرة، وبالتالي زادت الزراعة وأصبحت المنتجات الزراعية كثيرة ومن كل نوع سواء من الفواكه أو الحمضيات أو النخيل، والحمد لله كل يوم فيه زيادة، وأصبح لدينا الآن أكثر من ٢٥ مليون نخلة مقابل ثلاث ملايين نخلة فقط في البداية، إضافة إلى الخضراوات والفواكه التي كنا نستوردها من الخارج وأصبحنا الآن نصدرها» (١٢/١٧). وفي كلمة للمؤتمر الوزاري الآسيوي الثاني للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر، والذي عقد في أبوظبي في يونيو ٢٠٠٣، قال رحمه الله: «إن دولة الإمارات العربية المتحدة استطاعت التعايش مع البيئة الصحراوية التي تشكل حوالي ثلاثة أرباع مساحتها، والتكيف مع مواردها المحدودة لسنوات طويلة، وإنه بفضل جهود أبناء الإمارات المخلصين، استطاعت الدولة قهر الظروف الصعبة وتحقيق ما اعتبره الخبراء مستحيلاً، فبدأت الرقعة الخضراء تتسع، والصحراء تتراجع أمام اللون الأخضر. إن دلالات ذلك واضحة من المساحات الواسعة من الغابات والمزارع والحدائق وملايين الأشجار والنباتات من كل الأنواع، التي باتت تنتشر بصورة متزايدة ومستمرة وسط الأراضي الصحراوية، وتقف اليوم شاهداً على ضخامة الجهد المبذول وعلى عظمة الإنجاز الذي تحقق» (١٢/١٨).

جدول ١٩. سدود المرحلة الأولي التي أنشأت على نفقة الشيخ زايد -رحمه الله- وأنجزت في ديسمبر ٢٠٠١ (١٣/١٢).

م	اسم السد	موقع السد (الإمارة)	نوع السد	سعة بحيرة السد (متر مكعب)	المنطقة المستفيدة
١.	شعم	رأس الخيمة	ركامي	٢٥٠,٠٠٠	الجير-شعم
٢.	غليلة	رأس الخيمة	ركامي	٣٠٠,٠٠٠	غليلة
٣.	قداعة	رأس الخيمة	ركامي	٢٥٠,٠٠٠	سيح البريرات-النخيل
٤.	عشواني	رأس الخيمة	ركامي	١٦٨٠٠٠	عشواني-كدرا-سهل الذيد
٥.	صفني	رأس الخيمة	ركامي	٦٠٠,٠٠٠	صفني-كدرا-سهل الذيد
٦.	شوكة	رأس الخيمة	خرساني	٢٧٥,٠٠٠	شوكة-وشاح
٧.	شوكة حاجز رقم ١	رأس الخيمة	خرساني	١٠,٠٠٠	شوكة-وشاح
٨.	براق	رأس الخيمة	ركامي	٥٠٠,٠٠٠	براق-سيح فلي
٩.	السدر أ	الفجيرة	ركامي	١٥,٠٠٠	وادي السدر-الفرع
١٠.	السدر ب	الفجيرة	ركامي	٥٠,٠٠٠	وادي السدر-الفرع
١١.	الحيل	الفجيرة	ركامي	٧٥,٠٠٠	الحيل
١٢.	حام ب	الفجيرة	ركامي	٤٢,٠٠٠	البثنة
١٣.	حام ج	الفجيرة	ركامي	٩٦,٠٠٠	البثنة
١٤.	مربح - قدفع	الفجيرة	ركامي	٦٠٠,٠٠٠	مربح-قدفع
١٥.	دلم	الفجيرة	ركامي	٤٥٠,٠٠٠	دلم-دبا
١٦.	الراكبي	الفجيرة	ركامي	٦٥,٠٠٠	الراكبي-دبا
١٧.	صفد أ	الفجيرة	خرساني	٢٦٠,٠٠٠	صفد-القرية
١٨.	صفد ب	الفجيرة	خرساني	٥,٠٠٠	صفد-القرية
١٩.	صفد جـ	الفجيرة	ركامي	٧٠,٠٠٠	صفد-القرية
٢٠.	ثيب	الفجيرة	ركامي	٣٥,٠٠٠	ثيب-القرية
٢١.	حمد أ	الفجيرة	ركامي	٢٠,٠٠٠	احفرة-حمد-كلباء
٢٢.	حمد ب	الفجيرة	ركامي	١٩,٠٠٠	احفرة-حمد-كلباء
٢٣.	رمث	الفجيرة	ركامي	١٥٣,٠٠٠	رمث-كلباء
٢٤.	مي	الفجيرة	ركامي	١١٥,٠٠٠	وادي مي
٢٥.	السيجي السد الرئيسي	الفجيرة	ركامي	١,٠٠٠,٠٠٠	السيجي-سهل الذيد
٢٦.	السيجي حاجز ١	الفجيرة	ركامي	١٠٠,٠٠٠	السيجي
٢٧.	السيجي حاجز ٢	الفجيرة	ركامي	٤٥٠,٠٠٠	سهل الذيد

جدول ٢٠. سدود المرحلة الثانية التي أنشأت على نفقة الشيخ زايد -رحمه الله- وأنجزت في ديسمبر ٢٠٠٢ (١٣/١٢).

م	اسم السد	موقع السد (الإمارة)	نوع السد	سعة بحيرة السد (متر مكعب)	المنطقة المستفيدة
١.	ربقة	رأس الخيمة	ركامي	٥٤٢,٠٠٠	ربقة -المنيعي
٢.	طوى	رأس الخيمة	ركامي	٤٩٠,٠٠٠	طوى -المنيعي
٣.	القور	رأس الخيمة	ركامي	٥٨٤,٠٠٠	المنيعي-الحويلات
٤.	حاجز المنيعي	رأس الخيمة	ركامي	٥٠,٠٠٠	المنيعي
٥.	حاجز اللص	رأس الخيمة	ركامي	٥٠,٠٠٠	المنيعي
٦.	ممدوح	رأس الخيمة	ركامي	٢١٠,٠٠٠	صفني
٧.	القصعة	رأس الخيمة	ركامي	٧٢٠,٠٠٠	القصعة -كدرا
٨.	القشيش	رأس الخيمة	ركامي	٤٠٠,٨٠٠	القشيش-كدرا
٩.	حاجز الصبط	الفجيرة	ركامي	٥٠,٠٠٠	الصبط ?كدرا
١٠.	المدينة	الفجيرة	ركامي	٤٣٨,٠٠٠	المدينة -المصيلي
١١.	الحيل	الفجيرة	ركامي	٧٥,٠٠٠	المنصب-سيح فيلي
١٢.	الجزير	عجمان	ركامي	١٢٠,٨٠٠	صبيغة -مزيرع
١٣.	المستب	عجمان	ركامي	١٧,٥٠٠	مصفوت
١٤.	الخروس	عجمان	ركامي	٢٣,٣٠٠	مزيرع
١٥.	الخليبان	عجمان	ركامي	١٨,٤٠٠	مصفوت
١٦.	النصاص	الشارقة	ركامي	٤٣٠,٠٠٠	النصاص-سيح فلي
١٧.	بحيرة فيلي(١)	الشارقة	ركامي	٢٥٠,٠٠٠	سيح فيلي
١٨.	بحيرة فيلي(٢)	الشارقة	ركامي	١٢٥,٠٠٠	سيح فيلي
١٩.	بحيرة فيلي(٣)	الشارقة	ركامي	٤٠,٠٠٠	سيح فيلي
٢٠.	بحيرة فيلي(٤)	الشارقة	ركامي	٤٠,٠٠٠	سيح فيلي
٢١.	بحيرة فيلي(٥)	الشارقة	ركامي	٤٥,٠٠٠	سيح فيلي
٢٢.	سد حام ١٦ د	الفجيرة	ركامي	١,٥٠٠,٠٠٠	الفجيرة
٢٣.	عين مضب أب	الفجيرة	ركامي	٢٥٠,٠٠٠	عين مضب
٢٤.	عين مضب ج د	الفجيرة	ركامي	٠	عين مضب
٢٥.	سد الحيل	الفجيرة	ركامي	٠	الحيل-كلباء-الفجيرة
٢٦.	سد لبن	الفجيرة	ركامي	٦٥,٠٠٠	لبن-كلباء-الفجيرة
٢	سد الحماية لمطار الفجيرة	الفجيرة	ركامي	٠	الفجيرة
٢٧.	سد ضدنا	الفجيرة	ركامي	٥٢,٠٠٠	ضدنا

جدول ٢١. سدود المرحلة الثالثة التي أنشأت على نفقة الشيخ زايد -رحمه الله- وأنجزت في ديسمبر ٢٠٠٣ ومايو ٢٠٠٤ (١٣/١٢).

م	اسم السد	موقع السد (الإمارة)	نوع السد	سعة بحيرة السد (متر مكعب)	المنطقة المستفيدة
١.	بعيا	عجمان	ركامي	٢٣٥,٠٠٠	منطقة المنامة
٢.	صفصف- حفرة تغذية	عجمان	ركامي	٧٥,٠٠٠	منطقة المنامة
٣.	مزيرع	عجمان	ركامي	٤٨,٥٠٠	منطقة المنامة

جدول ٢٢. بيانات سدود وزارة البيئة والمياه (١٣/١٢).

م	اسم السد	موقع السد	نوع السد	تاريخ الإنجاز	سعة بحيرة السد (متر مكعب)	المنطقة المستفيدة
١.	حام	الفجيرة	ركامي	١٩٨٢	٧,٧٠٠,٠٠٠	الفجيرة-كلباء
٢.	البيح	رأس الخيمة	ركامي	١٩٨٢	٧,٥٠٠,٠٠٠	البريرات- النخيل
٣.	غلفا	عجمان	خرساني	١٩٨٢	٢٥٠,٠٠٠	مزيرع-مصفوت
٤.	اذن	رأس الخيمة	ركامي	١٩٨٣	٥٠٠,٠٠٠	اذن - الحمرانية
٥.	الغيل	رأس الخيمة	خرساني	١٩٨٣	١٢,٠٠٠	الغيل
٦.	حذف	عجمان	ركامي	١٩٩١	٣,٠٠٠,٠٠٠	مزيرع- مصفوت
٧.	العويس (زكت)	الفجيرة	ركامي	١٩٩١	٣,٥٠٠,٠٠٠	ضدنا
٨.	الطويين	الفجيرة	ركامي	١٩٩٢	١٨,٥٠٠,٠٠٠	الطويين- الحمرانية - خت
٩.	الوريعة	الفجيرة	ركامي	١٩٩٧	٥,٢٠٠,٠٠٠	البدية - خورفكان
١٠.	البصيرة	الفجيرة	ركامي	١٩٩٩	١,٦٠٠,٠٠٠	البصيرة-دبا

صورة ١٢/١٠ (أ، ب). سد شوكة، في وادي شوكة، إمارة رأس الخيمة، ربيع ٢٠٠٦.

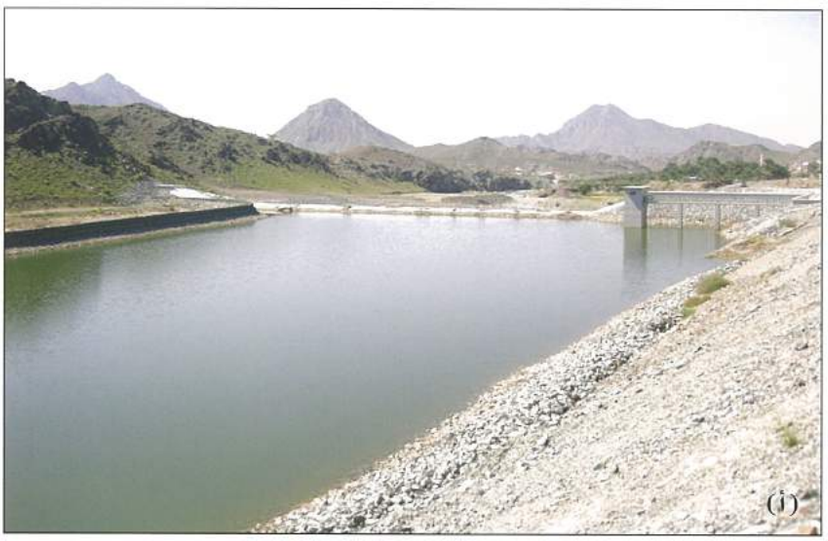

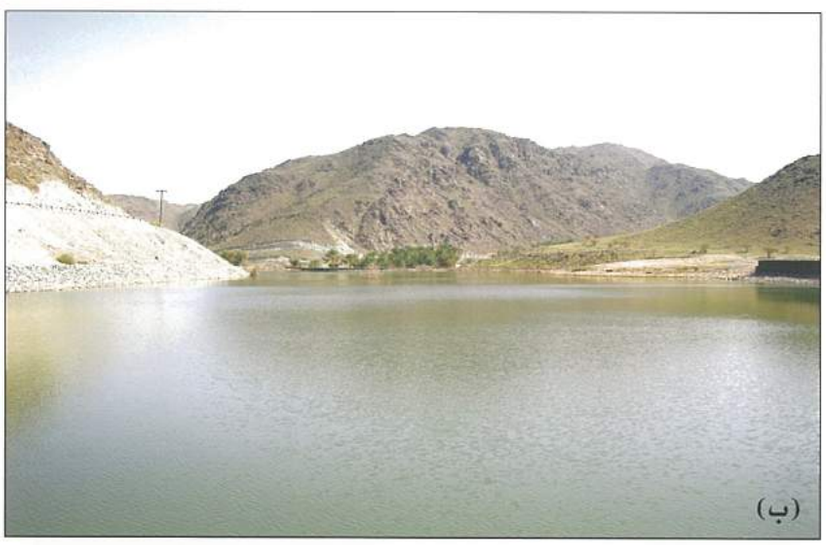

صورة ١٢/١١(أ، ب، ج). سد وادي ممدوح، في قرية صفني، إمارة رأس الخيمة، ربيع ٢٠٠٦.

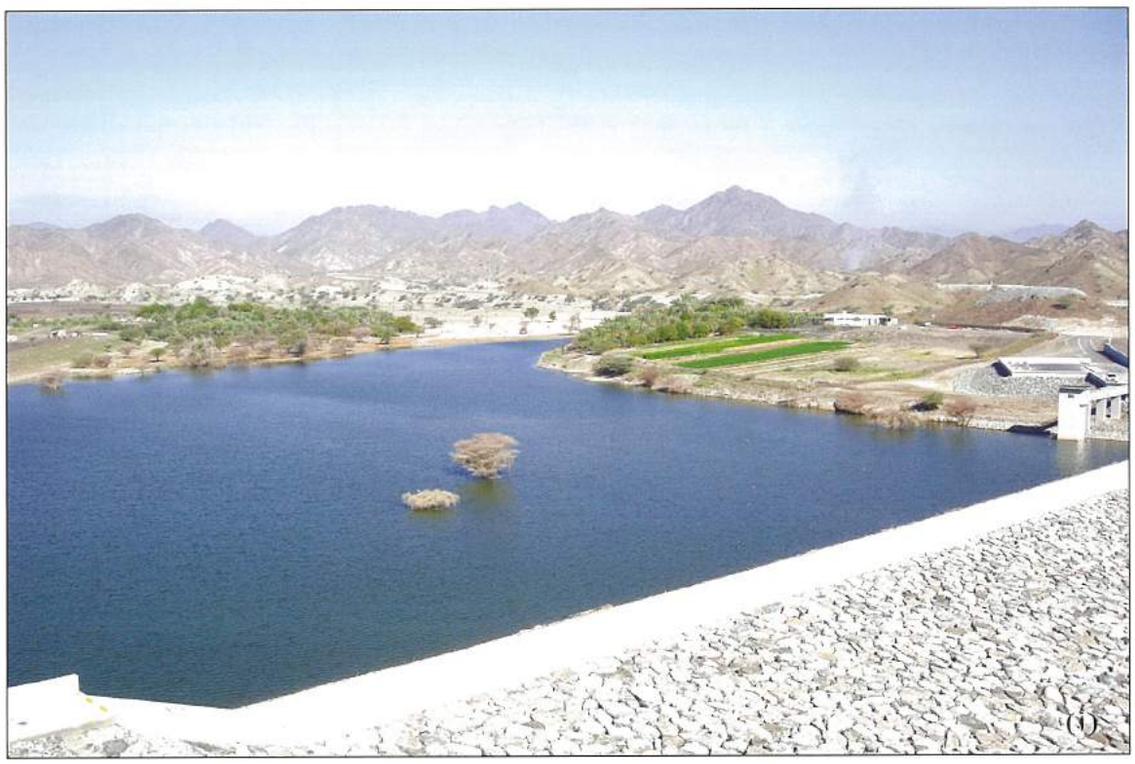

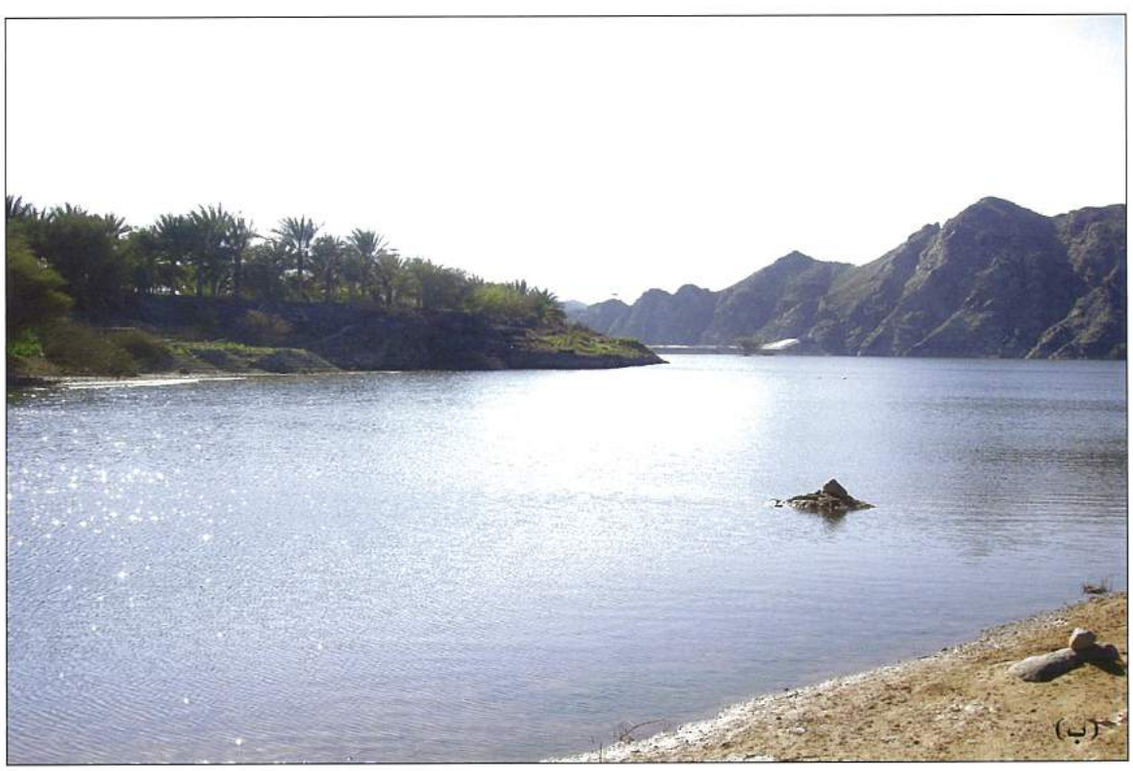

صورة ١٢/١٢(أ، ب). سد وادي القور، منطقة وادي القور، إمارة رأس الخيمة، ربيع ٢٠٠٦.

إن الماء مطلب أساسي لأن الحياة بكافة أشكالها تعتمد عليه، ومصير الإنسان مرتبط به. ودولة الإمارات العربية المتحدة إحدى الدول التي سعى فيها الإنسان منذ القديم إلى توفير المياه اللازمة للشرب والري بدليل ما تبقى من آثار قنوات الري والآبار والأفلاج التي استخدمت، وواجبنا تنمية مصادر المياه والمحافظة عليها.

زايد بن سلطان آل نهيان

الفصل الثالث عشر

تقديـــر عالمـــي

١٣-١ صدى عالمي واسع

١٣-٢ جوائز وأوسمة عالمية نالها زايد في الزراعة والبيئة

١٣-١ صدى عالمي واسع

عندما قررت أن أكتب عن سيرة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله- في جانب معين من جوانب حياته، وهو جهوده وإنجازاته في مجال الزراعة والبيئة، وأردت أن أضع عنواناً لهذا الكتاب وجدت نفسي أقف حائراً لكثرة الأسماء في مخيلتي والتي يمكن أن يحملها هذا الكتاب، وكلها بلا ريب يدور في فلك وحدود الألقاب والجوائز وشهادات التكريم التي نالها الشيخ زايد في مجالات عدة، ومن مؤسسات وهيئات محلية ودولية مختلفة. باني الاتحاد.. راعي النهضة الحديثة.. حكيم العرب.. فارس الصحراء.. قاهر الصحراء.. أمير الأفلاج.. راعي النهضة الزراعية.. رجل الزراعة الأول.. رجل البيئة.. داعية البيئة.. رجل الإنماء والتنمية.. بطل من أبطال الأرض.. كلها أسماء وألقاب جميلة قيلت في الشيخ زايد لعطائه الرائع للأرض، وإنسانها، وحيوانها، ونباتها.

لقد حقق الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مجال الزراعة والبيئة وإعمار الأرض إنجازات باهرة كانت مفخرة لشعب الإمارات وأشاد بها العالم قاطبة، وحظيت بالتقدير العالمي من قبل العديد من المؤسسات والهيئات الإقليمية والدولية المختصة تمثلت في منحه ١٨ جائزة ووسام وشهادة تكريم في ذلك الميدان، والتي قلما نالها قبله رئيس دولة، وذلك لدوره الكبير في قيام زراعات شاسعة ومتطورة على صحراء الإمارات ذات البيئة القاسية والتي كانت أشبه بالمعجزة، ولأعماله المتميزة في تطوير مشاريع التنمية الزراعية في الدولة، ونقلها من الزراعة البدائية إلى الزراعة الحديثة، ولجهوده الكبيرة في نشر الخضرة ومشاريع الغابات وإقامة المحميات الطبيعية وحماية مختلف أنواع الكائنات المهددة بالانقراض، والحفاظ على البيئة، وبرامج مكافحة التصحر، وأيضاً تقديراً لجهوده وسخائه الكبير في تمويل عدد كبير من مشاريع التنمية الزراعية والبيئية في كثير من الدول النامية.

ولقد منح الصندوق العالمي للحفاظ على الطبيعة الشيخ زايد جائزة «الباندا الذهبية» وهي أرفع شهادة يمنحها الصندوق، فكان أول رئيس دولة في العالم يَحظى بذلك التكريم، تقديراً للجهود الكبيرة التي بذلها في مجال الحفاظ على البيئة، وحماية الحياة البرية، وتنمية المناطق النائية والجزر، وحماية الطبيعة في دولة الإمارات وفي مناطق أخرى من العالم. وهي ليست الجائزة الوحيدة التي تميز بها الشيخ زايد عن أقرانه من زعماء العالم، بل هناك جوائز عدة أهمها: «وشاح رجل الإنماء والتنمية، ورجل البيئة والإنماء الدائم، وجائزة منظمة الأغذية والزراعة (الفاو)، والدكتوراه الفخرية من جامعة عين شمس في مجال الزراعة، ووسام المحافظة على البيئة، وجائزة أبرز شخصية عالمية والتي منحت له من هيئة رجل العام الفرنسية، وجائزة داعية البيئة، وميدالية اليوم العالمي للبيئة. ومن المدهش في سيرة ذلك البطل أن الجوائز والتكريمات ظلت تلاحقه حتى بعد وفاته -رحمه الله-، فقد كرم برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) في حفل أقيم في مقر منظمة الأمم المتحدة في نيويورك في أبريل ٢٠٠٥ الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بوصفه «بطلاً للأرض». واختار برنامج الأمم المتحدة للبيئة الشيخ زايد واحداً ضمن سبع شخصيات عالمية في مجال البيئة بوصفهم أبطالاً للأرض، وذلك اعترافاً بجهودهم التي ضربوا من خلالها أمثلة لغيرهم في العالم ليحذوا حذوهم، وتقديراً لجهوده وأعماله طوال حياته في سبيل حماية البيئة في بلاده، ومساهماته ذائعة الصيت في مجال الزراعة والتشجير وحماية الأنواع المعرضة للانقراض، منوهاً إلى أن من بين أهم منجزات الشيخ زايد تشجير الصحارى، وزراعة أكثر من ١٠٠ مليون شجرة، إضافة إلى حظر الصيد منذ أكثر من ربع قرن، وإقامة محمية في جزيرة صير بني ياس من أجل حماية الأنواع المعرضة للانقراض مثل حيوان المها العربي، وغزال الصحراء، اللذين كانا في قائمة الحيوانات المهددة بالانقراض مثلها مثل حيوان الباندا، والحوت الأزرق بحسب قوائم الحركات المهتمة بالمحافظة على الحيوانات، وكان هناك عدد قليل جداً من تلك الحيوانات على قيد الحياة، والتي توجد اليوم بالآلاف في تلك الجزيرة ترعى وتمرح بين الغابات الكثيفة.

إن الإنجازات الكبيرة التي حققتها دولة الإمارات العربية المتحدة في جميع المجالات، وخاصة في المجال الزراعي والبيئي، قد جاءت بفضل الله سبحانه وتعالى أولاً، ثم بالجهود العظيمة والمتابعة الدائمة والدعم الغير محدود من الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله- راعي النهضة الزراعية ورجل البيئة الأول على الصعيد العالمي. ونتيجة لتلك الجهود المتميزة والإنجازات العظيمة في

الزراعة والبيئة، والتي تحققت في بيئة صعبة، فلقد سارع العديد من الشخصيات العالمية المعنية بهذا الجانب بالإشادة بشخصية الشيخ زايد وبجهوده في هذا المجال، فيشيد المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة (الفاو)، السيد جاك ضيوف بعد زيارة للدولة في ديسمبر ١٩٩٥، قائلاً: «إن ما قام به صاحب السمو الشيخ زايد خلال مسيرة الاتحاد من سياسات زراعية حكيمة يسعى حالياً خبراء في المنظمة إلى تحقيقها على المستوى العالمي» (١/١٣). كما أشاد جاك ضيوف في شهر يوليو ٢٠٠٣ بجهود الشيخ زايد - رحمه الله- وإنجازاته في مكافحة التصحر وحماية الأنواع النادرة من الحيوانات والنباتات، قائلاً: «إن منظمة الأغذية والزراعة تبني كل استراتيجياتها وخططها وبرامجها على مبدأ استدامة التنمية، وإن هذا المبدأ يتوافق مع الفكر البيئي الإنمائي للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان».

ولقد أثنى علماء الزراعة والبيئة في العالم كثيراً على أعمال وجهود الشيخ زايد بن سلطان في مجال الزراعة والبيئة. فقد صرح عالم البستنة برنارد لافري، المسجل له ١٦ رقماً قياسياً في علوم البستنة، بأن الشيخ زايد بن سلطان هو الرجل الذي رَوَضَّ الصحراء (٢/١٣). وأشاد المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP)، الدكتور كلاوس توبفر، في أكثر من مناسبة بالجهود الكبيرة والمتميزة التي بذلها الشيخ زايد في مجالات التخضير، والزراعة، وإقامة المحميات الطبيعية، وحماية مختلف أنواع الكائنات المهددة بالانقراض وغيرها الكثير، وهو الأمر الذي وصفه بأنه شكل أحد أبرز معالم النهضة الحضارية الشاملة لدولة الإمارات. ونوه في مناسبة اختيار الشيخ زايد كأحد أبطال الأرض السبعة بأن: «برنامج (UNEP) يشعر بالفخر والاعتزاز بالإنجازات التي حققها الشيخ زايد -رحمه الله- وستة آخرون ممثلون عن مناطق العالم المختلفة في مجالات المحافظة على البيئة». ويؤكد: «إن هذه الشخصيات الفريدة السبع قد أسهمت إلى حد كبير في إرساء قواعد خاصة ومتميزة وواضحة للجميع في مجالات تحسين وحماية البيئة العالمية». وفي مناسبة أخرى أشاد المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، الدكتور كلاوس توبفر، بما حققته دولة الإمارات العربية المتحدة من إنجازات في مجال المحافظة على البيئة والحياة الفطرية قائلاً: «إن ذلك هو أحد أساسيات النهضة الحضارية الشاملة التي ما كانت لتتحقق لولا التوجيهات الحكيمة والرؤية الثاقبة لصاحب السمو رئيس الدولة».

ووصف الدكتور كلود مارتيني، رئيس الصندوق العالمي لحماية البيئة، والذي شارك في المؤتمر العالمي الأول للمها العربي الذي عقد في أبوظبي خلال الفترة من ٢٧ فبراير إلى الأول من مارس ١٩٩٩ وصف البرنامج الذي تتبناه دولة الإمارات لتربية وإكثار المها العربي في المحميات بأنه مثال فريد على جهود الدولة من أجل زيادة أعداد المها العربي وقال: «قلَّ أن يوجد مثل ذلك البرنامج في جميع أنحاء العالم». وقرر الصندوق العالمي لحماية الطبيعة فتح مكتب إقليمي له بأبوظبي تقديراً منه للدور الرائد الذي تلعبه دولة الإمارات في مجال تنمية الحياة الفطرية والمحافظة على البيئة (٣/١٣).

ولقد أكسبت تلك الإنجازات البيئية دولة الإمارات العربية المتحدة شهرة عالمية ومكانة دولية مرموقة، في ميادين الحفاظ على الطبيعة، والحيوانات النادرة المهددة بالانقراض عالمياً، وبرامج تربية الطيور البرية في الأسر، ومن بينها الصقور والحبارى. كما سجلت دولة الإمارات العربية المتحدة حضوراً مميزاً على الساحة البيئية الإقليمية والدولية، وأصبحت محط أنظار العلماء والخبراء البيئيين في العالم، ومثار إعجاب بالتجربة البيئية التي أسسها الشيخ زايد بن سلطان. كما تم اختيارها مقراً للأمانة العامة للهيئة التنسيقية للصندوق العالمي للحفاظ على الطبيعة لصون المها العربي، وكذلك اختيارها في العام ٢٠٠٠ لرئاسة جماعة السلاحف البحرية لمنطقة غرب المحيط الهندي، التي تتبع الاتحاد العالمي لصون الطبيعة، وذلك تقديراً لدورها في مجال حماية الأنواع المهددة بالانقراض من السلاحف البحرية (٤/١٣).

ولقد أشاد العالم البريطاني مارك جريفيتس في مقالة نشرتها له صحيفة «التايمز» اللندنية في عددها الصادر ٢٢ مايو ٢٠٠٤ بإنجازات الشيخ زايد -رحمه الله- في مجالات البيئة والحفاظ عليها وبها تحولت رمال الصحراء إلى جنات خضراء، وبصفة خاصة في جزيرة صير بني ياس التي تمثل محمية طبيعية غَنَّاءً يعيش في جنباتها مختلف أنواع الأشجار والحيوانات والطيور. ومن أعظم الكلمات التي قالها العالم البريطاني في مقالته تلك عن البيئة في دولة الإمارات: «أكثر السياسات البيئية تطوراً وتغييراً لأي من الدول

في العصر الحديث» (٥/١٣).

ولقد وصف أمين عام منظمة المدن العربية، السيد عبد العزيز العدساني، جهود الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مجال البيئة بأنها من أهم المساهمات لحماية البيئة، ومرجع أساسي لتحقيق الأهداف البيئية. ونوه العدساني بالجهود المتميزة للشيخ زايد على المستويين الشخصي والرسمي في مجالات التشجير وإقامة المحميات الطبيعية وقال: «إن رعاية سموه للبيئة والحفاظ عليها وتنويعها الحيوي والحفاظ على الكائنات الحية المهددة بالانقراض تأتي دعماً وتأكيداً للمباديء والجهود العالمية».

ونظراً لتميز جهود دولة الإمارات في مجال البيئة ومكافحة التصحر فقد تم ترشيحها لتنظيم المؤتمر الوزاري الآسيوي الثاني للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر. ولقد قامت دولة الإمارات في العاشر من يونيو عام ٢٠٠٢ بتنظيم المؤتمر في مدينة أبوظبي، وشارك فيه وزراء البيئة والزراعة من ٣٠ دولة آسيوية، وخبراء من ٥٠ دولة يمثلون مؤسسات عالمية وإقليمية. وألقى السكرتير التنفيذي لأمانة اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر، أهاما أرب ديالو كلمة خلال الافتتاح أكد فيها أن اختيار دولة الإمارات لعقد ذلك المؤتمر لم يكن مفاجئاً قياساً إلى الإنجازات الضخمة التي تحققت في دولة الإمارات في مجال مكافحة التصحر. وقال ديالو أيضاً: «إن صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ظل لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن داعماً لمفهوم التنمية المستدامة الذي يركز عليه المؤتمر ذاكراً أن إحدى أهم إنجازات الشيخ زايد غرس ١٠٠ مليون شجرة في أراضي الإمارات في إطار الجهود المبذولة لوقف زحف الرمال على الأراضي الزراعية»(٦/١٣). كما أكد ديالو في كلمته: «أن الإمارات تمكنت بفضل استخدامها لتقنيات الري الحديث، بما فيها نظام الفلاحة مع أحدث محطات تحلية المياه ومعالجة مياه الصرف الصحي، من التصدي لخطر التصحر بطرق فريدة. واعتبر أن حضور العدد الكبير من الممثلين الآسيويين أعمال المؤتمر الحالي دليل على الالتزام المتحد للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر، واكتساب الاتفاقية زخماً باعتبارها خياراً عملياً يمكن عن طريقها تحقيق التنمية المستدامة والقضاء على الفقر، معرباً عن سروره للخطوات الإيجابية التي تحققت في منطقة آسيا رغم الصعوبات الكبيرة» (٦/١٣).

ويقول تشارلز لابونيك، الخبير الدولي والسكرتير العام للمنظمة الدولية لحماية الحيوانات والنباتات معلقاً على تلك النهضة الإماراتية في مجال الزراعة والحفاظ على البيئة: «لا يملك المرء إلا أن يشيد بالجهود المخلصة التي يبذلها صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان في مجال توسيع الرقعة الزراعية ونشر الخضرة والتشجير في ربوع الدولة. إن دولة الإمارات في مصاف الدول المتحضرة التي تعمل على حماية البيئة والحفاظ على الموارد الأولية من الطبيعة، ويمكنها أن تقدم درساً عظيماً لبقية دول العالم في أهمية الحفاظ على البيئة. وإني أطلب من الإمارات أن تمد المنظمة الدولية لحماية البيئة بخبراتها في ذلك المجال لكي ينتفع بها العالم أجمع، وإنني وبعد أن قدمت حيثيات ترشيحي للشيخ زايد لجائزة البيئة العالمية ازددت إصراراً على ترشيحه، فلولاه لما تحققت كل تلك المشروعات الضخمة لحماية البيئة» (٤/١٣).

وإزاء تلك الأعمال التي قدمها الشيخ زايد -رحمه الله- في مجال الزراعة والبيئة تسابق الكثير من الجهات المحلية والإقليمية والدولية في التعبير عن إعجابها بشخصيته وتقديرها لتلك الأعمال والإنجازات بمنحه شهادات التكريم والجوائز والأوسمة، ونذكر منها هنا فقط تلك الجوائز العالمية في مجال الزراعة والبيئة.

١٣-٢ جوائز وأوسمة عالمية نالها الشيخ زايد في الزراعة والبيئة

■ رجل البيئة والإنماء الدائم (١٩٩٣)

في عام ١٩٩٣، اختير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لجائزة «رجل البيئة والإنماء الدائم» من قبل هيئة مهرجان الشباب العربي الثامن الذي عقد في بيروت في ١٠ سبتمبر ١٩٩٣، وقد جاء ذلك الاختيار تقديراً لجهوده المستمرة في مجال المحافظة على البيئة وتوفير أفضل المناخات الملائمة لحياة الإنسان في بيئة نظيفة، إضافة إلى تشجيعه الدائم على إقامة مراكز على مستوى العالم العربي لتدريب الشباب على حماية البيئة والنماء الدائم.

■ رجل الإنماء والتنمية (١٩٩٣)

في عام ١٩٩٣، منحت جامعة الدول العربية الشيخ زايد وشاح «رجل الإنماء والتنمية» وذلك تقديراً لجهوده -رحمه الله- في مكافحة التصحر والاهتمام بالبيئة والمشاريع الإنمائية على مستوى بلاده، وعلى مستوى الدول العربية والإسلامية والصديقة.

صورة ٢/١٣. الأمين العام لجامعة الدول العربية الدكتور عصمت عبد المجيد يقلد الشيخ زايد وشاح رجل الإنماء والتنمية، ١٩٩٣.

■ الشخصية الإنمائية (١٩٩٥)

في عام ١٩٩٥، اختير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لجائزة «الشخصية الإنمائية» على مستوى العالم، وذلك تقديراً لجهوده -رحمه الله- في المجالات الإنمائية والسياسية والإسلامية والخيرية، وجاء ذلك في الاستطلاع الذي أجراه مركز الشرق الأوسط للبحوث والدراسات الإعلامية في جدة، حيث شارك فيه أكثر من نصف مليون عربي في مختلف دول العالم.

■ جائزة منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) (١٩٩٥)

في ديسمبر ١٩٩٥، خصصت منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) جائزتها الدولية إلى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، حيث منحته جائزة تقديرية وميدالية ذهبية، وذلك تقديراً لجهوده -رحمه الله- في نشر التنمية الزراعية داخل الدولة، وتحويل الصحراء إلى حدائق ومزارع منتجة، ومساهمته في عدد من الدول النامية في ذلك المجال. وفي تلك المناسبة صرح الدكتور جاك ضيوف، مدير عام المنظمة، لدى زيارته للإمارات ومقابلة الشيخ زايد بقوله: «تعد تجربة الإمارات في مجال الزراعة والتشجير والحفاظ على البيئة وحمايتها من التجارب الرائدة في العالم، وما قام به صاحب السمو الشيخ زايد خلال مسيرة الاتحاد من سياسات زراعية حكيمة، يسعى الخبراء في المنظمة حالياً إلى تحقيقها على المستوى العالمي».

صورة ٣/١٣. الشيخ زايد أثناء تسلمه جائزة منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) التابعة للأمم المتحدة، ١٩٩٥، ويبدو في الصورة السيد جاك ضيوف مدير عام المنظمة.

■ جائزة الباندا الذهبية (١٩٩٧)

في عام ١٩٩٧، منح الصندوق العالمي للحفاظ على الطبيعة الشيخ زايد بن سلطان جائزة «الباندا الذهبية»، وهي أرفع شهادة يمنحها الصندوق في مجال المحافظة على الطبيعة وحماية البيئة، ومنحت لأول مرة لرئيس دولة، تقديراً لجهوده الكبيرة والمتميزة في الحفاظ على البيئة، وحماية الحياة البرية، وتنمية المناطق النائية والجزر في دولة الإمارات ومناطق أخرى من العالم. وفي هذه المناسبة قام صاحب السمو الملكي الأمير فيليب، دوق أدنبرة، بوصفه رئيساً فخرياً للصندوق العالمي للحفاظ على البيئة، والدكتور كلاود مارتين، الأمين العام للصندوق العالمي للحفاظ على الطبيعة، في ٧ مارس ١٩٩٧ بتسليم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان شهادة «الباندا الذهبية». وفي تلك المناسبة قام الضيفان بزيارة لجزيرة صير بني ياس، إحدى المحميات البيئية على أرض الإمارات.

■ وسام المحافظة على البيئة (١٩٩٧)

في عام ١٩٩٧، منحت جمهورية باكستان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «وسام المحافظة على البيئة» وذلك تقديراً لجهوده في المحافظة على البيئة ونشر الخضرة في ربوع الإمارات، وكانت هذه أول مرة يمنح فيها الوسام لرئيس دولة.

صورة ١٣/٤. الشيخ زايد أثناء تسلمه وسام المحافظة على البيئة الباكستاني، ١٩٩٧.

■ الدكتوراه الفخرية في الزراعة (١٩٩٧)

في ١٥ يونيو ١٩٩٧، منحت جامعة عين شمس في جمهورية مصر العربية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «الدكتوراه الفخرية في مجال الزراعة» تعبيرا عن تقدير مجلس الجامعة لجهوده الكبيرة في مجال التنمية الزراعية في دولة الإمارات ومصر. وفي تلك المناسبة صرح الدكتور عبد الوهاب عبد الحافظ رئيس الجامعة أن صاحب السمو رئيس الدولة أقام معجزة زراعية على كافة المستويات، وبكل المقاييس مشيراً إلى أن تلك المعجزة وزيادة الرقعة الخضراء في دولة الإمارات العربية المتحدة تمت في ظل ظروف صعبة يعرفها الجميع. وأشار إلى أن دعم سموه للزراعة المصرية كان إحدى الحيثيات التي ارتكز عليها مجلس جامعة عين شمس في منح سموه درجة الدكتوراه الفخرية. وأوضح رئيس الجامعة أن نجاح دولة الإمارات بقيادة صاحب السمو الشيخ زايد في زراعة الصحراء يعطي المثل للدول العربية الأخرى.

■ أبرز شخصية عالمية (١٩٩٨)

في عام ١٩٩٨، اختير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لجائزة «أبرز شخصية عالمية»، من قبل «هيئة رجل العام» الفرنسية، وذلك لجهوده -رحمه الله- في مكافحة التصحر والاهتمام بالبيئة والمشاريع الإنمائية.

الصورة ١٣/٥. الشيخ زايد أثناء تسلمه شهادة الدكتوراة الفخرية في مجال الزراعة من رئيس جامعة عين شمس المصرية الدكتور عبد الوهاب عبد الحافظ، عام ١٩٩٧.

■ جائزة داعية البيئة (١٩٩٨)

في ٢٨ سبتمبر ١٩٩٨، منحت منظمة الدول العربية في دورتها السادسة التي عقدت بالدوحة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لقب وجائزة «داعية البيئة»، وذلك تقديراً لاهتماماته وجهوده المتميزة على المستويين الشخصي والرسمي في مجالات الحفاظ على البيئة والتشجير وإقامة المحميات الطبيعية. الجدير بالذكر أن دولة الإمارات العربية المتحدة قد حصدت في تلك الدورة ثلاث جوائز هي: جائزة «تخضير المدن» لمدينة أبوظبي، وجائزتا «التراث المعماري» و «الوعي البيئي» لمدينة دبي.

■ رجل البيئة (٢٠٠٠)

في يونيو ٢٠٠٠، وبمناسبة يوم البيئة العالمي، كرم لبنان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان واختاره «رجل البيئة»، وفي تلك المناسبة كرم -رحمه الله- من قبل فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية، كما منح شهادات التقدير وهدايا تذكارية تاريخية من معهد الجودة اللبناني، تقديراً لجهوده على الصعيد البيئي.

■ ميدالية اليوم العالمي للأغذية (٢٠٠١)

في مايو ٢٠٠١، منحت منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) التابعة للأمم المتحدة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «ميدالية اليوم العالمي للأغذية»، وذلك اعترافاً من المنظمة بجهوده في خدمة البشرية، واهتمامه الكبير بقضايا الزراعة والغذاء ومصادر المياه. وفي تلك المناسبة تسلم الجائزة نيابة عنه -رحمه الله- الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، نائب رئيس مجلس الوزراء خلال استقباله للدكتور جاك ضيوف، مدير عام المنظمة، في يوم السبت الموافق ٢ يونيو ٢٠٠١.

■ ميدالية المنظمة العربية للتنمية الزراعية (٢٠٠٢)

في عام ٢٠٠٢، منحت المنظمة العربية للتنمية الزراعية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «ميدالية المنظمة العربية للتنمية الزراعية»، تقديراً منها للجهود التي بذلها لدعم مسيرة التنمية الزراعية في الوطن العربي. وفي تلك المناسبة، قدم معالي الدكتور سالم اللوزي، مدير عام المنظمة، الميدالية لصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، خلال استقباله لوزراء الزراعة العرب المشاركين في اجتماعات الدورة ٢٧ للمنظمة والتي استضافتها الدولة خلال الفترة من ٢٨-٣٠ أبريل ٢٠٠٢ بمدينة أبوظبي.

■ درع تذكاري (٢٠٠٢)

في عام ٢٠٠٢، منح برنامج الأمم المتحدة للبيئة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان درعاً تذكارياً، تقديراً وعرفاناً لجهوده المخلصة في مجال حماية البيئة، ومكافحة التصحر، ونشر الرقعة الخضراء، وتسخير كافة الإمكانيات لحماية البيئة والمحافظة عليها بحيث أصبحت الإمارات من النماذج الفريدة المتميزة في مسألة الحفاظ على البيئة وتنميتها. وقدم الدرع الدكتور كلاوس توبفر، المدير التنفيذي للبرنامج، خلال لقائه بسمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان، وزير الدولة للشؤون الخارجية آنذاك، يوم الاثنين الموافق ١١ يونيو ٢٠٠٢.

■ أحد أبطال الأرض (٢٠٠٥)

في عام ٢٠٠٥، اختار برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان واحداً من سبع شخصيات عالمية في مجال البيئة بوصفهم «أبطالاً للأرض»، وذلك اعترافاً بجهودهم التي ضربوا من خلالها أمثلة لغيرهم في العالم ليحذوا حذوهم. وقال بيان صادر عن برنامج الأمم المتحدة للبيئة في مقرها في نيروبي أن حصول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان على الجائزة الخاصة بمنطقة غرب آسيا جاء اعترافاً وتقديراً لجهوده وأعماله طوال حياته في سبيل حماية البيئة في بلاده، ومساهماته ذائعة الصيت في مجال الزراعة والتشجير وحماية الأنواع المعرضة للانقراض، منوهاً إلى أن من بين أهم منجزات الشيخ زايد تشجير الصحارى في المنطقة، وزراعة أكثر من ١٠٠ مليون شجرة، إضافةً إلى حظر الصيد منذ أكثر من ربع قرن، وإقامة محمية في جزيرة صير بني ياس من أجل حماية الأنواع المعرضة للانقراض، مثل حيوان المها العربي وغزال الصحراء.

وفي ١٩ أبريل ٢٠٠٥، في مقر منظمة الأمم المتحدة في نيويورك، تم تكريم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله- من قبل

برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) بوصفه «بطلا للأرض» أسهم طوال حياته في دعم مشاريع مكافحة التصحر وحماية البيئة والحفاظ على الحياة البرية المهددة بالانقراض. ولقد أشاد الدكتور كلاوس توبفر، المدير التنفيذي للبرنامج، في تلك المناسبة بالجهود الكبيرة والمتميزة التي بذلها المغفور له الشيخ زايد في مجالات التخضير، والزراعة، وإقامة المحميات الطبيعية وحماية الأنواع المهددة بالانقراض وغيرها الكثير، وهو الأمر الذي وصفه بأنه شكل أحد أبرز معالم النهضة الحضارية الشاملة لدولة الإمارات. ونوه بأن برنامج الأمم المتحدة للبيئة يشعر بالفخر والاعتزاز بالإنجازات التي حققها الشيخ زايد -رحمه الله- وستة آخرون ممثلون عن مناطق العالم المختلفة في مجالات المحافظة على البيئة، وقال إن تلك الشخصيات الفريدة السبع قد أسهمت إلى حد كبير في إرساء قواعد خاصة ومتميزة وواضحة للجميع في مجالات تحسين وحماية البيئة العالمية.

ولقد تسلم جائزة الشيخ زايد صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، حفظه الله، خلال استقباله للمدير التنفيذي للبرنامج، الدكتور كلاوس توبفر، بقصره في البطين في أبريل ٢٠٠٥ (٧/١٣).

صورة ٦/١٣. صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، يتسلم جائزة «بطل الأرض»، الممنوحة للمغفور له بإذن الله الشيخ زايد، من السيد كلاوس توبفر المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP).

■ جائزة زايد الدولية للبيئة

واعترافاً بالدور الرائد والمتميز الذي قام به الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في مجال حماية البيئة بادر صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، وزير الدفاع في الثلاثين من يناير عام ١٩٩٩ إلى تأسيس ورعاية «جائزة زايد الدولية للبيئة». وتبلغ قيمة الجائزة مليون دولار أمريكي، تمنح للشخصيات أو الهيئات التي تقدم أعمالاً مميزة في خدمة البيئة على مستوى العالم. وفي تلك المناسبة قال صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم: «تتشرف الجائزة بأن تحمل اسم القائد الذي حقق ما ظنه الخبراء مستحيلاً».

في الحقيقة إنني سعيد وأشعر بالسعادة الكبرى لأن الله سبحانه وتعالى أراني ورأيت هذا الوطن قبل سنوات في وضع ووجدته اليوم في وضع آخر، وضع مزدهر ومتقدم.

زايد بن سلطان آل نهيان

الفصل الرابع عشر

زايد يتحدث عن تجربة دولة الإمارات

١٤-١ زايد يتذكر الطريق الطويل.. ويفخر بالإنجازات

١٤-٢ كلمات تاريخية قالها زايد في الزراعة والبيئة

١٤-١ زايد يتذكر الطريق الطويل.. ويفخر بالإنجازات

في لحظة من لحظات تأمل القائد المستريح، وقف الشيخ زايد يتأمل في الماضي البعيد، ويسترجع في خاطره ذلك الطريق الطويل الشاق والمليء بالصعاب والتحديات. وقد قدره هو بنفسه ومنذ البداية أنه سيكون طريقاً طويلاً عندما كان يقول في بدايات تسلمه حكم إمارة أبوظبي: «إن أمامي مشوار طويل كي أحقق الخير والرخاء لإنسان هذه الأرض، ومادامت العزيمة متحفزة فإن الطموحات لا تتوقف عند حدود». نعم بتلك العزيمة التي كانت راسخة في شخصيته وبتلك الطموحات التي كانت متأصلة في نفسه اجتاز الشيخ زايد ذلك الطريق الصعب، واجتازته معه دولة الإمارات، ومضت مسيرته الخضراء برؤى واضحة، وبتطور مستمر حتى حقق حلمه الكبير، وأظهر للعالم أجمع أن ما كان بالأمس يوصف بالمستحيل، ها هو اليوم وقد بات واقعاً ملموساً. وما كان حلمه في الزراعة والتخضير يوصف بالأمس بأنه ضرب من الخيال بسبب الطبيعة الصحراوية والظروف المناخية الصعبة للبلاد وشح المياه والأمطار، ها هو اليوم لم يعد خيالاً وأصبح واقعاً يشهده العالم أجمع.

في حديث لصحيفة ملّيت التركية (١٩ سبتمبر ١٩٨٨) لَخصَّ الشيخ زايد ذلك المشوار الطويل الذي قطعه وما حققته دولة الإمارات العربية المتحدة من إنجازات في مختلف المجالات في كلمات قال فيها: «مررت على الأرض وهي قاحلة، خالية من السكان، وخالية من الخضرة، وخالية من الإنتاج، وخالية من كل شيء، وعملنا في هذا المحل سكناً للمواطنين مثلاً، وفي محل آخر بحاجة إلى تطوير شجرناه ونشرنا الخضرة فيه، وعندما مررت بعد سنتين على هذا المكان وجدته مختلفاً بالعمار والبشر، وجدت فيه بشراً مرتاحين منعمين، وجدت الأشجار في تلك الأرض القاحلة، أشجار مثمرة وتعجب الأنظار، من هذا المنطلق أرى في كل مرة شيئاً بانت مسرته وريعه للبشر وللدولة مما دفعني إلى العمل أضعافاً مضاعفة، والحمد لله هذا ما قمنا به» (١/١٤).

وفي تصريح آخر يبدي الشيخ زايد أيضاً ارتياحه وسعادته لما تحقق للوطن من تقدم وازدهار فيقول: «في الحقيقة إنني سعيد

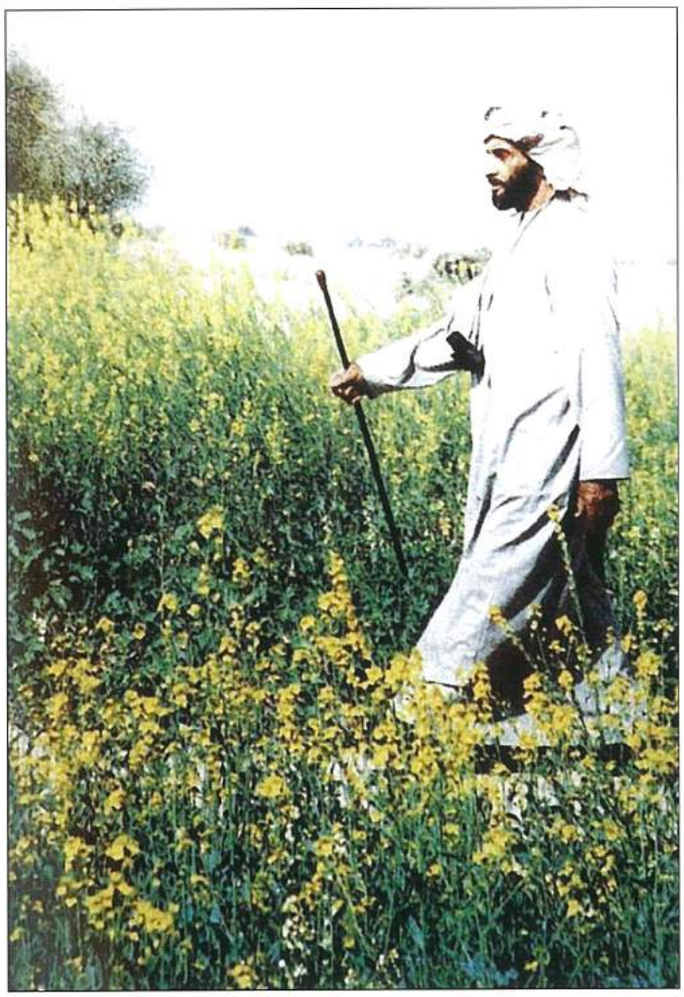

وأشعر بالسعادة الكبرى لأن الله سبحانه وتعالى أراني ورأيت هذا الوطن قبل سنوات في وضع ووجدته اليوم في وضع آخر، وضع مزدهر ومتقدم، إن كان في الوطن أو في الشعب وفي كل مجال من المجالات، وهذا ما هو إلا هبة من الله سبحانه وتعالى، وتوفيق ودعم من الخالق لعباده ورضا الله على عباده في أرضه» (٢/١٤)، كما قال أيضاً: «إن كل ما سهرت عليه مع إخواني حكام الإمارات بحرص وصبر قد تحقق.. ولقد وصلنا بعون الله وتوفيقه مرحلة رسخنا فيها أقدامنا على طريق بناء الوطن، وحققنا أهدافاً كانت تبدو بعيدة المنال والتي لم تتحقق بسهولة، بل تحدينا من أجلها الصعاب» ، وأضاف أيضاً: «إن ما أنجز يفوق كل تصور وذلك بعون من الله وتوفيقه أولاً، وبتوفر الإرادة المخلصة، وإنه ليس هناك مستحيل أمام العزم الأكيد وإخلاص النوايا لخدمة الشعب» (٢/١٤).

ولقد أعرب الشيخ زايد -رحمه الله- عن اعتزازه لما حققته دولة الإمارات من إنجازات وتقدم في مجال الزراعة والتشجير فقال: «لقد حققنا في المجال الزراعي تطورات هائلة ومنجزات عملاقة انعكست على المواطنين خيراً وبركة، ودعمت أهداف الأمن الاقتصادي والاكتفاء الغذائي» (٣/١٤). كما افتخر -رحمه الله- لما حققته الدولة من إنجازات في شأن المحافظة على البيئة وحماية الحياة البرية من الانقراض فقال: «يحق لنا أن نفخر بأننا حققنا الكثير في دولة الإمارات، لقد كان لقرارنا قبل عشرين عاماً بحظر صيد الغزلان وسائر الحيوانات الأثر الكبير فيما نراه من عودة الحياة لهذه الثروة الهامة من حياتنا البرية. لقد ساهمنا في حماية المها العربي من الانقراض، ووفرنا حين زرعنا ملايين الأشجار ونشرنا الرقعة الخضراء في أرجاء واسعة من بلادنا الحبيبة بيئة مناسبة لطيور وحيوانات كانت تعيش هنا منذ آلاف السنين، ولملايين الطيور المهاجرة.. ورغم كل ما أنجزناه فما زال أمامنا الكثير» (٤/١٤).

وفي الذكرى الثلاثين لتأسيس دولة الاتحاد (ديسمبر ٢٠٠١)، وكانت ذكرى جميلة على شعب الإمارات وهو يرى مضي ثلاثة عقود من عمر الاتحاد ووطنه في تماسك ونماء مستمرين، وقف الشيخ زايد في تلك المناسبة يذكر ثمار المسيرة الخضراء ويعرض المنجزات الواحدة تلو الأخرى ويفتخر فيقول: «لقد كذّبنا ظنون الخبراء، وأثبتنا أن أرضنا هي مصدر العطاء والخصب، وذلك من خلال تسوية الأرض واستصلاحها وإقامة المزارع التي عادت بالخير والبركة على المواطنين والمقيمين. ولقد وصل عدد المزارع إلى ٣٥ ألفاً و٥٨٤ مزرعة بالمقارنة مع ١١ ألفاً و٤٦٨ مزرعة في عام ١٩٨٠، لقد غطت أرض الوطن بالمساحات الخضراء، فقد انتشرت الأشجار والغابات وحقول الخضار ومزارع الماشية والدواجن والألبان، وأثمرت اكتفاءً ذاتياً في إنتاج بعض القطاعات الزراعية، وفائضاً في عدد آخر منها مثل الخضروات والتمور، حيث بلغ عدد النخيل في البلاد ٤٠ مليون نخلة، وقد أنشأنا المصانع لاستيعاب فائض الإنتاج الزراعي، وأصبحنا نقف في مصاف الدول المصدرة في بعض مفردات الصناعات الغذائية، ورغم ندرة المياه نجحت الدولة في إنشاء شبكات عملاقة من محطات التحلية، وقامت الهيئة الاتحادية برفع القدرة التشغيلية للسدود، حيث تم تشييد ١٢ سداً

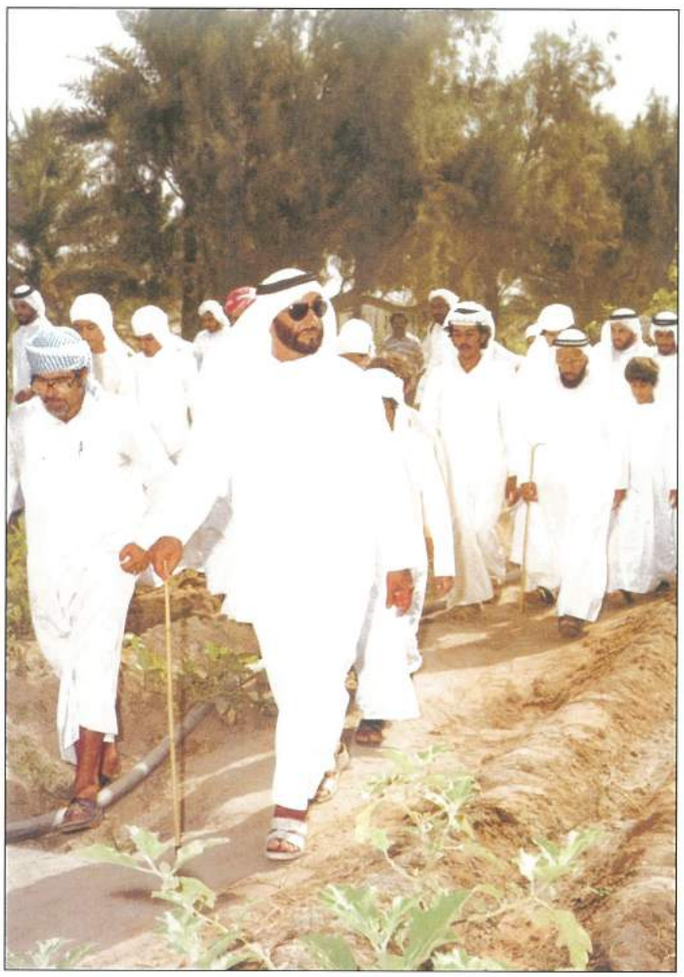

صورة ٣/١٤. الشيخ زايد في جولة تفقدية للمشاريع الزراعية، عام ١٩٨٠.

هذا العام بمختلف أنحاء الدولة ليصل إجمالي عددها إلى ٧٢ سداً بطاقات تخزينية تصل إلى ١٠٧ مليون متر مكعب، وقد لعبت دوراً فعالاً في احتجاز كميات كبيرة من مياه الأمطار للاستفادة منها في أغراض الشرب والزراعة وغيرها من الاستخدامات الحضرية، وتوصيل المياه إلى المزارع التي تبعد ٥٠ كيلومتراً في ترشيد استخدام مياه الري، فالماء أمانة إذ هو مصدر الحياة، ولا حضارة ولا استقرار بدون الماء، فحافظوا عليه ولا تهدروه، رشدوا استهلاكه واجعلوا الحاجة إليه مصدر استهلاكه، فهو ثروة لابد من صيانتها والمحافظة عليها» (٥/١٤).

وفي الذكرى الثانية والثلاثين (ديسمبر ٢٠٠٣) أعرب الشيخ زايد

مرة أخرى في تلك المناسبة عن اعتزازه لما حققته دولة الإمارات من إنجازات في مجال الزراعة والتشجير، فقال: «لقد تمكنا من تحويل أرض هذا الوطن، التي قيل أنها لا تصلح للزراعة والتنمية، إلى مزارع تنتشر على مدى البصر، وإلى حدائق وغابات خضراء ومصانع إنتاجية» (٦/١٤).

وفي كلمة له في افتتاح المؤتمر الوزاري الآسيوي الثاني للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر، المنعقد في أبوظبي في ١٠ يونيو ٢٠٠٣، استعرض الشيخ زايد وافتخر بنجاحات دولة الإمارات في مجال الزراعة والبيئة قائلاً: «إن ما يدعونا للفخر والاعتزاز أن دولة الإمارات العربية المتحدة استطاعت تحقيق نجاحات بارزة وباهرة في إعادة الخضرة إلى المناطق الصحراوية. ولم يقتصر نجاحنا على زراعة تلك المساحات الواسعة من الصحراء، بل تعداه إلى توطيد مجتمع الإمارات بالزراعة، واستطعنا، من خلال تكثيف حملات التوعية والإرشاد والتدريب والدعم المستمر واللامحدود، توطيد علاقة العطاء المتبادلة القائمة بين الأرض والمواطن، الذي صار أكثر حرصاً على حيازة الأراضي الزراعية وإدارتها وتطويرها» (٧/١٤).

إن سر نجاح الشيخ زايد -رحمه الله- في مسيرة التنمية يكمن في ثلاثة أمور: الأمر الأول، إيمانه الكبير بالله العظيم وتوكله عليه في الأمور كلها. وهنا نستذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهمية التوكل على الله، فيقول: «لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً» (٨/١٤). ولقد كان الشيخ زايد مثالاً للقائد المتوكل على الله، وكان دائماً ذاكراً لأنعم الله عليه وتوفيقه له. أما الأمر الثاني فهو رغبته الكبيرة في التغيير، وهذا ما أكده -رحمه الله- في العديد من تصريحاته، أذكر منها حديثه لوفد مغربي في ٢٣ فبراير ١٩٩٩، أي بعد حوالي ثلاثة عقود من عمر الاتحاد وكان حينها يسترجع الطريق الشاق الطويل الذي قطعته دولة الإمارات، ويقول: «كان لدي إيمان بالله العظيم، ورغبة في التغيير، وعزيمة وإصرار على تحدي الصعاب، وسرنا على طريق الصلاح وأداء الواجب تجاه الوطن والمواطن، ووفقنا الله وأصبحنا قادرين على أن نغير الصحراء إلى جنان خضراء، وأن نغير حياة الإنسان ونوفر له الحياة الكريمة والرفاهية» (٩/١٤). وفي تصريح آخر يقول: «لقد كنت دائماً في خدمة أبناء وطني، كنت أفكر في سعادتهم قبل أن تكون لدي السلطة، وقبل أن تتوفر لي الإمكانيات التي أنعم الله بها علينا مع ظهور البترول» (١٠/١٤)، وحديث آخر يقول فيه: «إننا نتطلع لمستقبل أكثر سعادة مما نحن فيه الآن، ولهذا يجب أن نتعب ونعرق ونكافح فهذا قدرنا، ولقد وفرنا كل شيء، ولهذا يجب أن نضاعف الجهد ونعمل أكثر مما يعمل غيرنا من الشعوب» (١١/١٤). أما الأمر الثالث، فيكمن في تقديسه للعمل والاجتهاد لرفعة الوطن، ويمكن تلمس ذلك من كلماته التي يؤكد فيها على أهمية العمل وقدسيته فيقول: «إن على الجميع أن يُناضلوا ويركزوا كل قواهم وكل أفكارهم وكل ما اكتسبوه وكل ما وهبهم الله سبحانه وتعالى من علم وحنكة ليضعوه في خدمة هذا الوطن» (١٢/١٤). ويقول أيضاً: «إن كل ما تحقق يفرض علينا المزيد من العمل لأنني أؤمن بأن العمل باق وخالد وكل إنسان سيكون له عمله أمام الله والعباد». ويضيف: «إننا لا نريد من عملنا إلا المجد لأمتنا وأجيالنا القادمة» (١٣/١٤). وهو يؤمن -رحمه الله- بأن العمل هو الخالد وما دونه إلى زوال فيقول: «إن العمل هو الخالد لا الإنسان». وفي موضع آخر يكرر ذلك المعنى فيقول: «لا شيء مخلد أبداً، لا مخلد الإنسان.. ولا مخلد المال، ولا مخلد شيء، مخلد.. والذي هو خالد الوطن والعمل للإنسان، وكل فرد منا سوف يُذكر بعمله» (٢/١٤).

لم تكن عبارة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة» مجرد شعار يقوله قائد بقصد الاستهلاك السياسي لغرض ما في وقت ما، ولم تكن أيضاً مجرد كلمات خرجت من لسان حكيم سجلت في كتب الحكمة ولم تستنير بها الشعوب، ولم تظهر على الواقع، بل كانت كلمات الشيخ زايد هي الرؤية الواضحة لسياسة ومنهجية قادمة لتغيير وجه الأرض. كانت تلك الكلمات الشرارة الأولى في تحويل صحراء الإمارات القاحلة إلى رقعة خضراء تنتشر فيها البساتين وأشجار الغابات حتى أصبحت أرضاً جاذبة تنعم بها خلائق الله بعدما كانت أرضاً طاردة. لقد كانت تلك الكلمات نقطة الانطلاقة في تحويل دولة الإمارات من دولة مستوردة لأغلب المنتجات الزراعية إلى دولة تحقق معدلات عالية من الاكتفاء الذاتي في عدد من المنتجات الزراعية. كانت تلك

الكلمات الطريق الواضح الذي سار عليه شعب الإمارات بثقة عالية حتى حقق تلك الإنجازات التي شهد بها العالم أجمع، وأصبحت التجربة الزراعية والبيئية في دولة الإمارات نموذجاً يحتذى على الصعيد العالمي، ويَحْظى باهتمام واحترام العالم وتقديره، وبهذا نال ذلك الشعب تلك الحضارة التي وعدهم بها قائدهم زايد.

ولقد تغنى زايد وأنشد في ما حققته دولة الإمارات العربية المتحدة في هذا المجال حتى أصبحت واحدة من الدول الجميلة بزراعاتها، وحدائقها الغناء، وبيئتها العامرة، فقال -رحمه الله- شعراً في حب الوطن وما وصل إليه.

دنيا محلا وطرها ... فيها زهت الانوار
كثر الخير وشجرها ... وتوفرت الاثمار
ياها السعد وغمرها ... من والي الاقدار
عم البر وبحرها ... وفاضت بها الانهار
تتوافد القطرها ... عالم من الزوار
تتفسح في شجرها ... وورودها والازهار
فيها المها مكثرها ... وريومها والامهار
يا سعْد اللي نظَرْها ... وتْجِف به الأسرار
نحمد لذي صورْها ... واوهَب لها الاخيار
وعظمها في قدرْها ... بجاهٍ واعتبار (١٤/١٤)

وينشد في قصيدة أخرى بعنوان «الله عطانا» الأبيات التالية:

الله عطانا خير وَانعَام — والحَمْد له واجب علينا
اللي عطانا إيْمَان والهام — ومن فضله الضافي عطينا
واليوم صارَت جنّة أحلام — تزخَر بفل ويّاسمِينا
قام الوطن ابْتخطيط ونْظام — زان وتزخرف وْبه بهينا
دولة تطوّر عزّ واسلام — وبين الأمم دوله بنينا
والشعب متهَني بلَنْعَام — ومرتاح في هذي السِنينا
وهذي جهود اعْوام واعْوام — ونسعى لمجدٍ له عنينا
شامخ وفيه اترفْ لَعْلام — ونسعى لصلح المِسْلْمِينا
ونَنْبذ لذي واشي ونمّام — ونترك كلام الواشِيينا
الله عطانا خير وَانعَام — والحَمد له واجب علينا

وينشد في بينونة:

يعل نو بانت مّزونه — يسجي الظفرة ويرويها
لين يزخر عشب بينونه — والغدر تسقي سواقيها
والرَمل يعشب ويرعونه — والبدو ترسي مبانيها
ويستجيم الغيث في السونه — شرق والوديان يبريها
والجبل تدفق اركونه — ويملي الجيعان ياريها
والفضي تتنقل ظعونه — لي هموم القلب يجليها
وان عرض يمشي على هونه — بيس بالدنيا وما فيها
هو دعاها النفس ممحونه — والطبيب اللي يشافيها
محترم والناس يحظونه — لي وصوفه نافل فيها
نطقته وإن يات موزونه — من صخاوة نفس يفضيها
والملاحة فيه مكنونه — من لبوب الوَشي يكسيها

وينشد شعراً -رحمه الله- في قصيدة أخرى:

يالسيد اثره العيد عيدين — وثالث اعياد الدار لمطار
والغيث عود بعد سنتين — واتباشروا به الناس والدار
مالت له اغصان البساتين — والزهر يانع والحيا ثار
وانشم بنات الرياحين — والطير غنى فوق الاشجار
حتى الفضي لي كامل الزين — راتع ويلعب بين الازهار
خذ م المهايا جيد وعين — وم الليل ماخذ شعر واقمار
فايق على كل المزايين — له في سويدا خاطري دار
حبه في قلبي عايش سنين — ما يختلف لو صار ما صار

وفيما هو قادم من هذا الفصل سوف نبحر في مثل تلك الكلمات الخالدة التي قالها الشيخ زايد في مسيرة التنمية الزراعية والعمل البيئي، والتي هي في حد ذاتها حِكَم ودروس للكبير والصغير. كما يمكن للقارىء الكريم الإطلاع في ملاحق هذا الكتاب على كلمات كاملة للشيخ زايد قالها في هذا الموضوع في مناسبات مختلفة (ملحق ٦).

١٤-٢ كلمات تاريخية قالها الشيخ زايد في الزراعة والبيئة

أولاً: من أقواله -رحمه الله- في الزراعة

■ وفرنا الماء، وصرفنا المضخات للمزارعين

إننا نبني الآن القرى بجوار المراعي، وننشيء العيادات والمساكن الصحية والمدارس والمضخات فيها، كما أن الحكومة تمنح الأشجار والنخيل والبذور للمزارعين لزراعتها وكذلك الآلات وهي تدر عليهم الرزق الوفير من المحاصيل، التي يعلفون بها مواشيهم والجمال والغنم، فترتفع قيمتها بدلاً من بيعها ضعيفة كما أنهم يبيعون منتجاتهم بدخول لا بأس بها. ولقد وفرنا الماء، وصرفنا المضخات للمزارعين، ونحن لدينا مشروع يهدف إلى أن تتولى الحكومة إدارة هذه المضخات، وتجميع المياه في خزانات، وتنظيم توزيعها وإعطاء الماء بقدر ما تحتاج المزارع مقابل مبلغ رمزي، وذلك بدلاً من أن يتولى أصحاب المزارع إدارة هذه المضخات، وتوفير ثمن الوقود الذي يدفعونه لتشغيلها (حديثه رحمه الله لبعثة التلفزيون البريطاني، ٢٩ ديسمبر ١٩٧١)، (١٥/١٤).

■ على أكتافهم ستقوم صناعتنا وزراعتنا

وأرى إننا سوف ننجح في إقامة مشاريع زراعية وصناعية بالقدر الذي سيتسنى لأبنائنا إدراكه من العلم والمعرفة، فعلى أكتافهم ستقوم صناعتنا وزراعتنا، لكي يصبح العمل في معظم المجالات بأيديهم وعلمهم بدلاً من الاعتماد على خبرات فنية وعلمية من الخارج، وهذا في رأيي هو المصدر الدائم للثروة والذي يمكن أن يدوم أكثر من أي مصدر آخر للثروة (حديثه رحمه الله للتلفزيون الكويتي، ٥ يناير ١٩٧٢)، (١٦/١٤).

■ الاهتمام بأشجار النخيل

ينبغي أيضاً الاهتمام بأشجار النخيل هي الأخرى والعناية بها، لأن نخيل التمر هو أهم أشجار الفاكهة في دولة الإمارات العربية المتحدة (حديثه رحمه الله للمسؤولين في وزارة الزراعة والثروة السمكية عن ضرورة توفير البذور والقروض للمزارعين، ٢٠ أغسطس ١٩٧٣)، (١٧/١٤).

■ اهتمامنا يجب أن ينصب على المَزارع

إن اهتمامنا يجب أن ينصب في المقام الأول على المزارع واحتمالات التوسع في الطلب على الخضراوات والفاكهة مستمرة، ولابد من تحسين كفاءة الإنتاج الزراعي وتحقيق التنمية في هذا القطاع الحيوي من قطاعات الاقتصاد الوطني (حديثه رحمه الله للمسؤولين في وزارة الزراعة والثروة السمكية عن ضرورة توفير البذور والقروض للمزارعين، ٢٠ أغسطس ١٩٧٣)، (١٧/١٤).

■ الإمارات في مقدمة الدول التي تحتاج إلى الزراعة

إن العلم وصل إلى مجالات لم تكن في الحسبان، وتفكير الإنسان في التطور لم يقف عند حد منذ خلق الله الأرض ومن عليها، والزراعة تحتاج إلى عنصرين أساسيين الأرض الصالحة والماء، وبعد ذلك يأتي دور العمل لشق قنوات الري والصرف، وإقامة المنشآت اللازمة وكل ذلك يحتاج إلى خبرة علمية، واعتقد أن الدول العربية لديها الخبرات التي تستطيع القيام بهذه المهمة، واعتقد أن دولة الإمارات العربية المتحدة هي في مقدمة الدول التي تحتاج إلى الزراعة ولذلك فنحن الآن نبحث عن الشركات التي لديها الخبرة لتحلية ماء البحر وتملك المعدات والخبرة لاستصلاح الأراضي القابلة للزراعة، وسنصل إن شاء الله إلى ما نصبو إليه وتحقيق اكتفاء ذاتي في المنتجات الزراعية (حديثه رحمه الله للمسؤولين في وزارة الزراعة والثروة السمكية عن ضرورة توفير البذور والقروض للمزارعين، ٢٠ أغسطس ١٩٧٣)، (١٧/١٤).

■ دراسات.. لتنويع مصادر الدخل

إن دولة الإمارات تحرص على تطوير الزراعة إلى جانب مصادر الدخل الأخرى غير البترول، وهناك دراسات مستفيضة لتنويع مصادر الدخل (حديثه رحمه الله للوفد الإعلامي الجزائري حول مسألة تطوير مصادر الدخل في البلاد، ١٢ إبريل ١٩٧٥)، (١٨/١٤).

■ قلنا لهم دعونا نجرب.. ووفقنا الله

كان الخبراء الذين قدموا إلينا لا يشجعون الزراعة، ويقولون إن نموها في أرضنا ووسط هذا المناخ أمر مستحيل، فقلنا لهم دعونا نجرب، ووفقنا الله، ونجحنا في تحويل منطقتنا الصحراوية إلى منطقة خضراء، مما شجعنا على الاستمرار والسير في هذا المضمار (حديثه رحمه الله للتلفزيون المصري، ٢٥ يونيو ١٩٧٦)، (١٤/١٩).

■ أنا فخور أيضاً بما رأيته اليوم من إقبال المواطنين على الزراعة

إنني مسرور جداً بما شاهدته اليوم في هذا المعرض للمنتجات الزراعية التي تبشر بالخير حيث إن المنتجات المعروضة في معرض هذا العام زادت أضعافا مضاعفة عن الأعوام السابقة وأنا فخور أيضاً بما رأيته اليوم من إقبال المواطنين على الزراعة واهتمامهم بها مما يجعلنا نواصل تشجيع ودعم المزارع بكل الإمكانيات المادية والمعنوية والفنية ليسهل عليه العمل ويزيد من الإنتاج. ونتيجة لمتابعتي الشخصية لكل ما يتعلق بالزراعة وتطويرها وتنميتها، وجدت اليوم أن حجم المنتجات الزراعية للخضروات والمحاصيل الأخرى كالحبوب والنخيل يزيد ضعفين عما كان عليه في العام الماضي. واهتمام المواطن بالزراعة واضح من زيادة الطلبات على المكائن والآلات الزراعية الحديثة التي تقدمها وزارة الزراعة للمزارعين. ونتيجة لاهتمام الحكومة ورعايتها للمزارعين فقد زاد عددهم في الدولة خمسة أضعاف عددهم قبل خمس سنوات، كما أنتجت أنواع جديدة كثيرة ومتعددة كالخضروات والمحاصيل الزراعية وأصبح إنتاجها يبشر بمستقبل زاهر (حديثه رحمه الله عقب افتتاح المعرض الزراعي السنوي الثامن في مدينة العين، ٢٥ مارس ١٩٧٧)، (١٤/٢٠).

■ استفادت بعض الدول المجاورة لنا من خبرتنا في هذا المجال

لقد زرعنا أنواعاً عديدة في الماضي دون تجارب، وكانت زراعة ناجحة في مجال الحمضيات والنخيل وغيرهما في مختلف المجالات، ولا زلنا نسير على هذا الطريق، وقد استفادت بعض الدول المجاورة لنا من خبرتنا في هذا المجال (حديثه رحمه الله لأساتذة الجامعات العالمية المشاركين في المؤتمر الدولي حول النباتات التي تتحمل الملوحة خلال استقباله لهم في ٣٠ ديسمبر ١٩٨٩)، (١٤/٢١).

■ منجزاتنا في مجال الزراعة لا تقتصر علينا وإنما يستفيد منها الآخرون

إن منجزاتنا في مجال البحث في زراعة النباتات شبه المالحة سوف لا تقتصر فائدتها علينا وإنما يمكن أن تعم ويستفيد منها الآخرون. إن النتائج التي تحققت في مجال الزراعة في المياه المالحة مشجعة في أكثر من مجال (حديثه رحمه الله لأساتذة الجامعات العالمية المشاركين في المؤتمر الدولي حول النباتات التي تتحمل الملوحة خلال استقباله لهم في ٣٠ ديسمبر ١٩٨٩)، (١٤/٢١).

■ مصادر غير تقليدية

إننا مطالبون دائماً بالبحث عن مصادر غير تقليدية للمياه لاستخدامها في تنمية الثروة الزراعية في بلادنا، ونحن في هذا الصدد سنوفر للباحثين كل الإمكانيات التي ستساعدهم على تحقيق نتائج إيجابية يمكن الاستفادة منها (حديثه رحمه الله لأساتذة الجامعات العالمية المشاركين في المؤتمر الدولي حول النباتات التي تتحمل الملوحة خلال استقباله لهم في ٣٠ ديسمبر ١٩٨٩)، (١٤/٢١).

■ نصدر إنتاجنا الزراعي إلى الخارج

لقد نجحنا بالإمكانيات التي من الله بها علينا ورأينا أن الثروة يجب استغلالها لصالح الوطن، ربما كان أسلافنا أقدر منا ولكن لم تكن لديهم الإمكانيات التي حبانا بها الله الآن، لذلك فقد حولنا الثروة إلى طرق ومساكن ومزارع، وقبل كل ذلك قمنا ببناء الإنسان وتلبية حاجته وتوفيرها له من كل مكان، فوفرنا له المعيشة والعلم والخدمات الصحية، فالإنسان لا يمكن أن يتعلم بدون توفير الصحة والمعيشة وبعد إن حققنا كل ذلك أصبح طموحنا أكثر وبعد اكتمال بناء الدولة وبناء الإنسان أصبحت الإمارات تصدر الآن إنتاجها

الزراعي للخارج بعد إن كانت تستورد كل شيء، وبعد أن نجحنا بعون الله شجعنا ذلك لان نخطو خطوات أخرى نحو التقدم (حديثه رحمه الله للوفد الإعلامي الإندونيسي في مقر إقامته في طوكيو حول زيارته إلى إندونيسيا، ٨ مايو ١٩٩٠)، (٢٢/١٤).

■ زرعنا الصحراء بنباتات عديدة

لقد زرعنا الصحراء بنباتات عديدة مثل الغاف، والسمر، والسدر، والرمث، والرغل، والقرط وغيرها، وزرعنا البحر بأشجار القرم التي تقاوم الملوحة وجربنا أنواعاً أخرى كثيرة وجدناها لا تنبت في البحر ولذلك نحن نريد المزيد وجلب الكثير من النباتات التي تصلح للنمو في المياه المالحة (حديثه رحمه الله إلى العلماء والمتخصصين الذين شاركوا في المؤتمر الدولي للنباتات التي تتحمل الملوحة في الأراضي القاحلة، ديسمبر ١٩٩٠)، (٢٣/١٤).

■ وأصبحت تجربتنا الزراعية رائدة

إن بعض خبراء الزراعة قالوا لنا في السابق إن أرضنا لا تصلح للزراعة، ونصحونا بعدم المحاولة، ولكننا حاولنا ونجحنا مما شجعنا على الانطلاق وتحقيق المزيد من النجاح وأصبحت تجربتنا الزراعية رائدة، الأمر الذي دفعنا للاستفادة من خبرات الدول الأخرى لاستزراع نباتات وأشجار جديدة تتحمل الملوحة في البيئة المحلية (حديثه رحمه الله إلى العلماء والمتخصصين الذين شاركوا في المؤتمر الدولي للنباتات التي تتحمل الملوحة في الأراضي القاحلة ، ديسمبر ١٩٩٠)، (٢٣/١٤).

■ ولا زلنا طامعين في الأكثر

لقد حققنا تقدماً كبيراً في كل المجالات وخاصة في قطاع الزراعة ولازلنا طامعين في الأكثر، لأن الزراعة هي الأول وهي الآخر، والإنسان لا يستغني عن النبات وكذلك الحيوان الذي يرعى من الأرض وينمو ليستفيد الإنسان من لحمه وألبانه، إذاً فالأصل هو الأرض والنبات للإنسان والحيوان (حديثه رحمه الله إلى العلماء والمتخصصين الذين شاركوا في المؤتمر الدولي للنباتات التي تتحمل الملوحة في الأراضي القاحلة، ديسمبر ١٩٩٠)، (٢٣/١٤).

■ أصبحت لدينا ثروة حيوانية كبيرة

إن هناك ارتباطاً بين تنمية الثروة الحيوانية والاهتمام بالزراعة والتشجير، فبعد أن كان لدينا العشرات من الحيوانات أصبحت لدينا مئات منها، أتينا بها من أفريقيا وآسيا وأوروبا وغيرها، وأصبحت لدينا ثروة حيوانية كبيرة تحتاج إلى غابات وأشجار ونباتات كثيرة لترعى فيها، ولهذا فقد توسعنا في تشجير الصحراء لأنه لا حيوان بلا شجر (حديثه رحمه الله إلى العلماء والمتخصصين الذين شاركوا في المؤتمر الدولي للنباتات التي تتحمل الملوحة في الأراضي القاحلة، ديسمبر ١٩٩٠)، (٢٣/١٤).

■ الأرض المكسوة بالأشجار تسر الخاطر

إننا في دولة الإمارات بدأنا بالسير خطوات في زراعة النباتات التي تتحمل الملوحة في الأراضي القاحلة والتي يستفاد منها كعلف للحيوان وأخشاب للوقود، أن على الإنسان أن ينتفع بما خلق الله على أرضه من نعم سخرها له فالأرض المكسوة بالأشجار تسر الخاطر (حديثه رحمه الله إلى العلماء والمتخصصين الذين شاركوا في المؤتمر الدولي للنباتات التي تتحمل الملوحة في الأراضي القاحلة، ديسمبر ١٩٩٠)، (٢٣/١٤).

■ من زرع حصد

إن بعض الخبراء الزراعيين قالوا لنا قبل عشرين عاماً، أن الأرض في منطقة ليوا لا تصلح إلا لزراعة النخيل فقط، واليوم وبفضل العزيمة والخبرة المحلية في الزراعة استطعنا أن نزرع وننتج ونصدر الخضروات والفواكه من ليوا، ولذلك أقول، من زرع حصد، ونحن في الدولة اليوم نجني ثمار غرسنا بالعلم والمعرفة (حديثه رحمه الله لأبنائه الطلاب الدارسين في بريطانيا وايرلندا أثناء لقائه بهم في بريطانيا في ٢٦ أغسطس ١٩٩٧)، (٢٤/١٤).

■ لدي إيمان بالله العظيم ورغبة في التغيير

كان لدي إيمان بالله العظيم، ورغبة في التغيير، وعزيمة وإصرار على تحدي الصعاب، وسرنا على طريق الصلاح وأداء الواجب تجاه الوطن والمواطن، ووفقنا الله وأصبحنا قادرين على أن نغير الصحراء إلى جنان خضراء، وأن نغير حياة الإنسان ونوفر له

الحياة الكريمة والرفاهية (جانب من حديثه رحمه الله للوفد المغربي خلال استقباله لهم في قصر حزام الغابات في ٢٣ فبراير ١٩٩٩)، (٩/١٤).

■ تمكنا في فترة وجيزة من تحويل الصحراء القاحلة إلى رياض خضراء

لقد تمكنا في فترة وجيزة من تحويل الصحراء القاحلة إلى رياض خضراء ففرسنا في تربتها أكثر من ٤٠ مليون نخلة من بلادنا، وزرعنا أكثر من مائة مليون شجرة حرجية ومثمرة ظللت أغصانها وأوراقها مساحة كبيرة من بلادنا، وقد رافق هذه المعجزة البيئية إقامة العديد من القرى والمدن في أعماق صحرائنا الخضراء (جانب من كلمته رحمه الله التي وجهها إلى المواطنين بمناسبة ذكرى اليوم الوطني التاسع والعشرين، ديسمبر ٢٠٠٠)، (٢٥/١٤).

■ مزارع تنتشر على مدى البصر

لقد تمكنا من تحويل أرض هذا الوطن، التي قيل أنها لا تصلح للزراعة والتنمية، إلى مزارع تنتشر على مدى البصر.. وإلى حدائق وغابات خضراء ومصانع إنتاجية (جانب من كلمته رحمه الله التي وجهها بمناسبة اليوم الوطني الثاني والثلاثين للدولة، ديسمبر ٢٠٠٣)، (٦/١٤).

■ نابع أساساً من تعاليم ديننا الحنيف

إن اهتمامنا بالزراعة وتنمية الأرض هو اهتمام نابع أساساً من تعاليم ديننا الحنيف، ومن إيماننا الراسخ والعميق برسالة البشر الذين استخلفهم الله، جلت قدرته، في الأرض ليعملوا على إعمارها، وإصلاح ما فسد منها. والزراعة في جوهرها، كما نفهمها، هي تحقيق لهذه الرسالة الخالدة، وهي أيضاً جزء من سياستنا الرامية إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي لمواطنينا، ودعم الاقتصاد الوطني، وتنويع مصادر الدخل، وتوفير فرص عمل مناسبة لأبناء الإمارات، وتعزيز مشاركتهم في بناء مجتمعهم ووطنهم (جانب من كلمته رحمه الله في افتتاح أعمال المؤتمر الآسيوي الثاني للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر، يونيو ٢٠٠٣)، (٧/١٤).

■ لم يكن يسيراً على الإطلاق

إن نجاحنا في تنفيذ نهضتنا الزراعية، التي نأمل أن تتاح لكم الفرصة لمشاهدتها عن كثب، لم يكن أمراً يسيراً على الإطلاق، فقد واجهتنا خلالها الكثير من التحديات والمصاعب، كان أهمها ندرة الموارد المائية العذبة، الذي فرض علينا البحث عن حلول بديلة، فلجأنا في مرحلة مبكرة إلى حفر المزيد من الآبار الجوفية من أجل توفير الكميات اللازمة من المياه الصالحة للزراعة، والاهتمام بصيانة وتطوير نظام الأفلاج في عمليات الري، الذي كان أحد الأنظمة التي استخدمها آباؤنا وأجدادنا بنجاح (جانب من كلمته رحمه الله في افتتاح أعمال المؤتمر الآسيوي الثاني للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر، يونيو ٢٠٠٣)، (٧/١٤).

■ إنهما أساس كل شيء

إن الأرض والزراعة هما أساس كل شيء في حياة الإنسان، ومنهما يتحقق الخير بقدر العناية بهما والحفاظ عليهما، وحسب استخدامهما (٢٦/١٤).

■ ما يحتاجه الشعب من غذاء

نحن نستخدم الثروة النفطية لخدمة الإنسان وبناء المدارس والجامعات والمستشفيات والطرق والتشجير وإقامة المزارع والمصانع التي أصبحت تنتج الكثير مما يحتاجه الشعب من غذاء (٢٧/١٤).

■ أعطوني زراعة.. أضمن لكم حضارة

أعطوني زراعة وسوف أضمن لكم حضارة.. اعتادوا أن يقولوا إنه ليس للزراعة أي مستقبل، ولكن وبنعمة الله وبفضل تصميمنا فقد نجحنا في تحويل الصحراء إلى أرض خضراء (٢٨/١٤).

■ انعكست على المواطنين خيراً وبركة

لقد حققنا في المجال الزراعي تطورات هائلة ومنجزات عملاقة انعكست على المواطنين خيراً وبركة، ودعمت أهداف الأمن الاقتصادي والاكتفاء الغذائي (٣/١٤).

ثانياً: من أقواله -رحمه الله- في البيئة

■ حماية البيئة هدفاً رئيسياً لسياستها التنموية

لقد اعتبرت دولة الإمارات منذ البداية حماية البيئة هدفاً رئيسياً لسياستها التنموية، وبذلت جهوداً مكثفة في ظروف بيئية قاسية لمعالجة مشكلة التصحر وزيادة الرقعة الخضراء وتطوير الموارد المائية وتحسين البيئة البحرية وحمايتها من التلوث، والحفاظ على الثروة السمكية والحيوانية والطيور، والإكثار منها باستصدار التشريعات اللازمة لذلك (جانب من الرسالة التي وجهها الشيخ زايد رحمه الله إلى المؤتمر العام للبيئة والتنمية المنعقد في ريو دي جانيرو في البرازيل، يونيو ١٩٩٢) (٢٩/١٤).

■ مسؤولية كل فرد من أبناء المجتمع

إن التهديدات التي تواجهها البيئة من حولنا تتزايد.. وهذه مسؤولية الجميع، مسؤولية كل فرد من أبناء المجتمع، مواطنين ومقيمين (جانب من كلمته رحمه الله في الاحتفال الختامي بيوم البيئة الوطني والتي ألقاها نيابة عنه سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان وزير الإعلام والثقافة في فبراير ١٩٩٨) (٤/١٤).

■ اهتمامنا بحماية البيئة .. ليس وليد الساعة

إن اهتمامنا بحماية البيئة وصون ما فيها من نبات وحيوان ليس وليد الساعة، وإنما هو اهتمام أصيل وراسخ دعونا له ومارسناه وطبقناه قبل أن يبدأ الاهتمام العالمي بسنوات عديدة (جانب من كلمته رحمه الله في الاحتفال الختامي بيوم البيئة الوطني والتي ألقاها نيابة عنه سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان وزير الإعلام والثقافة في فبراير ١٩٩٨) (٤/١٤).

■ ليس من أجل أنفسنا فقط، بل من أجل أبنائنا وأحفادنا

إننا نولي بيئتنا جل اهتمامنا لأنها جزء عضوي من بلادنا وتاريخنا وتراثنا.. لقد عاش آباؤنا وأجدادنا على هذه الأرض وتعايشوا مع بيئتنا في البر والبحر، وأدركوا بالفطرة والحس المرهف، الحاجة للمحافظة عليها، وأن يأخذوا منها قدر احتياجهم فقط، ويتركوا منها ما تجد فيه الأجيال القادمة مصدراً ونبعاً للعطاء. وكما كان أجدادنا، كذلك فنحن الذين نعيش الآن فوق هذه الأرض المباركة، مسؤولون عن الاهتمام ببيئتنا والحياة البرية فيها وحمايتها، ليس من أجل أنفسنا فقط، بل كذلك من أجل أبنائنا وأحفادنا وهذا واجب علينا، حيال أسلافنا وأحفادنا على حد سواء (جانب من كلمته رحمه الله في الاحتفال الختامي بيوم البيئة الوطني والتي ألقاها نيابة عنه سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان وزير الإعلام والثقافة في فبراير ١٩٩٨)، (٤/١٤).

■ دولة الإمارات استطاعت وضع استراتيجية وطنية.. في مجال العمل البيئي

إن دولة الإمارات استطاعت وضع استراتيجية وطنية شاملة تحدد الأهداف والأولويات في مجال العمل البيئي، وأنها مقبلة الآن على مرحلة جديدة تتمثل في إرساء دعائم الإدارة البيئية المستدامة في ضوء أحكام القوانين واللوائح والتشريعات والاتفاقيات الدولية والإقليمية المتعلقة بحماية البيئة ومكافحة التلوث والمحافظة على الموارد الطبيعية التي تصادق عليها الدولة أو تنضم إليها (جانب من كلمته رحمه الله في افتتاح معرض ومؤتمر البيئة والطاقة التي ألقاها نيابة عنه معالي حمد عبد الرحمن المدفع وزير الصحة رئيس مجلس إدارة الهيئة الاتحادية للبيئة في فبراير (٢٠٠٣) (٣٠/١٤).

■ دولة الإمارات استطاعت التعايش مع البيئة الصحراوية

إن دولة الإمارات العربية المتحدة استطاعت التعايش مع البيئة الصحراوية التي تشكل حوالي ثلاثة أرباع مساحتها، والتكيف مع مواردها المحدودة لسنوات طويلة، وإنه بفضل جهود أبناء الإمارات المخلصين، استطاعت الدولة قهر الظروف الصعبة وتحقيق ما اعتبره الخبراء مستحيلاً، فبدأت الرقعة الخضراء تتسع والصحراء تتراجع أمام اللون الأخضر. إن دلالات ذلك واضحة من المساحات الواسعة من الغابات والمزارع والحدائق وملايين الأشجار والنباتات من كل الأنواع، التي باتت تنتشر بصورة متزايدة ومستمرة وسط الأراضي الصحراوية، وتقف اليوم شاهداً على ضخامة الجهد المبذول وعلى عظمة الإنجاز الذي تحقق (جانب من كلمته رحمه الله في افتتاح أعمال المؤتمر الوزاري الآسيوي الثاني للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر والتي ألقاها نيابة عنه معالي حمد عبد الرحمن المدفع وزير الصحة رئيس مجلس إدارة الهيئة الاتحادية للبيئة في يونيو ٢٠٠٣) (٧/١٤).

■ هذه الموارد ليست لنا وحدنا، بل هي أيضاً لأبنائنا وأبناء أبنائنا

لقد عملنا منذ قيام دولتنا على حماية البيئة والحياة البرية وتوفير كل الأنظمة والتشريعات والبرامج والمشاريع، التي جعلت من دولة الإمارات سباقة إلى الاهتمام بالبيئة، ونموذج يحتذى على المستوى العالمي في الاهتمام بالبيئة وحمايتها وحفظها، هذه الإنجازات يجب أن تكون حافزاً لنا جميعاً، وخاصة لشباب الإمارات جيل المستقبل، لمواصلة العناية بالبيئة والمحافظة عليها سليمة ونظيفة، لأننا إذا لم نفعل سندمر الموارد التي حبانا بها الله سبحانه، فهذه الموارد ليست لنا وحدنا، بل هي أيضاً لأبنائنا وأبناء أبنائنا (٣١/١٤).

■ مشاركة فاعلة

إن دولة الإمارات العربية المتحدة انطلاقاً من قناعتها بأهمية التعاون المشترك في كافة المجالات ومنها مجال البيئة تشارك مشاركة فاعلة في معظم المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي تعنى بالبيئة وتقدم كل ما يمكنها من إمكانيات لدعم الجهات الإقليمية والدولية التي تعنى بمختلف عناصر البيئة (٣٢/١٤).

■ سنخسر جميعاً

إن حماية البيئة قضية عالمية وإذا فشلنا في اتخاذ إجراء عاجل فإننا سنخسر جميعاً (٣٣/١٤).

■ بلادنا مضرب الأمثال

لقد عملنا على دعم البيئة وتشجيع المؤسسات والهيئات العلمية والوطنية التي تعنى بقضايا البيئة والحفاظ عليها، وعملنا على تعزيز تعاوننا وجهودنا مع المنظمات الإقليمية والدولية، لهذا كله أصبحت بلادنا مضرب الأمثال في المحافظة على البيئة وقهر الصحراء (٢٨/١٤).

■ نال الإشادة والتقدير من المجتمع الدولي

إن الحفاظ على البيئة مهمة عامة يشارك في أدائها الأفراد والجماعات وعلى مؤسساتنا المختلفة القيام بدورها في تعميق الوعي بالبيئة وقضاياها، ونحمد الله على أن ما أنجزناه في هذا المجال واضح للعيان، فقد نال الإشادة والتقدير من المجتمع الدولي ومؤسساته المعنية بالبيئة والحياة البرية، وصارت تجربتنا في هذا المجال نموذجاً يحتذى به ونحون ماضون في جهودنا في هذا الصدد لنورث ما ورثناه عن آبائنا من بيئة صحية آمنة (٣٤/١٤).

■ جزء عزيز من تراثنا ومن حاضرنا ومستقبلنا

إن البيئة البحرية هي جزء عزيز من تراثنا ومن حاضرنا ومستقبلنا وتمثل إضافة لما ذكرناه قيمة عاطفية كبيرة في وجداننا، ولذلك فقد كان حرصنا شديداً على بذل الجهود لحمايتها وحماية ثرواتها، فوجهنا الجهات المعنية كلاً فيما يخصه بإصدار النظم والقرارات اللازمة للمحافظة عليها، ودعونا لمعاقبة كل من تسول له نفسه الإضرار بها وثرواتها، وأقمنا مجموعة من المشاريع لتنمية البيئة الساحلية وتجميل الشواطئ وتشجيرها لتظل مكاناً مثالياً يتمتع به مرتادو هذه الأماكن (٣٥/١٤).

■ البيئة البحرية.. مستودع غذائنا

اكتسبت البيئة البحرية في دولة الإمارات العربية المتحدة على الدوام أهمية خاصة، فقد كانت ولا تزال مستودع غذائنا الرئيسي، والمصدر الأساسي لتوفير ما ينقصنا من المياه العذبة سواء الصالحة للشرب أو الاستخدامات من أجل الاستمرار في تطوير نهضتنا الزراعية كما كان البحر وسيلة ارتباطنا الرئيسية بالعالم قبل توفر وسائل المواصلات الحديثة ومكاناً هاماً للاستجمام والترفيه (٣٦/١٤).

■ حرصنا على حماية بيئتنا

لقد حرصنا على حماية بيئتنا، وتمكنا من محاربة التصحر، والتغلب على الصعوبات المناخية وقلة الأمطار، وبسط وشاح أخضر في طول البلاد وعرضها (٣٧/١٤).

■ المسؤولية تقع علينا جميعاً

إن المسؤولية تقع علينا جميعاً في تأمين الرعاية للبيئة والعناية بها وتسليمها سالمة من الأضرار للأجيال القادمة (٣٨/١٤).

الملاحق

ملحق ١ - الترتيب الزمني لحكام آل نهيان لإمارة أبوظبي

ملحق ٢ - الأفلاج

ملحق ٣ - القوانين والتشريعات الداعمة للتنمية الزراعية في دولة الإمارات العربية المتحدة

ملحق ٤ - أسماء المواقع وحجم المساحة وعدد الأشجار في مشاريع الغابات بالمنطقة الشرقية

ملحق ٥ - مشاريع التشجير المختلفة التي تشرف عليها الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة

ملحق ٦ - كلمات تاريخية قالها الشيخ زايد في الزراعة والبيئة

ملحق ١ - الترتيب الزمني لحكام آل نهيان لإمارة أبوظبي

■ عيسى بن نهيان	(القرن الثامن عشر ميلادي)
■ ذياب بن عيسى	(القرن الثامن عشر ميلادي)
■ شخبوط بن ذياب	١٧٩٣ - ١٨١٦
■ محمد بن شخبوط	١٨١٦ - ١٨١٨
■ طحنون بن شخبوط	١٨١٨ - ١٨٣٣
■ خليفة بن شخبوط	١٨٣٣ - ١٨٤٥
■ سعيد بن طحنون	١٨٤٥ - ١٨٥٥
■ زايد بن خليفة	١٨٥٥ - ١٩٠٩
■ طحنون بن زايد	١٩٠٩ - ١٩١٢
■ حمدان بن زايد	١٩١٢ - ١٩٢٢
■ سلطان بن زايد	١٩٢٢ - ١٩٢٦
■ صقر بن زايد	١٩٢٦ - ١٩٢٨
■ شخبوط بن سلطان	١٩٢٨ - ١٩٦٦
■ زايد بن سلطان	١٩٦٦ - ٢٠٠٤
■ خليفة بن زايد	٢٠٠٤ - وما زال يحفظه الله

ملحق ٢ - الأفلاج

هي نظام معقد من قنوات مائية تجري تحت الأرض، حفرها سكان مدينة العين من قديم الزمان على أعماق تتراوح بين ٩٠ إلى ٩٥ قدم، من سطح الأرض من خلال آبار رأسية تتصل في العمق عند النبع من خلال ثقوب أفقية تسمى (السل) وتصل الآبار بعضها ببعض تحت سطح الأرض لتبدو مياهها في العمق كنهر صغير داخل قبو صخري يمتد إلى عدة كيلومترات. ومن خلال تلك الأفلاج ابتكر الأجداد نظاماً فريداً في هندسة الري. ولآبار الفلج فتحات تسمى «الثقاب» ومفردها «الثقبة» تفصل بين كل اثنتين منها بضع مئات من الأمتار. و«الثقبة» هي فتحة البئر، وتحاط بالحصى والصاروج (مادة الكلس) كانت تستعمل بدلاً من الإسمنت ويتم إعدادها بإحضار جذوع النخيل وعمل طابوق من الطين ثم يوضع الحصى على جذوع النخيل ويرص فوقها الطابوق الطيني، بحيث يترك به أربع فتحات من كل جانب.

وقد ابتكر نظام الأفلاج بسبب وفرة الماء الجوفي في واحات البريمي (العين حالياً). وتبدأ الأفلاج من «أمهات الفلج»، وهي منبع الفلج وحتى «الشريعة» وهي مكان ظهور الماء من باطن الأرض على سطحها. ويجري الماء على ميلان الأرض، وفي طريق غير مستقيم، بل يلتف مساره ويدور كل مسافة معينة، وتفيد هذه الدورانات حركة المياه لتجعل جريانها معتدلاً، وتعطي الماء قوة في الاندفاع. ويسير الماء حتى يظهر عند الشريعة وسط مزارع النخيل. ويتراوح منسوب ارتفاع الماء عند الشريعة من ١,٥ - ٢ قدم، علما بأن منسوب الماء يزيد عند هطول الأمطار ويظهر ذلك بعد مرور أربعة أشهر منه. ويوجد في العين سبعة أفلاج هي: العيني، والداوودي، والمويجعي، والجيمي، والقطارة، والهيلي، كما يوجد أيضا فلج مزيد، وفلج صاع. وأطول هذه الأفلاج العيني الذي يروي أكبر مساحة من مزارع النخيل، وتوجد أمهاته بالقرب من أم سديرة جنوب مزرعة الشيخ حمدان بن زايد من الغرب، وكان منبعه السابق بمنطقة مراغ، وقد قام الشيخ زايد في عام ١٩٥٢ بعمل ثقاب للشرب (سبيل) تروي الناس والحيوانات عند مرورهم في تلك المناطق (١٣/٢).

تنظيف الأفلاج

كان أهالي العين في الماضي القديم إذا رُدِم الفلج بالرمال فنقص ماؤه أو انقطع تماماً، يتجمع رجال المدينة يحملون في أياديهم «الشيول» وهي قطعة معدنية تسمى باللهجة المحلية «مسحاه» و «جفير» وهي سلة كبيرة تصنع من سعف النخيل وتستعمل كوعاء لوضع الرمل والطين بها (١٣/٢).

الخواضة

وهي عملية الهبوط (النزول) من أمهات الفلج والسير في باطن الأرض وعلى عمق ٩٠ قدم حتى الوصول إلى الشريعة، وذلك لاستكشاف مجرى الفلج ومعرفة أماكن وجود الرمال التي يمكن أن تعيق مجرى الماء. وهي مهمة مجهدة وخطيرة، ولكن المرء يقدم عليها لأنها ترتبط بمصير منطقة وأهلها، فكان كل فرد يقوم بهذه العملية يُزود «بداس»، وذلك لقص عروق النباتات التي يمكن أن تظهر في مجرى الفلج، وعصا لقتل الثعابين والحنشان إذا ما صادفتهم، كما يزود بسراج ليضيء الطريق لأن مجرى الفلج في غاية الظلمة. وبعد انتهاء العملية يتم إخبار المسؤول عن الفلج بأماكن وجود الرمال حتى يتم تنظيفها (١٣/٢).

صيانة الأفلاج

عندما كان الفلج ينسد بفعل امتلائه بالطين أو المخلفات، كان مراقب (عريف) الفلج ينادي الأهالي وأصحاب المزارع للمساعدة، فكانوا يتجمعون بمكان الردم كل بمسحاته وجفيره ويبدأون بالحفر وإزالة المخلفات. ولقد كان مراقبو الفلج يزودون العاملين بالطعام، ومنه التمر واللحم. وبعد استراحة الغداء كانوا يواصلون العمل حتى الغروب، ثم يستأنفون عملهم قبل شروق شمس اليوم التالي، وهم على هذا الحال حتى تمام العمل (١٣/٢).

طي الثقاب

«الثقبة» هي فتحة بئر الفلج، وتطوى الثقاب بالحصى والصاروج. ويتم إعداد الصاروج بعمل طابوق من الطين، ثم إحضار جذوع النخيل ويوضع عليها الحصى ثم يرص فوقها الطابوق الطيني بحيث يترك به أربع فتحات، أي فتحة من كل جانب بمقدار قدم، ثم يوضع بداخله الزور (سعف النخيل)، وتسمى هذه العملية بـ (محرقة صاروج). وفي حالة عدم وجود هبوب (رياح) يتم إشعال النيران من أربع جهات، وبعد مرور أربعة ليالي يتم رشها من الخارج بالماء ويتم تنقية الطين الذي لم يصله النيران وفصله منها، ثم يتم جلب الأخشاب من شجر السمر، ودق الطابوق الطيني المحروق حتى يتم تنعيمه ويخلط مع الحصى، ويسمى الحصى «نوره» والطين يسمى «صاروج»، وبعد أن يتم امتزاج الخليط يصبح أقوى من الاسمنت في الوقت الحالي، ولا يتأثر بالحرارة أو البرودة. ويتم استعمال ذلك الخليط في عمل الثقاب والعوامد (١٣/٢).

ملحق ٣- القوانين والتشريعات الداعمة للتنمية الزراعية في دولة الإمارات العربية المتحدة

أولاً: القوانين الاتحادية

١- قانون اتحادي رقم (٥) لسنة ١٩٧٩ في شأن الحجر الزراعي.

٢- قانون اتحادي رقم (٦) لسنة ١٩٧٩ في شأن الحجر البيطري.

٣- قانون اتحادي رقم (٢) لسنة ١٩٨١م بإنشاء المؤسسة العامة لتسويق الإنتاج الزراعي.

٤- قانون اتحادي رقم (٢١) لسنة ١٩٨١ في شأن إنشاء الهيئة العامة لإدارة موارد المياه في دولة الإمارات العربية المتحدة.

٥- قانون اتحادي رقم(٦)لسنة ١٩٩٢ والخاص بتعديل بعض أحكام القانون الاتحادي رقم ٥ لسنة ١٩٧٩ في شأن الحجر الزراعي.

٦- قانون اتحادي رقم(٧)لسنة ١٩٩٢ بتعديل بعض أحكام القانون الاتحادي رقم(٦)لسنة ١٩٧٩ في شأن الحجر البيطري.

٧- قانون اتحادي رقم (٣٨) لسنة ١٩٩٢ في شأن إنشاء المشاتل وتنظيم إنتاج واستيراد وتداول الشتلات.

٨- قانون اتحادي رقم (٣٩) لسنة ١٩٩٢ في شأن إنتاج واستيراد وتداول الأسمدة والمصلحات الزراعية.

٩- قانون اتحادي رقم (٤١) لسنة ١٩٩٢ في شأن مبيدات الآفات الزراعية.

١٠- قانون اتحادي رقم (٤٢) لسنة ١٩٩٢ بشأن إنتاج واستيراد وتداول البذور والتقاوي.

١١- قانون اتحادي رقم (٢٣) لسنة ١٩٩٩ في شأن استغلال وحماية وتنمية الثروات المائية الحية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

١٢- قانون اتحادي رقم (١٠) لسنة ٢٠٠٢ في شأن مزاولة مهنة الطب البيطري.

١٣- قانون اتحادي رقم (١١) لسنة ٢٠٠٢ بشأن تنظيم ومراقبة الاتجار الدولي بالحيوانات والنباتات المهددة بالانقراض.

ثانياً: اللوائح التنفيذية:

وقد تم إصدار العديد من قرارات مجلس الوزراء المتعلقة بهذا الشأن منها ما يلي:

١- قرار وزاري رقم (٩٧) لسنة ١٩٩٣ باللائحة التنفيذية للقانون الاتحادي رقم (٤١) لسنة ١٩٩٢ في شأن مبيدات الآفات الزراعية.

٢- قرار وزاري رقم (١٠٠) لسنة ١٩٩٣ في شأن اللائحة التنفيذية للقانون الاتحادي رقم (٣٨) لسنة ١٩٩٢م في شأن إنشاء المشاتل وتنظيم إنتاج واستيراد وتداول الشتلات.

٣- قرار وزاري رقم (٥٧٣) لسنة ١٩٩٨ في شأن تعديل القرار الوزاري رقم (٩٨) لسنة ١٩٩٣ الخاص باللائحة التنفيذية للقانون الاتحادي رقم (٣٩) لسنة ١٩٩٢ في شأن إنتاج واستيراد وتداول الأسمدة والمصلحات الزراعية.

٤- قرار وزاري رقم (١١١) لسنة ١٩٩٩ في شأن تعديل القرار الوزاري رقم (٩٩) لسنة ١٩٩٣ الخاص باللائحة التنفيذية للقانون الاتحادي رقم (٤٢) لسنة ١٩٩٢ في شأن إنتاج واستيراد وتداول البذور والتقاوي.

٥- قرار مجلس الوزراء رقم ٧٤٧ لسنة ١٩٩٩ بشأن عدم السماح بتصنيع المبيدات في الدولة بما فيها المناطق الحرة.

٦. قرار وزاري رقم (١١٣) لسنة ٢٠٠٢ بإعادة تشكيل لجنة التراخيص الخاصة بمزاولة الاتجار في الأنشطة الزراعية.

ملحق ٤- أسماء المواقع وحجم المساحة وعدد الأشجار

في مشاريع الغابات بالمنطقة الشرقية، (٦ / ٢١)

م	اسم الموقع	المساحة (هكتار)	عدد الأشجار
١.	سويحان ١	٣٠٠	٦٢٤٨٠
٢.	سويحان ٢	٤٠٠	٨٢٨٦٠
٣.	سويحان ٣	٣٠٠	٦٢٧٥٠
٤.	سويحان ٤	٣٠٠	٦٣٠٠٠
٥.	سيح الملحة	٤٠٠	٨٣٠٠٠
٦.	سيح المشعاب	٤٠٠	٨٣٠٠٠
٧.	غاف الركض الشرقي	٤٠٠	٨٣٠٠٠
٨.	بو هرمه	٢٠٠٣٦٠	٤٣٠٠٠
٩.	الركنه	٢٠٠	٤٣٠٠٠
١٠.	بدع بنت سعود ١	٦٠٠	١٢٠٠٠٠
١١.	بدع بنت سعود ٢	١٠٠	٢٨٠٠٠
١٢.	العشوش	١٢٦٠	٢٥٢٠٠٠
١٣.	وادي الجبيب	٥٠	١٠٠٠٠
١٤.	الشويب	٤٣٦	١٠٦٨٦٧
١٥.	كاشونا	٤٠	٨٩٣٠
١٦.	الهير	٢٠	٤٠٦٩
١٧.	مساكن	١٠	٢٠٦٥
١٨.	وادي الشويب	٣٤٥	٦٩٠٠٠
١٩.	الطويلة	٣٠٠	٦٠٠٠٠
٢٠.	مزرعة الهير االشيخ منصور بن زايد	٥٠٠	١٠٠٠٠٠
٢١.	مزرعة الهير	١٠٩	٢١٨٠٠
٢٢.	الخزنة	٦٣٤	١٤٠٠٠٠
٢٣.	القطار	٧٠٠	١٥٠٠٠٠
٢٤.	ميراميث	٤٠٠	٩٣٥٨٨
٢٥.	بدع الظواهر	٥٩١	١١٨٢٠٠
٢٦.	بو ارطه	٢٢٠٠	٠
٢٧.	غابات رماح	٤١٠	٩٠٠٠٠
٢٨.	الساد غرب	٤١٠	٩٠٧١٥
٢٩.	طويسة جديد	٢٦٧٤٧٠٤	٥٣٤٨٠٠
٣٠.	طويسة قديم	–	–
٣١.	المطار	٤١١	٨٥١٧٥
٣٢.	السلامات	٣٥٠	٨٠٧٢٠
٣٣.	الليسيلي	٠٠٠١٠	١٨٠٠٠٠٠
٣٤.	سيح سلم	٢٥٠٠	٥٠٠٠٠٠
٣٥.	بالحويز	٤٠٠	٨٠٠٠٠

٣٦.	سيح المياه	١٦٢٤٢٦	٣٢٧٥٦١
٣٧.	غابة الساد ١٤٣	٣٥٧	٧١٤٠٠
٣٨.	غابة الساد ١٤٥	١٠٠	٣١٦٧٦
٣٩.	أصلاب	١٣١٤٢١١٣	٢٦٢٨٠٠
٤٠.	الروضة غرب	٢٦٠٠٨٠٠	٥٢٠٠٠٠
٤١.	الروضة شرق	٢٤٠٠٢٢٠٠	٤٨٠٠٠٠
٤٢.	قمره	٢٠٠٠	٤٠٠٠٠٠
٤٣.	هليباد	٢٠	٤٠٠٠
٤٤.	غابة الحدود	٢٠	٤٢٦٩
٤٥.	جبل حفيت	٧٣٠	١٤٦٠٠٠
٤٦.	عراقية ١	٦٠	١٢٠٠٠
٤٧.	عراقية ٢	٤٠	٨٠٠٠
٤٨.	شعاب الغاف والعين الفايضة	٥٣٣	١٠٦٦٢٠
٤٩.	العقير	١٤٤٤	٢٨٨٨٠٠
٥٠.	سيح سحم	٢٠٠	٤٠٠٠٠
٥١.	الزعبة قديم	٣٠٠	٦٠٠٠٠
٥٢.	الزعبة جديد	٣٠٠	٦٠٠٠٠
٥٣.	الغينة	٣٠٠	٦٢٧٢٠
٥٤.	الوقن قديم	١٦٢٢	٣٢٤٠٠
٥٥.	الوقن جديد	–	–
٥٦.	الحمران	٤٠٠	٨٣٣٠٦
٥٧.	القوع	٢٧٠	٥٤٠٠٠
٥٨.	أم العوش	١٩٠	٣٨٠٠٠
٥٩.	أم البنادق	١٣٥٠	٢٧٠٠٠٠
٦٠.	بدع خلفان	٧٧٥,٣	١٥٥٠٠٠
٦١.	الجيتية شرق	٣٠٠	٦١٢٢٤
٦٢.	الجيتية غرب	٤٠٠	٨١٦٠٢
٦٣.	بلحيران قديم	٤٠٠	٨٠٠٠٠
٦٤.	سبخة بليحران	٤٠٠	٨٠٠٠٠
٦٥.	نقاهادفي	٢٠٠	٤٥٣٩٦
٦٦.	سيح نشاش	٦٤٠	١٢٨٠٠٠
٦٧.	المقام	٦٩٠	١٣٨٠٠٠
٦٨.	الروضة ٣	٤٨٥	٩٤٠٠٠
٦٩.	سيح بن عمار	٢٨٥	٥٨٠٠٠
٧٠.	اليعيلة	١١٠٠٣٧٢	٢٢٠٠٠٠
٧١.	خريمة بالحيلوة	٤٠٠	٧٩٨٨٧
٧٢.	بدع حارب	٣٦٠	٧٣٥٠٥
٧٣.	خور بن عطي	١٥٠٠	٣٠٠٠٠٠
٧٤.	قسيورة	٦٠٠٢٦	١٢٠٠٠٠
٧٥.	أم الزمول	٥٠	١٠٠٠٠

٧٦.	بو نخيله	٤٠٠	٨٠٠٠٠
٧٧.	الزروى	٢٠	–
٧٨.	مشتل بدع الظواهر	٩	–
٧٩.	مشتل السلامات	٤	–
٨٠.	مشتل ١٢٣	٢٨	–
٨١.	مزرعة الورسان	١٨٣٠	٣٦٦٠٠٠
	المجموع الإجمالي للمساحة (هتكار) وعدد الأشجار	٦٤,٧٨٨	١٠,٦٨٦,١٨٥

ملحق ٥- مشاريع التشجير المختلفة التي تشرف عليها الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، ٢٠٠٤ (٦/٢٦)

المنطقة	المساحة (هكتار)	غابات (عدد)	فاكهة (عدد)	نخيل (عدد)
جزيرة صير بني ياس	٦,٢٢٠	١,٢٥١,٥٣٠	٧٣,٣٠٧	١٤,٣٠٧
حزام الغابات	٨,٠٧٣	١,٣٤٨,٩٠٢	٥١,٨٦٧	٣٣,١٧٨
روضة الريف وبدع خليفة	٦,٤١٢	١,٢٥٥,٩١٨	٤٥,١٧٥	٢١,٥٦٩
الشليلة	١٥	١,٠٠١	٣,٢٩٦	٢,٧٨٨
العجبان	-	٣٤٣,٣٨٥	١٩,٨٢٦	١٦,٥٤٦
السلمية	١,٨٨٥	٣٠٨,٠٥٢	١,٩١٧	٤١٣
المغيرة	٦٥	١,٦٠٩	٢,٦٤٩	١,٨٧٢
فلل المصفح (١) و (٢)	٥,٤	١٣	٨٠	٤٥٠
قصر البحر	١٠٣	١٩,١٧١	٢,٥٤٨	٢,٦٧٥
قصر الشاطئ	١٩	٤٦٢	٢,٢٦١	٣٦٧
سويحان	٥٣	١,٩٩٨	٣,١٣١	٣,١٨٣
الذيد والخوانيج	-	-	٨٩٣	٣,٧٨٧
شاطئ الراحة	٥,٠٥٠	١١٥,٥٨٩	٩٥٦	٧,٤٢٦
مشتل المنهل	١٤٨	١,٠٥٦	٧,٣٢٣	٦٤٢
مزرعة الخيل	٧,٢	٩٠٢	٥	٣٤٦
القائمة	١٠	٣٧,٥٢٠	٢٣	٢٨
جزيرة دلما	٤٢	٣٦١	٦,٤١٧	١,٧٣٨
المجموع	٢٨,١٠٧	٤,٦٨٧,٤٦٩	٢٢١,٦٧٥	١١٠,٩٦٩

ملحق ٦- كلمات تاريخية قالها الشيخ زايد في الزراعة والبيئة

كلمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله - للعلماء والمختصين الذين شاركوا في المؤتمر العالمي للنباتات التي تتحمل الملوحة في الأراضي القاحلة العين، الإمارات العربية المتحدة، ١٤ ديسمبر ١٩٩٠

لقد حققنا تقدماً كبيراً في كل المجالات وخاصة في قطاع الزراعة، ولا زلنا طامعين في الأكثر، فالإنسان لا يستغني عن النبات وكذلك الحيوان الذي يرعى من الأرض وينمو ليستفيد الإنسان من لحمه وألبانه، إذن فالأصل هو الأرض والنبات للإنسان والحيوان. وأكد صاحب السمو رئيس الدولة على ضرورة الاهتمام بتطوير الأبحاث الخاصة بزراعة النباتات التي تتحمل الملوحة نظراً لندرة المياه العذبة والعمل على جلب الفصائل التي تلائم البيئة المحلية في البلاد لتنميتها والإكثار من زراعتها لتعم الفائدة منها ويجنى ثمارها الوطن والمواطن. إننا في دولة الأمارات بدأنا بالسير خطوات في زراعة النباتات التي تتحمل الملوحة في الأرض القاحلة والتي يستفاد منها كعلف للحيوان وأخشاب للوقود، وأضاف إن على الإنسان أن ينتفع بما خلق الله على أرضه من نعم سخرها له فالأرض المكسوة بالأشجار تسر الخاطر كالإنسان الجميل. وقال صاحب السمو رئيس الدولة، لقد زرعنا الصحراء بنباتات عديدة مثل (الغاف، والسمر، والسلم، والسدر، والرمث، والرغل، والقرط، وغيرها) وزرعنا البحر بأشجار القرم التي تقاوم الملوحة وجربنا أنواعا أخرى كثيرة من النباتات التي تصلح للنمو في المياه المالحة.

إن بعض خبراء الزراعة قالوا لنا في السابق إن أرضنا لا تصلح للزراعة، ونصحونا بعدم المحاولة، ولكننا حاولنا ونجحنا، الأمر الذي شجعنا على الانطلاق وتحقيق المزيد من النجاح وأصبحت تجربتنا الزراعية رائدة، الأمر الذي دفعنا إلى الاستفادة من خبرات الدول الأخرى لاستزراع نباتات وأشجار جديدة تتحمل الملوحة في البيئة المحلية.

هناك ارتباط بين تنمية الثروة الحيوانية والاهتمام بالزراعة والتشجير، فبعد أن كانت لدينا العشرات من الحيوانات أصبحت لدينا المئات منها أتينا بها من أفريقيا وآسيا وأوروبا وغيرها، وأصبحت لدينا ثروة حيوانية كبيرة تحتاج إلى غابات وأشجار ونباتات كثيرة لترعى فيها ولهذا فقد توسعنا في تشجير الصحراء لأنه لا حيوان بلا شجر.

إن التعاون بين البشر رغم اختلاف الأديان والعقائد هو أساس السعادة، والتعاون يجمع بين القريب والبعيد فلا يمكن لإنسان مهما كان أن يعتمد على نفسه فقط فلا بد أن يتبادل البشر النعمة التي وهبهم الله إياها، ومن واجب الإنسان أن يؤمن بهذا المبدأ وعلى البشر أن ينتفعوا بما وهبهم الله من علم ومعرفة وان يتعاون الإنسان مع أخيه ولا يكون طامعاً فيه لأن هذا الطمع لا يرضى الله عز وجل.

إن التعاون بين البشر يؤدي إلى التراحم الذي حث عليه الخالق سبحانه وتعالى فالإنسان يجب أن يكون رحيماً على أخيه الإنسان وعلى الحيوان وعلى النبات فالله عز وجل يرحم من يرحم، وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه (صحيفة الاتحاد، ١٥ ديسمبر ١٩٩٠، م٤، ص١٦٨).

كلمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - رحمه الله- في مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية (قمة الأرض)، ريو دي جانيرو، البرازيل، ٨ يونيو ١٩٩٢

يسرنا بمناسبة انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية التاريخي أن نعبر عن أملنا أن يحقق هذا المؤتمر النتائج المرجوة من انعقاده لمواجهة الأخطار التي تهدد الأرض ومستقبل الأجيال القادمة بسبب التلوث المتزايد للبيئة.

إن اشتراك مائة وثمانين دولة في هذا المؤتمر يؤكد إدراك شعوب العالم قاطبة للمخاطر الجسيمة البيئية والتنموية التي تواجهها الإنسانية والحياة الطبيعية على الأرض وتعوق إقامة علاقة سليمة بين الإنسان والأرض التي يعيش عليها، وأن من شأن هذا المخاطر الحد من الجهود الدولية والإقليمية الضرورية لمواجهة الفقر والتخلف وتحقيق الرفاهية للمجتمعات البشرية وخاصة دول العالم الثالث.

لقد ارتفع عدد سكان العالم خلال العشرين عاماً الماضية إلى أكثر من خمسة مليارات نسمة في حين انكمشت الرقعة الزراعية بفعل التصحر وغيره من العوامل وفقد العالم خلال نصف قرن ٢٦ مليار طن من التربة الخصبة.. ولذلك يأتي انعقاد هذا المؤتمر لمواجهة هذا الخطر في جهد دولي جماعي. ومن جانبنا فقد نجحت دولة الإمارات على الرغم من كونها دولة حديثة في قطع خطوات واسعة لحماية البيئة ومكافحة التلوث وقهر الصحراء حتى أصبحت دولة الإمارات القدوة والنموذج للدول التي تحدت الطبيعة القاسية للصحراء وحافظت على البيئة ونقائها وتنميتها مما جعل العلاقة بين الأرض والإنسان علاقة عطاء متبادل.

لقد اعتبرت دولة الإمارات منذ البداية حماية البيئة هدفاً رئيسياً لسياستها التنموية وبذلت جهوداً مكثفة في ظروف بيئية قاسية لمعالجة مشكلة التصحر وزيادة الرقعة الخضراء وتطوير موارد المياه وتحسين البيئة البحرية وحمايتها من التلوث والحفاظ على الثروة السمكية والحيوانية والطيور والإكثار منها باستصدار التشريعات اللازمة لذلك. لقد أعطت الإمارات العربية أولوية كبرى للحفاظ على البيئة والحياة البرية وفي الوقت نفسه تنامي الإدراك بأن قضايا البيئة ذات أبعاد عالمية وليست محلية فقط.

وعندما قامت دولة الإمارات قبل عشرين عاما كانت الزراعة مقصورة على بعض الواحات والقرى الجبلية أما الآن فإن تربة الصحراء تنتج ١١٤ نوعاً من النباتات المختلفة من بينها زراعة ١٨ مليون شجرة نخيل وزراعة وتشجير ١٤٠ ألف هكتار في المنطقة الغربية و ٦٠ ألف هكتار من المنطقة الشرقية تحتوي كلها على أكثر من ٨٠ مليون شجرة منتشرة حتى تخوم الربع الخالي المعروف بأنه الأكثر جفافاً في العالم وأقساها مناخاً. ولم يكن هذا الإنجاز بالأمر السهل بل أنه تطلب إرادة صلبة وإصراراً على تحدي الطبيعة القاسية ولقد أدى انتشار الرقعة الخضراء إلى تزايد أنواع الطيور التي تبقى فيها للتكاثر ويعني ذلك تغيير أنماط استمرت قائمة آلاف السنين لهجرة الطيور، حتى إن ٦٠ نوعاً من هذه الطيور تقيم حالياً في المنطقة.

وإننا مع ذلك نتطلع إلى الاستفادة من الخبرات الفنية الدولية لتحسين وتطوير وتكملة ما حققته الدولة من منجزات في هذا المجال الذي نعتبره ركيزة أساسية لتقدم ورفاهية شعبنا.

وإننا إذ نتمنى لهذا المؤتمر التاريخي التوفيق والنجاح ونعتبره انطلاقة هامة نحو نظام عالمي جديد يسوده التقدم والنماء والرخاء، نأمل أن يتحقق ذلك الهدف في إطار من الأمن والاستقرار الضروريين لتقدم الشعوب وتعاونها لأنه بدون تسوية المشاكل الإقليمية للقضاء على بؤر الخطر في العالم وبدون مساعدة الدول النامية في هذا المنعطف الهام من التحرك العالمي للمشاركة بفعالية في تنفيذ الأهداف والبرامج البيئية والتنموية التي سيتم اعتمادها سيبقى مصير المجتمع البشري على هذا الكوكب معرضاً للخطر (صحيفة الاتحاد، ١٩ يونيو ١٩٩٢، م١، ص٤٧٥-٤٧٦).

كلمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله-
في احتفال الدولة بيوم البيئة الوطني الأول
في الرابع من شهر فبراير ١٩٩٨

أيها الإخوة والأخوات: هذا اليوم هو بحق محطة هامة في تاريخ مسيرتنا الحضارية.. فحين نحتفل بيوم البيئة الوطني الأول في دولة الإمارات العربية المتحدة، فإننا نتوج بذلك سجلاً حافلاً من الإنجازات، تمكنا من تحقيقها على هذا الصعيد.. كما أننا نحتفل لنؤكد من جديد التزامنا بمواصلة جهودنا الآن وفي المستقبل إن شاء الله، من أجل المحافظة على البيئة في بلادنا الحبيبة.

إن اهتمامنا بحماية البيئة وصون ما فيها من نبات وحيوان، ليس وليد الساعة، وإنما هو اهتمام أصيل راسخ، دعونا له ومارسناه وطبقناه قبل أن يبدأ الاهتمام العالمي به بسنوات عديدة.

إننا نولي بيئتنا جُل اهتمامنا لأنها جزء عضوي من بلادنا وتاريخنا وتراثنا.. لقد عاش آباؤنا وأجدادنا على هذه الأرض، وتعايشوا مع بيئتها في البر والبحر، وأدركوا بالفطرة وبالحس المرهف الحاجة للمحافظة عليها، وان يأخذوا منها قدر احتياجهم فقط، ويتركوا فيها.. ما تجد فيه الأجيال القادمة مصدراً للخير ونبعاً للعطاء. وكما أجدادنا.. كذلك نحن الذين نعيش الآن فوق هذه الأرض المباركة، إننا مسؤولون عن الاهتمام ببيئتنا والحياة البرية فيها وحمايتها، ليس من أجل أنفسنا فقط، بل كذلك من أجل أبنائنا وأحفادنا.. هذا واجب علينا، واجب الوفاء لأسلافنا وأحفادنا على حد سواء. لقد حبانا الله ببيئة جميلة بديعة التكوين.. فهل هناك أجمل وأبهى من قطيع من المها العربية وهي تركض في البراري.. وهل رأيتم نظرات تجسد كل معاني الإباء والعزة كما ترونها في عيون الصقور!

كان تسلمنا شهادة الباندا الذهبية من الصندوق العالمي للمحافظة على الطبيعة والتي تُمنح لأول مرة لرئيس دولة، تعبيراً رمزياً عن الاعتراف بما حققناه في دولتنا الحبيبة، قيادة ومؤسسات وأفراداً في سبيل الحفاظ على البيئة والحياة البرية.

من هنا، فإننا ونحن نحتفل باليوم الوطني الأول للبيئة، نؤكد أن المحافظة على البيئة، ليست، ويجب ألا تكون، مسؤولية الحكومة وحدها، إنها مسألة تعني المجتمع وتمس جميع أفراده.. الحكومة من جهتها ستكثف جهودها من أجل صيانة البيئة وحمايتها، ولكننا نشدد مرة أخرى على أن هذا الأمر يجب أن يتحول إلى التزام وطني عام وشامل، يقوم فيه أبناء البلاد أفراداً وجماعات تطوعية بواجبهم ومسؤولياتهم.

إننا نتطلع إلى المزيد من تثقيف أجيالنا الجديدة في المدارس والمعاهد والجامعات لقضايا البيئة ووسائل حمايتها والمحافظة عليها، ليس فقط لأنهم قادة الغد بل لأن من الواجب الإسهام في هذا الجهد الوطني العام.

ويحق لنا أن نفخر بأننا حققنا الكثير في دولة الإمارات، لقد كان لقرارنا قبل عشرين عاماً بحظر صيد الغزلان وسائر الحيوانات، الأثر الكبير فيما نراه من عودة الحياة لهذه الثروة الهامة من حياتنا البرية، لقد ساهمنا في حماية المها العربي من الانقراض، ووفرنا حين زرعنا ملايين الأشجار ونشرنا الرقعة الخضراء في أرجاء واسعة من بلادنا الحبيبة، بيئة مناسبة للطيور وحيوانات كانت تعيش هنا منذ آلاف السنين، ولملايين الطيور المهاجرة.. ورغم كل ما عملناه فما زال أمامنا الكثير.. إن التهديدات التي تواجهها البيئة من حولنا تتزايد.. وهذه مسؤولية الجميع، مسؤولية كل فرد من أبناء المجتمع، مواطنين ومقيمين، لقد ثبت من التجربة إن المسؤوليات في المحافظة على البيئة ليس مسؤولية الهيئات العلمية والمختصين فقط.. حين سألنا الخبراء قبل ثلاثة عقود عن إمكانيات الزراعة في بلادنا قالوا لنا هذا مستحيل.. أنتم تعرفون ماذا حصل بفضل الله وبالتصميم والإرادة أثبتنا أن ذلك ممكن، بل وممكن جداً.

ليكن هذا اليوم معلماً بارزاً في تاريخنا، وحافزاً لأبناء الوطن، لمواصلة ما بدأناه من جهود جبارة لحماية البيئة والمحافظة عليها كما حافظت عليها آباؤهم وأجدادهم، لأن التفريط بها تفريط بجزء أساسي من مقومات حياتنا وتراثنا (صحيفة الاتحاد، ٩ فبراير ١٩٩٨، ع١، ص٣٨٣-٣٨٤).

كلمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله-
في افتتاح أعمال مؤتمر ومعرض البيئة ٢٠٠٣،
أبوظبي، ٢ -٦ فبراير ٢٠٠٣

ضيوفنا الأكارم.. السادة والسيدات الحضور.. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

يسرنا أن نرحب بكم في دولة الإمارات العربية المتحدة وفي الدورة الثانية لهذا الملتقى العالمي، الذي درجنا على تنظيمه كل عامين، متزامناً مع احتفالاتنا السنوية بيوم البيئة الوطني السادس، نخصصه في هذه الدورة لقضايا البيئة والطاقة لمناقشة الدراسات وتبادل الخبرات، والتعريف بالتقنيات التي تساعد على تحقيق مفهوم التنمية المستدامة، فشعوبنا متعطشة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لتلحق بركب التقدم العالمي، وهي في الوقت نفسه صاحبة تراث عريق وتقاليد راسخة، وإيمان متجدد بضرورة المحافظة على نقاء الطبيعة وسلامتها، وحسن إدارة وتنمية الموارد وتوخي الحكمة في استغلالها.

حين دعونا أيها السادة والسيدات في فترة مبكرة إلى تنمية البيئة والمحافظة على الطبيعة، لم يكن في خاطرنا استباق الدعوات التي انبثقت حديثاً لحماية البيئة، ومكافحة التلوث، ولم نكن ننظر إلى ما سيجده هذا التوجه من ترحيب وتقدير العالم أجمع، وإنما كنا ننطلق من قناعات راسخة من ديننا الحنيف وتراثنا العربي الأصيل، ومما تعلمناه من بيئتنا المحلية التي ساهمت في تقوية ارتباطنا بالبيئة، وسهلت استيعابنا لتعاليم ديننا الحنيف الذي يدعونا للتوازن البيئي، وساعدتنا على الالتزام بتوجيهات أجدادنا وتجربتهم في التحسب للمستقبل بأن يتركوا ورائهم إرثاً غنياً تمثل في بيئة صحية وموارد غنية نأخذ منها قدر حاجتنا ونورثها للأجيال التي تأتي بعدنا.

لقد أصبحت التنمية المستدامة في الإمارات شغل الجميع من أجهزة حكومية ومؤسسات وشركات خاصة وأفراد، وقد ساعدت هذه المشاركة الواسعة على انتشار الوعي العام بأهمية توازن البيئة والتنمية، وساهمت في تركيز عمل المؤسسات المعنية في الدولة على وضع الإستراتيجيات طويلة المدى، وترتيب الإحتياجات والأولويات والحفاظ على المكاسب وتحقيق المزيد من الإنجازات.

فعلى صعيد السياسات العامة وجهنا بضرورة تنسيق العمل بين المؤسسات، والتخطيط المشترك للمشاريع، وحشد الإمكانيات وحسن الاستفادة منها، وتبادل المعلومات والخبرات والعمل معاً بروح وطنية خالصة. وعملنا على التنسيق مع إخوتنا في الخليج والعالم العربي، وفي مختلف أنحاء العالم من منطلق وحدة المصير وتداخل الاهتمامات والقضايا، وتدعيم أواصر التعاون الإنساني من أجل معالجة القضايا العالمية الشائكة وإيجاد المعادلة المناسبة لتحقيق التنمية المستدامة ومعالجة المعضلات التي تؤثر سلباً على سلامة الإنسان وصحته وتضر بسعادة البشرية جمعاء.

لقد تعزز التزام دولة الإمارات العربية المتحدة بحماية البيئة وتنميتها من خلال تبني مبادئ التنمية المستدامة، وإدخال الاعتبارات البيئية في التخطيط للتنمية، والمشاركة في الجهود العالمية للمنظمات الإقليمية والدولية، ودعم المبادرات الوطنية وجهود المنظمات الأهلية وتطوير وتنفيذ الاتفاقيات والمعاهدات والمواثيق الدولية.

وقد استطعنا بفضل الله تشجير مساحات واسعة من الصحراء وتنمية وعي المواطنين واهتمامهم بالزراعة وتمسكهم بالأرض، وأقمنا البرامج للمحافظة على الأنواع النادرة من الحيوانات والطيور المهددة بالانقراض، بالإضافة إلى سن القوانين التي تحظر صيد الحيوانات والطيور البرية وإقامة المحميات الطبيعية. ووجهنا بالالتزام الحاسم بالاتفاقية الدولية التي تنظم التجارة الدولية في الحيوانات والنباتات البرية وأصدرنا تشريعاً وطنياً شاملاً ووضعنا آليات فعالة لتنفيذ الاتفاقية. وقد رحبت دولة الإمارات بالمنظمات العالمية الناشطة في مجال حماية البيئة مثل الصندوق العالمي والإتحاد العالمي لصون الطبيعة وفتحنا لها المجال واسعاً للعمل في الدولة.

كما أولينا البيئة البحرية وتنميتها أهمية خاصة لما تمثله من إرث حضاري وللحفاظ على مواردها الهامة لإنسان الإمارات، ومن أجل ذلك أقمنا مشاريع تنمية البيئة والموارد البحرية وأصدرنا قانوناً

شاملاً لتنظيم استغلال وحماية وتنمية الثروات المائية الحية.

لقد حرصت دولة الإمارات العربية المتحدة على دعم الهيئات والمؤسسات البيئية التي انتظمت البلاد، وعملت على تفعيل وتنظيم العمل البيئي منذ بداية تسعينات القرن المنصرم. وقد تكللت جهودنا بإصدار القانون الاتحادي لحماية البيئة وتنميتها ، الذي يهدف إلى حماية البيئة والحفاظ على نوعيتها ومكافحة التلوث بأشكاله المختلفة، وتنمية الموارد الطبيعية والحفاظ على التنوع الحيوي، وتجنب الآثار السلبية لخطط وبرامج التنمية التي قد تضر بالبيئة، أو تعيق الاستخدام المستدام للبيئات والموارد، وحماية البلاد من التأثير الضار للأنشطة التي تتم خارج البلاد.

وقد استطاعت الدولة وضع إستراتيجية بيئية وطنية وخطة عمل بيئية شاملة، عززتها بإستراتيجيات فرعية ومحلية تحدد الأهداف ومجالات العمل والأولويات. وتقبل الإمارات الآن على مرحلة جديدة تتمثل في إرساء دعائم الإدارة البيئية المستدامة في ضوء أحكام القوانين واللوائح والتشريعات والاتفاقيات الدولية والإقليمية المتعلقة بحماية البيئة ومكافحة التلوث والمحافظة على الموارد الطبيعية التي تصادق عليها الدولة أو تنضم إليها.

أيها السادة والسيدات:

لقد أثبتت تجربتنا أن مد يد الصداقة إلى الأمم والشعوب والاحترام المتبادل، والإسهام بأي قدر كان في درء المخاطر وتقديم العون، والتعبير عن الآمال والطموحات المشتركة ، هو النهج الذي يعبر أصدق التعبير عن الآمال والطموحات المشتركة، هو النهج الذي يعبر أصدق التعبير عن توجهاتنا وتاريخنا وتراثنا القائم على التعاون والغوث وتبادل المصالح وحب الخير للجميع.

ومن هذه المنطلقات تلتقون اليوم لتفكروا معاً في عناصر الترابط الوثيق بين البيئة والطاقة ولتشخصوا التحديات التي تواجه مجتمعاتنا في القطاعين، ولتساهموا في وضع إستراتيجية تستوعب تطلعاتكم إلى التنمية المستديمة، وحسن استغلال وتجديد وتنمية الموارد من نفط وغاز ومصادر الطاقة الأقل تلويثاً، لمصلحة الإنسان ورخاء الشعوب ونقاء البيئة.

ونرى أن من واجبنا كدولة منتجة للنفط، أن نعمل جاهدين لكي نحافظ على بيئة نظيفة، من خلال الحد من عوامل التلوث أثناء العمليات المختلفة للصناعات البترولية، وتحسين مواصفات منتجات الطاقة لتصبح أكثر صداقة للبيئة، والاجتهاد في سد كل الثغرات التي تنفذ منها مختلف الذرائع لفرض سياسات تمييزية ضد النفط والغاز من خلال فرض ضرائب على مشتقاته، والإضرار بالتالي بالدول المنتجة له، وإعاقة مسيرة التنمية فيها، في حين تدعم بعض الدول مصادر طاقة أخرى أكثر تلويثاً وأعظم خطراً على البيئة.

أيها السادة والسيدات:

انطلاقاً من التزام الإمارات العربية المتحدة بالمحافظة على البيئة والعمل على إيجاد حلول لمشكلات الطاقة، يأتي انعقاد هذا المؤتمر وما يصاحبه من فعاليات لإتاحة الفرصة لحوار جاد حول هذين الموضوعين المترابطين (صحيفة الاتحاد، ٣ فبراير ٢٠٠٣، ع٢، ص٣).

كلمة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله-
في افتتاح المؤتمر الوزاري الآسيوي الثاني
للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر،
أبوظبي، ١٠ يونيو ٢٠٠٣

إن اهتمامنا بالزراعة وتنمية الأرض هو اهتمام نابع أساساً من تعاليم ديننا الحنيف، ومن إيماننا الراسخ والعميق برسالة البشر الذين استخلفهم الله، جلت قدرته، في الأرض ليعملوا على إعمارها، وإصلاح ما فسد منها. والزراعة في جوهرها، كما نفهمها، هي تحقيق لهذه الرسالة الخالدة، وهو أيضاً جزء من سياستنا الرامية إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي لمواطنينا، ودعم الاقتصاد الوطني، وتنويع مصادر الدخل، وتوفير فرص عمل مناسبة لأبناء الإمارات، وتعزيز مشاركتهم في بناء مجتمعهم ووطنهم، إضافة إلى أن هذا الاهتمام يمثل جزءً هاماً من التزامنا بجهود مكافحة التصحر وحماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، التي نادينا بها قبل سنوات طويلة باعتبارها الحل، ليس للمشكلات البيئية فحسب، بل وللمشكلات الاجتماعية والاقتصادية العديدة التي برزت في العقود الأخيرة.

أن نجاحنا في تنفيذ نهضتنا الزراعية، التي نأمل أن تتاح لكم الفرصة لمشاهدتها عن كثب، لم يكن أمراً يسيراً على الإطلاق ، فقد واجهتنا خلالها الكثير من التحديات والمصاعب، كان أهمها ندرة الموارد المائية العذبة، الذي فرض علينا البحث عن حلول بديلة ، فلجأنا في مرحلة مبكرة إلى حفر المزيد من الآبار الجوفية من أجل توفير الكميات اللازمة من المياه الصالحة للزراعة، والاهتمام بصيانة وتطوير نظام الأفلاج في عمليات الري، الذي كان أحد الأنظمة التي استخدمها آباؤنا وأجدادنا بنجاح.

ومع انتشار الرقعة الزراعية في مرحلة تالية، والحاجة إلى مزيد من المياه، قمنا باستخدام المياه المحلاة وإنشاء السدود، واستخدام مياه الصرف الصحي المعالجة، وكان ذلك يتم في إطار توجيهاتنا بضرورة العمل على ترشيد استخدام المياه والحد من هدرها، من خلال التوسع في استخدام أساليب الري الحديثة التي تغطي الآن معظم الأراضي الزراعية في الدولة.

والتحدي الآخر الذي واجهنا تَمَثَّل في عدم ملاءمة التربة الصحراوية للزارعة، فوجهنا الجهات المعنية في الدولة لبذل أقصى طاقاتها من أجل استصلاح مساحات واسعة منها. وبالفعل استطعنا في سنوات قليلة استصلاح مئات الآلاف من الهكتارات، استخدم بعضها في إنشاء الغابات، وتم توزيع البعض الآخر على المواطنين لزراعتها والاهتمام بها، بعد أن وفرت لهم الدولة كل وسائل الدعم الممكنة.

أن ما يدعونا للفخر والاعتزاز أن دولة الإمارات العربية المتحدة استطاعت تحقيق نجاحات بارزة وباهرة في إعادة الخضرة إلى المناطق الصحراوية، ولم يقتصر نجاحنا على زراعة تلك المساحات الواسعة من الصحراء، بل تعداه إلى توطيد علاقة مجتمع الإمارات بالزراعة، واستطعنا من خلال تكثيف حملات التوعية والإرشاد والتدريب والدعم المستمر واللامحدود، توطيد علاقة العطاء المتبادلة القائمة بين الأرض والمواطن، الذي صار أكثر حرصاً على حيازة الأراضي الزراعية وإدارتها وتطويرها، مع حرصنا البالغ على عدم المساس أو التأثير على خصائص وعادات وتقاليد المجتمع، التي كانت وستظل موضع فخرنا واعتزازنا.

أيها الحضور الكرام

لقد أدركت دولة الإمارات العربية المتحدة منذ البداية العلاقة الوطيدة بين البيئة والتنمية، ولهذا فقد كانت حريصة إلى ابعد الحدود على أخذ الاعتبارات البيئية في الحسبان في عملية تخطيط وتنفيذ نهضتها التنموية الشاملة، وحرصت كذلك على أخذ نفس الاعتبارات في تخطيط وتنفيذ النهضة الزراعية، وشمل ذلك إصدار العديد من النظم والتشريعات الرامية إلى المحافظة على التربة وحماية النباتات والأشجار والأراضي الزراعية والتنوع البيولوجي، كما شمل أيضاً الإدارة المتكاملة لموارد المياه، وتنظيم استخدام المخصبات الكيماوية والمبيدات الحشرية الضارة، والاستخدام الواسع للتقنيات والأساليب الحديثة في الزراعة والري، جنباً إلى جنب مع الاهتمام بالممارسات التقليدية المكتسبة من الآباء

٢٧/١ تقرير لامب المعتمد البريطاني في أبوظبي إلى السير ستيوارت كروفورد (البحرين)، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي، تقييم، الوكالة السياسية البريطانية، (رقم ٣ سري) أبوظبي،٥ نوفمبر ١٩٦٦.

٢٨/١ الوثيقة الأولى، وثائق الإمارات ١٩٦٦، فقرات من تقرير دي. ال. فينلاي - مقر المقيم البريطاني بالبحرين، التأثيرات المحتملة لتولي الشيخ زايد بن سلطان السلطة في أبوظبي، ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

٢٩/١ سالم مسلم بن حم العامري، رحلتي مع زايد: حديث الذاكرة، شركة كنكورد للدعاية والإعلان- ط١، أبوظبي، ١٩٩٩.

٣٠/١ أحمد سلطان السلامي، مقابلة شخصية، العين، ٢٠٠٦.

٣١/١ ويلفريد ثيسيجر، الرمال العربية، موتيفيت للنشر، لندن، ١٩٩١.

٣٢/١ بكماستر دار الاعتماد السياسي، مختارات من أهم الوثائق البريطانية، مجلد ٣، ص٢٩٤، أبوظبي، ٣ سبتمبر ١٩٥٨.

٣٣/١ فاطمة سهيل محمد المهيري، زايد من العين إلى أبوظبي: مسيرة صنعت التاريخ، مجلة تراث، العدد ٤٥، ص١٦-٢٤، أغسطس ٢٠٠٢.

٣٤/١ الوثيقة الأولى، وثائق الإمارات ١٩٦٦، فقرات من تقرير دي. ال. فينلاي- مقر المقيم البريطاني بالبحرين، التأثيرات المحتملة لتولي الشيخ زايد بن سلطان السلطة في أبوظبي، ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

٣٥/١ وثيقة رقم ٢٤، سري، تقييم للشيخ زايد، حاكم أبوظبي الجديد من السير ستيوارت كراوفورد إلى السير براون مقر المقيم السياسي البريطاني، البحرين ١٤ نوفمبر ١٩٦٦.

٣٦/١ الهيئة الاتحادية للبيئة، زايد بطل الأرض، ص٥٦، بروموستار للنشر والإعلان، أبوظبي، ٢٠٠٦.

٣٧/١ مجدي شعت، مقابلة أجراها معه أحمد هاشم، صحيفة الاتحاد، ١٣ نوفمبر ٢٠٠٤.

٣٨/١ صحيفة الاتحاد، ١٠ فبراير ١٩٧٦، م٣، ص١٥٢، ١٥٤.

٣٩/١ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص١٩٩، أبوظبي، ٢٠٠٣.

٤٠/١ راشد عبدالله، زايد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد، أبوظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠١.

٤١/١ نشرة الرصد، ١٨ أبريل ١٩٧٧، م٢، ص٥٧.

٤٢/١ محمد فارس الفارس، زايد في الوثائق البريطانية، صحيفة الخليج، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٢ مارس ٢٠٠٥.

٤٣/١ محمد فارس الفارس، زايد في الوثائق البريطانية، صحيفة الخليج، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٥ مارس ٢٠٠٥.

٤٤/١ محمد فارس الفارس، زايد في الوثائق البريطانية، صحيفة الخليج، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٦ فبراير ٢٠٠٥.

٤٥/١ سورة آل عمران، آية ١٠٣.

٤٦/١ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢٦، أبوظبي، ٢٠٠٣.

٤٧/١ مسلم، المسند الصحيح، ١٦٥٢.

٤٨/١ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٣٠، أبوظبي، ٢٠٠٣.

٤٩/١ نشرة الرصد، تصريح صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لدى زيارته إلى دولة قطر حول الاتحاد، ١٨ أبريل ١٩٧٧، م٢، ص٥٦.

٥٠/١ جمعية إحياء التراث الشعبي، زايد المجد والعطاء، حديث سمو رئيس الدولة إلى تلفزيون دولة الكويت، ٥ يناير ١٩٧٢، جزء٢، ص٢٨٠.

٥١/١ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٣٧، أبوظبي، ٢٠٠٣.

٥٢/١ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٣٨، أبوظبي، ٢٠٠٣.

٥٣/١ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٣٣، أبوظبي، ٢٠٠٣.
٥٤/١ صحيفة الاتحاد، من حديث صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة إلى العمل التونسية، ٧ يونيو ١٩٧٢، م٣، ص٦٧.
٥٥/١ صحيفة الاتحاد، الحديث الصحفي الذي أجرته صحيفة الجزيرة السعودية مع صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة، ٦ أكتوبر ١٩٧٤، م٣، ص١١٦.
٥٦/١ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص١٤٠، أبوظبي، ٢٠٠٣.
٧٥/١ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص١٤٥، أبوظبي، ٢٠٠٣.

الفصل الثاني - عبقرية زايد الزراعية في العين

١/٢ سور البقرة، آية ٧٤.
٢/٢ أحمد بن محمود، مقابلة أجراها معه حمدي نصر، مجلة تراث، العدد ٦٩، دولة الإمارات العربية المتحدة، أغسطس ٢٠٠٤.
٣/٢ فاطمة سهيل محمد المهيري، زايد من العين إلى أبوظبي: مسيرة صنعت التاريخ، مجلة تراث، العدد ٤٥، ص٢٤١٦، أغسطس ٢٠٠٢.
٤/٢ مجلة الرجل اليوم، حارسا الأفلاج، العدد ١٢، ص١٦٣-١٦٨، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١ يونيو ٢٠٠٥.
٥/٢ مجلة العين، العدد ٥٣، دولة الإمارات العربية المتحدة، ديسمبر ١٩٩٣.
٦/٢ محمد فارس الفارس، زايد في الوثائق البريطانية، صحيفة الخليج، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٥ مارس ٢٠٠٥.
٧/٢ محمد فارس الفارس، زايد في الوثائق البريطانية، صحيفة الخليج، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢ أبريل ٢٠٠٥.
٨/٢ تقرير من أي. ار. رانوب، دار الاعتماد السياسي، أبوظبي، ١١.
٩/٢ محمد حسن العيدروس، الأفلاج في مدينة العين، دار المتنبي للطباعة، أبوظبي، ١٩٩٢.
١٠/٢ (ROE) 1958-1959, Archive Editions 1992, to D.F.Hawle, 3 September 1958. Records of the Emirates PRO: FO 371/132556, Letter from M.S. Buckmaster.
١١/٢ (ROE) 1959-1960, Archive Editions 1992, 148916/E. Henderson to A.T. Lamb, 27 March 1960. RO: FO 371.
١٢/٢ هندرسون، تقرير حول تطوير العين على يد الشيخ زايد، من دار المعتمد البريطاني في أبوظبي/٣/٠٦٩١، ٣٧، مختارات من أهم الوثائق البريطانية، مجلد ٣، ص٣٠٤.
١٣/٢ سلطان بن أحمد الكويتي، مقابلة شخصية أجرتها معه مجلة العين، العدد ٦٩، ص ٦٨-٧٣، العين، ديسمبر ٢٠٠١.
١٤/٢ الألباني، صحيح الجامع، ٦٧/١٣.
١٥/٢ البخاري، الجامع الصحيح، ٢٣/٥٤.
١٦/٢ سورة الأنبياء، آية ٣٠.
١٧/٢ مختارات من أهم الوثائق البريطانية، مجلد ٣، ص٢٩٢.
١٨/٢ مانع سعيد العتيبة، اقتصاديات أبوظبي قديما وحديثا، مطابع التجارة والصناعة، بيروت، ١٩٧٣.
١٩/٢ العين قصيدة في ذاكرة الوطن، ص٤٤.
٢٠/٢ Gertrude Dyck, The Oasis, 56

الفصل الثالث-كيف بدأ زايد المسيرة الخضراء؟

١/٣ صحيفة الاتحاد، ١٠ فبراير ١٩٧٦، م٣، ص١٥٢، ١٥٤

٢/٣ محمد بن سالم الظاهري، مقابلة غير منشورة أجرتها معه فاطمة سهيل محمد المهيري.

٣/٣ أحمد بن محمود، مقابلة أجراها معه حمدي نصر، العدد ٦٩، مجلة تراث، أغسطس ٢٠٠٤.

٤/٣ العين قصيدة في ذاكرة الوطن، ص٤٤.

٥/٣ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص١٩٩، أبوظبي، ٢٠٠٣،

٦/٣ الألباني، غاية المرام، ٤٥٤.

٧/٣ دائرة الزراعة والثروة الحيوانية بالعين، الزراعة في أبوظبي، العين، ١٩٧٠.

٨/٣ بلدية أبوظبي، منجزات ربع قرن، أبوظبي، ١٩٩٠.

٩/٣ محمد فارس الفارس، زايد في الوثائق البريطانية، صحيفة الخليج، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٢ مارس ٢٠٠٥.

١٠/٣ مجلة المرشد، العدد ٢٦، دولة الإمارات العربية المتحدة، ديسمبر ٢٠٠٤.

١١/٣ صحيفة الاتحاد، ٢٦ يونيو ١٩٧٦، م٣، ص١٦٨.

١٢/٣ مختارات من أهم الوثائق البريطانية، مجلد ٣، ص٢٩.

١٣/٣ مركز الوثائق والبحوث- ديوان رئيس الدولة، يوميات زايد، الجزء الأول، ص٢٢، أبوظبي، ٢٠٠٣.

١٤/٣ مركز الوثائق والبحوث - ديوان رئيس الدولة، يوميات زايد، الجزء الأول، ص٤٣، أبوظبي، ٢٠٠٣.

١٥/٣ مركز الوثائق والبحوث - ديوان رئيس الدولة، يوميات زايد، الجزء الأول، ص٦٢، أبوظبي، ٢٠٠٣.

١٦/٣ مركز الوثائق والبحوث - ديوان رئيس الدولة، يوميات زايد، الجزء الأول، ص٨٣، أبوظبي، ٢٠٠٣.

١٧/٣ صحيفة الاتحاد، تصريح صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة عقب افتتاحه المعرض الزراعي السنوي الثامن في مدينة العين، ٢٦ مارس ١٩٧٧، م٢، ص٥٦

١٨/٣ محمد سعيد الرقباني، مقابلة شخصية، دبي، ١٦ أبريل ٢٠٠٥.

١٩/٣ سلطان هلال بن دري القبيسي، مقابلة شخصية، أبوظبي، ٤ سبتمبر ٢٠٠٦.

٢٠/٣ راشد محمد بن حرمش المنصوري، مقابلة شخصية، جزيرة صير بني ياس، أبوظبي، ٢٤ مايو ٢٠٠٥.

٢١/٣ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص١٤٦، أبوظبي، ٢٠٠٣.

٢٢/٣ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص١٤٠، أبوظبي، ٢٠٠٣.

٢٣/٣ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢١٣، أبوظبي، ٢٠٠٣

٢٤/٣ خلفان مطر الرميثي، مقابلة أجراها معه تلفزيون الإمارات، ٢٠٠٥.

٢٥/٣ فاطمة سهيل محمد المهيري، زايد من العين إلى أبوظبي: مسيرة صنعت التاريخ، مجلة تراث، العدد ٤٥، ص٢٤١٦، أغسطس ٢٠٠٢.

٢٦/٣ البخاري، الجامع الصحيح، ٢٥٥٤.

٢٧/٣ مجلة ليوا، العدد ٣، دولة الإمارات العربية المتحدة، مارس ٢٠٠٤.

٢٨/٣ الهيئة الاتحادية للبيئة، زايد بطل الأرض، ص٥٠، بروموستار للنشر والإعلان، أبوظبي، ٢٠٠٦.

٢٩/٣ عبدالله الجبلي، وكالة أنباء الإمارات (وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٦ يناير ٢٠٠١.

٣٠/٣ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢٠٨، أبوظبي، ٢٠٠٣

٣١/٣ وزارة الإعلام والثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ٢٠٠٤، ص١٨.

الفصل الرابع - رؤية زايد

١/٤ العين قصيدة في ذاكرة الوطن، ص٤٤
٢/٤ نشرة الرصد، ٥ مارس ١٩٧٣، م٢، ص٢٢.
٣/٤ صحيفة الاتحاد، ١٣ أبريل ١٩٧٥، م٣، ص١٣٤.
٤/٤ صحيفة الاتحاد، ٢٦ يونيو ١٩٧٦، م٣، ص١٦٨.
٥/٤ صحيفة الاتحاد، ٢٤ فبراير ١٩٩٩، ص٩.
٦/٤ مركز زايد للتنسيق والمتابعة، أرضنا الخضراء، ص١٦، أبوظبي، ٢٠٠٣.
٧/٤ صحيفة الاتحاد، ٢١ أغسطس ١٩٧٣، م٤، ص٢٠.
٨/٤ مجدي شعت، مقابلة أجرتها معه مجلة المرشد، العدد ٢٦، أبوظبي، ديسمبر ٢٠٠٤.
٩/٤ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص١٨٩، أبوظبي، ٢٠٠٣.
١٠/٤ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص١٣٩، أبوظبي، ٢٠٠٣.

الفصل الخامس - مظاهر التنمية الزراعية

١/٥ الألباني، ضعيف الجامع، رقم ٥٩/٨٨.
٢/٥ وزارة الإعلام والثقافة، زايد ومسيرة الخير في الصحافة العربية والعالمية، ص١٥٧-١٥٩، أبوظبي، ١٩٩١.
٣/٥ مجلة شؤون بحثية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، المجلد ٦، العدد ١، ص٨٦، العين، أبريل ٢٠٠٥.
٤/٥ الألباني، صحيح الجامع،١٤٢٤ .
٥/٥ مسلم، المسند الصحيح، ١٥/٥٣.
٦/٥ مسلم، المسند الصحيح، ١٥/٥٢.
٧/٥ دائرة الزراعة والثروة الحيوانية بالعين، النشرة الإحصائية السنوية، ٢٠٠٤٢٠٠٣، ص٤، العين، ٢٠٠٤.
٨/٥ وزارة البيئة والمياه، إحصاءات ٢٠٠٤، دولة الإمارات العربية المتحدة.
٩/٥ دائرة الزراعة والثروة الحيوانية بالعين، مسيرة التطور الزراعي، ص١١٩، العين، ١٩٨٧.
١٠/٥ صلاح بركات، مجلة تراث، العدد ٦٩، ص٥٨، دولة الإمارات العربية المتحدة، أغسطس ٢٠٠٤.
١١/٥ منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)، موقع المنظمة على شبكة الإنترنت، قاعدة بيانات الإنتاج، ٢٠٠٤.
١٢/٥ جمعية أصدقاء النخلة، لائحة النظام الأساسي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣.
١٣/٥ وزارة الإعلام والثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ٢٠٠٥.
١٤/٥ سمير الشاكر، المدير الفني الأسبق لمصنع الإمارات للتمور بالساد، شركة الفوعة لتنمية قطاع النخيل، مقابلة شخصية، العين، أغسطس ٢٠٠٦.
١٥/٥ دائرة البلديات والزراعة، زراعة العين، إحصاءات ٢٠٠٤، العين.

الفصل السادس - مظاهر التنمية البيئية

١/٦ سالم مسري الظاهري، رئيس الهيئة الاتحادية للبيئة، مجلة ليوا، العدد ٣، دولة الإمارات العربية المتحدة، مارس ٢٠٠٤.

٢/٦ زايد بن سلطان آل نهيان، رياضة الصيد بالصقور ؟ من تراثنا العربي، ص ١١، أبوظبي ١٣٩٦-١٩٧٦م.

٣/٦ مجلة ليوا، العدد ٣، دولة الإمارات العربية المتحدة، مارس ٢٠٠٤.

٤/٦ محمد أحمد البواردي، صحيفة الاتحاد، البيئة، ص٧، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٤.

٥/٦ هيئة البيئة - أبوظبي، نشرة صحفية: شركة توتال تمدد تمويلها لمشروع دراسة ومراقبة أبقار البحر الذي تنفذه هيئة البيئة في أبوظبي، أبوظبي، ٢٩ يناير ٢٠٠٧.

٦/٦ عبدالله بن راشد المعلا، الغابات والحراج بدولة الإمارات، غرس زايد، العدد ١٥، ص٣٢٠، دولة الإمارات العربية المتحدة، أبريل ٢٠٠٦.

٧/٦ أحمد سيد، تحذير من تزايد مساحة الأراضي المتصحرة في الوطن العربي، صحيفة البيان، الاقتصادي ٢، العدد ٩٨٦٩، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٧ مايو ٢٠٠٦.

٨/٦ وزارة الإعلام والثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ٢٠٠٥.

٩/٦ عبدالله الجبلي، وكالة أنباء الإمارات (وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٨ أبريل ٢٠٠٥.

١٠/٦ وزارة الإعلام والثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ٢٠٠٣، ص٢١٧.

١١/٦ مارك جريفيتس، صحيفة التايمز، المملكة المتحدة، ٢٢ مايو ٢٠٠٤.

١٢/٦ مجلة الزعيم، العدد ١٥، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٥ نوفمبر ٢٠٠٤.

١٣/٦ هيئة البيئة - أبوظبي، لمحة عن مسيرة هيئة البيئة - أبوظبي، أبوظبي، ٢٠٠٦.

١٤/٦ مجلة العين، الحدائق في مدينة العين، العدد ٥٣، دائرة بلدية العين، العين، ديسمبر ١٩٩٣.

١٥/٦ مركز الوثائق والبحوث - ديوان رئيس الدولة، يوميات زايد، الجزء الأول، ص٣٤، أبوظبي، ٢٠٠٣.

١٦/٦ صحيفة أخبار العرب، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٢.

١٧/٦ الهيئة الاتحادية للبيئة، زايد بطل الأرض، ص٤٤، بروموستار للنشر والإعلان، أبوظبي، ٢٠٠٦.

١٨/٦ محسن البوشي، تقرير حول فعاليات مسابقة أمم في أزدهار، صحيفة البيان، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٣ فبراير ١٩٩٩.

١٩/٦ أحمد هاشم، صحيفة الاتحاد، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠ يونيو ٢٠٠٢.

٢٠/٦ دائرة بلدية أبوظبي وتخطيط المدن، إنجازات على طريق المسيرة، أبوظبي.

٢١/٦ دائرة الغابات بالعين، إحصاءات ٢٠٠٤، العين.

٢٢/٦ مجدي الكساب، صحيفة الاتحاد، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢ يوليو ٢٠٠٤.

٢٣/٦ بلدية أبوظبي، منجزات ربع قرن، أبوظبي، ١٩٩٠.

٢٤/٦ مجلة العاصمة، دائرة البلديات والزراعة، بلدية أبوظبي، العدد ٩٢، أبوظبي، يناير ٢٠٠٤.

٢٥/٦ بلدية أبوظبي، آفاق الزراعة والتشجير في إمارة أبوظبي.

٢٦/٦ الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، تقرير عن مشاريع الدائرة الخاصة، أبوظبي، ٢٠٠٤.

٢٧/٦ الأمانة العامة للبلديات، مسيرة الزراعة والتشجير بمدن الدولة، مارس ٢٠٠٥.

٢٨/٦ صحيفة الخليج، العدد ٩٦٨٥، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٥.

الفصل السابع - عبقرية زايد في جزيرة صير بني ياس

١/٧ وكالة أنباء الإمارات (وام)، محمية صير بني ياس تجذب الانتباه، ٢ سبتمبر ٢٠٠٢.

٢/٧ مارك جريفيتس، التايمز، المملكة المتحدة، ٢٢ مايو ٢٠٠٤.

٣/٧ وكالة أنباء الإمارات(وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٨ يوليو ٢٠٠٣.

٤/٧ وكالة أنباء الإمارات(وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٩ نوفمبر ٢٠٠٢.

٥/٧ هيئة أبحاث البيئة والحياة الفطرية، صير بني ياس مأوى الطبيعة، دولة الإمارات العربية المتحدة.

٦/٧ بيتر فاين، كنوز الطبيعة: صير بني ياس، ترايدنت برس المحدودة، المملكة المتحدة، ١٩٨٨.

٧/٧ فاطمة سهيل محمد المهيري، مجلة ليوا، العدد ٣، دولة الإمارات العربية المتحدة، مارس ٢٠٠٤.

٨/٧ الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة، تقرير عن مشاريع الدائرة الخاصة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.

٩/٧ وزارة البيئة والمياه، دليل الإمارات الزراعي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

الفصل الثامن- المحافظة على الموروث الزراعي

١/٨ مجلة الرجل اليوم، حارسا الأفلاج، العدد ١٢، ص ١٦٨١٦٣، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١ يونيو ٢٠٠٥.

٢/٨ وكالة أنباء الإمارات(وام)، صحيفة الخليج، العدد ٩٦٨٧، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٥.

٣/٨ مجلة المرشد، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٦ نوفمبر ٢٠٠٥.

٤/٨ فاطمة سهيل محمد المهيري، زايد من العين إلى أبوظبي: مسيرة صنعت التاريخ، مجلة تراث، العدد ٤٥، ص ١٦-٢٤، أغسطس ٢٠٠٢.

٥/٨ بلدية العين، أفلاج العين وواحاتها، العين، ٢٠٠٤.

الفصل التاسع - المبزرة الخضراء

١/٩ بلال خميس بن مبارك الدرمكي، مقابلة غير منشورة أجراها معه عمار السنجري، مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٤ أكتوبر ٢٠٠١.

٢/٩ عزا الكعبي، مبزرة الخضراء واحة الشفاء والجمال، صحيفة الخليج، العدد ٩٨٦٠، ١٨ مايو ٢٠٠٦.

٣/٩ مركز الوثائق والبحوث- ديوان رئيس الدولة، يوميات زايد، الجزء الرابع، ص١٥١، أبوظبي، ٢٠٠٣.

٤/٩ بلدية العين، بيان إحصائي عن منطقة مبزرة الخضراء، العين، ٢٠٠٦.

٥/٩ مجلة العين، العدد ٧٣، العين، مايو ٢٠٠٤.

٦/٩ خلفان بن مطر الرميثي، مقابلة أجراها معه تلفزيون الإمارات، ٢٠٠٤.

الفصل العاشر - عبقرية زايد في مأرب

١/١٠ عبد الحي محمد، صحيفة الاتحاد، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٢.

٢/١٠ وكالة أنباء الإمارات(وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٢ اكتوبر١٩٩٩.

٣/١٠ وكالة أنباء الإمارات (وام)، إسلام أباد، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٨ أبريل ٢٠٠٤.

٤/١٠ وكالة أنباء الإمارات(وام)، أرشيف الأخبار الواردة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٧ يوليو ٢٠٠٢.

٥/١٠ مجلة المرأة اليوم، العدد ١٩٢، ص ١٥٩-١٦٢، دولة الإمارات العربية المتحدة، نوفمبر ٢٠٠٤.

٦/١٠ الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة وولي العهد بالعين، زايد الخير فارس العرب، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٩.

٧/١٠ وكالة أنباء الإمارات(وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٣ أبريل ١٩٩٩.

٨/١٠ وكالة أنباء الإمارات(وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٧ أبريل ٢٠٠٤.

٩/١٠ طاهر حزام، بناء سد مأرب استعادة حضارية، مجلة المرأة اليوم، ص٥٦٥٠، عدد خاص عن الشيخ زايد (فارس العرب) بمناسبة عيد الجلوس ٣٨، أبوظبي، ٢٠٠٤.

١٠/١٠ وكالة أنباء الإمارات (وام)، افتتاح حديقة الشيخ زايد الصحراوية في هامبورج، صحيفة الخليج، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٢ يونيو ٢٠٠٥.

١١/١٠ وكالة أنباء الإمارات(وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٤ مايو ٢٠٠٥.

١٢/١٠ جمعة اللامي، زايد: حلم مأرب، أبوظبي: ديوان الرئاسة، ١٩٩٤.

١٣/١٠ سورة الشعراء، آية ١٢٨-١٢٩.

١٤/١٠ سورة الفجر، آية ٨٦.

١٥/١٠ سورة الفجر، آية ٩.

١٦/١٠ لمحة تاريخية عن اليمن، المزود الرئيسي لخدمة الإنترنت في اليمن، htt://www.y.net.ye/arabicynet/yemen/hbackground01.htm

١٧/١٠ سورة سبأ، آية ١٥.

١٨/١٠ سورة النمل، آية ٢٢-٢٣.

١٩/١٠ سورة النمل، آية ٣٠-٣١.

٢٠/١٠ سورة النمل، آية ٣٢.

٢١/١٠ عبدالله علي الكميم، هذا هو تاريخ اليمن.

٢٢/١٠ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٦٢٦ هـ.

٢٣/١٠ جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام.

٢٤/١٠ سورة سبأ، آية ١٨.

٢٥/١٠ سورة سبأ، آية ١٦.

٢٦/١٠ وزارة الإعلام والثقافة، زايد ومسيرة الخير في الصحافة العربية والعالمية، ص٢٥٦-٢٦٠، أبوظبي، ١٩٩١.

٢٧/١٠ نشرة الرصد، تصريح صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة إلى إذاعة صنعاء، ٣٠ مارس ١٩٧٢، م٢، ص١٨.

٢٨/١٠ صحيفة الاتحاد، البيان الصحفي الذي أدلى به صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة لدى وصوله إلى صنعاء للمشاركة في احتفالات الشعب اليمني بافتتاح سد مأرب، ٢١ ديسمبر ١٩٨٦، م١، ص٤٤٤.

٢٩/١٠ صحيفة الاتحاد، تصريح صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة أثناء حفل افتتاح سد مأرب في اليمن الذي أعيد بناؤه على نفقة سموه الخاصة، ٢٢ ديسمبر ١٩٨٦، م٢، ص٨٦.

٣٠/١٠ وكالة أنباء الإمارات (وام)، سد مأرب يزيد المساحة الزراعية وتنوع المحاصيل في اليمن، صحيفة الاتحاد، العدد ١١٥٦٧، ٧ مارس ٢٠٠٧.

٣١/١٠ صحيفة الاتحاد، تصريح صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة، بمناسبة افتتاح سد مأرب في الجمهورية العربية اليمنية الذي أعيد بناؤه على نفقة سموه الخاصة، ٢٠ ديسمبر ١٩٨٦، م٢، ص٨٥-٨٦.

الفصل الحادي عشر - صور أخرى من العبقرية

١/١١ راشد محمد بن حرمش المنصوري، مقابلة شخصية، جزيرة صير بني ياس، أبوظبي، مايو ٢٠٠٥.

٢/١١ علي بن سالم الكعبي، مقابلة شخصية، أبوظبي، ١٣ يونيو ٢٠٠٦.

٣/١١ علي بن عزيز بن مكتوم الشريفي، مقابلة شخصية، العين، ٢٠٠٥.

٤/١١ سلطان هلال بن دري القبيسي، مقابلة شخصية، أبوظبي، ٤ سبتمبر ٢٠٠٦.

٥/١١ خميس هاشم عبدالله بن بدوة الدرمكي، مقابلة شخصية، العين، ١٠ سبتمبر ٢٠٠٦.

٦/١١ صحيفة الاتحاد، ١٥ ديسمبر ١٩٩٠، م٤، ص١٦٧.

٧/١١ البخاري، الجامع الصحيح، ٦٠/١٣.

٨/١١ الألباني، صحيح الترغيب، ٢٢/٥٦.

٩/١١ ناصر سيف خميس الذهلي، مقابلة شخصية، العين، ٢٠٠٥.

١٠/١١ عبد الله عبد الجليل الفهيم، صحيفة الخليج، العدد ٩٣١١، ١٥ نوفمبر ٢٠٠٤.

١١/١١ خلفان بن مطر الرميثي، مقابلة أجراها معه تلفزيون الإمارات، ٢٠٠٤.

١٢/١١ ناجي سالم، مقابلة شخصية، جزيرة صير بني ياس، أبوظبي، مايو ٢٠٠٥.

١٣/١١ الألباني، ضعيف الجامع، ٥٩/٨٨.

١٤/١١ محمد الخالدي، المصور الخاص للشيخ زايد، مقابلة شخصية، أبوظبي، ٢٠٠٥.

١٥/١١ سورة الكهف، آية ٣٢.

١٦/١١ سعيد سالم الهاملي، مقابلة شخصية، العين، ٢٠٠٥.

١٧/١١ عباس الطرابيلي، مجلة تراث، العدد ٧٣، ص٦٧-٧١، دولة الإمارات العربية المتحدة، ديسمبر ٢٠٠٤.

١٨/١١ محمد سعيد الرقباني، مقابلة شخصية، دبي، ١٦ أبريل ٢٠٠٥.

١٩/١١ محمد عيادة الهاملي، مقابلة شخصية، العين، ٢٠٠٤.

٢٠/١١ مسلم عبيد بالخالص العامري، مقابلة شخصية، العين، ٤ سبتمبر ٢٠٠٦.

٢١/١١ مجدي شعت، مقابلة أجرتها معه مجلة المرشد، العدد ٢٦، أبوظبي، ديسمبر ٢٠٠٤.

٢٢/١١ محمد عبد المحسن، مقابلة شخصية، العين، ٢٠٠٦.

الفصل الثاني عشر - تحديات واجهها زايد

١/١٢ صحيفة الاتحاد، ١١ يونيو ٢٠٠٣، ع١، ص٨.

٢/١٢ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢٢٠ أبوظبي، ٢٠٠٣.

٣/١٢ جامعة الإمارات العربية المتحدة، الأطلس الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٣.

٤/١٢ وزارة البيئة والمياه، دليل الإمارات الزراعي، دولة الإمارات العربية المتحدة.

٥/١٢ وزارة البيئة والمياه، إحصاءات ٢٠٠٤، دولة الإمارات العربية المتحدة.

٦/١٢ وزارة البيئة والمياه، الأعمال التي يقوم بها قسم التربة والمياه، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥.

٧/١٢ جمعية إحياء التراث الشعبي، زايد المجد والعطاء، جزء٢، ص٩٧.

٨/١٢ وزارة الطاقة، معلومات عن محطات تحلية المياه، دولة الإمارات العربية المتحدة، مايو ٢٠٠٦.

٩/١٢ بلدية أبوظبي وتخطيط المدن، الإنجازات البيئية ٢٥ عاما من العطاء، أبوظبي، ١٩٩٩.

١٠/١٢ بلدية أبوظبي، منجزات ربع قرن، أبوظبي، ١٩٩٠.

١١/١٢ المرتسم الوطني لإدارة الصرف الصحي بدولة الإمارات العربية المتحدة، الأمانة العامة للبلديات، أبوظبي، ٢٠٠٦.

١٢/١٢ صحيفة الاتحاد، ١٢ ديسمبر ١٩٨٩، م٤، ص١٥٣-١٥٤.

١٣/١٢ وزارة البيئة والمياه، سدود دولة الإمارات، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦.

١٤/١٢ وزارة الإعلام والثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ٢٠٠٥.

١٥/١٢ محمد صقر الأصم الزعابي، الوكيل المساعد لشؤون المياه والتربة، وزارة البيئة والمياه، مقابلة شخصية، دبي، ٢٠٠٦.

١٦/١٢ زايد رجل البيئة، زايد رجل البيئة، أبوظبي، ٢٠٠١.

١٧/١٢ مركز زايد للتنسيق والمتابعة، أرضنا الخضراء، ص١٤، أبوظبي، ٢٠٠٣

١٨/١٢ صحيفة الاتحاد، ١١ يونيو ٢٠٠٣، ع١، ص٨.

الفصل الثالث عشر - تقدير عالمي

١/١٣ وزارة الإعلام والثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ٢٠٠٥.

٢/١٣ مجلة شؤون بحثية، المجلد ٦، العدد ١، ص٨٦، جامعة الإمارات العربية المتحدة، أبريل ٢٠٠٥.

٣/١٣ عبدالله الجبلي، وكالة أنباء الإمارات(وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٦ يناير ٢٠٠١.

٤/١٣ وزارة الإعلام والثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ٢٠٠٥.

٥/١٣ مارك جريفيتس، التايمز، المملكة المتحدة، ٢٢ مايو ٢٠٠٤.

٦/١٣ وكالة أنباء الإمارات(وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٠ يونيو٢٠٠٣.

٧/١٣ وكالة أنباء الإمارات(وام)، دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢١ ابريل ٢٠٠٥.

الفصل الرابع عشر - زايد يتحدث عن تجربة دولة الإمارات

١/١٤ صحيفة الاتحاد، ٢٠ سبتمبر ١٩٨٨، م٣، ص٢٥١.

٢/١٤ وزارة الإعلام والثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ٢٠٠٥.

٣/١٤ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢٠٧، أبوظبي، ٢٠٠٢.

٤/١٤ صحيفة الاتحاد، ٩ فبراير ١٩٩٨، ع١، ص٣٨٣-٣٨٤.

٥/١٤ صحيفة الاتحاد، ٢ ديسمبر ٢٠٠١.

٦/١٤ صحيفة الاتحاد، ٢ ديسمبر ٢٠٠٣، ع١، ص٤.

٧/١٤ صحيفة الاتحاد، ١١ يونيو ٢٠٠٣، ص٨.

٨/١٤ الترمذي، سنن الترمذي، ٣٢/٤٤.

٩/١٤ صحيفة الاتحاد، ٢٤ فبراير ١٩٩٩، ع١، ص٩.

١٠/١٤ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٨٩، أبوظبي، ٢٠٠٣.

١١/١٤ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢١٥، أبوظبي، ٢٠٠٣.

١٢/١٤ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢١٤، أبوظبي، ٢٠٠٣.
١٣/١٤ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢٢٣، أبوظبي، ٢٠٠٣.
١٤/١٤ لؤلؤة للشعب- من أشعار صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان- شرح وتعليق الكندي مصبح الكندي، دولة الإمارات العربية المتحدة.
١٥/١٤ صحيفة الإتحاد، ٣٠ ديسمبر ١٩٧١، م٣، ص٦٠-٦١.
١٦/١٤ صحيفة الاتحاد، ٦ يناير ١٩٧٢، م٣ ص٦٢.
١٧/١٤ صحيفة الاتحاد، ٢١ أغسطس ١٩٧٣، م٤، ص٢٠.
١٨/١٤ صحيفة الاتحاد، ١٣ أبريل ١٩٧٥، م٣، ص١٣٤.
١٩/١٤ صحيفة الاتحاد، ٢٦ يونيو ١٩٧٦، م٣، ص١٦٨.
٢٠/١٤ صحيفة الاتحاد، ٢٦ مارس ١٩٧٧، م٢، ص٥٦.
٢١/١٤ صحيفة الاتحاد، ٣١ ديسمبر ١٩٨٩، م٤، ص ١٥٣-١٥٤.
٢٢/١٤ صحيفة الاتحاد ١٩ مايو ١٩٩٠، م٢، ص٢٠٨-٢٠٩.
٢٣/١٤ صحيفة الإتحاد، ١٥ ديسمبر ١٩٩٠، م٤، ص١٦٧.
٢٤/١٤ صحيفة الإتحاد، ٢٧ أغسطس ١٩٩٧.
٢٥/١٤ صحيفة الاتحاد، ٢ ديسمبر ٢٠٠٠، م١، ص٤٠٧.
٢٦/١٤ مركز زايد للتنسيق والمتابعة، أرضنا الخضراء، ص١٦، أبوظبي، ٢٠٠٣.
٢٧/١٤ زايد رجل البيئة، ص٩٤، أبوظبي، ٢٠٠١.
٢٨/١٤ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢٠٦، أبوظبي، ٢٠٠٣.
٢٩/١٤ صحيفة الاتحاد، ١٩ يونيو ١٩٩٢، م١، ص٤٧٥-٤٧٦.
٣٠/١٤ صحيفة الاتحاد، ٣ فبراير ٢٠٠٣، ع٢، ص٣.
٣١/١٤ وزارة الإعلام والثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ٢٠٠٤، ص١٨.
٣٢/١٤ زايد رجل البيئة، ص١٤، أبوظبي، ٢٠٠١.
٣٣/١٤ زايد رجل البيئة، ص١٦٢، أبوظبي، ٢٠٠١.
٣٤/١٤ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢١٠، أبوظبي، ٢٠٠٣.
٣٥/١٤ الهيئة الاتحادية للبيئة، الدرب الأخضر، ص٩٤، دولة الإمارات العربية المتحدة.
٣٦/١٤ زايد رجل البيئة، ص٦٠، أبوظبي، ٢٠٠١.
٣٧/١٤ عبدالله راشد أحمد المر الكعبي، الكلام العجب من حكيم العرب: زايد بن سلطان آل نهيان، ص٢٠٩، أبوظبي، ٢٠٠٣.
٣٨/١٤ زايد رجل البيئة، ص١٠٠، أبوظبي، ٢٠٠١.

فهرس الجداول

صفحة

جدول ١. تطور عدد المزارع والمساحة الزراعية في دولة الإمارات..... ١١٣

جدول ٢. عدد ومساحة البيوت المحمية في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة..... ١١٣

جدول ٣. نسبة وعدد ومساحة المزارع التي تطبق أسلوب الري الحديث إلى جملة المساحة المروية في الدولة خلال الأعوام المبينة..... ١١٣

جدول ٤. تطور المساحة الزراعية للمحاصيل المختلفة وكمية إنتاجها في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة..... ١١٧

جدول ٥. مساحة وكمية الإنتاج الزراعي في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة..... ١١٨

جدول ٦. مساحة وعدد وحجم إنتاج نخيل التمر في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة..... ١٢٤

جدول ٧. مصانع التمور وطاقتها الإنتاجية في دولة الإمارات، عام ٢٠٠٤..... ١٣٤

جدول ٨. بيانات قطاع الثروة الحيوانية في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة..... ١٣٧

جدول ٩. بيانات قطاع الثروة السمكية في دولة الإمارات خلال الأعوام المبينة..... ١٣٨

جدول ١٠. الجمعيات التعاونية لصيادي الأسماك في دولة الإمارات..... ١٤٠

جدول ١١. أهم المؤشرات الزراعية والاكتفاء الذاتي في دولة الإمارات، عام ٢٠٠٣..... ١٤١

جدول ١٢. أهم أسماء النباتات المزروعة في غابات المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي..... ١٦٤

جدول ١٣. الحيوانات البرية المتواجدة بغابات المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي..... ١٧٢

جدول ١٤. الطيور البرية المتواجدة بغابات المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي..... ١٧٣

جدول ١٥. واحات العين ومساحتها وعدد أشجار النخيل المزروعة بها..... ٢٢٧

جدول ١٦. الطاقة الإنتاجية لأهم محطات التحلية الرئيسية في دولة الإمارات، عام ٢٠٠٦..... ٣١٣

جدول ١٧. الطاقة الإنتاجية لمحطات معالجة الصرف الصحي، عام ٢٠٠٦..... ٣١٤

جدول ١٨. عدد وسعة السدود والحواجز في دولة الإمارات..... ٣١٨

جدول ١٩. سدود المرحلة الأولى التي أنشأت على نفقة الشيخ زايد -رحمة الله- وأنجزت في ديسمبر ٢٠٠١..... ٣٢١

جدول ٢٠. سدود المرحلة الثانية التي أنشأت على نفقة الشيخ زايد -رحمة الله- وأنجزت في ديسمبر ٢٠٠٢..... ٣٢٢

جدول ٢١. سدود المرحلة الثالثة التي أنشأت على نفقة الشيخ زايد -رحمة الله- وأنجزت في ديسمبر ٢٠٠٣ ومايو ٢٠٠٤..... ٣٢٣

جدول ٢٢. بيانات سدود وزارة البيئة والمياه..... ٣٢٣

فهرس الصور

صورة ١/١. الشيخ زايد في العين، عام ١٩٥٠ (صورة فاتحة الفصل الأول) . م-Wilfred Thesiger، كتاب Zayed a photographic journey، Emirates Heritage Club..... ٢٠

صورة ٢/١. الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان -رحمه الله- حاكم أبوظبي (١٩٢٢-١٩٢٦)..... ٢٤

صورة ٣/١. الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان -رحمه الله- المعروف بـ (زايد الكبير) والذي حكم إمارة أبوظبي مدة خمسين عاماً (١٨٥٥-١٩٠٩)..... ٢٥

صورة ٤/١. صورة قديمة لقصر الحصن في جزيرة أبوظبي والذي كان يمثل مقر الحكم في الإمارة. م- دائرة بلدية أبوظبي وتخطيط المدن، أبوظبي دانة الخليج: التخطيط والتنمية العمرانية، ص٢٠، أبوظبي، أغسطس ٢٠٠٣..... ٢٦

صورة ٥/١. مساكن مبنية من سعف النخيل (العرشان) وأخرى من الطين تمثل النمط السائد للبيوت التي كان يسكنها أهالي المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي قبل ظهور النفط. يظهر في الصورة جزء من جبل حفيت، (١٩٦٠).م- زايد في العين: معجزة قاهر الصحراء، ٢٠٠٥..... ٣١

صورة ٦/١. الشيخ زايد متهيئاً لرحلة صيد، العين، عام ١٩٤٨. م-Wilfred Thesiger، كتاب Zayed a photographic journey، Emirates Heritage Club..... ٣٥

صورة ٧/١. الشيخ زايد في صحراء العين عام ١٩٤٩. م - Wilfred Thesiger، كتاب Zayed a photographic journey، Emirates Heritage Club..... ٣٥

صورة ٨/١. أبوظبي في تاريخها القديم. أ. صور جوية لجزيرة أبوظبي في الستينات من القرن الماضي. ب. قصر الحصن مقر الحكم في الإمارة، قبل التغيير السياسي بثلاث سنوات (١٩٦٣). م- أ. دائرة بلدية أبوظبي وتخطيط المدن، ب- BP Archive..... ٤٢

صورة ٩/١. ساحل جزيرة أبوظبي (الكورنيش حالياً) عام ١٩٥٤. م-Wilfred Thesiger، كتاب Zayed a photographic journey، Emirates Heritage Club..... ٤٢

صورة ١٠/١. قرية شاه في ليوا، ١٩٦٢. م- BP Archive..... ٤٢

صورة ١١/١. مساكن مبنية من سعف النخيل (العرشان) تمثل النمط السائد للبيوت التي كان يسكنها أهالي أبوظبي في الماضي (١٩٦٣). م- BP Archive ٤٢

صورة ١٢/١. قافلة من البدو تقطع صحراء المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي (ليوا، ١٩٦٢). م- BP Archive..... ٤٢

صورة ١٣/١. منطقة المقطع: أ. حراس الحدود يراقبون مدخل جزيرة أبوظبي (سبتمبر ١٩٦١)، ب. مخاضة خور المقطع التي تفصل جزيرة أبوظبي عن البر الرئيسي، ج. البدء في أعمال إنشاء جسر المقطع (١٩٦٦- ١٩٦٨) . م- أ. BP ARCHIVE، ب.RONALD CODRAI، كتاب Zayed a photographic journey، Emirates Heritage Club، ج. دائرة بلدية أبوظبي وتخطيط المدن، أبوظبي دانة الخليج: التخطيط والتنمية العمرانية، ص١٩، أبوظبي، أغسطس ٢٠٠٣ ..... ٤٣

صورة ١٤/١. الشيخ زايد في منتصف السبعينيات (١٩٧٥). م- عدسة Frank Spooner، كتاب Zayed a photographic journey، Emirates Heritage Club..... ٤٤

صورة ١٥/١. الشيخ زايد يشرف على مشاريع التنمية التي كان يأمر بها. ب. يطلع على مشروع مدينة زايد الرياضية (١٩٧٥)، ج. يتفقد عدد من المشروعات في جزيرة دلما (١٩٧٨)، هـ. يتفقد أحد مشاريع المنطقة الشرقية (منطقة عين الفايضة، أبريل ١٩٧٨)، ويتفقد مشروع كورنيش أبوظبي القديم (م- وزارة الإعلام والثقافة)..... ٤٧

صورة ١/١٦. الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبوظبي والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي -رحمهم الله- في أحد الاجتماعات التشاورية من أجل دولة الاتحاد، عام ١٩٦٨. م- مركز الوثائق والبحوث..... ٤٩
صورة ١/١٧. زايد وراشد توافق في الفكر الوحدوي والرؤيا المستقبلية لأبناء المنطقة (١٩٧٢). م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٤٩
صورة ١/١٨. الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يتوسط أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى، حكام الإمارات، في لقطة تذكارية بمناسبة انضمام إمارة رأس الخيمة في عام ١٩٧٢ إلى دولة الاتحاد. م- مركز الوثائق والبحوث، الشيخ زايد ذكريات وإنجازات..... ٥٠
صورة ١/١٩. الشيخ زايد يترأس اجتماع المجلس الأعلى للأتحاد، ١٠ فبراير ١٩٧٤..... ٥٠
صورة ١/٢٠. الشيخ زايد ذو فكر وحدوي نابع من تراثه الإسلامي..... ٥١
صورة ١/٢١. متابعة دؤوبة من الشيخ زايد لمشاريع التنمية..... ٥٣
صورة ٢/١. الشيخ زايد في صحراء العين عام ١٩٤٩ (صورة فاتحة الفصل الثاني). م-Wilfred Thesiger، كتاب Zayed a photographic journey، Emirates Heritage Club ٥٦
صورة ٢/٢. الأفلاج: (م- أ، ب، ج. دائرة البلدية وتخطيط المدن بالعين، د. عدسة المؤلف)..... ٦١
صورة ٢/٣. الشيخ زايد يراقب جريان الماء في أحد أفلاج العين..... ٦٤
صورة ٢/٤. الشيخ زايد والعقيد بوستد يراقبان جريان الماء في فلج الصاروج، وفي أعلى الصورة يبدو الشيخ سالم بن حم العامري. م- كتاب رحلتي مع زايد: حديث الذاكرة، سالم بن حم..... ٦٤
صورة ٢/٥. المياه تجري في فلج المشروع الزراعي التجريبي الذي أقامه الشيخ زايد في عام ١٩٦٣. م- BP ARCHIVE ٦٧
صورة ٣/١. الشيخ زايد يخطط بيده على رمال الصحراء (صورة فاتحة الفصل الثالث)..... ٦٨
صورة ٣/٢. الشيخ زايد في جلسة خاصة أثناء رحلة صيد ماسكاً عصا ويرسم على رمال الصحراء تصوراً جديداً لمستقبل هذه الأرض. ٧١
صورة ٣/٣. الشيخ زايد يشاهد باهتمام عرضاً سينمائياً عن نشاطات خبراء جامعة أريزونا في إنتاج الخضار، وذلك خلال فعاليات المعرض الزراعي السنوي الأول عام ١٩٦٩. م- مركز الوثائق والبحوث..... ٧٦
صورة ٣/٤. متابعة مستمرة لأنشطة المحطات التجريبية والبحثية التي كان يأمر بإنشائها..... ٧٨
صورة ٣/٥. الشيخ زايد يطلع على نتائج إحدى المحطات البحثية في السبعينيات من القرن الماضي..... ٧٨
صورة ٣/٦. الشيخ زايد يقود حملة استصلاح أراضي جديدة لإقامة مشاريع زراعية حديثة..... ٧٩
صورة ٣/٧. استصلاح أراض شاسعة من الصحراء لإقامة مزارع نموذجية للمواطنين..... ٨١
صورة ٣/٨. مزرعة نموذجية كاملة التجهيز، وفي الصورة معدة زراعية تقوم بالحفر لتجهيز شبكة ري حديثة في مزرعة أحد المواطنين في المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي..... ٨١
صورة ٣/٩. الشيخ زايد يفتتح المعرض الزراعي الرابع في مدينة العين عام ١٩٧٢، يرافقه الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان). م- مركز الوثائق والبحوث، يوميات زايد، ص٢٨٠..... ٨٣
صورة ٣/١٠. الشيخ زايد يفتتح المعرض الزراعي السابع (العين ١٩٧٦). م- مركز الوثائق والبحوث، يوميات زايد، ص٣٢٣..... ٨٣
صورة ٣/١١. الشيخ زايد يستمع لشرح أحد المشاركين ويناقشه في الزراعة، (المعرض الزراعي الرابع، العين ١٩٧٢). م- مركز الوثائق والبحوث، يوميات زايد، ص٢٨٠..... ٨٤

صورة ٣/١٢. الشيخ زايد يطلع على المنتج الزراعي للمشاركين في المعرض الزراعي الرابع، مدينة العين، ١٩٧٢. م- مركز الوثائق والبحوث، يوميات زايد..... ٨٤
صورة ٣/١٤. الشيخ زايد يتجول في أحد المعارض الزراعية التي كان يوجه المؤسسات المختصة بإقامتها، ويشجع المواطنين المشاركة فيها (٥ مارس ١٩٧٧). م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٨٥
صورة ٣/١٥. الشيخ زايد يطلع على إنتاج مزارع المواطنين من المحاصيل الزراعية المختلفة (١٩٧٨). م- مركز الوثائق والبحوث..... ٨٥
صورة ٣/١٦. الشيخ زايد يشرف على تخطيط مشروع زراعي جديد، عام ١٩٧٩..... ٨٩
صورة ٣/١٧. كانت حياته مشواراً طويلاً من العمل الدؤوب المتواصل (١٩٧٩). م- مركز الوثائق والبحوث ٩٠
صورة ٣/١٨. الشيخ زايد في الحقل يشارك المواطنين تناول ثمار الفاكهة (الجح والتمر) وقت استراحته أثناء عمل مشروع زراعي جديد (١٩٧٩). م – وزارة الإعلام والثقافة..... ٩١
صورة ٣/١٩. حماية الأشجار الصحراوية من التدهور. أ. أشجار غاف قديمة في منطقة الجيمي بمدينة العين سيجت بسور متين للمحافظة عليها من الزوال، ب. شجرة سمر في وادي بمنطقة الشعيبة في مدينة العين حُميت من سيول الأمطار عن طريق حف تربتها ببناء خرساني مشيد..... ٩٣
صورة ٣/٢٠. مشاهد مختلفة لأشجار صحراوية حُفظت من الازالة لإقامة منشئات طرق رئيسية (مدينة العين، ٢٠٠٥)..... ٩٤
صورة ٤/١. الشيخ زايد يراقب عمل مشروع زراعي (صورة فاتحة الفصل الرابع)..... ٩٦
صورة ٤/٢. الشيخ زايد في جولة تفقدية لمشاريع الزراعة عام ١٩٧٩. م- مركز الوثائق والبحوث..... ٩٨
صورة ٤/٣. الشيخ زايد في جولة تفقدية لمشاريع الزراعة في منطقة الذيد عام ١٩٧٤. م- مركز الوثائق والبحوث..... ١٠١
صورة ٤/٤. اهتمام مبكر من الشيخ زايد بأشجار النخيل ونشر زراعتها (١٩٧٩). م – مركز الوثائق والبحوث..... ١٠٤
صورة ٥/١. الشيخ زايد يقف في حقل نخيل (صورة فاتحة الفصل الخامس). م- محمد الخالدي، المصور الخاص للشيخ زايد، هيئة الإمارات للإعلام..... ١٠٨
صورة ٥/٢. الشيخ زايد في إحدى جولاته الزراعية في صيف عام ١٩٧٩، ويبدو أنه يوصي المواطنين ويشجعهم على الزراعة .م- وزارة الإعلام والثقافة..... ١١٠
صورة ٥/٣. مزارع حديثة تنتشر في أعماق الصحراء..... ١١٤
صورة ٥/٤. البيوت المحمية في دولة الإمارات استخدمت للتغلب على بيئة الصحراء وإنتاج محاصيل زراعية مختلفة في مواسم مختلفة من السنة، العين،٢٠٠٤..... ١١٥
صورة ٥/٥. سيارات المواطنين تأخذ دورها في إحدى مراكز التسويق الزراعي في المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي لتسويق محاصيل الخضار من مزارعهم الخاصة..... ١١٩
صورة ٥/٦. مشاريع محاصيل الأعلاف..... ١١٩
صورة ٥/٧. محاصيل فاكهة مختلفة نجحت زراعتها في أراضي الإمارات..... ١٢٠
صورة ٥/٨. مشاريع زراعة القمح..... ١٢١
صورة ٥/٩. الشيخ زايد يعتني بشجرة نخيل (صنف خلاص)، صيف عام ١٩٧٩. م- مركز الوثائق والبحوث..... ١٢٢
صورة ٥/١٠. الشيخ زايد في جلسة استراحة مع المزارعين بعد جولة تفقدية للمشاريع الزراعية، صيف عام ١٩٧٩. م- مركز الوثائق والبحوث..... ١٢٣

صورة ٥/١١. علاقة الشيخ زايد بنخلة التمر علاقة حب صادقة امتدت طوال حياته. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ١٢٥
صورة ٥/١٢. تكفلت دولة الإمارات العربية المتحدة بتسويق محاصيل تمور مزارع المواطنين..... ١٢٦
صورة ٥/١٣. أصبحت نخلة التمر في دولة الإمارات شجرة الفاكهة الأولى..... ١٢٧
صورة ٥/١٤. مختبر زراعة الأنسجة النباتية بجامعة الإمارات..... ١٢٩
صورة ٥/١٥. براعم النخيل في مرحلة الإكثار..... ١٢٩
صورة ٥/١٦. إحدى فنيات المختبر تقوم بنقل براعم النخيل إلى أوساط غذائية جديدة..... ١٢٩
صورة ٥/١٧. مراحل إنتاج شتلات النخيل النسيجية في مختبر زراعة الأنسجة النباتية بجامعة الإمارات..... ١٣٠
صورة ٥/١٨. مرحلة تقسية شتلات النخيل في المشاتل الخارجية للمختبر..... ١٣١
صورة ٥/١٩. شتلة نخيل نسيجية منتجة من مختبر زراعة الأنسجة النباتية بجامعة الإمارات جاهزة للزراعة الحقلية..... ١٣١
صورة ٥/٢٠. متابعة مستمرة من المسؤولين لبرامج الإنتاج والأبحاث في مختبر زراعة الأنسجة النباتية..... ١٣٢
صورة ٥/٢١. زيارات دولية للمختبر..... ١٣٢
صورة ٥/٢٢. الشيخ زايد يتفقد مصنع الإمارات للتمور بالساد ١٣٥
صورة ٥/٢٣. لاقت الثروة الحيوانية (خاصة الجمال) اهتماما كبيراً من الشيخ زايد رحمه الله..... ١٣٦
صورة ٦/١. محمية طبيعية للأشجار البرية في منطقة بدع بنت سعود في مدينة العين (٢٠٠٥)(صورة فاتحة الفصل السادس)..... ١٤٢
صورة ٦/٢. الشيخ زايد في جولة بحرية لشواطئ أبوظبي، عام ١٩٨٠. م- مركز الوثائق والبحوث..... ١٤٤
صورة ٦/٣. الشيخ زايد يقوم بزراعة أشجار القرم (المانغروف) على شواطئ أبوظبي..... ١٤٦
صورة ٦/٤. الشيخ زايد يستقبل العلماء المشاركين في المؤتمر العالمي للنباتات التي تتحمل الملوحة الذي نظمته جامعة الإمارات في عام ١٩٩٠. م- مركز الوثائق والبحوث..... ١٤٩
صورة ٦/٥. أبقار البحر في مياه أبوظبي تنعم ببيئة ملائمة لتكاثرها. م – هيئة البيئة-أبوظبي، ٢٠٠٧..... ١٥٠
صورة ٦/٦. طائر الحبارى عاد ليتوالد من جديد في صحراء الإمارات، منطقة بينونة (٢٠٠٧). م-هيئة البيئة-أبوظبي، ٢٠٠٧..... ١٥١
صورة ٦/٧. الحياة البرية وما تحويه من أشجار ونباتات بيئية أصبحت مصانة في مناطقها. صور لبيئات مختلفة في صحاري مدينة العين (٢٠٠٥)..... ١٥٢
صورة ٦/٨. شواطئ ذات بيئة سليمة تعكس مدى اهتمام دولة الإمارات بشؤون البيئة..... ١٥٣
صورة ٦/٩. صورة لمدخل مدينة العين للقادم من مدينة أبوظبي، منطقة السلامات (٢٠٠٥)..... ١٥٤
صورة ٦/١٠. تنوعت المشاهد الخضراء في مدينة العين حتى باتت تسمى بمدينة الحدائق أو المدينة الحديقة..... ١٥٦
صورة ٦/١١. مشاهد خضراء لمواقع مختلفة في مدينة العين (٢٠٠٥)..... ١٥٧
صورة ٦/١٢. الطرق الخارجية لمدينة العين (٢٠٠٥)..... ١٥٨
صورة ٦/١٣. مدينة أبوظبي كيف تبدو اليوم (٢٠٠٥)..... ١٦٠
صورة ٦/١٤. صور خضراء تعكس جزء من حجم الكساء الأخضر في مدينة أبوظبي (٢٠٠٥)..... ١٦١
صورة ٦/١٥. صورة تظهر جانب من مشاريع التشجير في صحاري المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي، ليوا ٢٠٠٥..... ١٦٢
صورة ٦/١٦. إحدى مشاريع الغابات في مدينة العين، (٢٠٠٥)..... ١٦٣

صورة ٦/١٧. مشاريع تشجير الطرق الخارجية..... ١٦٥
صورة ٦/١٨. مشاريع تشجير ضخمة ممتدة في أعماق الصحراء..... ١٦٩
صورة ٦/١٩. مشاريع تشجير تحف الطرق الخارجية..... ١٧٠
صورة ٦/٢٠. الغزال العربي يسرح في إحدى المحميات المنتشرة في صحاري الإمارات..... ١٧٥
صورة ٦/٢١. طائر النعام أحد الطيور التي تأقلمت وتكاثرت في المحميات الطبيعية..... ١٧٥
صورة ٧/١. منظر لجزيرة صير بني ياس من البحر (٢٠٠٥)(صورة فاتحة الفصل السابع)..... ١٧٦
صورة ٧/٢. طريق أبوظبي - المنطقة الغربية..... ١٨٠
صورة ٧/٣. موقع جزيرة صير بني ياس على خارطة دولة الإمارات . م- مرجع رقم ٦/٧ في فهرس المصادر والمراجع)..... ١٨٠
صورة ٧/٤. جزيرة صير بني ياس بين الأمس واليوم..... ١٨١
صورة ٧/٥. جزيرة صير بني ياس كيف تبدو من الخارج (٢٠٠٥)..... ١٨٥
صورة ٧/٦. جزيرة صير بني ياس أصبحت مقصداً للسواح وللباحثين في شؤون البيئة أيضاً..... ١٨٦
صورة ٧/٧. إحدى المقابر القديمة الموجودة على أرض جزيرة صير بني ياس..... ١٨٧
صورة ٧/٨. منطقة النخيل القديم..... ١٨٨
صورة ٧/٩. صورة من الفضاء لجزيرة صير بني ياس. م- الدائرة الخاصة لصاحب السمو رئيس الدولة..... ١٩٠
صورة ٧/١٠. زراعة أشجار القرم على شواطىء الجزيرة. ١٩٣
صورة ٧/١١. زراعة نباتات صباح الخير على شواطئ الجزيرة والذي يسقى بماء البحر..... ١٩٤
صورة ٧/١٢. مشاتل كبيرة أُعدت على أرض الجزيرة لإنتاج مختلف الأشجار الحرجية ونباتات الزينة لتغطية متطلبات الجزيرة من تلك الأشجار..... ١٩٥
صورة ٧/١٣. جبالها الحمراء صبغها زايد باللون الأخضر..... ١٩٦
صورة ٧/١٤. صور مختلفة تعكس حجم التغيير الذي حدث على أرض الجزيرة..... ١٩٧
صورة ٧/١٥. تنوعت أشجار الفاكهة النامية بنجاح على أرض الجزيرة..... ١٩٨
صورة ٧/١٦. نجحت زراعة أشجار الزيتون في جزيرة صير بني ياس وأنتجت ثماراً وافرة، وهذا ما ميَّز الجزيرة عن باقي مناطق الدولة (٢٠٠٥)..... ١٩٩
صورة ٧/١٧. أصناف مختلفة من أشجار النخيل المحلية والمستوردة زُرعت على أرض الجزيرة..... ٢٠٠
صورة ٧/١٨. شجرة الجميز. م- ب. محمد الخالدي، المصور الخاص للشيخ زايد، هيئة الإمارات للإعلام..... ٢٠٠
صورة ٧/١٩. تَمَيّز ووفرة في إنتاج مختلف محاصيل الخضر والفاكهة على أرض الجزيرة (٢٠٠٥)..... ٢٠١
صورة ٧/٢٠. الغزال الهندي (أ)، والغزال العربي (ب، ج). م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٠٤
صورة ٧/٢١. الغزال الإفريقي المنقط (أ)، البقر الإفريقي (ب)، وأبو عدس (ج) . م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٠٥
صورة ٧/٢٢. حيوان المها..... ٢٠٦
صورة ٧/٢٣. الزرافة إحدى الحيوانات التي تأقلمت وأولدت على أرض الجزيرة..... ٢٠٧
صورة ٧/٢٤. طائر النعام أحد الطيور التي تكاثرت في الجزيرة..... ٢٠٧
صورة ٧/٢٥. الأرض الجديدة التي صنعها الشيخ زايد وألحقها بأرض الجزيرة لتكون قاعدة للتجارب الزراعية..... ٢٠٩
صورة ٧/٢٦. الغزال العربي (الريم) يسرح بسكينة في طرقات الجزيرة..... ٢١٠

صورة ٢٧/٧. الحيوانات البرية تتمتع ببيئة جميلة وسليمة في جزيرة صير بني ياس، وتتنقل في مناطقها المختلفة في أمن وسلام..... ٢١١
صورة ٢٨/٧. بيوت خاصة للحمام أمر الشيخ زايد بتوفيرها في مناطق مختلفة على أرض الجزيرة..... ٢١٢
صورة ١/٨. متحف قصر الشيخ زايد في مدينة العين (صورة فاتحة الفصل الثامن)..... ٢١٤
صورة ٢/٨. مشاهد مختلفة لواحة نخيل العين، ٢٠٠٥..... ٢١٧
صورة ٣/٨. مازالت أفلاجها، التي رعاها الشيخ زايد في العهد القديم، تتدفق بالمياه العذبة لتروي واحاتها السبع وتمدها بالحياة..... ٢١٨
صورة ٤/٨. أحد العمال المخصصين من قبل بلدية العين لخدمة الواحات، وهنا يقوم العامل بسقي البستان بماء الفلج..... ٢١٨
صورة ٥/٨. مازالت أشجار نخيل واحات العين تنتج أصناف مختلفة من التمور..... ٢١٩
صورة ٦/٨. صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة..... ٢٢٠
صورة ٧/٨. ممرات مرصوفة واسعة تربط أجزاء الواحة بعضها ببعض، وأسوار جميلة وأبواب خشبية على الطراز القديم لكل مزرعة..... ٢٢٢
صورة ٨/٨. الفريق أول سمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي - نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة..... ٢٢٣
صورة ٩/٨. أصبحت واحات العين وجهه سياحية جميلة تميزت بها المدينة عن غيرها من مدن الخليج العربي..... ٢٢٤
صورة ١٠/٨. مشاهد من الأعلى لواحة نخيل العين تظهر أثر قرارات القيادة السياسية في دولة الإمارات في المحافظة على الواحات من الزحف العمراني..... ٢٢٥
صورة ١/٩. مدخل منطقة المبزرة الخضراء (٢٠٠٥).(صورة فاتحة الفصل التاسع)..... ٢٢٨
صورة ٢/٩. الشيخ زايد يعاين تدفق المياه من الآبار بمنطقة جبل حفيت، يوليو ١٩٩٥. م١- وزارة الإعلام والثقافة، م٢- مركز الوثائق والبحوث..... ٢٣١
صورة ٣/٩. الشيخ زايد في جولة تفقدية لمنطقة جبل حفيت - المبزرة الخضراء، يوليو ١٩٩٥. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٣٤
صورة ٤/٩. نصب خيمته ليشرف على المشروع من قريب. وكان المواطنون يَفِدون للسلام عليه. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٣٤
صورة ٥/٩. في بضع سنين تغير وجه المنطقة تماماً. وبدت المبزرة كأنها قطعة من دولة مطيرة (٢٠٠٥) ٢٣٥
صورة ٦/٩. أصناف مختلفة من أشجار النخيل زرعت في منطقة المبزرة الخضراء..... ٢٣٦
صورة ٧/٩. مساكن جميلة مجهزة بكامل احتياجات السائح(٢٠٠٥)..... ٢٣٦
صورة ٨/٩. بحيرة كبيرة أُنشئت أسفل المنطقة تتدفق فيها مياه الآبار المنحدرة من عَلٍ عبر أفلاج أمر بصناعتها الشيخ زايد..... ٢٣٧
صورة ٩/٩. أحب الشيخ زايد المبزرة الخضراء، فتكررت زياراته لها، وكانت محل اهتمامه ورعايته بقية عمره..... ٢٣٩
صورة ١٠/٩. مشاهد مختلفة من المبزرة الخضراء (٢٠٠٥)..... ٢٤٠
صورة ١١/٩. المبزرة الخضراء كما تبدو ليلاً (٢٠٠٥)..... ٢٤٣
صورة ١/١٠. منظر علوي لسد مأرب الجديد (صورة فاتحة الفصل العاشر). م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٤٤
صورة ٢/١٠. الشيخ زايد في السبعينيات من القرن الماضي (بعد حرب أكتوبر) يقوم بزيارة لمحافظة الإسماعيلية بجمهورية مصر العربية لمشاركة الشعب المصري أفراحه بمشاريع إعادة الإعمار التي أسهم فيها. م- مركز الوثائق والبحوث..... ٢٤٩
صورة ٣/١٠. الشيخ زايد يحيي الجمهور المصري الذي احتشد لتحيته في أبو سمبل في فبراير ١٩٩٠. م١- وزارة الإعلام والثقافة، م٢- مركز الوثائق والبحوث..... ٢٤٩

صورة ١٠/٤. الشيخ زايد يضع حجر الأساس لمشروع إعادة بناء ما هدمه الزلزال الذي ضرب مدينة ذمار اليمنية في عام ١٩٨٢. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٥٠
صورة ١٠/٥. من آثار سد مأرب القديم الباقية حتى هذا التاريخ..... ٢٥٦
صورة ١٠/٦. الشيخ زايد أثناء زيارته لموقع سد مأرب. م- وزارة الإعلام والثقافة ٢٦٠
صورة ١٠/٧. حجر الأساس لسد مأرب الجديد (أكتوبر ١٩٨٤)..... ٢٦٠
صورة ١٠/٨. استقبال حار وحفاوة كبيرة تلقاها الشيخ زايد من الشعب اليمني أثناء زيارته لليمن في ديسمبر ١٩٨٦ بمناسبة افتتاح سد مأرب) . م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٦١
صورة ١٠/٩. الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والرئيس اليمني يتفقدان منشآت سد مأرب الجديد، ديسمبر ١٩٨٦. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٦١
صورة ١٠/١٠. تدفق الماء من مصرف سد مأرب الجديد..... ٢٦١
صورة ١٠/١١. الشيخ زايد في احتفال افتتاح سد مأرب (ديسمبر ١٩٨٦). م -مركز الوثائق والبحوث، يوميات زايد ٢٦٢
صورة ١٠/١٢. أعلام دولة الإمارات ترفرف على سد مأرب بمناسبة افتتاحه (ديسمبر ١٩٨٦). م- مركز الوثائق والبحوث..... ٢٦٢
صورة ١٠/١٣. سد مأرب الجديد عاد مرة أخرى، وبعد سنين طويلة، ليحجز كميات كبيرة من مياه السيول في وادي أذنة بمحافظة مأرب التاريخية..... ٢٦٥
صورة ١١/١. الشيخ زايد يقلم شجرة غاف صغيرة (صورة فاتحة الفصل الحادي عشر)..... ٢٦٦
صورة ١١/٢. الشيخ زايد يستخدم كاميرة فيديو لالتقاط صور لمناطق مختلفة من الصحراء، عام ١٩٧٢. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٦٨
صورة ١١/٣. الشيخ زايد كان أخبر الناس بالصقور والصيد بها، وبالخيل والإبل وركوبها، وبالصحراء وما تضمه من حياة برية. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٦٩
صورة ١١/٤. وكان ضليعاً في شؤون الزراعة وعلوم والبيئة، واستفاد منه كبار الخبراء والمختصين. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٧٠
صورة ١١/٥. الشيخ زايد في إحدى جولاته التفقدية للشعب، إمارة أم القيوين، عام ١٩٧٤. م- مركز الوثائق والبحوث، يوميات زايد..... ٢٧٣
صورة ١١/٦. الشيخ زايد يلتقي المواطنين في أي مكان زاره، وكان يمنع الحرس من حجبهم عنه (١٩٨٠) ٢٧٣
صورة ١١/٧. كان رحمه الله يستمع لكبيرهم ولصغيرهم بشفقة وإنصات تام، فكانت تلك الصفة تشعر المواطنين بالارتياح والاطمئنان وتشجعهم على سؤاله. م- مركز الوثائق والبحوث، يوميات زايد ٢٧٣
صورة ١١/٨. الشيخ زايد يصغي لأحد المواطنين بعناية كبيرة، المنطقة الغربية - غياثي، ١٩٧٩. م- مركز الوثائق والبحوث، يوميات زايد..... ٢٧٤
صورة ١١/٩. الشيخ زايد يجالس الأطفال الذين كانوا يتشوقون لمجالسته والحديث معه، عام ١٩٨٠. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٧٤
صورة ١١/١٠. الشيخ زايد يحمل الماء ويسقي شجرة زرعها بنفسه. م- مركز الوثائق والبحوث ٢٧٦
صورة ١١/١١. انظر صورة ١٤/٣..... ٢٧٧
صورة ١١/١٢. يشعر بعدم ارتياح إذا رأى أرضاً قاحلة، لذا فالأرض التي يطأها يخضرها، عام ١٩٩٢. م- مركز الوثائق والبحوث..... ٢٧٨
صورة ١١/١٣. الشيخ زايد واقفاً تحت وطأة الشمس يوجه ويشرف على مشاريع التنمية، عام ١٩٧٩. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٧٩

صورة ١٤/١١. لم يكن يأبه بأجواء الصحراء في سبيل مكافحة التصحر، (جولات ميدانية في عام ١٩٧٩). م١- وزارة الإعلام والثقافة، م٢- مركز الوثائق والبحوث..... ٢٨٠
صورة ١٥/١١. الشيخ زايد يقود سيارته في جولة صحراوية للإشراف على المشاريع الزراعية..... ٢٨١
صورة ١٦/١١. الشيخ زايد يقلم شجرة غاف (أ)، وأخرى شجرة مانجو (ب). م- أ. وزارة الإعلام والثقافة، ب. مركز الوثائق والبحوث..... ٢٨٣
صورة ١٧/١١. صور قديمة للشيخ زايد تظهر كيف كان مهتماً بزراعة الأشجار ويحرص على الاعتناء بها ٢٨٤
صورة ١٨/١١. الشيخ زايد في حقل نخيل. م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٨٨
صورة ١٩/١١. الشيخ زايد يشرف على عملية قطع فسائل النخيل .م- وزارة الإعلام والثقافة..... ٢٨٩
صورة ٢٠/١١. غابة رسمها الشيخ زايد على شكل دلة، ثم أمر بإنشائها على أرض جزيرة صير بني ياس..... ٢٩٥
صورة ٢١/١١. الشيخ زايد يوجه مستخدماً عصاه..... ٢٩٦
صورة ١/١٢. زايد الخير، منطقة سويحان، ٢٠٠٥ (صورة فاتحة الفصل الثاني عشر)..... ٢٩٨
صورة ٢/١٢. خارطة دولة الإمارات العربية المتحدة من الفضاء..... ٣٠٥
صورة ٣/١٢. طبيعة صحراء الإمارات القاسية لم تكن بالعائق التي تقف أما الشيخ زايد في مواصلة مكافحة التصحر، (جانب من صحراء المنطقة الشرقية، ٢٠٠٥)..... ٣٠٧
صورة ٤/١٢. ارتفاع نسبة الملوحة في كثير من مناطق الدولة لم تكن العائق التي تثني الشيخ زايد من مواصلة مسيرته الخضراء على تربة الإمارات(طريق أبوظبي-المنطقة الغربية، ٢٠٠٥) ٣٠٨
صورة ٥/١٢. الشيخ زايد يتفحص الماء..... ٣٠٩
صورة ٦/١٢. الشيخ زايد يتابع مشاريع توفير المياه. م- وزارة الإعلام والثقافة. ٣١١
صورة ٧/١٢. الشيخ زايد يشرف ويوجه المسؤولين على الطبيعة أثناء عمليات إنشاء سد الشويب في المنطقة الشرقية من إمارة أبوظبي، ١٩٨٨. م١- وزارة الإعلام والثقافة، م٢- مركز الوثائق والبحوث ٣١٦
صورة ٨/١٢. الشيخ زايد يتفقد مياه الأمطار..... ٣١٧
صورة ٩/١٢. لعبت السدود دوراً كبيراً في رفع مستوى المياه الجوفية في مناطق إقامتها باحتجازها كميات كبيرة من مياه الأمطار الساقطة على رؤوس الوديان. أ، ب. سد وادي القور، ج. سد شوكة، د. سد وادي ممدوح ٣١٩
صورة ١٠/١٢. سد شوكة، في وادي شوكة، إمارة رأس الخيمة، ربيع ٢٠٠٦..... ٣٢٤
صورة ١١/١٢. سد وادي ممدوح، في قرية صفني، إمارة رأس الخيمة، ربيع ٢٠٠٦..... ٣٢٥
صورة ١٢/١٢. سد وادي القور، منطقة وادي القور، إمارة رأس الخيمة، ربيع ٢٠٠٦..... ٣٢٦
صورة ١/١٣. الشيخ زايد أثناء تسلمه وسام المحافظة على البيئة الباكستاني، ١٩٩٧ (صورة فاتحة الفصل الثالث عشر). م- مركز الوثائق والبحوث..... ٣٢٨
صورة ٢/١٣. الأمين العام لجامعة الدول العربية الدكتور عصمت عبد المجيد يقلد الشيخ زايد وشاح رجل الإنماء والتنمية، ١٩٩٣. م- مركز الوثائق والبحوث..... ٣٣٣
صورة ٣/١٣. الشيخ زايد أثناء تسلمه جائزة منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) التابعة للأمم المتحدة، ١٩٩٥، ويبدو في الصورة السيد جاك ضيوف مدير عام المنظمة..... ٣٣٤
صورة ٤/١٣. انظر صورة ١/١٣..... ٣٣٥

صورة ١٣/٥. الشيخ زايد أثناء تسلمه شهادة الدكتوراة الفخرية في مجال الزراعة من رئيس جامعة عين شمس المصرية الدكتور عبد الوهاب عبد الحافظ، عام ١٩٩٧ ..... ٣٣٦
صورة ١٣/٦. صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، يتسلم جائزة «بطل الأرض»، الممنوحة للمغفور له بإذن الله الشيخ زايد، من السيد كلاوس توبفر المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ٣٣٨
صورة ١٤/١. الشيخ زايد في حقل فاكهة (صورة فاتحة الفصل الرابع عشر) ٣٤٠
صورة ١٤/٢. الشيخ زايد يمشي في حقل زراعي ٣٤٢
صورة ١٤/٣. الشيخ زايد في جولة تفقدية للمشاريع الزراعية، عام ١٩٨٠. م- مركز الوثائق والبحوث ٣٤٣
صورة ١٤/٤. الشيخ زايد واقف مبتهجاً بين الأشجار ٣٤٥

نبذة عن المؤلف

د. هلال حميد بن سعد الكعبي

- من مواليد عام ١٩٦٨، مدينة العين، دولة الإمارات العربية المتحدة.
- تلقَّى التعليم الأساسي والثانوي في مدارس القوات المسلحة، مدرسة أبو عبيدة العسكرية (١٩٧٥-١٩٨٧)، مدينة أبوظبي.
- حصل على درجة البكالوريوس في العلوم الزراعية في عام ١٩٩٣، تخصُّص إنتاج نباتي ووقاية، كلية العلوم الزراعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، وبتقدير امتياز، والأول على الدفعة.
- حصل على درجة الماجستير في العلوم البيئية في عام ١٩٩٩، تخصص علوم بيئية وزراعة أنسجة النخيل، كلية العلوم، جامعة الإمارات العربية المتحدة، وبتقدير امتياز.
- حصل على درجة الدبلوم في الإكثار النسيجي لنخلة التمر في عام ٢٠٠٤، كلية الإمبيريال، جامعة لندن، المملكة المتحدة.
- حصل على درجة الدبلوم في التقانات الحيوية النباتية في عام ٢٠٠٤، كلية الإمبيريال، جامعة لندن، المملكة المتحدة.
- حصل على درجة الدكتوراه في علوم زراعة الأنسجة النباتية والتقانات الحيوية في عام ٢٠٠٤، كلية الإمبيريال، جامعة لندن، المملكة المتحدة.
- نال العديد من الجوائز العلمية أهمها:
  - جائزة التفوق العلمي، جامعة الإمارات، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٣، ١٩٩٩.
  - جائزة الشيخ راشد للتفوق العلمي، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٣، ١٩٩٩، ٢٠٠٦.
- نشر العديد من الأوراق العلمية في مجال زراعة الأنسجة النباتية وتقنيات البصمة الوراثية.
- المدير الوطني لمشروع برنامج بحوث تنمية النخيل والتمور/ ومختبر زراعة الأنسجة النباتية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، يوليو ٢٠٠٠ الى يونيو ٢٠٠٨م.
- أمين عام جمعية أصدقاء النخلة، دولة الإمارات العربية المتحدة، يناير ٢٠٠٥ - يناير ٢٠٠٧، وعضو مجلس إدارتها حتى تاريخه.
- مدير إدارة الحدائق والمتنزهات الترفيهية - القطاع الجنوبي/ وقطاع وسط المدينة، بلدية مدينة العين، يونيو ٢٠٠٨ - إبريل ٢٠١٣.
- المدير التنفيذي لقطاع خدمات المناطق - قطاع وسط المدينة «بالإنابة»، بلدية مدينة العين، سبتمبر ٢٠١٢ - إبريل ٢٠١٣.
- المدير التنفيذي لمعهد الإمارات للمترولوجيا، مجلس أبوظبي للجودة والمطابقة، إبريل ٢٠١٣ - نوفمبر ٢٠١٧.
- نائب رئيس مجلس إدارة مركز الإمارات العالمي للاعتماد، حكومة دبي، يناير ٢٠١٧ - حتى الآن.
- أمين عام مجلس أبوظبي للجودة والمطابقة، حكومة أبوظبي، نوفمبر ٢٠١٧ - حتى الآن.

هذا الكتاب

قليل من الرجال يستحقون عن جدارة وصفهم بـ«صنّاع التاريخ»، و«بُناة الأمم»، ومن هؤلاء المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (طيَّب الله ثراه)، مؤسّس دولة الإمارات العربية المتحدة وباني نهضتها. وراعي مسيرتها، حتّى تبوّأت مكانة مرموقة، ليس في العالم العربي وحده، بل في الدنيا بأسرها. وإن كان الشيخ زايد قد رحل، فإنّ أعماله وإنجازاته في شتّى جوانب الحياة باقية، وهي راسخة على أرض الإمارات يشهد بها الجميع، وتحفظها كتب التاريخ.

إنّ ما حققه الشيخ زايد من إنجازات زراعية وبيئية على أرض الإمارات على مدى ثلاثة عقود ونيف لأشْبَه بالمعجزة، وعلى المرء أن يتخيّل ملايين الأشجار التي غُرست في صحراء الإمارات، وبها تحوّلت مئات الآلاف من الهكتارات الجرداء إلى غابات ومزارع خضراء وارفة الظلال تنتج ثمراً طيّباً في وقت أجْمَع فيه الخبراء الزراعيون على استحالة زراعة تلك الصحراء، نظراً إلى طبيعة التربة وصعوبة المناخ في دولة الإمارات، والتي تقع ضمن الأقاليم الأكثر جفافاً في العالم. لكنّه (طيَّب الله ثراه) قد أثبت عكس ذلك، وأصبحت إنجازاته محل أنظار العالم وتتردد على كل لسان، وأخذت الجامعات ومراكز البحوث والمنظمات الدولية بدراسة تجربته البيئية واستخلاص الدروس والعِبَر من نجاحات تلك التجربة الجريئة التي قلبت كثيراً من المفاهيم المتعلقة باستحالة تغيير الأوضاع البيئية في منطقة صحراوية. ولم يأت ذلك من فراغ، بل كان وراءه عبقريّة واضحة، وإرادة كبيرة تَميّز بها ذلك القائد الفَذّ. وإنّ هذا الكتّاب:

- مرجع متخصص، رُوعي فيه التسلسل التاريخي للأحداث وتَعاقُبها على مَرّ السنين، يجمع مسيرة خضراء قادها المغفور له الشيخ زايد (طيَّب الله ثراه)، بدءاً من تَوَلّيه مسؤولية ممثل الحاكم في مدينة العين والمنطقة الشرقية في العام ١٩٤٦م وحتى عام ٢٠٠٤م، سنة وفاته (طيَّب الله ثراه).
- يستعرض ويُناقش الإنجازات الزراعية والبيئية الكبيرة التي حققها المغفور له الشيخ زايد على أرض الإمارات.
- يُناقش الرؤية والفكر الزراعي والبيئي عند الشيخ زايد، ومفهوم «أعطوني زراعة أضمن لكم حضارة» التي صَدَح بها مشجّعاً شعبه في وقت مبكر من مسيرته.
- يرصد أهم التحديات التي واجهها الشيخ زايد في مسيرته الخضراء، وكيف تغلّب عليها.
- يضم عدداً كبيراً من الروايات والمواقف الميدانية التي تعكس جهود الشيخ زايد وعبقريته الفذّة التي كان يتمتع بها والتي من وراءها حوّل أرض الصحراء إلى رياض تنتشر في كل مكان.

ولسوف يظل الشيخ زايد (طيّب الله ثراه) أحد القادة الكبار وأهمهم في تاريخنا المعاصر. فقد ضرب أسمَى معاني الاستخلاف في الأرض بإنجازاته العظيمة على أرضه، وإخلاصه لشعبه وأمّته العربية والإسلامية، وليده البيضاء التي امتدت طوال حياته بالخير والعطاء إلى كافّة البشرية.